التبيان

في

تفسير القرآن

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي قدس سره

الجزء الثاني

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

٦٥١

٦٥١

التبيان

في تفسير القرآن

شبكة الفكر
alfeker.net

تأليف

شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ٤٦٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة

التبيان
في
تفسير القرآن
(ج ٢)

■ تأليف: شيخ الطائفة أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي □

■ تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □

■ الموضوع: تفسير □

■ الكمّية: ١٠٠٠ نسخة □

■ الطبعة: الأولى □

■ التاريخ: محرم الحرام ١٤١٧هـ □

مؤسّسة النشر الإسلامي

التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[قوله تعالى]:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ آية.

القراءة:

أفصح اللغات فتح الهاء بـ «أيها»، وبعض بني مالك من بني أسد رهط شقيق بن سلمة يقولون: يا أيه الناس ويا أيته المرأة ويا أيه الرجل، ولا يقرأ بها[(١)]. ومن رفعها توهمها آخر الحروف، وقد حذفت الألف في الكتابة من ثلاثة مواضع: «أيه المؤمنون»[(٢)] و«يا أيه الساحر»[(٣)] و«أيه الثقلان»[(٤)]، وسنذكر خلاف القراء في التلفّظ بها.

---

(١) لاحظ التيسير في القراءات: ص١٦١.

(٢) النور: ٣١.

(٣) الزخرف: ٤٩.

(٤) الرحمن: ٣١.

النزول :

وروي عن علقمة(١) والحسن: أن كلّ ما في القرآن «ياأيها الذين آمنوا» نزل بالمدينة وما فيه «ياأيها الناس» نزل بمكة(٢) .

واعلم أن «أيا» اسم مبهم ناقص جعل صلة الى نداء ما فيه الألف واللام، ويلزمه «ها» التي للتنبيه لابهامه ونقصه، وأجاز المازني(٣) «ياأيَّ الظريف» قياساً على «يازيدَ الظريف» ولم يجزه غيره، لأن «أيا» ناقص. والنصب عطفاً على الموضع بالحمل على المعنى ولا يحمل على التأويل إلّا بعد التمام،وهذا هو الصحيح عندهم .

---

(١) وهو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك ، روىٰ عن علي عليه السلام وعمر وعثمان، ولد في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ومات سنة ٦٢ هـ . (تهذيب التهذيب: ج٧ ص٢٧٦، وتقريب التهذيب: ج٢ ص٣١).

(٢) اسباب النزول: ص١٣، ولم نعثر على رواية الحسن.

(٣) وهو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية البصري النحوي اللغوي، سيد أهل العلم بالنحو والعربية واللغة بالبصرة، ومقدّمته مشهورة بذلك . كان من علماء الامامية ومن تلاميذ اسماعيل بن ميثم وأخذ الأدب عن أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد وغيرهم، وأخذ عنه أبو العباس المبرد وبه انتفع، وله عنه روايات كثيرة .

وحكي عن القاضي بكار بن أبي قتيبة الحنفي المصري قال: ما رأيت نحوياً قط يشبه الفقهاء إلّا حيان بن الهلال والمازني، وكان في غاية الورع .

له مصنفات كثيرة في النحو والتصريف والعروض والقوافي وغير ذلك . وعن تعليقات الشهيد على الخلاصة، قال ابن داود نقلاً عن رجال الكشي:انه -يعني المازني- ثقة، توفي بالبصرة سنة ٢٤٩ أو ٢٤٨ هـ . (الكنىٰ والألقاب: ج٣ ص١٣٢) وذكر قوله الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص٢٢٨.

المعنى:

وهذه الآية متوجهة الى جميع الناس مؤمنهم وكافرهم، لحصول العموم فيها، إلّا من ليس بشرائط التكليف من المجانين والأطفال، وروي عن ابن عباس أنه قال: قوله: «اعبدوا ربكم» أي وحّدوه(١).

وقال غيره: ينبغي أن يحمل على عمومه في كل ما هو عبادة لله من معرفته ومعرفة أنبيائه، والعمل بما أوجبه عليهم وندبهم اليه، وهو الأقوى.

وقوله: «لعلكم تتقون» أي تتقون عذابه بفعل ما أوجبه عليكم كما قال: «واتقوا النار التي أُعدت للكافرين»(٢).

وقوله: «والذين» في موضع نصب، لأنّه عطف على الكاف والميم في قوله: «خلقكم» وهو مفعول به.

«من قبلكم» أي من تقدم زمانكم من الخلائق والبشر، وقال مجاهد: «تتقون» تطيعون(٣)، والأوّل أقوى.

والخلق هو الفعل على تقدير، وخلَقَ الله السماوات فعلها على تقدير ما تدعو اليه الحكمة من غير زيادة ولا نقصان، ومثله الرزق، والخُلُق الطبع، والخليقة الطبيعة، وخليق به شبيه به، والخلاق النصيب، والاختلاق افتعال الكذب، والخلق البالي، والأخلق الأملس.

ومعنى «لعلكم تتقون» قال الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلّنا نكفّ ووثقتم لنا كلّ موثق

---

(١) تفسير ابن عباس: ص٥.

(٢) آل عمران: ١٣١.

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٢٥.

فلما كففنا الحرب كانت عهودُكم كلمح سراب في الملا متألق[١]

يعني قلتم لنا: كفوا لنكف، لأنه لو كان شاكا لما كانوا وثقوا كل موثق، ويقول القائل: اقبل قولي لعلك ترشد، وادخاله (لعل) ترقيق للموعظة وتقريب لها من قلب الموعوظ، يقول القائل لأجيره: اعمل لعلك تأخذ الاجرة، وليس يريد بذلك الشك وانما يريد لتأخذ أُجرتك .

وقال سيبويه[٢]: انما ورد ذلك على شك المخاطبين، كما قال تعالى: «فقولا له قولا لينا لعلّه يتذكر أو يخشى»[٣] واراد بذلك الابهام على موسى وهارون .

وفائدة ايراد لفظة (لعل) هو ان لا يحل العبد ابداً محل الأمن المدل، لكي يزداد حرصاً على العمل وحذراً من تركه، واكثر ماجاءت (لعل) وغيرها من معاني التشكيك فيما يتعلّق بالآخرة في دار الدنيا، فاذا ذكرت الآخرة مفردة جاء اليقين، وهذه الآية يمكن الاستدلال بها على ان الكفار مخاطبون بالعبادات، لدخولهم تحت الاسم .

وقال بعضهم: معنى قوله: «لعلّكم تتقون» لكي تتقوا النار في ظنكم ورجائكم؛ لأنهم لا يعلمون انهم يوقون النار في الآخرة، لأنّ ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلاّ الله. قال: «لعلكم تتقون» ذلك في ظنكم ورجائكم واجرى (لعل) على العباد دون نفسه تعالى الله عن ذلك[٤]. وهذا قريب مما حكيناه عن سيبويه .

---

(١) لم نقف على قائلها، ونقلها الطبري في التفسير: ج١ ص١٢٥.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) طه: ٤٤.

(٤) في تفسير ابن عباس: ص٥، نقلاً بالمعنى.

و«لعل» في الآية، يجوز أن تكون متعلقة بالتقوى، ويجوز أن تكون متعلقة بالعبادة في قوله: «اعبدوا»، وهو الأقوى.

[قوله تعالى]:

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [آية واحدة].

«الذي» في موضع نصب، لأنّه نعت لقوله: «ربكم» في قوله: «اعبدوا ربكم» وهي مثل الذي قبلها؛ فانهما جميعاً نعتان لـ «ربكم».

«فراشاً» يعني مهاداً أو وطاءً لا حزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها، وتقديره: اعبدوا ربكم الخالق لكم والخالق للذين من قبلكم، الجاعل لكم الارض فراشاً، فذكّر بذلك عباده نعمه عليهم وآلاءه لديهم ليذكروا اياديه عندهم فيثبتوا على طاعته تعطفاً منه بذلك عليه، ورأفة منه بهم، ورحمة لهم من غير حاجة منه الى عبادتهم، ليتم نعمته لعلهم يهتدون.

وسمّي السماء سماء لعلوّها على الأرض، وعلوّ مكانها من خلقه، وكل شيء كان فوق شيء فهو لما تحته سماء، لذلك قيل لسقف البيت: سماء لأنّه فوقه، وسمّي السحاب سماء، ويقال: سمى فلان لفلان اذا أشرف له وقصد نحوه عالياً عليه، قال الفرزدق:

سَمَونا لنجْران اليماني واهله ... ونجران أرض لم تُدَيَّثْ مقاوِلُهْ[1]

وقال النابغة الذبياني:

سمت لي نظرة فرأيت منها ... تحيت الخدر واضعة القرام[2]

---

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج٢ ص٣٣٨.

(٢) ديوانه: ص٩٣. والخدر هنا الهودج، والقرام ستر رقيق فيه رقم ونقوش.

يريد بذلك أشرفت لي نظرة وبدت . وقال الزجاج[1]: كل ما على الأرض فهو بناء لامساك بعضه بعضاً، فيأمنوا بذلك سقوطها. فخلق السماء بلا عمد وخلق الأرض بلا سند يدل على توحيده وقدمه، لأنّ المحدَث لا يقدرعلى مثل ذلك. وانما قابل بين السماء وبين الفراش لأمرين :

أحدهما : ما حكاه أبو زيد: أن بنيان البيت سماؤه وهو أعلاه وكذلك بناؤه، وانشد :

بنى السماء فسوّاها ببنيتها   ولم تمدّ بأطناب ولاعمد[2]

يريد ببنيتها علوّها .

والثاني: أن سماء البيت لما كان قد يكون بناء وغيربناء اذا كان من شعر أو وبر أو غيره، قيل:جعلها بناء ليدل على العبرة برفعها، وكانت المقابلة في الأرض والسماء باحكام هذه بالفرش، وتلك بالبناء[3] .

وقوله: «من السماء» أي من ناحية السماء، قال الشاعر:

أمنك البرق أرقبه فهاجا[4]

أي من ناحيتك . فبناء السماء على الأرض كهيئة القبة، وهي سقف على الأرض، وانما ذكر السماء والأرض فيما عدّ عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم، لأنّ فيها أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم، وبها قوام دنياهم، وأعلمهم أن الذي خلقهما وخلق جميع ما فيهما من أنواع النعم هو الذي يستحقّ العبادة والطاعة والشكر دون الأصنام والأوثان التي لا تضرّ ولا تنفع .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٩٩.
(٢) لم نعثرعليه.
(٣) تلخيص البيان للرضي: ص١١٥.
(٤) لم نهتد لقائله ومن نقله.

وقوله : «وأنزل من السماء ماء» يعني مطراً فأخرج بذلك المطر مما أنبتوه في الأرض من زرعهم وغروسهم ثمراتٍ رزقاً لهم وغذاءً وقوتاً، تنبيهاً على أنّه هو الذي خلقهم، وأنّه الذي يرزقهم ويكفلهم دون من جعلوه نداً وعدلاً من الأوثان والآلهة، ثم زجرهم أن يجعلوا له نداً مع علمهم بأن ذلك كما أخبرهم، وأنّه لا ندّ له ولا عدل ولا لهم نافع ولا ضار ولا خالق ولا رازق سواه بقوله: «فلا تجعلوا لله أنداداً» .

والند العدل والمثل، قال حسان بن ثابت[١]:

أتهجوه ولست له بندٍّ فشركما لخيركما الفداء[٢]

أي لست له بمثل ولا عدل، وقال جرير:

أتيما تجعلون إلي نداً وما تيم لذي حسب نديد[٣]

وقال مفضل بن سلمة[٤]: الند الضد، والندود الشرود كما يندّ البعير،

---

(١) وهو ابو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الانصاري الخزرجي، شاعر جاهلي اسلامي ،يقال له: شاعر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وذلك لتقطيعه أعراض المشركين وانبرائه لشعرائهم بكل قواه، حتى قال له النبي صلّى الله عليه وآله: «أنت مؤيد بروح القدس ما دمت مادحنا أهل البيت»، إلّا انه ارتكب هفوات كبيرة بعد ذلك . منها: اشتراكه في تلفيق حديث الإفك ، حيث جلده النبي صلّى الله عليه وآله عليها ثمانين جلدة، وكان ايضاً قد عرّض مرةً بالمهاجرين وكادت الفتنة ان تقع لو لم يتداركها النبي صلّى الله عليه وآله .

عاش حسان ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام. توفي في زمن معاوية بعد أن عمي في أواخر أيامه.

(أُسد الغابة: ج٢ ص٤، والشعر والشعراء: ص١٧٠، والاغاني ج٤ ص١٣٤).

(٢) ديوانه: ص٢٨. اصدار دار كرم دمشق.

(٣) ديوانه: ص١٢٩، وشرح الديوان: ص١٢٦ وفيه «أتيمٌ» بدل «أتيما».

(٤) وهو أبو طالب، المفضل بن سلمة، لغوي عالم بالأدب، الفقيه الشافعي البغدادي الضبّي، صاحب التصانيف المشهورة فى فنون الأدب ومعاني القرآن، وكان كوفي المذهب، له من

ويوم التناد يوم التنافر، والتنديد التقليل، والفراش البساط، والفرش البسط، فرش يفرش فرشاً وافترش افتراشاً، وفراش الرأس طرائق رقاق من القحف، والفراش فراش القاع والطين بعد ما يبس على وجه الأرض. والفراش الذي يطير ويتهافت في السراج، وجارية فريش قد افترشها الرجل، والفرش صغار النعم، ورجل فراشة خفيف، والفرش من الشجر دقه. واصل الماء موه، لأنّه يجمع أمواها ويصغّر مويه، وماهت الركية تموه موها واماهها صاحبها اذا أكثر ماءها إماهة.

وروي عن ابن مسعود وغيره من الصحابة أن معنى الآية: لا تجعلوا لله أكفّاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله[١]. قال ابن عباس: إنه خاطب بقوله: «ولا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون» جميع الكفار من عبّاد الاصنام واهل الكتابين، لأن معنى قوله: «وانتم تعلمون» أنه لا ربّ لكم يرزقكم غيره، وإن ما تعبدون لا يضر ولا ينفع[٢]. وروي عن مجاهد: أنّه عنى بذلك أهل الكتابين لأنهم الذين كانوا يعلمون أنه لا خالق لهم غيره ولا منعم عليهم سواه، والعرب ما كانت تعتقد وحدانيته تعالى[٣].

والأوّل أقوى؛لأنّ الله تعالى قد أخبر أن العرب قد كانت تعتقد وحدانيته تعالى؛ فقال تعالى حكاية عنهم: «ولئن سألتهم من خلق

الكتب: كتاب البارع في اللغة، وكتاب ضياء القلوب في معاني القرآن وغيرهما. اختلف في وفاته، فقال بعض:توفي سنة ٢٩٠هـ. وقال المرزباني:أنّه توفي سنة ٢٥٠هـ. وقيل غير ذلك. (وفيات الاعيان: ج٣ ص٣٤٣، والأعلام: ج٥ ص٢٧٩).

(١) رواه الطبري في التفسير: ج١ ص١٢٧.

(٢) لم نقف عليه في تفسيره، ونقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٢٧.

(٣) نقله السيّد المرتضىٰ عنه في أماليه: ج٢ ص١٨٩.

السموات والأرض ليقولن الله»[١]، «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»[٢]، وقال تعالى: «قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل ألا تتقون»[٣] فحمل الآية على عمومها أولى ويطابق أول الآية، وقد بينا أن خطابه لجميع الخلق.

واستدل أبو علي الجبائي بهذه الآية على أن الأرض بسيطة ليست كرة، كما يقول المنجّمون[٤]، والبلخي بأن قال: جعلها فراشاً والفراش البساط بسط الله تعالى اياها، والكرة لا تكون مبسوطة، قال: والعقل يدلّ أيضاً على بطلان قولهم، لأنّ الأرض لا يجوز أن تكون كروية مع كون البحار فيها لأن الماء لا يستقر إلّا فيما له جنبان يتساويان، لأنّ الماء لا يستقر فيه كاستقراره في الأواني، فلو كانت له ناحية في البحر مستعلية على الناحية الأُخرى لصار الماء من الناحية المرتفعة الى الناحية المنخفضة، كما يصير كذلك إذا امتلأ الاناء الذي فيه الماء[٥]. وهذا لا يدل على ما قاله، لأنّ قول من قال: الأرض كروية معناه إن لجميعها شكل الكرة.

وقوله: «وانتم تعلمون» يحتمل أمرين:

أحدهما: إنكم تعلمون أنه لا خالق لكم ولا منعم بما عدده من انواع النعيم سوى الله، وإن من اشركتم به لا يضر ولا ينفع.

---

(١) لقمان: ١٢٥، والزمر: ٣٨.

(٢) الزخرف: ٨٧.

(٣) يونس: ٣١.

(٤) أمالي المرتضىٰ: ج٢ ص١٨٧.

(٥) لم نعثر على قول البلخي في المصادر المتوفّرة لدينا.

والثاني: إنه أراد وأنتم علماء بأُمور معايشكم وتدبير حروبكم ومضاركم ومنافعكم، لستم باغفال ولا جهّال.

[قوله تعالى]:

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ آية بلا خلاف.

الحجة:

هذه الآية فيها احتجاج الله تعالى لنبيه محمد صلّى الله عليه وآله على مشركي قوم من العرب والمنافقين، وجميع الكفّار من أهل الكتابين، وغيرهم، لأنّه خاطب أقواماً عقلاء ألباء في الذروة العليا من الفصاحة، والغاية القصوى من البلاغة واليهم المفزع في ذلك، فجاءهم بكلام من جنس كلامهم وجعل عجزهم من مثله حجة عليهم، ودلالة على بطلان قولهم ووبخهم وقرعهم وأمهلهم المدة الطويلة. وقال لهم: «فأتوا بعشر سور مثله مفتريات»[1]، ثم قال: «فأتوا بسورة مثله»[2] وقال في موضع آخر: «بسورة من مثله». وأخبرهم أن عجزهم إنما هو عن النظير والجنس مع أنه ولد بين أظهرهم ونشأ معهم، ولم يفارقهم في سفر ولا حضر، وهو من لا يخفى عليهم حاله لشهرته وموضعه، وهم أهل الحمية والانفة يأتي الرجل منهم بسبب كلمة على القبيلة، فبذلوا أموالهم ونفوسهم في إطفاء أمره ولم يتكلفوا معارضته بسورة ولا خطبة فدل ذلك على صدقه. وذكرنا ذلك في الأُصول[3].

(١) هود: ١٣.

(٢) يونس: ٣٨.

(٣) تمهيد الاصول: ص٣٢٥-٣٢٧.

المعنى:

وقوله: «بسورة من مثله» قال قوم: إنها بمعنى التبعيض، وتقديره: فأتوا ببعض ما هو مثل له وهو سورة(١) وقال آخرون: هي بمعنى تبيين الصفة كقوله: «فاجتنبوا الرجس من الاوثان»(٢)(٣). وقال قوم: إن «من» زائدة، كما قال في موضع آخر: «بسورة مثله» يعني مثل هذا القرآن(٤). وقال آخرون: أراد ذلك من مثله في كونه بشراً أُمياً، طريقته مثل طريقته(٥).

والأول أقوى، لأنّه تعالى قال في سورة أُخرى: «بسورة مثله»(٦) ومعلوم أن السورة ليست محمداً صلّى الله عليه وآله ولا له بنظير، ولأن في هذا الوجه تضعيفا لكون القرآن معجزة، ودلالة على النبوة.

وقوله: «وادعوا شهداءكم من دون الله»، قال ابن عباس: أراد أعوانكم على ما أنتم عليه، إن كنتم صادقين(٧). وقال الفراء: أراد ادعوا آلهتكم(٨). وقال مجاهد وابن جريج(٩): أراد قوماً يشهدون لكم بذلك ممن

---

(١) ابن عباس في تفسيره: ص٥، والفراء في معاني القرآن: ج١ ص١٩.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) الفريد في اعراب القرآن المجيد للهمداني: ج١ ص٢٤٧.

(٤) حكاه الزجاج في اعراب القرآن: ج٢ ص٥٥٢، عن ابي الحسن الاخفش.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص١٢٩، ومعاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٠٠.

(٦) يونس: ٣٨.

(٧) تفسير الطبري: ج١ ص١٣٠.

(٨) معاني القرآن: ج١ ص١٩.

(٩) تفسير مجاهد: ص١٩٨، وتفسير الطبري: ج١ ص١٣٠.

يقبل قولهم. وقول ابن عباس أقوى.

وقوله: «مثله» أراد به ما يقاربه في الفصاحة ونظمه وحسن ترصيفه وتأليفه، ليعلم أنه اذا عجزوا عنه ولم يتمكنوا منه أنه من فعل الله تعالى، جعله تصديقاً لنبيه، وليس المراد أن القرآن له مثل عند الله، ولولاه لم يصحّ التحدّي لأنّ ما قالوه لا دليل عليه، والاعجاز يصح وإن لم يكن له مثل أصلا، بل ذلك أبلغ في الاعجاز لأن ذلك جار مجرى قوله: «هاتوا برهانكم»[١] وانما أراد نفي البرهان أصلاً، والدعاء أراد به الاستعانة، قال الشاعر:

وقبلك ربّ خصم قد تمالوا　　عليّ فما جزعت ولا دعوت

وقال آخر:

فلما التقت فرساننا ورجالهم　　دعوا يالكعب واعتزينا لعامر[٢]

يعني انتصروا بكعب واستغاثوا بهم.

وشهداء جمع شهيد مثل شريك وشركاء وخطيب وخطباء، والشهيد يسمى به الشاهد على الشيء لغيره بما يحقق دعواه، وقد يسمى به المشاهد للشيء، كما يقال: جليس فلان، يريد به مجالسه ومنادمه. فعلى هذا تفسير ابن عباس أقوى وهو أن معناه استنصروا أعوانكم على أن يأتوا بمثله، وشهداءكم الذين يشاهدونكم ويعاونونكم على تكذيب الله ورسوله، ويظاهرونكم على كفركم ونفاقكم إن كنتم محقين.

وما قاله مجاهد وابن جريج في تأويل ذلك لا وجه له، لأنّ القوم على ثلاثة أصناف: فبعضهم أهل ايمان صحيح، وبعضهم أهل كفر صحيح،

---

(١) البقرة: ١١١.

(٢) كتاب سيبويه: ج٢ ص٣٨٠، والقائل هو «الراعي».

وبعضهم أهل نفاق. فأهل الايمان اذا كانوا مؤمنين بالله ورسوله، فلا يجوز ان يكونوا شهداء للكفار على ما يدّعونه. واما أهل النفاق والكفر فلا شك أنهم اذا دعوا الى تحقيق الباطل وابطال الحق سارعوا اليه مع كفرهم وضلالتهم. فمن أي الفريقين كانت تكون شهداء، لكن يجري ذلك مجرى قوله: «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً»[1]. وقد أجاز قوم هذا الوجه أيضاً قالوا: لأنّ العقلاء لا يجوز أن يحملوا نفوسهم على الشهادة بما يفتضحون به في كلام أنه مثل القرآن ولا يكون مثله، كما لا يجوز ان يحملوا نفوسهم على ان يعارضوا ما ليس بمعارض في الحقيقة .

ومعنى الآية: إن كنتم في شك من صدق محمد صلّى الله عليه وآله فيما جاءكم به من عندي، فأتوا بسورة من مثله، فاستنصروا بعضكم بعضاً على ذلك إن كنتم صادقين في زعمكم حتى إذا عجزتم وعلمتم انه لا يقدر على ان يأتي به محمد صلّى الله عليه وآله ولا أحد من البشر يتضح عندكم انه من عند الله تعالى .

[قوله تعالى]:

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ آية .

المعنى:

معنى «فان لم تفعلوا» لم تأتوا بسورةٍ من مثله، وقد تظاهرتم انتم

---

(١) الاسراء: ٨٨.

وشركاؤكم علـيه وأعوانكم، وقـد تبين لكم بامـتحانكم واختباركم عجزكم وعجز جميع الخلق عنه وعلمتم انه من عندي، ثم اقمتم على التكذيب به .

وقوله: «ولن تفعلـوا» لا موضع له من الاعراب، وانما هـو اعتراض بين المبتـدأ والخبر، كقولك : زيـد ـ فافهم ما أقول ـ رجل صـدق. وانما لم يكن له موضع اعراب، لأنه لم يقع مـوضع المفرد. ومعنى «ولن تفعلوا» اي لن تأتوا بسورة من مـثله ابداً، لأن «لـن» تنفي على التـأبيد في المسـتقبل، وفي قـوله: «ولـن تفعلوا» دلالة على صـحـة نبوته، لأنه يتضـمّن الأخبار عن حالهم في المستقبل بـأنهم لا يفعلـون، ولا يجوز لعاقل أن يـقدم على جماعة من الـعقلاء يـريد تهجينهم فيـقـول: انتم لا تفعلون إلّا وهو واثـق بذلك ، ويعلم ان ذلك متعذّر عنـدهم، وينبغـي ان يكون الخطاب خاصّاً لمن علم الله انه لا يؤمن، ولا يدخل فيه من آمن فيما بعد وإلّا كان كذباً .

وقوله: «فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة»، الوَقود ـ بفتح الواو ـ اسم لما يوقد، والوُقـود ـ بضـمّها ـ المصدر، وقيل: إنهما بمـعنى واحـد في المصدر واسم الحطب حكاه الزجاج[١] والبلخي[٢]، والأوّل أظهر.

«اتقوا الله» ـ مشدّدة ـ لغة أهل الحـجاز، وبنو أسد وتميم يقولون: «تقوا الله» خفيف بحذف الألف .

«الحـجـارة» قيل: إنهـا حـجـارة الكبريت لأنهـا أحرّ شيء اذا حميت، وروي ذلـك عـن ابـن عـبـاس[٣] وابـن مسعـود[٤]. والظـاهـر إن الـناس

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٠١.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

(٣) تفسير ابن عباس: ص٥.

(٤) نقله سفيان بن عيينة في تفسيره: ص٢٠٥، والطبري في تفسيره: ج١ ص١٣١.

والحجارة وقود النار وحطبها كما قال: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم»[١] تهيباً وتعظيماً بانها تحرق الحجارة والناس.

وقيل: إن أجسادهم تبقى على النار بقاء الحجارة التي توقدها النار بالقدح. وقال قوم: معناه أنهم يعذبون بالحجارة المحماة مع النار[٢]، والأول أقوى وأليق بالظاهر.

وانما جاز أن يكون قوله: «فاتقوا النار» جواب الشرط مع لزوم الاتقاء من النار كيف تصرفت الحال، لأنه لا يلزمهم الاتقاء على التصديق بالنبوة إلّا بعد قيام المعجزة؛ فكأنه قال: فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فقد قامت الحجة، ووجب اتقاء النار بالمخالفة.

وقوله: «أُعدّت للكافرين» لا يمنع من اعدادها لغير الكافرين من الفسّاق كما قال: «وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين»[٣] ولم يمنع ذلك من إحاطتها بالفسّاق والزناة والزبانية. وقال قوم: هذه نار مخصوصة للكافرين لا يدخلها غيرهم، والفسّاق لهم نار أُخرى[٤].

وقد استدل بهذه على بطلان قول من حرم النظر والحجاج العقلي، بأن قيل: كما احتج الله تعالى على الكافرين بما ذكره في هذه الآية وألزمهم به تصديق النبي صلّى الله عليه وآله والمعرفة بأن القرآن كلامه، لأنّه قال: إن كان هذا القرآن كلام محمد فأتوا بسورةٍ من مثله، ودلّهم بعقولهم أنه لو كان كلام محمد لتهيأ لهم مثل ذلك، لأنهم الذين يؤخذ عنهم اللغة، واذا كان لم

---

(١) الانبياء: ٩٨.

(٢) رواه الطبري في تفسيره عن ابن جريج: ج١ ص١٣١.

(٣) التوبة: ٤٩.

(٤) انظر تفسير الطبري: ج١ ص١٣٢.

يتهيأ لهم ذلك علموا بعقولهم أنه من كلام الله، وهذا هو معنى الاحتجاج بالعقول، فيجب ان يكون ذلك صحيحاً من كل واحد.

[قوله تعالى]:

وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

آية.

اللغة:

البشارة هو الإخبار بما يسرّ المخبر به إذا كان سابقاً لكلّ خبر سواه، لأنّ الثاني لا يسمى بشارة، وقد قيل: إن الاخبار بما يغم ايضاً يسمى بشارة[1]. كما قال تعالى: «فبشرهم بعذاب أليم»[2]. والأولى أن يكون ذلك مجازاً، وهي مأخوذة من البَشَرة وهي ظاهر الجلد لتغييرها بأول الخبر، ومنه تباشير الصبح أوله، وكذلك تباشير كل شيء، المبشّرات الرياح التي تجيء بالسحاب، والبشر الانسان، والبشرة أعلى جلدة الجسد، والوجه من الانسان، والمباشرة ملاصقة البشرة، والبشر قشر الجلد.

والجنان جمع جَنّة، والجنة البستان. والمراد بذكر الجنة ما في الجنة من اشجارها واثمارها وغروسها دون أرضها، فلذلك قال: «تجري من تحتها الأنهار» لأنه معلوم انه أراد الخبر عن ماء انهارها انه جار تحت الاشجار والغروس والثمار لا أنه جار تحت أرضها، لأن الماء إذا كان تحت الأرض

(١) قاله الجوهري في الصحاح: مادة «بشر» ج٢ ص٥٩٠.

(٢) آل عمران: ٢١.

جارياً فلا حظّ فيه للعيون إلّا بكشف الساتر بينه وبينها، على أنّ الذي يوصف به أنهار الجنة انها جارية في غير أخاديد. روي ذلك عن مسروق[١]، رواه عنه ابو عبيدة وغيره[٢].

الإعراب:

و «جنات» منصوب بأن، وكسرت التاء لأنها تاء التأنيث في جمع السلامة وهي مكسورة في حال النصب بالخفض. وموضع «ان» نصب بقوله: «وبشر الذين». وقال الخليل والكسائي[٣]: موضعه الجر بالباء، كأنه قال: وبشرهم بأن لهم.

المعنى:

وقال الفضل: الجنة كل بستان فيه نخل، وإن لم يكن شجر غيره، وإن كان فيه كرم فهو فردوس، كان فيه شجر غير الكرم أم لم يكن.

«من ثمرة»: من زائدة، والمعنى: كلما رزقوا ثمرة، و«منها» يعني من الجنات، والمعنى: أشجارها، وتقديرها: كلما رزقوا من أشجار البساتين التي

---

(١) وهو أبو عائشة، مسروق بن الأجدع بن مالك بن أُميّة الهمداني الوادعي الكوفي. روى عن علي عليه السلام.

قال الشعبي: ما علمت أحداً كان أطلب للعلم منه، وكان من عبّاد أهل الكوفة. ذكره ابن حيان في الثقات.

توفي بالكوفة سنة ٦٢ أو ٦٣ للهجرة، وله ثلاث وستون سنة.

(طبقات الحفاظ: ص١٤، وتهذيب التهذيب: ج١٠ ص١٠٩).

(٢) روى ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٢.

(٣) اعراب القرآن للنحاس: ج١ ص٢٠١.

اعدها الله للمؤمنين. وقال الرماني: هي بمعنى التبعيض[١]، لأنهم يرزقون بعض الثمرات في كل وقت، ويجوز أن تكون بمعنى تبيين الصفة وهو ان يبين الرزق من اي جنس هو.

وقوله: «هذا الذي رزقنا من قبل» روي عن ابن عباس وابن مسعود وجماعة من الصحابة انه الذي رزقنا في الدنيا[٢].وقال مجاهد: معناه اشبهه به[٣]. وقال بعضهم: إن ثمار الجنة إذا جنيت من اشجارها عاد مكانها، فاذا رأوا ما عاد بعد الذي جني اشتبه عليهم، فقالوا: هذا الذي رزقنا من قبل، وهذا قول أبي عبيدة ويحيى بن أبي كثير[٤].وقال قوم: هذا الذي رزقنا وعدنا به في الدنيا. وقد بينا فيما تقدم أن الرزق عبارة عما يصح الانتفاع به على وجه لا يكون لأحد المنع منه. وقال الفضل: ذلك يخص الأقوات[٥]. وقال قوم: هذا الذي رزقنا من قبل لمشابهته في اللون وإن خالفه في الطعم[٦].

واقوى الأقوال قول ابن عباس وأن معناه هذا الذي رزقنا في الدنيا، لأنه قال: «كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل» فعمّ ولم يخص. فأول ما أتوا به لا يتقدّر هذا القول فيه إلّا بأن يكون إشارة الى ما تقدم رزقه في الدنيا، لأنا فرضناه أولا وليس في الآية تخصيص، ويكون التقدير هذا الذي رزقنا في الدنيا لأنّ ما رزقوه أولا قد عدم وأقام

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٣.

(٣) تفسير مجاهد: ص١٩٨.

(٤) و(٥) تفسير الطبري: ج١ ص١١٣.

(٦) تفسير القمّي: ج١ ص٣٤، وتفسير ابن عبّاس: ص٦.

المضاف اليه مقام المضاف، كما أن القائل اذا قال لغيره: أعددت لك طعاماً، ووصفه له يحسن أن يقول: هذا طعام كل وقت، يريد مثله ومن جنسه ونوعه.

وقوله: «وأتوا به متشابها» قال الضحاك : إذا رأوه، قالوا: هو الأول في النظر واللون، واذا طعموا وجدوا له طعماً غير طعم الأول[1]، وقوله : «وأتوا به» معناه جيئوا به وليس معناه أعطوه، وقال قوم: «وأتوا به متشابهاً» أي يشبه بعضه بعضاً إلّا في المنظر والطعم، أي كل واحد منه له من الفضل في نحوه مثل الذي للآخر في نحوه، ذكره الأخفش[2]. وهذا كقول القائل: وقد جيء بأثواب أو أشياء رآها فاضلة فاشتبهت عليه في الفضل، فقال: ما أدري ما اختار منها كلها عندي فاضل، قال الشاعر:

من تلقَ منهم تَقلْ لاقيتُ سيدَهم   مثلَ النجومِ التي يسري بها الساري[3]

يعني أنهم تساووا في الفضل والسؤدد. وروي هذا عن الحسن وابن جريج[4]. وقال قتادة: معناه يشبه ثمار الدنيا غير أنها أطيب[5]. وقال ابن زيد والاشجعي: إن التشابه في الاسماء دون الألوان والطعوم، فلا يشبه ثمار الجنة شيء من ثمار الدنيا في لون ولا طعم[6].

وأولى هذه الاقوال أن يكون المراد به متشابهاً في اللون والمنظر على ان

---

(١) حكاه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «شبه» ج٦ ص٩٢ عن جماعة من المفسرين.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٢١٤.

(٣) لم نجد البيت فيما لدينا من المصادر.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص١٣٤، وتفسير الماوردي: ج١ ص٨٦.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٥.

(٦) حكى قولهما الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٥، والماوردي في تفسيره: ج١ ص٨٦.

الطعم مختلف لما قدمناه من أن هذا يقولونه في أول الحال أيضاً، وما يقدر عليه غيره، وبعد هذا قول من قال: معناه أن كلها جياد لا رذال فيه .

وقال بعض المتأخرين في قوله: «هذا الذي رزقنا من قبل»: معناه هذا الذي أُعطينا بعبادتنا من قبل[١] .

وقال ابو علي: معناه ذلك ما يؤتون به في كل وقت من الثواب مثل الذي يؤتى في الوقت الذي قبله من غير زيادة ولا نقصان، لأنّه لابدّ أن تتساوى مقادير الاستحقاق في ذلك، وقال أيضاً: يجب أن يسوي بينهم في الأوقات في مقدار ما يتفضل به عليهم في وقت ويزدادون في وقت آخر، قال: لأن ذلك يؤدي الى أن التفضّل أعظم من الثواب[٢] .

وهذا الذي ذكره غير صحيح، لأن العقل لا يدل على مقادير الثواب في الأوقات ولا يعلم ذلك غير الله، بل عندنا لا يدل العقل على دوام الثواب وانما علم ذلك بالسمع والاجماع، واما التفضّل فلا شك أنه يجوز أن يزيد في وقت على ما يفضله في وقت آخر ولا يؤدي ذلك الى مساواته للثواب، لأن الثواب يتميز من التفضل لمقارنة التعظيم له والتبجيل، ولأجل ذلك يتميز كل جزء من الثواب من كل جزءٍ من التفضّل ولا زيادة هناك .

وقوله: «ولهم فيها ازواج مطهرة» قيل: في الأبدان والأخلاق والأفعال ولا يحضن ولا يلدن ولا يذهبن الى غائط، وهو قول جماعة المفسرين[٣] .

وقوله: «وهم فيها خالدون» أي دائمون يبقون ببقاء الله لا انقطاع

(١) لم نهتد لقائله.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر المتوفّرة لدينا.

(٣) القمّي في تفسيره: ج١ ص٣٤، وابن عبّاس في تفسيره: ص٦، والطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٦.وتفسير الماوردي: ج١ ص٨٧.

لذلك ولا نفاد.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ آية واحدة.

سبب النزول:

اختلف أهل التأويل في سبب نزول هذه الآية؛ فروي عن ابن مسعود[1] وابن عباس[2]: أن الله تعالى لما ضرب هذين المثلين للمنافقين وهو قوله: «كمثل الذي استوقد ناراً» وقوله: «أو كصيب من السماء» قال المنافقون: الله أجل من «أن يضرب مثلاً» الى آخر الآية.

وقال الربيع بن أنس: هذا مثل ضربه الله للدنيا، لأن البعوضة تحيا ما جاعت فاذا سمنت ماتت، فشبّه الله تعالى هؤلاء بأنهم اذا امتلؤوا أخذهم الله، كما قال تعالى: «فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليه ابواب كل شيء ـالى أن قالـ حتى اذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون»[3][4].

وقال قتادة: معناه أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، أي لا يستحيي من الحق أن يذكر منه شيئاً ما قل أو كثر، إن الله

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٨.

(٢) اسباب النزول للواحدي: ١٣.

(٣) الأنعام: ٤٤.

(٤) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٨، والماوردي في تفسيره: ج١ ص٨٨.

تعالى حين ذكر في كتابه الذباب والعنكبوت قال أهل الضلالة: ما ذا أراد الله من ذكر هذا؟ فأنزل الله تعالى: «ان يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها . . .» الآية[1] .

وكل هذه الوجوه حسنة، واحسنها قول ابن عباس، لأنه يليق بما تقدم، وبعده ما قال قتادة .

وليس لأحد أن يقول: هذا المثل لا يليق بما تقدّم، من حيث لم يتقدّم للبعوضة ذكر، وقد جرى ذكر الذباب والعنكبوت في موضع آخر في تشبيه آلهتهم بها وان يكون المراد بذلك اولى وذلك أنّ قوله: «ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فمافوقها» انما هو خبر منه تعالى انه لا يستحيي أن يضرب مثلا في الحق من الأمثال صغيرها وكبيرها، لأن صغير الأشياء عنده وكبيرها بمنزلة واحدة من حيث لا يتسهل الصغير ولا يصعب الكبير، وإن في الصغير من الإحكام والاتقان ما في الكبير، فلما تساوى الكل في قدرته جاز أن يضرب المثل بما شاء من ذلك، فيقرّ بذلك المؤمنون ويسلمون وإن ضلّ به الفاسقون بسوء اختيارهم، وهذا المعنى مروي عن مجاهد[2] .

وروي عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انه قال: إنما ضرب الله بالبعوضة، لأن البعوضة على صغر حجمها خلق فيها جميع ما في الفيل على كبره وزيادة عضوين آخرين، فأراد الله أن ينبّه بذلك المؤمنين على لطف خلقه وعجيب عظم صنعه[3] .

---

(١) نقله الواحدي في أسباب النزول: ص١٤ ، وتفسير الماوردي: ج١ ص٨٨.

(٢) تفسير مجاهد: ص١٩٨.

(٣) روضة الكافي: ص٢٤٨ ح٣٤٨.

القراءة والمعنى:

و«يستحيي» لغة أهل الحجاز وعامة العرب بيائين،وبنو تميم يقولون بياء واحدة أخصر، كما قالوا: ألم يك، ولا أدر[١].

ومعنى «يستحي» قال بعضهم: إنه لا يخشى ان يضرب مثلاً، كما قال: «وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه»[٢] معناه: تستحي الناس والله أحق أن تستحييه، فيكون الاستحياء بمعنى الخشية، والخشية بمعنى الاستحياء[٣].

وقال الفضل بن سلمة: معناه لا يمتنع[٤]. وقال قوم: لا يترك[٥]، وهو قريب من الثاني.

واصل الاستحياء الانقباض عن الشيء والامتناع منه خوفاً من مواقعة القبيح، والاستحياء والانخزال والانقماع والإرتداع متقاربة المعنى، وضدّ الحياء القحة، ومعنى الاستحياء في الآية انه ليس في ضرب المثل بالحقير عيب يستحي، وكأنه قال: لا يحل ضرب المثل بالبعوضة محل ما يستحي منه فوضع قوله: «إن الله لا يستحيي... الآية» موضعه، إختاره الرماني (٦).

---

(١) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢١٤.

(٢) الأحزاب: ٣٧.

(٣) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٣٩، ونسبه الى بعض المنسوبين الى المعرفة بلغة العرب، وقال: كان يتأوّل معنىٰ: «ان الله لا يستحيي» ولم نقف على قائل لهذا القول.

(٤) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص٨٧.

(٥) تفسير ابن عباس: ص٦.

(٦) لا يوجد لدينا كتابه.

وقوله: «ان يضرب مثلا» فهو ان يصف ويمثل ويبين، كما قال تعالى: «ضرب لكم مثلاً من انفسكم»[١] معناه وصف لكم، كما قال الكميت[٢]:

وذلك ضرب أخماس أُريدت   لأسداس عسى أن لا تكونا[٣]

والمعنى وصف أخماس، وضرب المثل بمثله، يقال: أيَّ ضرب هذا؟ أي من أيّ جنس ولون.

والضروب الأمثال، والمثل الشبه، ويقال: مِثل ومَثَل، كما قالوا:

---

(١) الروم: ٢٨.

(٢) وهو أبو المستهل الكميت بن زيد الأسدي، من أشعر شعراء الكوفة المقدّمين في عصره. ولد أيام مقتل الامام الحسين عليه السلام سنة ستين للهجرة، كان معروفاً بالتشيّع مشهوراً بذلك، كانت بنو أسد تقول: فينا فضيلة ليست في العالم. ليس منزل منّا إلّا وفيه بركة وراثة الكميت؛ لأنه رأى النبي صلّى الله عليه وآله في النوم فقال له: أنشدني، طربت وما شوقاً الى البيض أطرب. فأنشده، فقال له: بوركت وبورك قومك .

كان في صِغره ذكياً لوذعياً وقف يوماً على الفرزدق وهوينشد والكميت يومئذ صبيٌّ فقال له الفرزدق: أيسرُّك أني أبوك ؟ فقال الكميت: أمّا أبي فلا أُريد به بدلاً ولكن يسرني أن تكون أُمي. فحصِر الفرزدق وقال:ما مرّ بي مثلها قط. كان الكميت فقيه الشيعة، وحافظ القرآن وكان جَدَلياً وهو أول من ناظر في التشيع مجاهراً بذلك .

دخل يوماً على أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام في أيام التشريق بمنى، فقال له: جعلت فداك إني قلت فيكم شعراً أحب أن أنشدكه، فقال: هات، وبعث أبو عبد الله عليه السلام الى أهله فقرب فأنشده فكثر البكاء حتى أتى على قوله:

يُصيب به الرامون عن قوسِ غيرهم   فيا آخراً أسدى له الغيّ أولُ

فرفع أبو عبد الله عليه السلام يديه، فقال: اللّهم اغفر للكميت، من بدائع شعره الهاشميات وهي معروفة مشهورة. استشهد ـ رحمه الله ـ في خلافة مروان سنة ١٢٦ هـ .

(الشعر والشعراء: ص٣٦٨، والأعلام: ص٢٣٣، أعيان الشيعة: ج٩ ص٣٣).

(٣) تهذيب اللغة: مادة «خمس» ج٧ ص١٩٢.

شِبه وشَبه، كقول كعب بن زهير:

كانت مواعيد عرقوب لنا مثلاً وما مواعيده إلّا الأباطيل [١]

يعني شبهاً، فمعنى الآية: إن الله لا يستحيي أن يصف شبهاً لما شبه به .

الاعراب:

وإما إعراب «بعوضة» فنصب من وجهين على قول الزجاج :

احدهما: أن تكون «ما» زائدة،كأنّه قال: إن الله لا يستحيي أن يضرب بعوضة مثلا أو مثلا بعوضة وتكون «ما» زائدة، نحو قوله: «فما رحمة من الله»[٢] .

والثاني: أن تكون «ما» نكرة، ويكون المعنى أن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً شيئاً بعوضة، فكان بعوضة في موضع نصب، كأنه قال: يستحيي أن يضرب مثلاً شيئاً من الأشياء بعوضة فما فوقها[٣] .

قال الفرّاء: يجوز أن يكون معنى «ما» بين بعوضة الى ما فوقها كما يقول القائل: مطرنا ما زبالة فالثعلبية، وله عشرون ما ناقة وجملاً، وهي أحسن الناس ما قرنا فقدما[٤]، يعنون ما بين في جميع ذلك .

وقال بعضهم: «ما» بمعنى الذي، ويكون التقدير الذي هو بعوضة لأنها من صلة الذي، فأعربها باعرابه[٥]، كما قال حسان بن ثابت :

---

(١) ديوان كعب بن زهير: ص٨.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) معاني القرآن للزجّاج: ج١ ص١٠٣.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٢٢.

(٥) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٢٢، ومعاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢١٥.

فكفى بنا فخراً على من غيرنا حبّ النبي محمد ايانا[١]

فأعرب (غيرنا) باعراب (من) ويجوز ذلك في من وما، لأنهما يكونان تارة معرفة وتارة نكرة.

والبعوضة من صغار البق.

وقوله: «فما فوقها» في الصغر والقلة، كما يقول القائل: إن هذا الأمر لصغير، فيقول المجيب: وفوق ذلك، أي هو أصغر مما قلت.

وكلاهما جائز فمن قال بالأول، قال: لأن البعوضة غاية في الصغر، ومن قال بالثاني، قال: يجوز أن يكون ما هو أصغر منها.

وحكي عن رؤبة بن العجاج أنه رفع بعوضة، وانشد بيت النابغة:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا أو نصفه فقد[٢]

بالرفع فأعمل ما ولم يعمل ليت، قال: وهي لغة تميم يعملون آخر الأداتين[٣].

وقال الزجاج: الرفع كان يجوز وما قرئ به اذا كانت «ما» بمعنى الذي، ويقدر بعدها هو، ويكون تقديره مثلاً الذي هو بعوضة، كما قرأ تماماً على الذي هو أحسن وقد قرئ به وهو ضعيف عند سيبويه وفي الذي أقوى لأنه أطول، ولأنها لا تستعمل إلّا في الاسماء[٤].

وقوله: «فأما الذين» لغة العرب جميعاً بالتشديد، وكثير من بني عامر

---

(١) سيبويه: ج١ ص٣١٣، ومعاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٢١.

(٢) ديوانه: ص٢٧، والكتاب لسيبويه: ج١ ص٣٢٩.

(٣) نقله أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج١ ص٣٥.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٠٤.

وتميم يقولون: أيما فلان ففعل الله به،وانشد بعضهم:

مبتلة هيفاء أيما وشاحها فيجري وايما الحجل منهافلا يجري[١]

«آمنوا فيعلمون أنه الحق» الفاء جواب «أما» وفيها معنى الشرط والجزاء، والمعنى: أن المؤمنين بالله على الحقيقة يعلمون أن هذا المثل حق من عند الله وأنه من كلامه.

«واما الذين كفروا» يعني الجاحدين «فيقولون ما ذا أراد الله بهذا مثلاً» على ما بيّناه.

وانتصب «مثلاً» عند ثعلب بانه قطع، وعند غيره انه تفسير. وقال قوم: إنه نصب على الحال و«ذا» مع «ما» بمعنى الذي أي شيء الذي أراد الله بهذا مثلاً، فعلى هذا يكون الجواب رفعاً، كقولك البيان لحال الذي ضرب له المثل، ويحتمل أن يكون «ذا» و«ما» بمنزلة اسم واحد فيكون الجواب نصباً، كقولك البيان لحال الممثل به، وورد القرآن بهما جميعاً، قال تعالى: «ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا»[٢] وفي موضع آخر: «ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين»[٣] ذكرهما سيبويه[٤] والأخفش[٥] وهذا إشارة الى المثل.

ومثلاً ما؛ نون التنوين تدغم في الميم عند جميع القرّاء، ويكره الوقف فيها على قوله: «لا يستحيي»،ثم يقول: «أن يضرب مثلاً» وكذلك على

(١) لم نعرف قائله.

(٢) النحل: ٣٠.

(٣) النحل: ٢٤.

(٤) الكتاب: ج١ ص٢٧٤-٢٧٥.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٢١٦.

قوله: «والله لا يستحيي» ثم يقول: «من الحق».

وقوله: «يضل به كثيراً وما يضل به إلّا الفاسقين».

إن قيل: أليس تقولون: إن الله لا يضل أحداً، ولا يهدي خلقاً، وإن العباد هم يضلّون انفسهم ويهدونها، وهم يضلون من شاؤوا ويهدون من شاؤوا، وقد قال الله تعالى في غير موضع من كتابه نحو قوله: «يضل من يشاء ويهدي من يشاء»[1]، ولا يمكنكم ان تقولوا: إن المراد بالاضلال العقوبة والتسمية، لأنه لو قال: يضل كثيراً ويهدي كثيراً، كان ذلك ممكناً، لكنه قال: «يضل به» و«يهدي به» والهاء راجعة الى القرآن، والمثل الذي ضربه فيه، ولا يجوز أن يعاقب بالمثل، ولا أن يسمىٰ بالمثل، فعلم بذلك أنه أراد أنه لبّس عليهم، وجعله حيرة لهم؟

قلنا: أول ما في ذلك إنا لا نطلق أن الله لا يضل أحداً ولا يهدي أحداً، ومن أطلق ذلك فقد أخطأ. ولا نقول أيضاً: إن العباد يضلون أنفسهم ويهدونها مطلقاً أو يضلون غيرهم ويهدونهم، فان إطلاق جميع ذلك خطأ، بل نقول: إن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، ونقول: إن من أضلّه الله فهو الضال، ومن هداه فهو المهتدي، ولكن لا نريد بذلك ما يريده المخالف مما يؤدي الى التظليم والتجوير لله في حكمه، والمخالف يقول: إن الله يضلّ كثيراً من خلقه بمعنى انه يصدّهم عن طاعته، ويحول بينهم وبين معرفته، ويلبس عليهم الأُمور، ويحيّرهم ويغالطهم ويشكّكهم ويوقفهم في الضلالة، ويجبرهم عليها، ومنهم من يقول: يخلقها فيهم، ويخلق فيهم قدرة موجبة له، ويمنعهم الأمر الذي به يخرجون منها، فيصفون الله تعالى بأقبح الصفات

---

(١) النحل: ٩٣.

وأخسها، وقالوا فيه بشرّ الأقوال[١].

وقلنا نحن: إن الله قد هدى قوماً وأضل آخرين، وأنه يضل من يشاء، غير أن لفضله وكرمه وعدله ورحمته، لا يشاء أن يضل إلّا من ضل وكفر وترك طريق الهدىٰ، وإنه لا يشاء ان يضل المهتدين والمتمسكين بطاعته، بل شاء أن يهديهم ويزيدهم هدى، فانه يهدي المؤمنين بأن يخرجهم من الظلمات الى النور، كما قال تعالى: «والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم»[٢] وقال: «ومن يؤمن بالله يهد قلبه»[٣] وقال: «الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور»[٤] وقال: «يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل به إلّا الفاسقين* الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أُولئك هم الخاسرون» وقال: «ويضل الله الظالمين»[٥]، والاضلال على وجوه كثيرة:

منها: ما نسبه الله تعالى الى الشيطان وهو الصدّ عن الخير والرشد، والدعاء الى الفساد والضلال وتزيين ذلك والحث عليه، وهذا ينزّه الله تعالى عنه.

ومنها: تشديد الامتحان والاختبار اللذين يكون عندهما الضلال ويعقبها، ونظير ذلك في اللغة أن يسأل الرجل غيره شيئاً نفيساً خطيراً يثقل

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني: ج١ ص٨٥.

(٢) محمّد: ١٧.

(٣) التغابن: ١١.

(٤) البقرة: ٢٥٧.

(٥) إبراهيم: ٢٧.

على طبْاعه بذله ، فاذا بخل به قيل له: نشهد لقد بخل به فلان، وليس يريدون بذلك عيب السائل وانما يريدون عيب الباخل المسؤول، لكن لما كان بخل المسؤول ظهر عند مسألة السائل جاز أن يقال في اللغة: انه بخلك .

ويقولون للرجل اذا أدخل الفضة النار ليعلم فسادها من صلاحها وظهر فسادها: أفسدت فضتك ، ولا يرون أنه فعل فيها فساداً؛ وإنما يريدون ان فسادها ظهر عند محنته .

ويقرب من ذلك قولهم: فلان أضلّ ناقته، ولا يريدون انه أراد أن يضل، بل يكون قد بالغ في الاستتار منها، وانما يريدون ضلّت منه لا من غيره .

ويقولون: افسدت فلانة فلانا، واذهبت عقله وهي لا تعرفه، لكنه لما فسد وذهب عقله من أجلها، وعند رؤيته إياها قيل: قد افسدت واذهبت عقله .

ومنها: التخلية على جهة العقوبة وترك المنع بالقهر والاجبار، ومنع الالطاف التي يؤتيها المؤمنين جزاء على ايمانهم، كما يقول القائل لغيره: افسدت سيفك ، اذا ترك أن يصلحه، لا يريد أنه أراد أن يفسد أو أراد سبب فساده أو لم يحب صلاحه لكنه تركه فلم يحدث فيه الاصلاح ـ في وقتٍ ـ بالصقل والاحداد. وكذلك قولهم: جعلت اظافيرك سلاحاً، وانما يريدون تركتَ تقليمها .

ومنها: التسمية بالاضلال والحكم به كافراً، يقال: أضله اذا سمّاه ضالاً، كما يقولون: أكفره اذا سمّاه كافراً ونسبه اليه، قال الكميت :

وطائفة قد أكفروني بحبكم ... وطائفة قالوا مسيء ومذنب[١]

ومنها: الاهلاك والتدمير، قال الله تعالى: «أإذا ضللنا في الأرض»[٢] أي هلكنا.

فيجوز أن يكون أراد بالآية حكم الله على الكافرين وبراءته منهم ولعنه إياهم إهلاكاً لهم، ويكون اضلاله إضلالاً[٣] كما كان الضلال هلاكاً. واذا كان الضلال ينصرف على هذه الوجوه، فلا يجوز أن ينسب الى الله تعالى اقبحها وهو ما أضافه الى الشيطان، بل ينبغي أن ينسب اليه أحسنها وأجلها.

وأذا ثبتت هذه الجملة، رجعنا الى تأويل الآية، وهو قوله: «يضل به كثيراً» معناه أن الكافرين لما ضرب الله لهم الامثال قالوا: ما الحاجة اليها؟ قال الله تعالى: فيها أعظم الفائدة لأنها محنة واختبار وبها يستحق الثواب ويوصل إلى النعيم. فسمي المحنة اضلالاً وهداية، لأن المحنة إذا اشتدت على الممتحن وثقلت فضلّ عندها جاز أن تسمى اضلالا، فاذا سهّلت فاهتدى عندها سميت هداية، كما أن الرجل يقول لصاحبه: ما يفعل فلان؟ فيقول: هو ذا يسخي قوماً ويبخل قوماً آخرين، أي يسأل قوماً فيشتدّ عليهم للعطاء فيبخلون، ويسأل آخرين فيسهّل عليهم فيعطون ويجودون، فسمي سؤاله باسم ما يقع عنده ويعقبه.

فمعنى قوله: «يضلّ به كثيراً ويهدي به كثيراً» أي يمتحن به عباده فيضل به قوم كثير ويهتدي به قوم كثير، ولا يجب على ذلك أن يكون أراد

(١) القصائد الهاشميات: ص٢٩.

(٢) السجدة: ١٠.

(٣) كذا في النسخة الخطية والحجرية، والصحيح «إهلاكاً» فلاحظ.

إضلالهم، كما لا يجب ذلك في السائل الذي لا يريد بخل المسؤول بل يريد إعطاءه.

فان قيل: أليس الله تعالى امتحن بهذه الأمثال المؤمنين كما امتحن بها الكافرين، فيجب أن يكون مضلاً لهم؟

قلنا: إنما سمي المحنة الشديدة إضلالاً اذا وقع عندها الضلال، كما أن السؤال يسمى تبخيلا إذا وقع عنده البخل.

وقال قوم: معنى قوله: «يضل به كثيراً» يعني يضل بالتكذيب بهذه الأمثال كثيراً ويهدي بالايمان كثيراً، لأنه لو كان سبباً للضلال لما وصفه الله بأنه هدى وبيان وشفاء لما في الصدور، وحذف التكذيب والاقرار اختصاراً، لأن في الكلام ما يدل عليه، كما يقول القائل: نزل السلطان فسعد به قوم وشقي به آخرون. وانما يراد به سعد باحسانه قوم وشقي باساءته آخرون، لا بنزول جيشه، لأن نفسه لا يقع به سعادة ولا شقاء. وكما قال: «وأُشربوا في قلوبهم العجل»(١) وانما أراد حب العجل، وذلك كثير(٢).

وقد بيّنا أن الاضلال والهداية يعبّر بهما عن العذاب والثواب، فعلى هذا يكون تقدير الآية: يضل أي يعذّب بتكذيب القرآن والأمثال كثيراً، ويهدي أي يثيب بالاقرار به كثيراً.

والدليل على ما قلناه قوله: «وما يضلّ به إلّا الفاسقين» فلا يخلو أن يكون أراد ما قلناه من العقوبة على التكذيب، أو أراد به الحيرة والتشكيك، وقد ذكرنا انه لا يفعل الحيرة المتقدمة التي بها صاروا ضلّالا

---

(١) البقرة: ٩٣.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص١٤١.

فسّاقاً لم يفعلها الله إلّا بحيرة قبلها، وهذا يوجب ما لا نهاية له من حيرة قبل حيرة لا إلى أول، أو إثبات إضلال لا إضلال قبله، فان كان الله قد فعل هذا الضلال الذي لم يقع قبله ضلال فقد أضل من لم يكن فاسقاً، وهذا خلاف قوله: «وما يضل به إلّا الفاسقين» فثبت أنه أراد أنه لا يعاقب إلّا الفاسقين، كما قال: «ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء»[1].

وحكى الفراء وجهاً آخر مليحاً، قال: قوله:«ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً» حكاية عمّن قال ذلك، كأنهم قالوا: ماذا أراد بهذا مثلا يضل به كثيراً، أي يضل به قوم ويهدي به قوم، ثم قال الله: «وما يضل به إلّا الفاسقين» فبين عز وجل الاضلال، وأنه لا يضل إلّا ضالا فاسقاً، واقتصر على الاخبار عنهم وبيان ما بين الاضلال دون ما أراد بالمثل[2] وهذا وجه حسن تزول معه الشبهة.

وأصل الفسق في اللغة[3] الخروج عن الشيء، يقال منه: فسقت الرطبة إذا اخرجت من قشرها، ومن ذلك سمّيت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها، ولذلك سمي المنافق والكافر فاسقين لخروجهما عن طاعة الله، ولذلك قال الله تعالى في صفة إبليس: «إلّا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه»[4] يعني خرج من طاعته واتباع أمره.

---

(١) إبراهيم: ٢٧.
(٢) معاني القرآن: ج١ ص٢٣.
(٣) راجع جمهرة اللغة: مادة «سفق» ج٣ ص٣٧، والعين: مادة «فسق» ج٥ ص٨٢، ومقاييس اللغة: مادة «فسق» ج٤ ص٥٠٢، والصحاح: مادة «فسق» ج٤ ص١٥٤٣.
(٤) الكهف: ٥٠.

قوله تعالى :

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ آية واحدة .

اللغة :

العهد العقد، والاصر مثله، والعهد الموثق، والعهد الالتقاء يقال: ما لفلان عهد بكذا، وهو قريب العهد بكذا. والعهد له معان كثيرة، وسمي المعاهد ـ وهو الذمّي ـ بذلك لأنه بايع على ما هو عليه من إعطاء الجزية والكفّ عنه. والعُهدَة كتاب الشراء، وجمعه عُهَد. وإذا أقسم بالعهد تعلق به عندنا كفارة الظهار، وقال قوم: كفارة يمين[١]، وقال آخرون: لا كفارة عليه[٢] .

المعنىٰ :

و«عهد الله» قال قوم: هو ما عهد الى جميع خلقه في توحيده وعدله، وتصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته، وعهد إليهم في أمره ونهيه، وما احتج به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الاتيان بمثلها الشاهدة لهم على صدقه[٣]، ونقضهم ذلك : تركهم الاقرار بما قد ثبت لهم صحته بالأدلة، وتكذيبهم الرسل والكتب .

---

(١) احكام القرآن للجصّاص: ج٢ ص٤٥٦.

(٢) احكام القرآن للجصّاص: ج٢ ص٤٥٤.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٤٢،والماوردي في تفسيره: ج١ ص٨٩.

وقال قوم: هو وصية الله الى خلقه، وأمره على لسان رسله إياهم فيما أمرهم به من طاعته ، ونهيه إياهم عما نهاهم عنه ، ونقضهم تركهم العمل به (١) .

وقال قوم: هذه الآية نزلت في كفار أهل الكتاب والمنافقين منهم، وإياهم عنى الله عز وجل بقوله : «إن الذين كفروا سواء عليهم ... الآية»(٢)، وقوله: «ومن الناس من يقول آمنا بالله »(٣) وكل ما في هذه الآية من اللوم والتوبيخ متوجّه إليهم. وعهد الله الذي نقضوه بعد ميثاقه هو ما أخذه عليهم في التوراة من العمل بما فيها، واتباع محمد صلّى الله عليه وآله إذا بعث، والتصديق بما جاء به من عند ربهم، ونقضهم ذلك جحودهم به بعد معرفتهم بحقيقته(٤) وانكارهم ذلك ، وكتمانهم ذلك عند الناس بعد إعطائهم إياه تعالى من أنفسهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، وإيمانهم أنهم متى جاءهم نذير آمنوا به، فلما جاءهم النذير ازدادوا نفوراً، ونبذوا ذلك وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلا، وهذا الوجه اختاره الطبري(٥) .

ويقوي هذا قوله: «واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من

---

(١) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٤٢، والماوردي في تفسيره: ج١ ص٨٩.

(٢) البقرة: ٦.

(٣) البقرة: ٨.

(٤) كذا في النسخة الخطية والحجرية، وفي المطبوع «بحقّيته».

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص١٤٣.

الشاهدين»[١] والاصر العهد أيضاً، وقال في موضع آخر: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمننّ بها»[٢]، وقال: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من إحدى الأُمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلّا نفورا»[٣].

وقال قوم: انما عنى بذلك العهد الذي أخذه الله حين أخرجهم من صلب آدم الذي وصفه في قوله: «واذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيتهم وأشهدهم على انفسهم الستُ بربكم ...» الى آخر الآية[٤][٥].

وهذا الوجه عندي ضعيف؛ لأن الله تعالى لا يجوز ان يحتجّ على عباده بعهد لا يذكرونه ولا يعرفونه، وما ذكروه غير معلوم اصلاً، والآية سنبين القول فيها اذا انتهينا اليه إن شاء الله.

والقطع هو الفصل بين الشيئين أحدهما من الآخر، والأصل أن يكون في الأجسام ويستعمل في الأعراض تشبيهاً به، يقال: قطع الحبل والكلام.

والأمر هو قول القائل لمن دونه: افعل، وهو ضد النهي.

والوصل هو الجمع بين الشيئين من غير حاجز. وقال قوم: الميثاق هو التوثيق[٦]، كما قال: «انبتكم من الارض نباتا»[٧]، كقولهم: اعطيتهم عطاء، يريد اعطاء.

---

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) الأنعام: ١٠٩.

(٣) فاطر: ٤٢.

(٤) الاعراف: ١٧٢.

(٥) كقول الزجّاج في معاني القرآن: ج١ ص١٠٦.

(٦) راجع تهذيب اللغة للأزهري: مادة «وثق» ج٩ ص٢٦٦، وتفسير الطبري: ج١ ص١٤٤.

(٧) نوح: ١٧.

الاعراب:

وقوله: «ان يوصل» بدل من الهاء التي في «به» تقديره: ما أمر الله بأن يوصل، وهو في موضع خفض. و«الذين» موضعه نصب، لأنه صفة للفاسقين، «أُولئك» رفع بالابتداء، و«الخاسرون» خبره، و«هم» فصل عند البصريين وعماد عند الكوفيين[1]. ويجوز أن يكون «هم» ابتداء ثانياً، والخاسرون خبره، والجملة في موضع خبر «أُولئك»، والنقض ضد الابرام.

اللغة:

والميثاق والميعاد والميقات متقاربة المعنى، يقال: وثق يثق ثقةً،وأوثق إيثاقاً،وتوثّق توثقاً، ويقال: فلان ثقة للذكر والأُنثى، والواحد والجمع بلفظٍ واحد، فاذا جمع قيل: ثقات في الرجال والنساء.

و «من» لابتداء الغاية في الآية، وقيل: إنها زائدة[2]. والهاء في قوله: «ميثاقه» يحتمل ان تكون راجعة الى اسم الله تعالى. وقال قتادة:قوله: «ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل» هو قطيعة الرحم والقرابة[3]. وقال غيره: معناه الأمر بأن يوصل كل من أمر الله بصلة من اوليائه[4].

والقطع البراءة من اعدائه، وهذا أقوى لأنه أعمّ من الأول، ويدخل

(١) معاني القرآن للزجّاج: ج١ ص١٠٦.

(٢) معاني القرآن للأخفش. ج١ ص٣٧٨، والفريد في اعراب القرآن: ج١ص ٢٦٠.

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٤٤، والماوردي في تفسيره: ج١ ص٩٠.

(٤) إعراب القرآن للزجّاج: ج٢ ص٥٧٧، ولاحظ تفسير ابن عبّاس: ص٦.

فيه الأول. وقال قوم: أراد صلة رسوله وتصديقه فقطعوه بالتكذيب، وهو قول الحسن[١]. وقال قوم: أراد أن يوصل القول بالعمل فقطعوا بينهما بأن قالوا ولم يعملوا. وماقلناه أولاً أولى،لأنا إذا حملناه على عمومه دخل ذلك فيه.

وقوله: «يفسدون في الأرض» قال قوم: استدعاؤهم الى الكفر. وقال قوم: إخافتهم السبيل وقطعهم الطريق. وقال قوم: أراد كل معصية تعدى ضررها الى غير فاعلها .

والخسران هو النقصان، قال جرير:

إن سليطاً في الخسار انه أولاد قوم خُلقوا أقنّه[٢]

يعني بالخسار ما ينقص من حظوظهم وشرفهم. وقال قوم: الخسار هاهنا الهلاك يعني هم الهالكون. وقال قوم: كلما نسبه الله من الخسار الى غير المسلمين فانما عنى به الكفر وما نسب به الى المسلمين انما عنى به الدنيا، روي ذلك عن ابن عباس[٣] .

قوله تعالى:

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ آية .

المعنى:

«كيف» موضوعة للاستفهام عن الحال، والمعنى هاهنا التوبيخ، وقال

---

(١) تفسيره: ج١ ص٧٩.

(٢) ديوان جرير: ص٥٩٨.

(٣) لاحظ تفسير ابن عبّاس: ص٦، وراجع ايضاً تفسير الطبري: ج١ ص١٤٥ مع اختلاف في المعنىٰ في كلا المصدرين.

الزجاج: هو التعجب للخلق وللمؤمنين، أي اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون وقد ثبتت حجة الله عليهم .

ومعنى «وكنتم» أي وقد كنتم، الواو واو الحال، واضمار (قد) جائز اذا كان في الكلام ما يدل عليها، كما قال: «حصرت صدورهم» أي قد حصرت صدورهم، وكما قال: «إن كان قميصه قد من دبر»[1] أي قد قُدّ من دبر. ومن قال هو توبيخ، قال: هو مثل قوله: «فأين تذهبون»[2]. وقال قتادة: «وكنتم امواتاً فأحياكم» كما كانوا امواتاً في أصلاب آبائهم يعني نطفاً فأحياهم الله بأن أخرجهم ثم امأتهم الله الموتة التي لابدّ منها ثم أحياهم بعد الموت، وهما حياتان وموتان[3]. وعن ابن عباس وابن مسعود أن معناه لم تكونوا شيئاً فخلقكم ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة[4] .

وروى ابو الأحوص[5] عن عبد الله في قوله : «امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين»[6] قال: هي كالتي في البقرة: «كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم» وهو قول مجاهد وجماعة من المفسرين[7] .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٠٧.

(٢) التكوير: ٢٦.

(٣) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص١٤٦.

(٤) تفسير ابن عباس: ص٦ بالمعنى، وتفسير الماوردي: ج١ ص٩١.

(٥) وهو سلام بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي الحافظ، قرأ القرآن على حمزة، وحدث عن زياد بن علاقة وسماك بن حرب وغيرهم، عدّه ابن حيان في الثقات، وقال عنه ابن سعد: كان كثير الحديث مات سنة ١٤٩هـ على رواية البخاري .

(تهذيب التهذيب: ج٤ ص٢٨٢، تذكرة الحفاظ: ج١ص٢٥٠،طبقات الحفاظ: ص١٠٦).

(٦) غافر: ١١.

(٧) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٤٥.

وروي عن أبي صالح أنه قال: «كنتم امواتاً» في القبور فأحياكم فيها ثم يميتكم ثم يحييكم يوم القيامة[١].

وقال قوم: «كنتم امواتاً» يعني خاملي الذكر دارسي الأثر فاحياكم بالظهور والذكر ثم يميتكم عند تقضّي آجالكم ثم يحييكم للبعث[٢] قال ابو نخيلة السعدي[٣]:

فاحييت لي ذكري وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبه من بعض[٤]

وهذا وجه مليح غير أن الاليق بما تقدم قول ابن عباس وقتادة.

وقال قوم: معناه أن الله تعالى احياهم حين أخذ الميثاق منهم وهم في صلب آدم وكساهم العقل ثم اماتهم ثم احياهم واخرجهم من بطون امهاتهم[٥]، وقد بينا أن هذا الوجه ضعيف في نظائره، لأن الخبر الوارد بذلك ضعيف.

---

(١) رواه الطبري بإسناده عن أبي صالح في ج١ ص١٤٦، وفيه يحييكم في القبر ثم يميتكم.

(٢) انظر تفسير الطبري: ج١ ص١٤٦.

(٣) وهو أبو نخيلة الشيباني، ويكنى أبو الجنيد، وأبو نخيلة اسمه لا كنيته، كان أبو نخيلة عاقاً بأبيه، فنفاه أبوه عن نفسه، فخرج الى الشام وأقام هناك الى أن مات أبوه، ثم عاد وبقي مشكوكاً في نسبه، مطعوناً عليه انقطع الى بني هاشم، ولقب نفسه شاعر بني هاشم، ومدح الخلفاء من بني العباس وهجا بني أُمية فأكثر.

وكان طامعاً، فحمله ذلك على أن قال في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسىٰ وبعقد العهد لابنه محمد المهدي، فوصله المنصور بألفي درهم، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسىٰ بن موسىٰ ففعل، فطلبه عيسىٰ فهرب منه وبعث في طلبه مولى له، فأدركه في طريق خراسان، فذبحه وسلخ جلده سنة ١٤٥هـ.

(الأغاني: ج١٨ ص١٤١ ط. دار صعب، الاعلام: ج٨ ص١٥).

(٤) الأغاني: ج١٨ ص١٤٢، ط. دار صعب.

(٥) حكى ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص١٤٦ عن جملة من المفسرين.

والأقوى في معنى الآية أن يكون المراد بذلك تعنيف الكفار واقامة الحجة عليهم بكفرهم وجحودهم ما انعم الله تعالى عليهم، وانهم كانوا أمواتاً قبل ان يخلقوا في بطون امهاتهم واصلاب آبائهم يعني نطفاً والنطفة موات، ثم أحياهم فاخرجهم الى دار الدنيا احياء، ثم يحييهم في القبر للمساءلة، ثم يبعثهم يوم القيامة للحشر والحساب وهو قوله تعالى: «ثم اليه ترجعون» معناه ترجعون للمجازاة على الاعمال، كقول القائل: طريقك عليّ ومرجعك الي، يريد اني مجازيك ومقتدر عليك، وسمى الحشر رجوعاً الى الله، لأنه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله فيجازيكم على أعمالكم ،كما يقول القائل: امر القوم الى الأمير أو القاضي، ولا يراد به الرجوع من مكان الى مكان وانما يراد به انّ النظر صار له خاصة دون غيره.

فان قال قائل: لم يذكر الله احياء في القبر فكيف تثبتون عذاب القبر؟

قلنا: قد بينا أن قوله: «ثم يحييكم» المراد به احياؤهم في القبر للمساءلة،وقوله: «ثم اليه ترجعون» معناه احياؤهم يوم القيامة وحذف «ثم يميتكم» بعد ذلك لدلالة الكلام عليه، على ان قوله: «ثم يحييكم» لو كان المراد به يوم القيامة لم يمنع ذلك من احياء في القبر واماتة بعده، كما قال تعالى: «ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم»(١) ولم يذكر حياة الذين أُحيوا في الدنيا بعد ان ماتوا. وقال في قوم موسى:«فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون* ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»(٢) ولم يذكر حياتهم في الدنيا، ولم يدل

---

(١) البقرة: ٢٤٣.

(٢) البقرة: ٥٥ و٥٦.

ذلك على أنهم لم يحييوا في الدنيا بعد الموت .

وكذلك ايضاً لا تدل هذه الآية على ان المكلفين لا يحيون في قبورهم للثواب والعقاب على ما أخبر به الرسول عليه السلام، وقول من قال: لم يكونوا شيئاً، ذهب الى قول العرب للشيء الدارس الخامل: إنه ميت، يريد خموله ودرسه،وفي ضد ذلك يقال: هذا أمر حي يراد به بأنه[1] متعالم في الناس، ومن اراد الاماتة التي هي خروج الروح من الجسد فانه اراد بقوله: «وكنتم امواتا» انه خطاب لأهل القبور بعد احيائهم فيها، وهذا بعيد لأن التوبيخ هنالك انما هو توبيخ على ما سلف وفرط من اجرامهم لا استعتاب واسترداع، وقوله: «كيف تكفرون بالله وكنتم امواتاً» توبيخ مستعتب وتأنيب مسترجع من خلقه من المعاصي الى الطاعة، ومن الضلالة الى الانابة، ولا انابة في القبر ولا توبة فيها بعد الوفاة .

واحسن الوجوه مما قدمنا ما ذكر ابن عباس وبعده قول قتادة .

قوله تعالى:

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

«هو» كناية عن الله عز وجل في قوله: «تكفرون بالله» وأراد به تأكيد الحجة فقال: «كيف تكفرون بالله» الذي احياكم بعد موتكم «ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون».

---

(١) كذا في النسخة وفي المطبوع «كأنّه».

«الذي خلق لكم ما في الأرض» يعني الذي في الارض.

و«ما» في موضع نصب، لأن الأرض وجميع ما فيها نعمة من الله لخلقه اما دينية فيستدلون بها على معرفته، واما دنيوية فينتفعون بها بضروب النفع عاجلا.

وقوله: «ثم استوى الى السماء» فيه وجوه:

أحدها: ما قاله الفرّاء: من ان معناه أقبل عليها، كما يقول القائل: كان فلان مقبلاً على فلان يشتمه، ثم استوى اليّ يشتمني، واستوى عليّ يشاتمني[1] قال الشاعر:

اقول وقد قطعن بنا شروري ثواني واستوين من الضجوع[2]

أي أقبلن وخرجن من الضجوع، وقال قوم: ليس معنى البيت ما قاله وانما معناه استوين على الطريق من الضجوع خارجات بمعنى استقمن عليه[3].

وقال قوم: معنى استوى قصدها لتسويتها،كقول القائل: قام الخليفة يدبر أمر بني تميم، ثم استوى وتحول الى بني ربيعة، فأعطاهم وقسم لهم أي قصد اليه[4]. ويقال:مرّ فلان مستوياً الى موضع كذا ولم يعدل أي قصد

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٢٥.

(٢) البيت لتميم بن أبي مقبل، ذُكر في كتاب معجم ما استعجم: ص٧٩٥، والشروري: جبلٌ في طريق مكّة للقادم من الكوفة، «والضجوع» ـبفتح الضادـ موضع، وفي نسخة «سوامد» بدل «ثواني» بمعنى دوائب.

(٣)قاله الطبري في التفسير: ج١ ص١٥٠.

(٤) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢١٨، وتلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي: ص١١٥.

اليها .

وقال قوم: معنى استوى اي استولى على السماء بالقهر، كما قال: «لتستووا على ظهوره» [١] أي تقهروه، ومنه قوله تعالى: «ولما بلغ أشدّه واستوى» [٢] أي تمكّن من أمره وقهر هواه بعقله فقال: «ثم استوى الى السماء» في تفرّده بملكها، ولم يجعلها كالارض ملكا لخلقه [٣]،ومنه قول الشاعر:

فلما علونا واستوينا عليهم　　　تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقال آخر:

ثم استوى بشر على العراق　　　من غير سيف ودم مهراق [٤]

وقال الحسن: ثم استوى امره وصنعه الى السماء، لأن أوامره وقضاياه تنزل من السماء الى الأرض [٥]، وقال بعضهم:استوى بمعنى استوت به السماء،كما قال الشاعر:

اقول له لما استوى في تراثه　　　على أي دين قتّل الناس مصعب [٦]

وأحسن هذه الوجوه أن يحمل على أنه علا عليها فقهرها، وارتفع فدبرها بقدرته، وخلقهن سبع سماوات، فكان علوه عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال، وبعد ذلك قول من قال: قصد اليها فخلقها، ولا يقدح في

---

(١) الزخرف: ١٣.

(٢) القصص: ١٤.

(٣) راجع تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي: ص١٥٤.

(٤) الصحاح: مادة «سوا» ج٦ ص٢٣٨٥.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص١٥٠.

(٦) رواه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٥٠.

الأول علوه تعالى على الأشياء فيما لم يزل، لأنه وان كان كذلك لم يكن قاهراً لها بخلقها، لأن ذلك متجدد، وانما قال: الى السماء ولا سماء هناك، كما يقول القائل: اعمل هذا الثوب وانما معه غزل.

وقال قوم: انما سواهن سبع سماوات بعد أن كانت دخاناً[١] والأول أملح.

وقال الرماني: السماوات غير الافلاك؛ لأن الأفلاك تتحرك وتدور واما السماوات لا تتحرك ولا تدور لقوله تعالى: «ان الله يمسك السماوات والأرض ان تزولا»[٢][٣] وهذا ليس بصحيح، لأنه لا يمتنع ان تكون السماوات هي الأفلاك وان كانت متحركة، لأن قوله تعالى: «يمسك السماوات والارض أن تزولا» معناه لا تزول عن مراكزها التي تدور عليها، ولولا امساكه لهوت بما فيها من الأعمادات سفلاً.

ومعنى «سواهن» أي هيأهن وخلقهن وقومهن ودبرهن، والتسوية التقويم والاصلاح، يقال: سوى فلان لفلان هذا الأمر أي قومه واصلحه، وقال الفراء: السماء واحدة تدل على الجمع، فلذلك قال: «ثم استوى الى السماء» فذكرها بلفظ الواحد، ثم أخبرعنها بلفظ الجمع في قوله: «فسوّاهنّ»[٤]، وقال الأخفش: السماء اسم جنس يدلّ على القليل والكثير كقولهم: اهلك الناس الدينار والدرهم[٥]. وقال بعضهم: السماء جمع، واحده

---

(١) إعراب القرآن للزجّاج: ج١ ص١٠١-١٠٢.

(٢) فاطر: ٤١.

(٣) لم نعثر على قوله في المصادر المتوفّرة لدينا.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٢٥.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٢١٧.

سماوة مثل:بقرة وبقر، ونخلة ونخل، وثمرة وثمر ولذلك أُنثت فقيل: هذه سماء، وذكّرت أُخرى فقيل: «السماء منفطر به»[١] كما يفعل ذلك بالجمع الذي لا فرق بينه وبين واحده غير دخول الهاء وخرجها، فيقال: هذا نخل وهذه نخل، وهذا بقر وهذه بقر[٢]. ومن قال بالأوّل قال: إذا ذكرت فانما هو على مذهب من يذكر المؤنث، كقول الشاعر:

فلا مزنة ودقت ودقها ولا أرض ابقل ابقالها[٣]

وقال أعشىٰ بني ثعلبة:

فاما ترى لمتي بدّلت فان الحوادث أزرى بها[٤]

وقال قوم: إن السماوات وان كانت سماء فوق سماء، وارضاً فوق أرض فهي في التأويل واحدة، وتكون الواحدة جماعا، كما يقال: ثوب أخلاق وأسمال؛ ورمة اعشار، للمتكسرة، وبرمه اكسار واجبار واخلاق، أي نواحيه أخلاق،ويقال:ارض اعقال وارض اخصاب، والمعنى أن كل ناحية منها كذلك، فجمع على هذا، ولا ينافي ذلك قول من قال: إن السماء كانت دخاناً قبل أن يسويها سبع سماوات ثم سبعاً بغير استوائه عليها، وذلك أنه يقول: كن سبعاً غير مستويات، فسوّاها الله تعالى[٥].

فان قيل: قوله: «هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى الى

---

(١) المزمّل: ١٨.

(٢) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص١٢٨، وحكاه الطبري في التفسير: ج١ ص١٥١.

(٣) البيت أورده الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص١٢٧ بقوله: انشدني بعضهم، ونسبه سيبويه في الكتاب: ج١ ص٢٧٩ لعامر بن جُوين الطائي.

(٤) ديوانه: ص٢٥، ط . دار الكتاب اللبناني.

(٥) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٥١.

السماء» ظاهره يوجب أنه خلق الأرض قبل السماء، لأن «ثم» للتعقيب وللتراخي، وقال في موضع آخر: «انتم أشد خلقاً أم السماء بناها رفع سمكها فسواها»(١) ثم قال: «والأرض بعد ذلك دحاها»(٢) هذا ظاهر التناقض.

قلنا: المعنى في ذلك خلق الارض قبل السماء غير أنه لم يدحها، فلما خلق السماء دحاها بعد ذلك. ودحوها بسطها ومدها، ومنه ادحية النعام، سميت بذلك، لأنها تبسطها لتبيض فيها.

ويجوز أن لا يكون معنى «ثم» و«بعد» في هذه الآيات الترتب في الأوقات والتقدم والتأخر فيها، انما هو على جهة تعداد النعم والاذكار لها، كما يقول القائل لصاحبه: أليس قد اعطيتك، ثم حملتك، ثم رفعت في منزلتك، ثم بعد ذلك كله خلطتك بنفسي وفعلت بك(٣). وربما يكون بعض الذي ذكره في اللفظ متقدما كان متأخرا، لأن المراد لم يكن الاخبار عن اوقات الفعل، وانما المراد الذكر والتنبيه عليها.

فان قيل: أي نسبة بين قوله: «ثم استوى الى السماء» وبين قوله: «وهو بكل شيء عليم» وكان يجب ان يقول: «وهو على كل شيء قدير».

قيل: انما جاز ذلك، لأنّ الله لما وصف نفسه بما يدلّ على القدرة والاستيلاء وصل ذلك بما يدل على العلم، إذ بهما يصحّ وقوع الفعل على وجه الاحكام والاتقان، وأيضاً أراد أن يبين انه عالم بما يؤول اليه حاله، وحال المنعم به عليه، فيستحقّ بذلك النعمة.

---

(١) النازعات: ٢٧-٢٨.

(٢) النازعات: ٣٠.

(٣) كذا في النسخة وفي المطبوعة «وفعلت بك وفعلت».

وتلخيص معنى الآية ان الله تعالى هو الذي خلق لكم الارض وما فيها من الجبال والمياه والاشجار، وما قدر فيها من الأقوات، **ثمّ قضى** خلق السماء بعد خلقه الأرض. ومعنى استوى أي عمد لها وقصد الى خلقها، وسواها سبع سماوات فبناهنّ وركّبهن كذلك، ونظير ذلك قوله: «أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في أربعة أيام»[١] يعني يومين بعد اليومين الأولين حتى صار بذلك اربعة أيام ثم استوى الى السماء.

فمعنى قوله: «خلق لكم ما في الأرض جميعاً» هو الذي بينه بقوله: «وجعل فيها رواسي من فوقها ... الآية» وجعل ذكره لذلك في الآية الأُولى تأكيد الحجة على عباده لئلا يكفروا به، ولأن يؤمنوا به ويشكروه.

وقوله: «كيف تكفرون» يدلّ انه تعالى ما اراد الكفر منهم، لأنه لو اراده منهم وخلقه فيهم لما قال ذلك، كما لا يحسن أن يقول: لم كنتم سوداً وبيضاً وطوالا وقصارا.

وقوله: «وهي دخان» فالذي روي في الاخبار أن الله تعالى لما خلق الأرض خلقها بعد الماء فصعد منها بخار وهو الدخان، فخلق الله منه السماوات[٢]. وذلك جائز لا يمنع منه مانع.

وقوله: «وهو بكل شيء عليم» معناه عالم وفيه مبالغة، وانما أراد اعلامهم أنه لا يخفى عليه شيء من أفعالهم الظاهرة والباطنة والسر

---

(١) فصّلت: ٩-١٠.

(٢) رواه بلفظه البيهقي في السنن الكبرىٰ: ج٩ ص٣، وعيون اخبار الرضا: ج١ ص٢٤١، بالمعنىٰ.

والعلانية .

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ آية .

المعنى :

قال أبو عبيدة: «إذا» زائدة، والتقدير: «قال ربك للملائكة» وهي تحذف في مواضع، قال الاسود بن يعفر[١] :

واذا وذلك لامهاه لذكره   والدهر يعقب صالحاً بفساد

معناه: وذلك لامهاه لذكره، قال عبد مناة بن يربع[٢] وقيل: ابن ربع الهذلي :

حتى اذا أسلكوهم في قتائده   شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

ومعناه: حتى أسلكوهم[٣]، والقتائد الموضع الذي فيه قتاد كثير، والشل الطرد، والجمالة الجمالون، والشرد الابل التي تشرد عن مواضعها وتقصد غيرها وتطرد عنها .

---

(١) وهو أبو نهشل، وأبو الجرّاح الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التيمي يقال له:أعشى بني نهشل شاعر جاهلي، من سادات تميم من أهل العراق. كان فصيحاً جواداً. نادم النعمان بن المنذر. ولما أسنّ كفّ بصره. توفي سنة ٢٢ هجري .

(الأعلام: ج١ ص٣٣٠).

(٢) كذا في النسخة الخطّية وفي المطبوعة «مربع».

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١ ص٣٦-٣٧، وأمالي المرتضىٰ: ج١ ص٣ وج٢ ص٣١٠.

وهٰذا الذي ذكره ليس بصحيح، لأن «إذا» حرف يأتي بمعنى الجزاء ويدلّ على مجهول من الوقت، ولا يجوز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام إلّا لضرورة، وليس المعنى في البيتين على ما ظن، بل لو حمل «إذا» في البيتين على البطلان بطل معنى الكلام الذي أراد الشاعر، لأن الأسود أراد بقوله: «واذا» الذي نحن فيه وما مضى من عيشنا، وأراد بقوله: «ذلك» الاشارة الى ما تقدّم وصفه من عيشه الذي كان فيه لا مهاه لذكره، يعني لا طعم له ولا فضل لإعقاب الدهر ذلك بفساد.

ومعنى قول عبد مناة بن يربع: حتى اذا اسلكوهم في قتائده، إن قوله: اسلكوهم مثلاً يدلّ على معنى محذوف، واستغنى عن ذكره بدلالة «اذا» عليه فحذف، كما قال نمر بن تولب[١]:

فانّ المنية من يخشها ... فسوف تصادفه أينما[٢]

يريد اينما ذهب، وكما يقول القائل: من قبل ومن بعد، يريد من قبل ذلك ومن بعد ذلك، ويقول القائل: اذا اكرمك أخوك فأكرمه واذا فلا يريد واذا لم يكرمك فلا تكرمه، ومن ذلك قول الشاعر:

فاذا وذلك لا يضرك ضرة ... في يوم أسأل نائلا أو انكد[٣]

---

(١) النمر بن تولب من عُكْل، كان شاعراً جواداً، ويُسمىٰ الكيّس لحسن شعره، وهو جاهلي أدرك الاسلام فأسلم. وهو القائل لرسول الله صلّى الله عليه وآله:

إنّا أتيناك وقد طال السفر ... نقودُ خيلاً ضُمَّراً فيها عَسَرْ

نُطعمها الشحمَ اذا عزَّ الشجر ... والخيلُ في إطعامها اللّحم ضَرَرْ

عاش الى أن خرف وأهتر، توفّي سنة ٢٥ هـ.

(الشعر والشعراء: ص١٧٣).

(٢) مختارات ابن الشجري: ج١ ص١٦.

(٣) لم نقف على قائله، واستشهد به الطبري في تفسيره: ج١ ص١٥٤.

وكذلك لو حذف «اذا» في الآية لاستحالت عن معناها الذي تفيده «إذا»، لأن تقديره: ابتدأ خلقكم اذ قال ربك للملائكة.

قال الزجاج والرماني: أخطأ أبو عبيدة، لأن كلام الله لا يجوز أن يحمل على اللغو مع امكان حمله على زيادة فائدة قال: ومعنى «إذ» الوقت وهي اسم كيف يكون لغواً؟ قال: والتقدير الوقت والحجة في «إذ» أن الله عز وجل ذكر خلق الناس وغيرهم، فكأنّه قال: ابتدأ خلقك اذا قال ربك للملائكة[١].

وقال الفضل: لما امتن الله بخلق السماوات والأرض، ثمّ قال: «وإذ قلنا للملائكة» ما قلناه فهو نعمة عليكم وتعظيم لأبيكم. واختار ذلك الحسين بن علي المغربي[٢] وقال الرماني والزهري: اذكر اذ قال ربك للملائكة[٣].

[والملائكة] جمع غير أن واحدهم بغير همز أكثر فيحذفون الهمزة ويحرّكون اللام التي كانت ساكنة لو همز الاسم الى اللام، فاذا اجمعوا ردوه الى الأصل وهمزوا، كما يقولون: رأي، ثم يقولون: يرى بلا همز، وذلك كثير. وقد جاء مهموزاً في واحده قال الشاعر:

فلست بأنسي ولكن ملأكا تنزل من جو السماء يصوب[٤]

وقد يقال في واحدهم: مألك، مثل قولهم: جبذ وجذب فيقلبونه، وشأمل وشمأل، ومن قال: مألك يجمعه ملائك بلا هاء مثل اشعث

(١) معاني القران: ج١ ص١٠٨.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) لا توجد لدينا كتبهما.

(٤) تهذيب اللغة: مادة «ألك» ج١٠ ص٣٧٠، ومقاييس اللغة: مادة «صوب» ج٣ ص٣١٨.

واشاعث، قال أُمية بن أبي الصلت :

وفيهـا مـن عـبـاد الله قـوم ملائك ذلّلوا وهم صعـاب(١)

واصل الملأك الرسالة، قال عدي بن زيد العبادي:

ابـلـغ الـنـعـمـان عني مـلأكـاً أنه قد طال حبسي وانـتظاري(٢)

وقد ينشد ملأكا ومألكا على اللغة الأُخرى، فمن قال: ملأكا فهو مفعل من لاك اليه يليك إذا أرسل اليه رسالة، ومن قال:مألـكا فهو مفـعل من ألكت اليه إلاكة اذا ارسلت اليه مألكة والوكا، وكما قال لبيد بن ربيعة :

وغـلام ارسـلـتـه أُمـه بـألـوك فـبـذلـنـا مـا سأل(٣)

وهذا من ألكت، ويقال: لاك يلأك وألك يألك اذا أرسل، قال عبد بني الحسحاس(٤) :

ألـكني اليهـا عـمـرك الله يـافتى بآية ما جاءت الينـا تهاديا(٥)

يعني: أبلغهـا رسالتي، فسمّيت الملائكة ملائكـة بالرسالة، لأنهـا رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسل من عباده .

هذا عند من يقول: إنّ جميع الملائكة رسل فاما ما يذهب اليه اصحابنا

---

(١) ديوانه: ص١٩.

(٢) الأغاني: ج٢ ص١١٤، ط دار احياء التراث العربي.

(٣) ديوانه: ص١٤٠.

(٤) وهو سحيم بن نفاثة، وكان عبداً أسودَ نوبياً اعجمياً، شاعراً مطبوعاً في الشعر، فيه لكنة شديدة فاشتراه بنو الحسحاس فكان راعياً في إبلهـم، خان أسياده فتعرض لنسائهم وشبب بهن واكثر من الشعر الماجن فيهن فاجمعوا على قتله والخلاص من شرّه فقتلوه، وقيل:انهم حفروا له أُخدود فالقوه فيه ثم القوا عليه الحطب فاحرقوه وذلك في خلافة عثمان .

(الأغاني: ج٢٢ ص٣٠٣، والشعر والشعراء: ص٨٣).

(٥) ديوانه: ص١٩.

أن فيهم رسلاً وفيهم من ليس برسل فلا يكون الاسم مشتقاً، بل يكون علماً أو اسم جنس. وانما قالوا: إن جميعهم ليسوا رسل الله لقوله تعالى: «يصطفي من الملائكة رسلا»[١] فلو كانوا جميعاً رسلاً، لكانوا جميعاً مصطفين، لأن الرسول لا يكون إلّا مختاراً مصطفى، وكما قال: «ولقد اخترناهم على علم على العالمين»[٢].

وقوله: «اني جاعل» أي فاعل وخالق، وهما يتقاربان. قال الرماني: حقيقة الجعل تصيير الشيء على صفة، والاحداث حقيقة إيجاد الشيء بعد أن لم يكن موجوداً[٣]، والخليقة الفعيلة من قولهم: خلف فلان فلاناً في هذا الأمر اذا قام مقامه فيه بعده، لقوله تعالى: «ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون»[٤] يعني بذلك: أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاً في الأرض من بعدهم. وسمي الخليفة خليفة من ذلك، لأنه خلف من كان قبله فقام مقامه.

الخلف ـ بتحريك اللام ـ يقال: فيمن كان صالحاً ـ وبتسكين اللام ـ اذا كان طالحاً، قال الله تعالى: «فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة»[٥]. وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ينقل هذا العلم من كل خلف عدوله[٦].

---

(١) الحج: ٧٥.

(٢) الدخان: ٣٢.

(٣) لايوجد لدينا كتابه.

(٤) يونس: ١٤.

(٥) مريم: ٥٩.

(٦) النهاية «لابن الاثير»: ج٢ ص٦٥، وتهذيب اللغة: مادة «خلف» ج٧ ص٤١٦، وفيهما «يحمل» بدل «ينقل».

وقال قوم: سمى الله تعالى آدم خليفة، لأنه جعل آدم وذريته خلفاء الملائكة، لأن الملائكة كانوا من سكان الأرض.

وقال ابن عباس: انه كان في الأرض الجن، فافسدوا فيها، وسفكوا الدماء فاهلكوا، فجعل الله آدم وذريته بدلهم[1].

وقال الحسن البصري: إنما أراد بذلك قوماً يخلف بعضهم بعضاً من ولد آدم الذين يخلفون أباهم آدم في إقامة الحق وعمارة الأرض[2].

وقال ابن مسعود: أراد أني جاعل في الأرض خليفة يخلفني في الحكم بين الخلق وهو آدم ومن قام مقامه من ولده[3].وقيل: انه يخلفني في انبات الزرع وإخراج الثمار وشق الانهار.

وقيل: ان الأرض أراد بها مكة، روي ذلك عن ابن سابط[4] أن النبي صلّى الله عليه وآله قال: دحيت الأرض من مكة ولذلك سميت أُم القرى،قال: دفن نوح وهود وصالح وشعيب بين زمزم والمقام[5]. وقال قوم: انها الأرض المعروفة[6]، وهو الظاهر.

وقوله: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وروي أن خلقاً

---

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٥٧.

(٢) تفسير الحسن البصري: ج١ ص٨١.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٥٧.

(٤) ابن سابط: وهو عبد الرحمان بن سابط، ويقال:عبد الرحمان بن عبد الله بن سابط بن أبي حميضة الجمحي، أُرسل عن النبي صلّى الله عليه وآله، وروىٰ عن عمر وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، قال الواقدي: مات سنة ١١٨هـ.

(تهذيب التهذيب: ج٦ ص١٨٠).

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٥٦.

(٦) حكاه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «أرض» ج١٢ ص٦٢، عن ابن السكيت.

يقال لهم :الجان كانوا في الأرض فافسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله تعالى ملائكة أجلتهم من الأرض[١] .

وقيل: ان هؤلاء الملائكة كانوا سكان الأرض بعد الجان فقالوا: يا ربنا أتجعل في الأرض مَن يفسد فيها ويسفك الدماء، على وجه الاستخبار منهم والاستعلام عن وجه المصلحة والحكمة لا على وجه الانكار، كأنهم قالوا:ان كان هذا كما ظننا فعرفنا وجه الحكمة فيه[٢] .

وقال قوم: المعنى فيه ان الله أعلم الملائكة انه جاعل في الأرض خليفة وان الخليفة فرقة تسفك الدماء وهي فرقة من بني آدم فأذن الله للملائكة أن يسألوه عن ذلك وكان إعلامه أياهم هذا زيادة على التثبيت في نفوسهم انه يعلم الغيب، فكأنهم قالوا: أتخلق فيها قوماً يسفكون الدماء ويعصونك، وانما ينبغي انهم اذا عرفوا انك خلقتهم ان يسبحوا بحمدك كما نسبّح ويقدسوا كما نقدس، ولم يقولوا هذا إلّا وقد أُذن لهم لأنهم لا يجوز ان يسألوا ما لا يؤذن لهم فيه ويؤمرون به[٣]، لقوله: «ويفعلون ما يؤمرون»[٤] .

فان قيل : من اين لكم أنهم كانوا علموا ذلك ؟

قيل : ذلك محذوف لدلالة الكلام عليه، لأنا علمنا أنهم لا يعلمون الغيب وليس اذا فسد الجن في الأرض وجب أن يفسد الانس، وقوة السؤال تدل على أنهم كانوا عالمين، وجرى ذلك مجرى قول الشاعر:

---

(١) و(٢) معاني القرآن للزجّاج: ج١ ص١٠٨.

(٣) ذكره الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٠٩، وراجع تنزيه القرآن للقاضي عبد الجبار: ص٢١.

(٤) النحل: ٥٠.

فــلا تــدفــنــوني إن دفني محــرم عـليكـم ولكن خـامـري أُم عامر(١)

فحذف قولـه: دعوني للتي يـقال لها إذا أُريد صـيدها خـامري أُم عامر، فكأنه قال: إني جاعـل في الأرض خـليفة يكون من ولـده افساد في الأرض وسفك الدماء.

وقال ابو عبيـدة والزجاج: إنهم قالوا ذلك على وجه الايجاب وإن خرج مخرج الاستفهام(٢)، كما قال جرير:

ألستم خير مــن ركــب المطــايــا وانـدى الـعـالمين بطـون راح(٣)

فعلى هذا الوجه قال قوم: إنما أخبروا بذلك عن ظنّهم وتوهمهم، لأنهم رأوا الجن من قبلـهم قـد افسدوا في الأرض وسفكوا الدماء فـتصوّروا أنه إن استخلـف غيرهـم كانوا مـثلهم.

فـقال تعالى منكـراً لـذلك: «إني اعلم ما لا تعـلمون» وهذا قول قتادة وابن عباس وابن مسعود(٤).

وقال آخرون: إنهـم قالوه يقـيناً لأن الله كان أخبرهم انـه يستخلف في الأرض من يفسد فيها ويسفك الدماء، فاجابوه بعد علمهم بذلك بأن قالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء» وانما قالوه استعظاماً لفعلهم أي كيف يفسدون فيـها ويسفكون الدمـاء، وقد انعمت عـليهم واستخلفتهم فيها فقال: «إني اعلم ما لا تعلمون»(٥).

---

(١) البيت للشنفرى نقله الأصبهاني في الأغاني: ج٢١ ص١٨٢، وفيه «أبشري» بدل «خامري».

(٢) معاني القرآن: ج١ ص١٠٩، ومجاز القرآن: ج١ ص٣٥.

(٣) ديوانه: ص٧٧.

(٤) ذكر قولهم الطبري في تفسيره: ج١ ص١٦٠-١٦٢.

(٥) أمالي المرتضى: ج٢ ص٧١.

وقال قوم: إنهم قالوا ذلك متعجّبين من استخلافه لهم أي كيف يستخلفهم وقد علم انهم «يفسدون فيها ويسفكون الدماء»؟ فقال: «إني اعلم ما لا تعلمون»[١].

والسفك صب الدماء خاصّة دون غيره من الماء وجميع المايعات، والسفح مثله لأنه مستعمل في جميع المايعات على وجه التضييع، ولذلك قالوا في الزنا: انه سفاح لتضييع مائه فيه.

والملائكة المذكورون في الآية، قال قوم: هم جميع الملائكة. وقال آخرون ـ وهو المروي عن ابن عباس والضحاك ـ: إنه خطاب لمن اسكنه من الملائكة الأرض بعد الجانّ وقبل خلق آدم، وهم الذين أجلوا الجان عن الأرض[٢]. وقال قتادة في قوله: «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»: وقد علمت الملائكة من علم الله أنه لا شيء عند الله أكبر من سفك الدماء والافساد في الأرض، قال الله تعالى: «إني أعلم ما لا تعلمون» من أنه سيكون من الخليفة رسل وانبياء وقوم صالحون وساكنو الجنة[٣].

واقوى هذه الوجوه قول من قال: إن الملائكة إنما قالت: «أتجعل فيها من يفسد فيها» على وجه التعجّب من هذا التدبير لا إنكاراً له، ولكن على وجه التألّم والتوجع والاغتمام والاستعلام لوجه التدبير فيه، فقال: «إني أعلم ما لا تعلمون» من وجه المصلحة في خلقهم، وما يكون منهم من الخير

(١) تفسير الطبري: ج١ ص١٦٥.
(٢) انظر تفسير الطبري: ج١ ص١٥٨، وتفسير ابن عبّاس: ص٦.
(٣) تفسير الطبري: ج١ ص١٦٢.

والرشد والعلم وحسن التدبير والحفظ والطاعة ما لا تعلمون .

فان قيل: الملائكة بم عرفت ذلك، اذا لم يمكنها أن تستدرك ذلك بالنظر والفكر ؟

قلنا: قد يجوز أن لا يكون خَطَر ببالها ذلك إلّا عندما أعلمهم الله، فلما علموا ذلك فزعوا الى المسألة عنه، لأنّ المسألة لم يتوقّع سرعة جوابه أو يوثق بعلمه وخبره يقوم مقام النظر والفكر.

وقوله : «أتجعل فيها من يفسد فيها» يريدون من ولد آدم الذين ليسوا أنبياء، ولا أئمة معصومين لا آدم نفسه ومن يجري مجراه من الأنبياء والمعصومين، فكأنه قال تعالى: إني جاعل في الأرض خليفة يكون له ولد ونسل يفعلون كيت وكيت، فقالوا: «أتجعل فيها من يفسد فيها» يريدون الولد. وقد بينا أن الخليفة من يخلف مَن تقدمه، جماعة كانوا أو واحداً فلما أخبر الله تعالى الملائكة أنه يخلق في الأرض عباداً هم آدم وولده ويكونون خليفة لمن تقدمهم من الجن أو غيرهم، قالوا ما قالوا .

ويحتمل أن يكون قوله: «من يفسد فيها» يريدون البعض لا الكل، كما يقال: بنو شيبان يقطعون الطريق، ويراد بعضهم دون جميعهم .

وقوله: «ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك» والتسبيح هو التنزيه من السوء على وجه التعظيم وكل من عمل خيراً قصد به الله فقد سبح، يقال: فرغت من سبحتي أي من صلاتي، وقال سيبويه: معنى سبحان الله براءة الله وتنزيه الله من السوء[1]، قال اعشى بني ثعلبة:

أقول لما جاءني فخره ... سبحان من علقمة الفاخر[2]

---

(١) الكتاب: ج١ ص٣٢٤.

(٢) ديوان الأعشى: ٩٤.

أي براءة من علقمة الفاخر. وهو مشتق من السبح الذي هو الذهاب، قال الله تعالى: «إن لك في النهار سبحاً طويلاً»[١] ولا يجوز أن يسبح غير الله وان كان منزّها، لأنه صار علماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم التي لا يستحقها سواه، كما أن العبادة غاية في الشكر لا يستحقّها سواه.

وقال ابن عباس[٢] وابن مسعود[٣]: «نحن نسبح بحمدك» بمعنى نصلي لك، كما قال: «فلولا انه كان من المسبحين»[٤] أي من المصلين.

وقال مجاهد: معناه نعظّمك بالحمد والشكر على نعمك[٥]. وقال قتادة: هو التسبيح المعروف[٦]. وقال الفضل: هو رفع الصوت بذكر الله[٧]. قال جرير:

قبّح الاله وجوه تغلب كلما ... سبّح الحجيج وهلّلوا إهلالا[٨]

واصل التقديس التطهير، ومنه قوله: الارض المقدّسة أي المطهرة، قال الشاعر:

فأدركنه يأخذن بالساق والنسا ... كما شبرق الولدان ثوب المقدس[٩]

أي المطهر، وقال قوم: معنى نقدّس لك نصلي لك. وقال آخرون:

---

(١) المزمل: ٧.

(٢) تفسير ابن عبّاس: ص٦، وكذلك ص٣٧٩.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٦٧.

(٤) الصافات: ١٤٣.

(٥) تفسير مجاهد: ص١٩٩.

(٦) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٦٧.

(٧) لم نعثر عليه.

(٨) ديوان جرير: ص ٣٦١.

(٩) الشعر لامرئ القيس، ديوانه: ص١١٦.

نقدس انفسنا من الخطايا والمعاصي. وقال قوم: نطهرك من الادناس أي لا نضيف اليك القبائح[١].

والقدَس السطل الذي يتطهر منه أي يتقدس، ويوصف تعالى بأنه قدوس سبّوح أي سبحانه أن يكون شريكا لغيره طاهر من كل عيب.

وقوله: «إني اعلم ما لا تعلمون» قال قوم: أراد ما أظهره إبليس من الكبر والعجب والمعصية لما أمر الله تعالى لآدم، ذهب اليه ابن مسعود وابن عباس[٢]، وقال قتادة: أراد من في ذرية آدم من الانبياء والصالحين[٣]، وقال قوم: أراد به ما اختص بعلمه من تدبير المصالح[٤].

فان قيل: لو كان آدم قادراً على أن لا يأكل من الشجرة، لكان قادراً على نقض ما دبره الله فيه، لأنه لو لم يأكل منها للبث في الجنة، والله تعالى إنما خلقه ليجعله خليفة في الأرض فهذا يدل على أنه لم يكن بدّ من المخالفة.

قلنا عن هذا جوابان:

أحدهما: ان الجنة التي خلق الله تعالى فيها آدم لم تكن جنة الخلد، وانما كانت في الأرض حيث شاء الله، وانه حيث كان في الأرض، كان خليفة في الأرض وفي هذا سقط السؤال.

والثاني: ان الله تعالى علم أن آدم سيخالف، وانه يهبط الى الأرض فيستخلفه فيها فأخبر الله تعالى بما علم، وقولهم: إنه لو كان قادراً على أن لا يخالف لكان قادراً على نقض تدبيره جهل، لأن الله تعالى قد أمره بأن

---

(١) ذكر أقوالهم الطبري في تفسيره: ج١ ص١٦٧، والماوردي في تفسيره: ج١ ص٩٧.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص١٦٩.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص١٦٩.

(٤) أمالي المرتضى: ج٢ ص٦٩.

لا يقرب الشجرة، فهل يجب بأن يكون أمره بأن ينقض تدبيره؟ فاذا قالوا: لا، قيل: وكذلك الله قد اقدره على ألا يخالف فيلبث في الجنة، ولا يجب بذلك أن يكون أقدره على نقض تدبيره.

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أن الملائكة سألت الله أن يجعل الخليفة منهم، وقالوا: نحن نقدسك ونطيعك ولا نعصيك كغيرنا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: فلما أُجيبوا بما ذكر الله في القرآن، علموا أنهم قد تجاوزوا ما ليس لهم فلاذوا بالعرش استغفاراً، فأمر الله آدم بعد هبوطه أن يبني لهم في الأرض بيتاً يلوذ به المخطئون كما لاذ بالعرش الملائكة المقرّبون، فقال الله تعالى: إني اعرف بالمصلحة منكم، وهو معنى قوله: «إني أعلم ما لا تعلمون»(١).

قوله تعالى:

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ [آية واحدة بلا خلاف].

روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض -وقيل: قبضها ملك الموت- فجاء بنو آدم على قدر ذلك: منهم الأسود، والأحمر، والأبيض، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب(٢).

اللغة:

وقال ابو العباس: في اشتقاق آدم قولان:

---

(١) الكافي: ج٤ ص١٨٧، نقلت بالمعنى في أحاديث الباب.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٤٠٠، وسُنن الترمذي: ج٥ ص٢٠٤، ح٢٩٥٥، وسُنن البيهقي: ج٩ ص٣.

أحدهما: انه مأخوذ من أديم الأرض، قال: فاذا سميت به في هذا الوجه ثم نكّرته صرفته.

والثاني: انه مأخوذ من الأُدمة على معنى اللون والصفة، فاذا سمّيت به في هذا الوجه، ثم نكّرته لم تصرفه.

والأُدمة والسمرة والدكنة والورقة متقاربة المعنى في اللغة. وقال صاحب العين: الأُدمة في الناس شربة من سواد، وفي الابل والظباء بياض، وأُدمة الأرض وجهها[١]، والمؤدم من الجلد خلاف المبشر، وأُدما أُنثى، وآدم ذكر وهي الأدم في الجماعة، وآدم أبو البشر، والأدم ما يؤتدم به وهو الادام، والإدم جماعة الأديم، وأديم كل شيء وجهه.

و(كلّ) لفظة عموم على وجه الاستيعاب، وقال الرماني: حدّه الاحاطة بالابعاض، يقال: أبعض القوم جاءك أم كلهم؟ وتكون تأكيداً مثل أجمعين، غير أنه يبتدأ في الكلام بكل، كقوله تعالى: «فسجد الملائكة كلهم أجمعون»[٢]لأن كلاً قد تلي العوامل ويبتدأ وأجمعون لا تكون إلا تابعة[٣].

ويقال:عرض عرضاً، قال صاحب العين: عرض علينا فلان المتاع يعرض عرضاً للشراء أو الهبة[٤].

وقال الزجاج: العرض أصله في اللغة الناحية من نواحي الشيء فمن ذلك العرض خلاف الطول[٥].

وعرض الرجل، قال بعضهم: ما يمدح به أو يذم. وقيل: عرضه خليقته

(١) العين للفراهيدي: مادة «أدم» ج٨ ص٨٨.

(٢) الحجر: ٣٠.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر المتوفّرة لدينا.

(٤) العين للفراهيدي: مادة «عرض» ج١ ص٢٧١.

(٥) لم نعثر عليه.

المحمودة. وقيل: عِرضه حسبه. وقال الرماني: هي ناحيته التي يصونها عن المكروه، وحقيقة العرض الاظهار للشيء ليتصفّح[١].

والإنباء والإعلام والإخبار واحد، قال صاحب العين: النبأ (مهموز) هو الخبر المنبيء والمخبر، ولفلان نبأ أي خبر، ويقال: نبأته وأنبأته واستنبأته والجمع الأنبآء.

والنبوة اذا أُخذت من الانباء فهي مهموزة لكن روي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: لا تنبز بإسمي لرجل قال له: يانبيء الله. والنبيء (بالهمز) الطريق الواضح، يأخذ بك الى حيث تريد، والنبأة صوت الكلاب، تنبأ به نبأ[٢].

وحقيقة الأنباء الاظهار للخبر، قال الشاعر:

أدان وانبأه الأولون بأن المدان ملي وفى [٣]

والفرق بين الأخبار والاعلام: إن الاعلام قد يكون بخلق العلم الضروري في القلب كما خلق الله من كمال العقل والعلم بالمشاهدات، وقد يكون بنصب الأدلة للشيء.

والاخبار هو إظهار الخبر علم به أو لم يعلم، ولا يكون مخبراً بما يحدثه من العلم في القلب كما يكون معلماً بذلك.

المعنى:

وقوله: «ثم عرضهم على الملائكة» إنما لم يقل: ثم عرضها، اذ كانت

(١) لايوجد لدينا كتابه.

(٢) العين للفراهيدي: مادة «نبأ» ج٨ ص٣٨٢.

(٣) الشعر لأبي ذؤيب، تهذيب اللغة: مادة «دان» ج١٤ ص١٨٤.

الاسماء لا تعقل لأنه أراد أصحاب الاسماء وفيهم ما لا يعقل، كما يغلب المذكر اذا اجتمع مع المؤنث، لأنهم يقولون: إن أصحابك وإماءك جاؤوني.

وروي عن ابن عباس أنه قال: عرض الخلق، وقال مجاهد: عرض أصحاب الاسماء[١].

وقوله: «وعلم آدم الاسماء كلها» معناه أنه علّمه معاني الاسماء، من قبل أن الاسماء بلا معان لا فائدة فيها، ولا وجه لا يثاره الفضيلة بها، وقد نبّه الله الملائكة على ما فيه من لطيف الحكمة، فأقروا عند ما سئلوا عن ذكرها والاخبار عنها أنهم لا علم لهم بها، فقال: «ياآدم أنبئهم بأسمائهم».

وقول قتادة[٢] وظاهر العموم يقتضي أنه علّمه الاسماء، وبه قال ابن عباس[٣] ومجاهد[٤] وسعيد بن جبير وقتادة، وأكثر المتأخرين: كالبلخي والجبائي[٥] وابن الأخشاد[٦] والرماني وقال الطبري[٧] بما يحكى عن

(١) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٢.

(٢) كذا في النسخة الخطيّة والمطبوعة، والظاهر أنّ هذه العبارة زائدة فلاحظ.

(٣) تفسير ابن عباس: ص٧.

(٤) قال مجاهد في تفسيره: ص١٩٩، وعلم آدم الأسماء يعني: ما خلق الله كلّه.

(٥) وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام المعروف بالجبائي، أحد أئمة المعتزلة، أخذ عن أبي يوسف وهو رئيس المعتزلة بالبصرة في عصره، مات سنة ٣٠٣هـ.
(وفيات الاعيان: ج٣ ص٣٩٨، والاعلام: ج٦ ص٢٥٦).

(٦) وهو أبو بكر أحمد بن علي الاخشاد من شيوخ المعتزلة، له من الكتب الكثير في الفقه والعربية والاصول، وله كذلك اختصار على تفسير الطبري مات سنة ٣٢٦هـ.
(الفهرست لابن النديم: ص٢٢٠).

(٧) وهو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري، عن أبي جريح وغيره، له من المصنفات

←

الربيع وابن زيد: انها قالا: علّمه الله اسماء ذريته واسماء الملائكة، وقال: هو الاختيار دون قول ابن عباس، وقال: إن قولهم: «عرضهم» إنما يكون لم يعقل في الأظهر من كلام العرب وهذا غلط لما بيّناه من التغليب وحسنه، كما قال تعالى: «والله خلق كلّ دآبة من ماء فنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع»(١)و(٢) وهذا يبطل ما قاله، ويبقى اللفظ على عمومه وظاهر الآية وعمومها يدل على انه علّمه جميع اللغات، وبه قال الجبائي والرماني.

فأخذ عنه ولده اللغات، فلما تفرّقوا تكلم كل قوم منهم بلسان ألفوه واعتادوه وتطاول الزمان على ما خالف ذلك فنسوه، ويجوز أن يكونوا عالمين بجميع تلك اللغات الى زمن نوح فلما أُهلك جميع الخلائق إلّا نوحاً ومن معه، كانوا هم العارفين بتلك اللغات، فلما كثروا وتفرّقوا اختار كل قوم منهم لغة تكلّموا بها وتركوا ما سواها وانقرض ونسوه.

والخبر الذي يروى ـ أن الناس امسوا ولغتهم واحدة ثم اصبحوا وقد تغيّرت ألسنتهم وكان لا يعرف كل فريق منهم إلّا كلام من كان على لغتهم(٣) ـ خبر ضعيف، وأيضاً فلا يجوز أن ينسى العاقل ما كان في أمسه من جلائل الأُمور مع سلامة عقله.

قالوا: واللغات جميعاً إنما سمعت من آدم، وعنه أُخذت، وقال ابن

الكثيرة. منها في التاريخ والتفسير.

(الفهرست لابن النديم: ص٢٩١، وتذكرة الحفاظ: ص٣٠٧).

(١) النور: ٤٥.

(٢) اختاره الطبري في تفسيره: ج١ ص١٧١ بعد ذكره للأقوال التي ذكرها الماتن.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

الاخشاد: إن الله فتق لسان اسماعيل بالعربية ولذلك صار اصلاً للعرب من ولده، لأنّه تكلم بها على خلاف النشوء والعادة، بل على أنه ابتدأه بها وألهمه إياها[١].

فان قيل: ما معنى قوله: « انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » ما الذي أُدعي حتّى قيل هذا ؟

قيل عن ذلك أجوبة كثيرة للعلماء :

أحدها : إن الملائكة لما أخبرهم الله عز وجل أنه جاعل في الأرض خليفة هجس في نفوسها أنه لو كان الخليفة منهم بدلاً من آدم وذريته، لم يكن فساد ولا سفك دماء، كما يكون من ولد آدم، وان ذلك أصلح لهم، وان كان الله عز وجل لا يفعل إلّا ما هو أصلح في التدبير والأصوب في الحكمة، فقال الله تعالى : « انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين » فيما ظننتم في هذا المعنى ليدلّهم على أنهم إذا لم يعلموا باطن ما شاهدوا، كانوا من أن يعلموا باطن ما غاب عنهم أبعد .

والثاني: إنه وقع في نفوسهم أنه لم يخلق الله خلقاً إلّا كانوا أفضل منهم في سائر أبواب العلم، فقيل: إن كنتم صادقين في هذا الظن فاخبروا بهذه الاسماء[٢].

والثالث: قال ابن عباس: إن كنتم تعلمون لم أجعل في الأرض خليفة فـ «انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين» لأن كل واحد من الأمرين من علم الغيب، فكما لا تعلمون ذا لا تعلمون الآخر[٣].

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) راجع تفسير الطبري: ج١ ص١٧٠-١٧١.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٢.

والرابع: ما ذكره الأخفش[1] والجبائي وابن الأخشاد: إن كنتم صادقين فيما تخبروني به من اسمائهم، كقول القائل للرجل: أخبرني بما في يدي إن كنت صادقاً، أي إن كنت تعلم فاخبر به، لأنه لا يمكن أن يصدق في مثل ذلك إلّا اذا أخبر عن علم منه، ولا يصحّ أن يكلّف ذلك إلّا مع العلم به، ولابد إذا استدعوا الى الاخبار عما لا يعلمون من أن يشرط بهذا الشرط، ووجه ذلك التنبيه كما يقول العالم للمتعلم: ما تقول في كذا، ويعلم أنه لا يحسن الجواب لينبهه عليه ويحثه على طلبه والبحث عنه، فلو قال له: اخبر بذلك إن كنت تعلم، أو قال له: ان كنت صادقاً لكان حسناً، فاذا نبهه على أنه لا يمكنه الجواب أجابه، حينئذٍ فيكون جوابه بهذا التدريج أثبت في قبله وأوقع في نفسه.

وقوله: «انبئوني» قال قوم: هو امر مشروط، كأنه قيل: إن امكنكم أن تخبروا بالصدق فيه فافعلوا[2].

وقيل: إن لفظه لفظ الامر ومعناه التنبيه[3]، على ما بينّاه في سؤال العالم للمتعلم ولا يجوز أن يكون ذلك تكليفاً، لأنه لو كان تكليفاً، لم يكن تنبيهاً لهم على أن آدم يعرف من اسماء هذه الاشياء بتعريف الله اياه ذلك ما لا يعرفون، فلما أراد تعريفهم ما خص به آدم، من ذلك علمنا أنه ليس بتكليف.

ومعنى قوله: «إن كنتم صادقين» شرط، كأنه قيل: إن كنتم صادقين في الاخبار بذلك.

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٢٢٠.
(٢) أمالي المرتضى: ج٢ ص٦٨.
(٣) أمالي المرتضى: ج٢ ص٦٩.

وليس «إن» بمعنى «إذ» على ما حكاه الكسائي عن بعض المفسرين[١]؛ لأنها لو كانت كذلك، لكانت «أن» بفتح الهمزة، وتقديره: ان كنتم محققين ايمانكم فافعلوا كذا وكذا؛ لأن «إذ» إذا تقدّمها فعل مستقبل صارت علة للفعل وسبباً له، كقولك: إذ قمت أي من أجل ان قمت، فلو كانت «إن» في الآية بمعنى «إذ» كان التقدير: أنبئوني بأسماء هؤلاء من أجل انكم صادقين. واذا وضعت «إن» مكان ذلك وجب أن تفتح الألف، وذلك خلاف ما عليه القرّاء والأنباء.

قال قوم: اصله الاعلام، كقولهم: انبأت عمراً زيداً أخاك، بمعنى اعلمت، ولا يصلح هاهنا أخبرت إلّا أنه يتناول انبئوني هاهنا بمعنى اخبروني على وجه المجاز والتوسّع لتقارب المعنى في الإخبار والانباء، لأن الله تعالى عالم بالاشياء فيما لم يزل، فلا يجوز أن يقول: علّموني لما هو عالم به، ومن قال أصله الاخبار تعلق بظاهر القرآن.

وفي كيفيّة عرضهم قولان:

أحدهما: إنه عرضهم بعد أن خلقهم[٢].

والثاني: إنه عرضهم بأن صورهم لقلوب الملائكة[٣].

وفي هذه الآية دليل على شرف العلم من حيث أن الله تعالى لما أراد تشريف آدم اختصّه بعلم أبانه به من غيره، وجعل له الفضيلة فيه.

وفي كيفية تعليم الله آدم الاسماء، قال البلخي: ويجوز أن يكون أخبره بذلك فوعاه في وقت قصير بما أعطاه الله من الفهم والحفظ، أو بأن دله ومكنه ورسم به رسماً، فابتدع هو لكل شيء اسماً يشاكله، ولابد أن

---

(١) انظر تفسير الطبري: ج١ ص١٧٤.

(٢) و(٣) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٢، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٠٠.

يكون إعلامه بـه بلغة قد تقدمت المواضعة عليها حتى يفهم بالخطاب المراد به، وقال: المواضعة لابد ان تستند الى سمع عند قوم، وعند أبي هاشم[(١)] واصحابه لا يصح ذلك[(٢)].

فأما الذي عرض على الملائكة، قال قوم: عرضت الاسماء دون المسميات[(٣)].

وقال قوم آخرون: عرضت المسميات بها[(٤)]. وهو الأقوى لقوله: «ثم عرضهم» وفي قراءة ابن مسعود: ثم عرضهن[(٥)]. وفي قراءة أُبي[(٦)]:

---

(١) أبو هاشم، عبد السلام بن أبي علي الجبائي محمد بن عبد الوهاب، من شيوخ المعتزلة ومتكلّميها. صنّف كثيراً من الكتب على مذاهبهم، والجُبّائي نسبة الى قرية من قرى البصرة سكن بغداد الى ان توفي فيها في شعبان سنة ٣٢١هـ.
(الأنساب للسمعاني: ج٢ ص١٧).

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٢.

(٤) أمالي المرتضى: ج٢ ص٧٥.

(٥) نقل ذلك الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٢٦، والسيد المرتضى في أماليه: ج٢ ص٧٥.

(٦) أُبي بن كعب بن قيس، ويُكنى أبا المنذر وأبا الطفيل، كان قارئاً للقرآن، يقال: انه كان يكتب في الجاهلية قبل الاسلام، وكانت الكتابة في العرب قليلة. قال أُبي بن كعب يوماً لعمر بن الخطاب: مالك لا تستعملني؟ قال: أكره أن يدنس دينك، قال جُندب بن عبد الله البجلي: أتيت المدينة ابتغاء العلم فدخلت مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله، فاذا الناس فيه حَلَق يتحدّثون حتى اتيت الى رجل شاحب عليه ثوبان، فسألت عنه فقالوا: هذا سيد المسلمين أُبي بن كعب فتبعته الى منزله، فقال لي: ممن أنت. قلت: من أهل العراق، قال: أكثُر مني سؤالاً، قال: فغضبت من كلامه فجثوت على ركبتي ورفعت يدي، وقلت: اللهم نشكوهم اليك إنا نُنْفِق نفقاتنا ونُنصب أبداننا ونرحل مطايانا ابتغاء العلم فاذا لقيناهم تجهّموا لنا ... مات سنة ٣٠هـ.
(الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٣ ص٤٩٨).

عرضها[١] .

وقال قوم: إنه عرضهم بعد أن خلق المسميات واحضرها لقوله: «اسماء هؤلاء» وذلك إشارة الى الحاضر[٢] .

وقال آخرون: إنه صوّرهم لقلوب الملائكة ثم عرضهم قبل خلقهم[٣] ، وقيل: إن قوله:[هؤلاء] اشارة الى الاسماء التي علمها آدم[٤] .

القراءة:

و«انبئوني» اكثر القرّاء بهمز، وروي عن الأعمش ترك الهمز فيه، وهي لغة قريش[٥] .

«هؤلاء» لغة قريش ومن جاورهم باثبات الف بين الهاء والواو ومدّ الألف الأخيرة. وتميم وبكر وعامة بني أسد يقصرون الألف الأخيرة وبعض العرب يسقط الألف الأُولى التي بين الهاء والواو ويمد الاخيرة، وانشد:

تجلد لا يقل هؤلاء هذا بكى لما بكى اسفاً وعيبا

وحقق الهمزة ابن عامر واهل الكوفة اذا اتفقا من كلمتين، وقرأ أبو عمرو واحمد بن صالح[٦] عن قالون بتحقيق الأُولى وحذف

---

(١) نقل ذلك الفراء في معاني القرآن: ج١ ص٢٦، والسيد المرتضىٰ في أماليه: ج٢ ص٧٥.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) تفسير الماوردي: ج١ ص١٠٠.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٢.

(٥) السبعة في القراءات: ص١٥٣.

(٦) هو أحمد بن صالح المصري أبو جعفر ، مقرىء عالم بالحديث وعلله، ولد بمصر سنة ١٧٠ هـ، ←

الثانية[١]، وقرأ ورش وقنبل وابو جعفر وأُويس بتحقيق الأُولى وتليين الثانية، وقرأ ابن كثير إلّا قنبلا ونافع إلّا ورشاً وأحمد بن صالح بسكون الأُولى وتحقيق الثانية في المكسورتين والمضمومتين، وفي المفتوحتين بتحقيق الأُولىٰ وحذف الثانية.

قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣٢﴾ آية.

المعنى:

هذه الآية فيها إخبار من الله تعالى عن ملائكته بالرجوع اليه والأوبة والتسليم إنهم لا يعلمون إلّا ما علمهم الله.

وقوله: «سبحانك» نصب على المصدر ومعناه نسبّحك،وسبحانك مصدر لا ينصرف، وقدّمنا في ما مضى أن معنى التسبيح التنزيه، ومعناه هاهنا تبرياً منهم أن يعلموا الغيب، واقراراً أنه المختص به تعالى دون غيره.

وقوله: «العليم الحكيم» معنى عليم أنه عالم وفيه مبالغة، ومن صفات ذاته، واذا كانت كذلك افادت انه عالم بجميع المعلومات ويوصف به في ما لم يزل؛ لأن ذلك واجب في العالم نفسه.

وقوله: «الحكيم» يحتمل امرين:

أحدهما: انه عالم، لأن العالم بالشيء يسمى بأنه حكيم، فعلى هذا يكون من صفات الذات مثل العالم وقد بيّنّاه.

زار بغداد واجتمع بابن حنبل وحدّث بدمشق وبأنطاكية، وتوفي بمصر سنة ٢٤٨هـ. (الأعلام: ج١ ص١٣٧).

(١) إعراب القرآن للزجاج: ج١ ص٣٦٨.

والثاني: أن يكون من صفـات الأفعال، ومعنى ذلك أن أفعـالـه محكمة متقـنة وصواب ليس فيهـا وجه من وجـوه القبح ولا الـتفاوت، ولا يـوصف بذلك في ما لم يزل .

وروي عن ابن عبـاس انـه قـال: العليم الذي كمل علـمـه، والحكيم الذي كمـل في حكمتـه[١]. وقد قـيل في معنى حكيم :انه المـانع مـن الفساد، ومنه سمّيت حكمة اللجام؛ لأنها تمنع الفرس من الجري الشديد [٢]، قال جرير:

ابني حنيـفـة أحكموا سفهـاءكم إني أخاف عليكم ان أغضبا[٣]

أي امنعوهم، والإحـكام والاتـقان والاتساق والانتظام متقـاربة. والحكمة نقـيض السفه، يقال: حـكم حكماً وأحكم إحكامـاً، ويقال: أحكم فلان عـمـله إذا بالغ فيـه فـأصاب حقيقتـه، والحكمة هي التي تقف بك على مرّ الحق الذي لا يخلطـه بـاطـل والصـدق الذي لا يشوبه كذب، ومـنـه قـوله: «حكمة بالغة»[٤]، والحَكـم بين الناس هو الذي يرضى بـه ليقف الاشياء مواضعهـا، ومـنه قوله: «فـابـعثوا حكماً مـن أهـله وحكماً من اهـلـها»[٥]، والحاكم القـاضي بين النـاس ليقفـهم على الحقّ، ويـقال: رجل حكيم اذا كان ذلك شـأنه وكانـت مـعه أُصول مـن العلـم والمعرفة، واذا أحـكم بين

(١) نقل قوله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٧٥.

(٢) انظر تهذيب اللـغة:مادة «حكم» ج٤ ص١١٢، ومـعجم مقاييـس اللغة: مادة «حـكم» ج٢ ص٩١.

(٣) ديوان جرير: ص٤٧.

(٤) القمر: ٥.

(٥) النساء: ٣٥.

الرجلين يقال: أحكم يحكم، واذا صار حكيماً قيل: حكم يحكم، وامر مستحكم اذا لم يكن فيه مطعن، وفي الحديث: «في رأس كل عبد حكمة اذا همّ بسيئة وشاء الله ان يقدعه بها قدعة»[1] يعني منعه. والحكم في الانسان هي العلم الذي يمنع صاحبه من الجهل.

ومعنى قول الملائكة: «سبحانك لا علم لنا إلّا ما علمتنا» يحتمل أمرين:

أحدهما: ما قدمناه وهو قول ابن عباس قال: «سبحانك» تنزيهاً لله من أن يكون أحد يعلم الغيب سواه.

والثاني: انهم أرادوا أن يخرجوا مخرج التعظيم لله، فكأنهم قالوا: تنزيهاً لك عن القبائح، فعلى هذا الوجه يحسن وإن لم يعلّقه بعلم الغيب كما علق في الأول.

وفي الناس من استدلّ بهذه الآية على بطلان الأحكام في النجوم. وهذا يمكن ان يكون دلالة على من يقول: إنها موجبات لا دلالات، فأما من يقول: إنها دلالات على الأحكام نصبها الله، فانه يقول: نحن ما علمنا إلّا ما علّمنا الله، إنه الذي جعل النجوم أدلة لنا كما أن ما علمناه استدلال غير ضرورة مضاف إليه ايضاً من حيث نصب الدلالة عليه.

واستدل جماعة من المفسرين بهذه الآية، والآيتين قبلها على صدق النبي صلّى الله عليه وآله وسلم وجعلوها من جملة معجزاته إذ كان إخباراً بما لا يعلمه العرب ولا يوصل إليه إلّا بقراءة الكتب، والنبي عليه السلام لم يعرف بشيء من ذلك مع العلم بمنشأه ومبتدأ أمره ومنتهاه[2].

---

(١) أورد ابن الأثير شطراً منه في نهايته: ج٤ ص٢٤.

(٢) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص١٧٥.

وهذا يمكن أن يذكر على وجه التأكيد والتقوية لآياته ومعجزاته من غير ان يكون لو انفرد لكفى في باب الدلالة؛ لأنّ لقائل أن يقول: إنه قرأ الكتب سراً، وأخذ عمّن قرأها خفياً فلا طريق للقطع على ذلك وانما يغلب في الظن .

فان قيل : ما الفائدة في الجواب بقولهم: «لا علم لنا إلّا ما علمتنا» ؟

قلنا : لو اقتصروا على قولهم: «لا علم»، لكان كافياً، لكن أرادوا أن يضيفوا إلى ذلك التعظيم والاعتراف بأن جميع ما يعلمونه من تعليمه، وان هذا ليس من جملة ذلك واختصروا وذلك أدل على الشكر لنعمه .

وقيل في معنى «عليم» أمران:

احدهما: انه عليم بغير تعليم، بدلالة انهم اثبتوا لله ما نفوه عن انفسهم بقولهم: «لا علم لنا إلّا ما علمتنا» أي نحن معلّمون وانت العليم غير المعلّم .

والثاني: انه العليم الحكيم. وكلاهما حسن، والأوّل أحسن؛ لأنه أكثر فائدة وأولى في تقابل البلاغة، وقد تضمّنت الآية الدلالة عليه انه لا علم لأحدٍ إلّا ما علمه الله اما بالضرورة وإما بالدلالة .

قوله تعالى:

قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ آية بلا خلاف .

* * *

اللغة :

روى الداجوني[١] عن هشام: انبيهم ونبيهم، في الحج والقمر، فقلبت الهمزة وكسرت الهاء. وروى الزينبي[٢] من طريق المالكي[٣] والعطّار كسر الهاء وتحقيق الهمزة، الباقون بضم الهاء وتحقيق الهمزة .

قال ابو علي: من ضم الهاء حملها على الأصل، لأن الأصل أن تكون هاء الضمير مضمومة مثل قولهم: ضربهم وأنبأهم، وانما تكسر الهاء اذا وليها كسرة أو ياء نحو: بهم وعليهم،ومع هذا يضمّه قوم حملاً على الأصل، ومن كسر الهاء التي قبلها همزة مخففة فانه اتبع كسرة الهاء الكسرة التي قبلها واذا كان بينهما حاجز، كما قالوا: هذا المرء ومررت بالمرء فاتبعوا مع هذا الفصل .

وحكي عن أبي زيد أنه قال: قال رجل من بكر بن وائل: أخذت هذا منه ومنهما، وكسر الهاء في الادراج والوقف، وحكي عنه: لم أعرفه ولم

---

(١) وهو أبو بكر محمّد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن سليمان الرملي الداجوني، نسبة الى داجون وهي قرية من قرى الرملة من أرض فلسطين على ما يظنّ السمعاني في الأنساب، مقرىء من أهل العلم .
(الأنساب للسمعاني: ج٢ ص٤٣٥، واللباب: ج١ ص٤٨١).

(٢) هو أبو الفوارس طرّاد بن محمد بن علي الهاشمي الزينبي البغدادي العباسي، نقيب النقباء ومسند العراق، توفي في شوّال سنة ٤٩١ هـ .
(شذرات الذهب: ج٣ ص٣٩٦، كشف الظنون: ج٢ ص١١٧٨).

(٣) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمان بن عمر بن سعد بن أبي وقّاص الزهري الوقّاصي المدني ويقال له: المالكي نسبة الى جدّه أبي وقّاص مالك، توفي في خلافة هارون الرشيد .
(تهذيب التهذيب: ج٧ ص١٣٣)

أضربه، فكسر وقال: لم أضربها، فكسر الهاء مع الباء. ويحتمل أن يكون ما اعتد بالحاجز بين الكسرة والهاء لسكونها فكأن الكسرة وليت الهاء .

المعنى:

ومعنى «انبئهم» خطاب لآدم، يعني اخبر الملائكة، لأن الهاء كناية عنهم وموضعهم النصب .

«باسمائهم» يعني باسماء الذين عرضهم على الملائكة، والهاء والميم في اسمائهم كناية عن المرادين بقوله: «باسماء هؤلاء» وقد مضى بيانه .

وقوله: «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» فالابداء والاعلان والاظهار بمعنى واحد، يقال: بدا وعلن وظهر، وضد الابداء الكتمان، وضد الاظهار الابطان، وضد الاعلان الاسرار، يقال: بدا يبدو من الظهور، وبدأ يبدأ بداء (بالهمز) بمعنى استأنف .

قال صاحب العين: بدا الشيء يبدو بدواً اذا ظهر،وبدا له في الأمر بدء وبداء (بالهمز) بمعنى استأنف، والبادية اسم الأرض التي لا حضر فيها، واذا خرج الناس من الحضر الى الصحراء والمرعى، يقال: بدوا واسمه البدو، ويقال: اهل البدو واهل الحضر[١] .

واصل الباب الظهور، والخفاء نقيض الظهور، وقال الرماني: حدّ الظهور الحصول على حقيقة يمكن أن تعلم بسهولة[٢]. والله ظاهر بأدلته باطن عن احساس خلقه، وكل استدلال فانما هو ليظهر شيء بظهور غيره .

(١) العين: مادة «بدو» ج٨ ص٨٣.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

والكتمان نقيض إعلان السر ونحوه، وناقة كتوم وهي التي لا ترغو اذا ركبها صاحبها أي لا تصيح، والكاتم من القسي التي لا ترن اذا انتضيت .

الألف في قوله: «ألم أقل لكم» ألف تنبيه، كقول القائل: أما ترى اليوم ما أطيبه، لمن يعلم ذلك إلّا أنك تريد أن تحضر ذهنه وان ليس مثله ما يخفى عليه، كقوله: «ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير»[1] وحكي عن سيبويه: أما ترى أي برق هاهنا، وهي الف تنبيه اصلها الاستفهام، ومن الناس من قال: إن معناه التوبيخ، ومن لم يجز على الملائكة المعصية منع من ذلك .

فان قيل: ما الفائدة في انباء آدم عليه السلام الملائكة بذلك دون إعلامه إياهم بذلك ؟

قلنا: أراد الله بذلك تكرمة آدم عليه السلام وتشريفه، وإجلال المنّة عليه وتعظيم النعمة لديه، وجميع قصة آدم تؤذن بذلك .

فان قيل: ما معنى «غيب السماوات والأرض» والله لا يغيب عنه شيء ؟

قيل في معناه: إنه يعلم ما غاب عنهم فلم يشاهدوه كما يعلم ما حضرهم فشاهدوه .

وقوله: «واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون» قيل في معناه أقوال:

أحدها: انه يعلم سرهم وعلانيتهم، وذكر ذلك تنبيهاً لهم على ما يحيلهم عليه من الاستدلال، لأن الاصول الأُول لم يستدل بها، إنما تذكر على وجه التنبيه ليستخرج بها غيرها، فيستدل بعلم الغيب انه خلق عباده

---

(١) البقرة: ١٠٦.

على ما خلقهم عليه للاستصلاح وما توجبه الحكمة[١].

والثاني: ما يسرون بمعنى ما أضمره إبليس من المعصية والمخالفة، وما يعلنون قولهم: «اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء»[٢].

قال الرماني: وهذا الوجه غلط؛ لأن ابليس ليس من الملائكة، ولأن القول على العموم لا يجوز أن يصرف الى الخصوص بغير دلالة[٣]. وهذا الوجه اختاره الطبري[٤]، وقال: هو بمنزلة قولهم: قتل الجيش وهزموا، وانما قتل البعض.

قال الرماني: إنما يقال ذلك اذا حل قتل الواحد محل قتل الجميع، مثل قتل الرئيس أو من يقوم مقامه، ولا يقال أيضاً إلّا والدلالة عليه ظاهرة وليس كذلك في الآية[٥]، وقد روي روايات[٦] في هذا المعنى، والوجه في هذا أن إبليس لما دخل معهم في الأمر بالسجود، جاز أن يستثنى من جملتهم.

والثالث: قيل: ان الله تعالى لما خلق آدم مرت به الملائكة قبل أن ينفخ فيه الروح، ولم تكن رأت مثله قبل، فقالت: لن يخلق الله خلقاً إلّا كنا أكرم منه وافضل عنده فزعم أن هذا الذي أخفوه في نفوسهم وان الذي أبدوه قولهم: «أتجعل فيها من يفسد فيها» روي ذلك عن الحسن[٧] والوجه

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٦ نحوه.

(٢) نفس المصدر.

(٣)و(٥) لا يوجد لدينا كتابه.

(٤) تفسيره: ج١ ص١٧٧.

(٦) أخرج الروايات الطبري في تفسيره: ج١ ص١٧٦.

(٧) تفسيره: ج١ ص٨٣-٨٤.

الأوّل أقوى، لأنه اعم، ويدخل فيه هذا الوجه ولا دلالة يقطع بها على تخصيص الآية .

فان قيل : ما وجه ذكره تعالى لهم الاسرار من علم الغيب ؟

قلنا : على وجه الجواب فيما سألوا عنه من خلق من يفسد ويسفك الدماء وذلك على وجه التعريض بالجواب دون التصريح، لأنه لو صرّح به لقال: خلقت من يفسد ويسفك الدماء لما اعلم في ذلك من المصلحة لجملة عبادي فيما كلّفتهم اياه وأمرتهم به؛ فدلّ في الاحالة في الجواب على العلم بباطن الأُمور وظاهرها أنه خلقهم لأجل علمه بالمصلحة في ذلك ، ودلهم بذلك على أن عليهم الرضا والتسليم لقضاء الله؛ لأن الله يعلم من الغيب ما لا يعلمونه، ويعلم من مصالحهم ما لا يعلمونه في دينهم ودنياهم .

فان قيل : وأي شيء في تعلم آدم الاسماء كلها مما يدل على علم الغيب ؟

قلنا : لأنه علمه الاسماء كلها بما فيها من المعاني التي تدل عليها على جهة فتق لسانه بذلك والهامه إياه، وهي معجزة أقامها الله تعالى للملائكة تدلّ على جلالته وارتفاع قدره بما اختصّه به من العلم العظيم الذي لا يصل اليه إلّا بتعليم الله اياه، فبان بذلك الإعجاز بالاطلاع على ما لا سبيل الى علمه إلّا من علام الغيوب .

ففيه من المعجزة أنه فتق لسانه بها على خلاف مجرى العادة، وأنه علّمه من لطائف الحكمة فيه ما لا تعلمه الملائكة مع كثرة علومها وانها أعرف الخلف بربّها، فعرفوا ما دلّهم على علم الغيب بالمعجزة مؤكّداً لما يعلمونه من ذلك بالادلة العقلية؛ ولذلك نبّههم فقال: «ألم أقل لكم اني أعلم غيب

السماوات والارض» أي قد دللتكم على ذلك من قبل وهذه دلالة[١] بعد. وقيل: افتتح الله الدلالة على الاعجاز بالكلام في آدم، ثم ختم به في محمد عليه السلام.

قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ آية واحدة.

القراءة:

ضمّ التاء[٢] من الملائكة ابو جعفر وحده، وحيث وقع اتبع ضمه الجيم[٣]. وقيل: انه نقل ضمة الهمزة وابتدأ بها، والأول أقوى؛ لأنّ الهمزة الف وصل تسقط في الدرج فلا يبقى فيها حركة تنقل، فالوجه الأول هو المعتمد عليه، والصحيح ما عليه القرّاء من كسر التاء بلام الجر.

و«ابليس» نصب بالاستثناء من الا ثبات، ويكره الوقف على قوله: «فسجدوا» وعلى «إلّا» حتى يقول: «إلّا إبليس» وكذلك كل استثناء.

المعنى:

وظاهر الآية يقتضي ان الأمر كان لجميع الملائكة بالسجود لعمومها، وقال قوم: إن الامر كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس طهر

---

(١) في النسخة الخطِّية هكذا «وهذه دلالة قبل وبعد» وهو تصحيف ظاهراً والصحيح ما أثبتناه.

(٢) في النسخة الخطِّية «الهاء»، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) نقله الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١١١.

الله بهم الارض من الجن، والأول اقوى .

اللغة:

والسجود والخضوع والتذلل بمعنى واحد في اللغة[١]. ونقيض التذلل التكبر، يقال: سجد يسجد سجودا، واسجد اسجادا إذا خفض رأسه من غير وضع لجبهته، قال الشاعر:

وكلتاهما خرّت واسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف[٢]

والسجود في الشرع عبارة عن عمل مخصوص في الصلاة ـ والركوع والقنوت كذلك ـ وهو وضع الجبهة على الأرض، ويقال: سجدنا لله سجوداً، وقوم سجد ونساء سجد، والسجدة من النساء الفاترات الأعين، قال الشاعر:

أغرّك مني أنّ دلّك عندنا واسجاد عينيك الصيودين رابح[٣]

وعزائم السجود من ذلك، وقوله: «وإن المساجد لله»[٤] قيل: إنه السجود. وقيل: إنه المواضع من الجسد التي يسجد عليها واحدها مسجد، والمسجد اسم جامع لجميع المسجد وحيث لا يسجد بعد ان يكون أُخذ لذلك، فاما المسجد من الارض فهو موضع السجود بعينه. وقال قوم: معنى السجود في أصل اللغة الخضوع والانحناء. وقيل: التذلل[٥]، قال الشاعر:

(١) الصحاح في اللغة: مادة «سجد» ج٢ ص٤٨٣.
(٢) الكتاب لسيبويه: ج٢ ص٣٤ والبيت لأبي الأخرز الحماني.
(٣) البيت لكثير عزّة، انظر ديوانه: ص٦٩.
(٤) الجن: ١٨.
(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٢٣٨، في تفسير آية (٥٨) من سورة البقرة.

بجمع يقل البلق في حجراته ترى الاكم فيه سجداً للحوافر[١]

كأنه قال: مذللة للحوافر.

والسجود على أربعة اقسام: سجدة الصلاة وسجدة التلاوة وسجدة الشكر وسجدة السهو.

وقوله: «أبى» معناه ترك وامتنع، والاباء والامتناع والترك بمعنى، ونقيض أبى أجاب، يقال:أبى يأبى إباء وتأبّى تأبّياً، قال صاحب العين: أبى يأبى إباء إذا ترك الطاعة ومال الى المعصية، كقوله: «فكذّب وأبى» وكل من ترك أمراً وردّه فقد أباه، ورجل أبي وقوم أبيون وأُباة،قال الشاعر:

أبي الضيم من قوم أُباة[٢]

وليس الاباء بمعنى الكراهة؛ لأن العرب تتمدح بأنها تأبى الضيم ولا تتمدح في كراهة الضيم وانما المدح في المنع منه، كقوله: «ويأبى الله إلّا أن يتم نوره»[٣] أي يمنع الكافرين من اطفاء نوره.

والاستكبار والتكبر والتعظم والتجبر نظائر، وضدّها التواضع، يقال: كبر كبراً، وأكبر اكباراً، واستكبر استكباراً، وتكبر تكبراً، وتكابر تكابراً وكابره مكابرة، وكبّره تكبيراً. قال صاحب العين: الكبر العظمة، والكُبر والكَبر الاثم الكبير جعل اسماً من الكبيرة كالخطيئة والخطىء، وكُبر كل شيء معظمه، والكبر مصدر الكبير في السن من جميع الحيوان؛ فاذا أردت الأمر العظيم قلت: كَبُر هذا الأمر كبارة، والكُبار في معنى الكبير، ويقال: أكبرت الشيء اذا أعظمته[٤]، ومنه قوله: «فلما رأينه أكبرنه»[٥]،

---

(١) تفسير الماوردي: ج١ ص١٠٢، وفيه «تَضِلُّ» بدل «يقل».

(٢) العين: مادة «أبي» ج٨ ص٤١٩.

(٣) التوبة: ٣٢.

(٤) العين: مادة «كبر» ج٥ ص٣٦١.

(٥) يوسف: ٣١.

والتكبير في الصلاة تفعيل من قولهم: الله أكبر.

وأصل الباب الكبر وهو العظم، ويقال على وجهين: كبر الجثة وهو الأصل؛ وذلك لا يجوز عليه تعالى، وكبر الشأن والله تعالى الكبير من كبر الشأن، وذلك يرجع الى سعة مقدوره ومعلومه، وتحقيقه أنه قادر على ما لا يتناهى من جميع الاجناس المقدورات، وعالم بكل معلوم.

والاستكبار الأنفة مما لا ينبغي أن يؤنف منه.

الاعراب:

وموضع «إذ» من قوله: «وإذ قلنا» نصب، لأنه عطف على «إذ» الأُولى، كأنه قال: واذ أراد، وقال أبو عبيدة: لا موضع لها من الاعراب لأنها زائدة، وأنشد:

حتى اذا أسلكوهم في قتائدة شلّاً كما تطرد الجمالة الشردا[1]

وقال: المراد واستشهد به على وجهين كل واحد منهما نقيض الآخر، فأحد الوجهين قوله: «حتى اذا جاءوها وفتحت ابوابها»[2] فلم يأت لـ «إذ» جواب. والوجه الآخر فيه على زيادة «إذ» في هذا الموضع، وكلا الوجهين خطأ عنده، لأن الجواب في قوله: قتائدة هو قوله: شلاً بوقوعه موقع شلوهم شلا، كما يقول القائل: إذا أتيت الحرب فضربا وطعنا، وأما الزيادة فقد بيّنا وجه الخطأ فيها فيما تقدّم.

---

(١) مجاز القرآن: ج١ ص٣٧.

(٢) الزمر: ٧٣.

التفسير:

واختلفوا في أمر الملائكة والسجود لآدم على وجهين:

قال قوم: انه امرهم بالسجود له تكرمة وتعظيماً لشأنه[١].

وهو المروي في تفسيرنا واخبارنا[٢] وهو قول قتادة وجماعة من أهل العلم[٣]. واختاره ابن الاخشاد والرماني وجزى ذلك مجرى قوله: «وخروا له سجدا»[٤] في اولاد يعقوب.

ولأجل ذلك جعل اصحابنا هذه الآية دلالة على أن الانبياء أفضل من الملائكة من حيث أمرهم بالسجود له والتعظيم على وجهٍ لم يثبت ذلك لهم بدلالة امتناع ابليس من السجود له وانفته من ذلك، وقوله: «قال أرأيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن اخرتني الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلّا قليلاً»[٥] ولو كان ذلك على وجه كونه قبلة لما كان لذلك وجه، ولا فيه أنفة، ولا يحسن أن يؤمر الفاضل بتعظيم المفضول على نفسه، لأن ذلك سفه به. وسنبين قول من خالف فيه وشبههم.

وقال الجبائي والبلخي وجماعة: أنه جعله قبلة لهم فأمرهم بالسجود الى قبلتهم، وفيه ضرب من التعظيم له[٦]. وهذا ضعيف؛ لأنّه لو كان على وجه

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص١٨١، وأحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٣١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج١ ص٢٦٣ ح٢٢.

(٣) كما نقل ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص١٨١، والجصّاص في أحكام القرآن: ج١ ص٣١.

(٤) يوسف: ١٠٠.

(٥) الإسراء: ٦٢.

(٦) لم نعثر عليه في المصادر المتوفّرة لدينا.

القبلة لما امتنع ابليس من السجود، ولما استعظمته الملائكة، ولكن لما أراد ذلك تعظيما له على وجه ليس بثابت لهم، امتنع ابليس وتكبّر.

واختلفوا في ابليس هل كان من الملائكة أم لا؟ فقال ابن عباس وابن مسعود وابن المسيب وقتادة وابن جريج (١) والطبري(٢): إنه كان منهم بدلالة استثنائه من جملتهم هاهنا في قوله: «إلّا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين» وقال: «ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك» (٣) مع قوله: «واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» وهو المروي عن أبي عبد الله عليه السلام (٤)، والظاهر في تفاسيرنا.

ثم اختلف من قال: إنه كان منهم، فمنهم من قال: إنه كان خازناً على الجنان(٥)، ومنهم من قال: كان له سلطان سماء الدنيا وسلطان الأرض(٦)، ومنهم من قال: إنه كان يسوس ما بين السماء الى الأرض(٧).

وقال الحسن البصري وقتادة في رواية ابن زيد والبلخي والرماني وغيره من المتأخرين: انه لم يكن من الملائكة(٨) وان الاستثناء في الآية استثناء منقطع، كقوله تعالى: «ما لهم به من علم إلّا اتباع الظن»(٩) وقوله:

---

(١) حكى ذلك عنهم الطبري في تفسيره: ج١ ص١٧٨، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٠٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص١٨٠.

(٣) الأعراف: ١٢.

(٤) تفسير القمي: ج١ ص٣٥.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٨، وتفسير الطبري: ج١ ص١٧٨.

(٦)و(٧) و(٨) تفسير الطبري: ج١ ص١٧٩، وقال الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٨، وأكثر ما جاء في التفسير أن ابليس من غير الملائكة.

(٩) النساء: ١٥٧.

«فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون* إلّا رحمة منا»(١) وكقوله: «لا عاصم اليوم من امر الله إلّا من رحم»(٢) وكقول الشاعر ـ وهو النابغة ـ:

وقفت فيها اصيلا كي أُسائلها أعيت جوابا وما بالربع من أحد
إلّا الأواري لأياً ما أُبينها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلد(٣)

وأنشد سيبويه:

والحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح
إلّا الفتى الصبار في النـ ـجدات والفرس الوقاح(٤)

وقال آخر:

وبلدة ليس بها انيس إلّا اليعافير وإلّا العيس (٥)

واستدلّ الرمّاني على أنه لم يكن من الملائكة بأشياء:

منها: قوله: «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» (٦) فنفى عنهم المعصية نفياً عاماً.

والثاني: انه قال: «إلّا إبليس كان من الجن» (٧) ومتى اطلق لفظ الجن لم يجز أن يعنى به إلّا الجنس المعروف المباين لجنس الانس والملائكة.

---

(١) يس: ٤٣، ٤٤.
(٢) هود: ٤٣.
(٣) ديوانه: ١٩.
(٤) الكتاب لسيبويه: ج٢ ص٣٢٤.
(٥) الكتاب لسيبويه: ج٢ ص٣٢٢.
(٦) التحريم: ٦.
(٧) الكهف: ٥٠.

والثالث: ان ابليس له نسل وذرية، قال الحسن[١]: ابليس أبو الجن كما أن آدم ابو الانس، وابليس مخلوق من النار، والملائكة روحانيون خلقوا من الريح في قول أبي علي.

وقال الحسن: خلقوا من النار لا يتناسلون ولا يطعمون ولا يشربون، وقال الله في ابليس وولده: «أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو»[٢].

والرابع: وهو اقوى ما عنده، قوله تعالى: «جاعل الملائكة رسلاً أُولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع»[٣] فعمها بالوصف بالرسالة، ولا يجوز على رسل الله أن يكفروا أو يفسقوا كالرسل من البشر.

والجواب عما ذكره أولاً: إن قوله: «لا يعصون الله ما أمرهم» صفة لخزنة النيران لا جميع الملائكة، يدل على ذلك قوله: «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون»[٤]، وليس إذا كان هؤلاء معصومين وجب ذلك في جميعهم.

والجواب عمّا ذكره ثانياً: ان قوله: «كان من الجن» معناه صار، ذكر ذلك الأخفش وجماعة من أهل اللغة[٥]. وقيل ايضاً: إن ابليس كان من

---

(١) تفسيره: ج١ ص٨٥.

(٢) الكهف: ٥٠.

(٣) فاطر: ١.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٨.

طائفة من الملائكة يسمّون جناً من حيث كانوا خزنة الجنة(١). وقيل: سموا بذلك لاختفائهم عن العيون(٢)، كما قال اعشى قيس بني ثعلبة:

ولو كان شيء خالداً أو معمراً   لكان سليمان البريء من الدهر
براه إلهي واصطفاه عباده   وملكه ما بين ثريا الى مصر
وسخر من جنّ الملائك تسعة   قياماً لديه يعملون بلا أجر(٣)

وقد قال الله تعالى: «وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا»(٤)، لأن قريشاً قالت: الملائكة بنات الله.

والجواب عما ذكره ثالثاً: من أن إبليس له نسل، طريقه الآحاد، ولو كان صحيحاً لم يمنع ان يكون الله ركب فيه شهوة النكاح تغليظاً عليه في التكليف وإن لم يكن ذلك في باقي الملائكة، فلا وجه لاستبعاده.

والجواب عمّا ذكره رابعاً: قوله: «جاعل الملائكة رسلاً أُولي إجنحة» فمعارض بقوله: «الله يصطفي من الملائكة رسلا»(٥) فان كان ظاهر تلك يقتضي العموم فظاهر هذه يقتضي التخصيص، لأن (من) للتبعيض، ولو لم يكن كذلك لجاز لنا أن نخصّ هذا العموم بقوله: «إلّا إبليس» لأنّ حمل الاستثناء على أنه منقطع حمل على المجاز، كما أن تخصيص العموم مجاز، واذا تعارضا سقطا.

---

(١) حكاه الازهري في تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٨، وذكره الطبري أيضاً في تفسيره: ج١ ص١٧٨.
(٢) أُنظر تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٦.
(٣) ملحقات ديوان الأعشى: ص٢٤٣.
(٤) الصافّات: ١٥٨.
(٥) الحج: ٧٥.

فأمّا ما روي عن ابن عباس ان الملائكة كانت تقاتل الجن، فسبي إبليس وكان صغيراً مع الملائكة فتعبّد معها، فلما أُمروا بالسجود لآدم سجدوا إلّا إبليس أبى، فلذلك قال الله تعالى: «إلّا إبليس كان من الجن» [١] فانه خبر واحد لا يصح.

والمعروف عن ابن عباس ما قلناه: أنه كان من الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين.

ومن قال: إن إبليس خلق من نار ومن مارج، والملائكة لم يخلقها من ذلك [٢] فقوله ضعيف، لأنه لا يمنع أن يكون الله تعالى خلق الملائكة اصنافاً: صنفاً من نار، وصنفاً من نور، وصنفاً من غير ذلك، وصنفاً آخر لا من شيء، فاستبعاد ذلك ضعف معرفة.

الاعراب:

و«ابليس» قال الزجاج والرماني وغيرهما من النحويين: إنه ليس بمأخوذ من الابلاس، كقوله «مبلسون» [٣] أي: آيسون من الخير، قالوا: لأنه أعجمي معرب، بدلالة أنه لا ينصرف للعجمة والتعريف [٤]. وقال الطبري: هو مشتق من الابلاس ووزنه افعيل، وأنشد العجاج:

---

(١) روى مضمونه الحاكم في المستدرك: ج٢ ص٢٦١، وأخرجه كذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص١٧٩ عن سعد بن مسعود.

(٢) أُنظر تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٦.

(٣) الانعام: ٤٤.

(٤) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١١٤.

ياصاح هل تعرف رسماً مكرسا قال نعم أعرفه وأبلسا[١]

وقال رؤبة :

وحضرت يوم الخميس الأخماس وفي الوجوه صفرة وابلاس[٢]

يعني اكتئاباً وكسوفاً، وقال: إنما لم يجر استثقالاً من حيث كان اسماً لا نظير له من أسماء العرب فشبّه بأسماء العجم التي لا تنصرف، وزعم أنّ اسحاق لا ينصرف وهو من أسحقه الله اسحاقاً، وأن أيوب من آبَ يؤوب على زنة فعول كقيوم من قام يقوم[٣] .

قال الرماني: غلط في جميع ذلك، لأنها الفاظ أُعربت من العجمية ووافقت الفاظ العربية، وكان ابن السراج يمثل ذلك -على جهة التبعيد- بمن زعم ان الطير ولد الحوت، وغلط أيضاً في قوله انه لا نظير له في اسماء العرب، لأنهم يقولون: إزميل للشفرة[٤]، قال الشاعر:

هم منعوا الشيخ المناجي بعدما رأى حمة الازميل فوق البراجم[٥]

والاعريض الطلع، واحريض صبغ أحمر، وقالوا: هو العصفر، وسيف اصليت ماض كثير الماء، وثوب اضريج مشبع الصبغ، وقالوا: هو من الصفرة خاصة. وسبيل (إبليس) سبيل (انجيل) في انه معرّب غير مشتق .

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «بلس» ج١٢ ص٤٤٢، والصحاح للجوهري: مادة «بلس» ج٣ ص٩٠٩.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «بلس» ج١٢ ص٤٤٢، وجمهرة اللغة: مادة «ب س ل» ج١ ص٢٨٨.

(٣) راجع تفسير الطبري: ج١ ص١٨٠.

(٤) مؤلّفاته غير متوفّرة لدينا.

(٥) لم نعرف قائله.

المعنى:

وحدّ الاستكبار الرفع للنفس الى منزلة لا تستحق.

قوله: «وكان من الكافرين» قال قوم: يدل على أنه كان قبله قوم كفّار من الجن[١]. وقال آخرون: لا يدل، ويجري ذلك مجرى قول القائل: كان آدم من الانس، ولم يكن قبله انسي، وكان إبليس من الجن ولم يكن قبله جني، ومعناه: صار من الكافرين[٢].

ومن قال: ان ابليس كان من جملة الملائكة، قال: كان من جملة المأمورين بالسجود لآدم، بدلالة قوله: «ما منعك ألّا تسجد إذ أمرتك»[٣]، ولأنه استثناه من جملتهم ولم يكن منهم، علماً انه كان من جملة المأمورين، كقول القائل: أُمر أهل البصرة بدخول الجامع فدخلوا إلّا رجلاً من أهل الكوفة؛ فانه يعلم بهذا ان غير أهل البصرة كان مأموراً بدخول الجامع، غير انّ أهل البصرة كانوا أكثر فلذلك خصّوا بالذكر، وكذلك القول في الآية.

ومن استدلّ بهذه الآية على أن أفعال الجوارح من الايمان من حيث لو لم يكن كذلك لوجب ان يكون ابليس مؤمناً بما معه من المعرفة بالله وان فسق بابائه، فقد أبعد؛ لأنّ المخالف يقول: اذا علمت كفره بالاجماع علمت انه لم يكن معه إيمان اصلاً، كما اذا رأيت انه يصلي للشمس علمت ان معه كفراً، وان كانت صلاته للشمس ليست كفراً.

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص١٨١.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «جن» ج١٠ ص٤٩٨ نقلاً عن أبي إسحاق وغيره.

(٣) الأعراف: ١٢.

فان قيل: اذا كانت «إذ» لما مضى فما معنى قوله: «واذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأُمي إلهين من دون الله»؟[١] وكيف قال: «واذ يتحاجّون في النار»؟[٢] قيل: معنى ذلك كلّه على تقدير الاستقبال؛ لأن ما تحقق بمنزلة ما قد كان، كما قال: «ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة»[٣].

قوله تعالى:

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ [آية بلا خلاف].

اللغة:

السكون والثبوت والهدوء نظائر، ومثله الاستقرار والاطمئنان والثبات. والمسكن والمأوى والمثوى بمعنى، تقول: سكن يسكن سكونا إذا لبث في المكان،وسكن إذا سكت، ويقال: سكنت الريح، وسكن المطر، وسكن الغضب. والسكن هم العيال وهم أهل البيت، قال سلامة بن جندل:

ليس بأسفى ولا أقنى ولا سغل ... يسقي دواء قفي السكن مربوب[٤]

والمسكن المنزل، والسكن السكان، والسكنى أن يسكن إنسان منزلاً بلا كراء، والسكينة الوداعة والوقار، والسكنى الرحمة والبركة، كقوله: «إن

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) غافر: ٤٧.

(٣) الأعراف: ٥٠.

(٤) لم نعثر عليه.

صلاتك سكن لهم»(١) والمسكين الذي لا شيء له -عند أبي عبيدة-، والفقير الذي له شيء وان كان قليلاً(٢)، قال الشاعر:

أما الفقير الذي كانت حلوبته وفق العيال فلم يترك له سبد(٣)

وقوله تعالى؛ «اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر»(٤) قال ابو حاتم(٥): -أحسنه- أنهم كانوا شركاء في سفينة لا يملكون سواها، فهذا يخالف أبا عبيدة، وسكان السفينة معروف عربي اشتقاقه من انها تسكن به عن الحركة والاضطراب.

ومعنى: «اسكن أنت وزوجك الجنة» اجعله مأوى تأوي فيه وتسكن اليه، وقد اعظم الله النعمة على آدم بما اختصه من علمه، وأسجد له ملائكته، واسكنه جنته، وتلك نعمة على ولده، فالزمهم الشكر عليها والقيام بحقها.

والجنّة التي اسكن فيها آدم، قال قوم: هي بستان من بساتين الدنيا؛ لأن جنة الخلد لا يصل اليها إبليس ووسوسته، واستدل البلخي على أنها لم تكن جنة الخلد بقوله تعالى حكاية عن ابليس لما أغوى آدم، قال له: «هل

---

(١) التوبة: ١٠٣.

(٢) نقله ابن السكيت في تهذيب الالفاظ: ص١٥ عن يونس.

(٣) البيت للراعي، انظر تهذيب اللغة: مادة «فقر» ج٩ ص١١٤، ومقاييس اللغة: مادة «فقر» ج٤ ص٤٤٤، وتهذيب الألفاظ (لابن السكيت): ص١٥.

(٤) الكهف: ٧٩.

(٥) هو سهل بن محمّد بن عثمان الجشمي السجستاني وكان عالماً باللغة، كثير التآليف فيها، توفي في البصرة سنة ٢٤٨هـ.
(الأنساب للسمعاني: ج٣ ص٢٢٥، الفهرست: ص٦٤).

أدلّك على شجرة الخلد»[١] فلو كانت جنة الخلد لكان عالماً بها، فلم يحتج الى دلالة .

وقال الحسن البصري وعمرو بن عبيد[٢] وواصل بن عطاء[٣] واكثر المعتزلة كأبي علي والرماني وابي بكر بن الاخشاد وعليه اكثر المفسرين: انها كانت جنة الخلد؛ لأن الألف واللام للتعريف وصار كالعلم عليها، قالوا: ويجوز ان يكون وسوسة ابليس من خارج الجنة، فيسمعان خطابه ويفهمان كلامه، قالوا: وقول من يقول: ان جنة الخلد من يدخلها لا يخرج منها، لا يصح؛ لأن معنى ذلك إذا استقر اهل الجنة في الجنة للثواب، وأهل النار فيها للعقاب لا يخرجون منها، واما قبل ذلك فانها تفنىٰ لقوله تعالى: «كل شيء هالك إلّا وجهه»[٤] .

---

(١) طه: ١٢٠.

(٢) وهو أبوعثمان بن عبيد بن باب، مولىٰ بني العدوية من بني تميم، كان صديقاً لأبي جعفر المنصور، وله مع هشام بن الحكم رضوان الله عليه مناظرة مشهورة في مسجد البصرة نقلتها كتب الحديث والرجال وهشام حينذاك شاب وكان من أصحاب الامام الصادق عليه السلام، الكافي: ج١ ص١٦٩، ولعمرو بن عبيد كتباً في التفسير والعدل والتوحيد وغيرها، مات في طريق مكة من البصرة سنة ١٤٤ هـ .
(الفهرست لابن النديم: ص٢٠٣).

(٣) وهو أبو حذيفة واصل بن عطاء الغزّال من موالي بني ضبّة، رأس المعتزلة، سُمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري ومنهم طائفة تنسب اليه، تسمىٰ «الواصلية» وهو الذي نشر مذهب «الاعتزال» في الآفاق، له تصانيف، منها «أصناف المرجئة» و«المنزلة بين المنزلتين» و«معاني القرآن» وغيرها، مات سنة ١٣١ هـ .
(الفهرست لابن النديم: ص٢٠٢، والأعلام: ج٨ ص١٠٨)

(٤) القصص: ٨٨.

«وزوجك الجنـة» الزوج بطرح الهاء، قال الأصمعي[١]: هو أكثر كلام العرب. وقال الكسائي: اكثر كلام العرب بالهاء، وطرح الهاء لغة لأزد شنوءة، ولفظ القرآن لم يجيء إلّا بطرح الهاء. وقال المبرد[٢]: الوجه طرح الهاء من الزوجة وأنشد:

وأراكم لدى المحاماة عندي مثل صوت الرجال للازواج[٣]

جمع زوج، ولا يجوز أن يكون جمع زوجة. وقال الرماني: قول الاصمعي أجود، لأن لفظ القرآن عليه، والعلة في ذلك انه لما كانت الاضافة تلزم الاسم في اكثر الكلام كانت مبيّنة له، وكانت بطرح الهاء افصح وأخف، مع الاستغناء[٤] بدلالة الاضافة عن دلالة هاء التأنيث[٥] .

وقوله تعالى: «وكلا» فالأكل والمضغ واللقم متقاربة، وضدّ الأكل الازم. وسأل عمر بن خطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب، فقال له:

---

(١) وهو أبو سعيد عبد الملك بن قريب، المعروف بالأصمعي الباهلي كان الأصمعي صاحب لغة ونحو، وعالم بالاخبار والنوادر والغرائب له من التصانيف كتاب «خلق الانسان» و« الأجناس» وكتاب «الخيل» وله في الشعر والأراجيز والنوادر وغيرها، مات بالبصرة سنة ٢١٦ هـ.

(وفيات الاعيان: ج٢ ص٣٤٤، والاعلام: ج٤ ص١٦٢)

(٢) وهو أبو العباس محمّد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي الثمالي البصري المعروف بالمبرّد النحوي، عالماً بالنحو واللغة، وله من التآليف «الكامل في اللغة والادب» و«الروضة»، أخذ الأدب عن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني، توفي سنة ٢٨٠هـ.

(وفيات الأعيان: ج٣ ص٤١)

(٣) لم نهتد لقائله.

(٤) كذا في المطبوعة، وفي الخطّية «الاستثناء» وهو تصحيف.

(٥) مؤلفات الرّماني غير متوفرة لدينا.

يا حار ما الدواء؟ فقال: الازم، أي ترك الأكل. والأكلة مرة، والأُكلة اسم كاللقمة، والاكولة الشاة والغنم التي ترعى للأكل لا للنسل، والأُكال أن يتأكل عود أو شيء، وأكيل الرجل مواكله، واكيل الذئب الشاة وغيرها إذا أردت معنى المأكولة، وإذا أردت به إسماً قلت: اكيلة ذئب، والمأكلة ما جعل للانسان لا يحاسب عليه، ورجل وامرأة أكول كثير الأكل، والمأكل كالمطعم والمشرب، والمأكل المطعم. وأصل الباب الأكل وهو المضغ لذي الطعم. ويقال لذي اللذّة الذي يشترك الحيوان كله فيه سوى الملائكة: المأكل والمنكح والمشرب[١] .

و«الرغد» النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء. وقال صاحب العين: عيش رغد ورغيد رفيه، وقوم رغد ونساء رغد[٢]، قال امرؤ القيس بن حجر[٣] :

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج١ ص٤٦.

(٢) العين: مادة «رغد» ج٤ ص٣٩٢.

(٣) وهو سليمان بن حجر الكندي والغالب عليه لقبه «امرؤ القيس» أشعر شعراء الجاهلية وأشرفهم أصلاً، يتصل نسبه بملوك كندة من أهل نجد، يقال:ان أباه كان ملك بني اسد فعسفهم عسفاً شديداً، فتمالؤا عليه وقتلوه، وقد كان طرد ابنه إمرأ القيس لتشبيبه في النساء في شعره وتنقله في أحياء العرب يستتبع صعاليكهم وذؤبانهم، وله وقائع كثيرة مات على الجاهلية بجبل عسيب، ودفن بأنقرة.

وقد سمّاه النبي صلّى الله عليه وآله وسلم الملك الضلّيل، وروىٰ الخطيب البغدادي في تاريخه إنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلم، قال: ان إمرأ القيس قائد الشعراء الى النار.

أشهر شعره معلّقته التي يتصدّرها:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزلِ بسقطِ اللوى بينَ الدخولِ فحَوملِ

وحكي انه اتصل بقيصر ومدحه فوشى به احد بني اسد، وقال لقيصر: ان إمرأ القيس ←

بينما المرء تراه ناعماً   يأمن الأحداث في عيش رغد[١]

والرغيدة الزبدة في بعض اللغات، وأرغد الرجل ماشيته إذا تركها وسومها.

والمشيئة والارادة بمعنى واحد، وكذلك المحبة والاختيار وان كان لها شروط ذكرناها في الأُصول[٢].

«ولا تقربا» القرب والدنو والمجاورة متقاربة المعنى، وضد القرب البعد، يقال: قرب يقرب قرباً واقترب اقتراباً. قال صاحب العين: القرب طلب الماء، يقال: قرب الماء يقرب وقد قربه قرباً إذا طلبه ليلا ولا يقال لطالب الماء نهاراً: قارب، والقراب للسيف والسكين، والفعل منه قربت قراباً، وقيل: قربتَ أقرابا، والقربان ما تقربت به الى الله تعالى، وقربان الملكِ وقرابينه وزراؤه، والقربى حق ذي القرابة، وقرب فلان اهله اذا غشيها قربانا، وما قربت هذا الأمر ولا فلاناً قرباناً وقربى[٣].

و«الشجرة» كل ما قام على ساق من النبات، وهو اسم يعمّ النخلة والكرمة وغيرهما، وما لم يقم على ساق لا يسمى شجراً كالبقل والحشيش. واما اليقطين كالقرع والبطيخ فقد سمي شجراً، قال الله تعالى: «وانبتنا عليه شجرة من يقطين»[٤]، قال صاحب العين: الشجرة واحدة تجمع على

شتمك، فصدّقه قيصر وألبسه حُلّة مسمومة قتلته، وذلك بين سنة ٥٣٠ و٥٤٠ م.
(الكنى والألقاب: ج٢ ص٥٦، الشعر والشعراء: ص٣٧).

(١) لم نجد البيت في ديوانه المطبوع، ونقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٨٣.

(٢) راجع تمهيد الاصول في علم الكلام: فصل في كونه تعالى مريداً ص٤٩.

(٣) العين: مادة «قرب» ج٥ ص١٥٢.

(٤) الصافات: ١٤٦.

الشجر والشجرات والأشجار[١] .

واختلفوا في الشجرة التي نهى الله آدم عنها، فقال ابن عباس: هي السنبلة[٢]. وقال ابن مسعود والسدي وجعفر بن زهير: هي الكرمة[٣]. وقال ابن جريج: هي التينة[٤]، وروي عن علي عليه السلام انه قال: شجرة الكافور[٥]. وقال الكلبي: شجرة العلم على الخير والشر. وقال ابن جدعان[٦]: هي شجرة الخلد التي كان يأكل منها الملائكة[٧]. والأقاويل الثلاثة الاولة اقرب.

«فتكونا من الظالمين» الظلم والجور والعدوان متقاربة، وضد الظلم الانصاف، وضد الجور العدل، واصل الظلم انتقاص الحق لقوله تعالى: «كلتا الجنتين أتت اكلها ولم تظلم منه شيئاً»[٨] أي لم تنقص. وقيل:

---

(١) العين: مادة «شجر» ج٦ ص٣١.

(٢) رواه ابن عيينه عن ابن عبّاس، تفسير سفيان بن عيينه: ص٢٠٦.

(٣) نقل اقوالهم الطبري في تفسيره: ج١ ص١٨٤، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٠٥.

(٤) حكاه القاضي في تنزيه القرآن: ص٢٣،ونقله الطبري في التفسير: ج١ ص١٨٤.

(٥) نقله البغوي في تفسيره: ج١ ص٣٤.

(٦) وهو أبو الحسن علي بن زيد بن جدعان ـ بالدال المهملة ـ التيمي أصله من مكة، ولد وهو لا يُبصر، أحتجوا بأن رواياته ضعيفة لا يحتج بها ومع ذلك فقد أخذوا برواياته، قال عنه أبو حاتم: ليس بقوي وكان يتشيع، وقال الترمذي: صدوق، وقال ابن عدي: لم أرَ أحداً من البصريين وغيرهم.امتنع من الرواية عنه وكان يغلو في التشيّع، ومع ضعفه يُكتب حديثه،توفي سنة ١٢٩هـ.

(تهذيب التهذيب: ج٧ ص٣٢٤).

(٧) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٠٥، ولم ينسبه الى أحد.

(٨) الكهف: ٣٣.

أصله وضع الشيء في غير موضعه من قولهم: من أشبه أباه فما ظلم، أي فما وضع الشبه في غير موضعه(١) وكلاهما مطرد.

وعلى الوجهين فالظلم اسم ذم، ولا يجوز أن يطلق إلّا على مستحق اللعن، لقوله: «ألا لعنة الله على الظالمين»(٢) ولا يجوز اطلاقه على انبياء الله تعالى ولا الأئمة المعصومين. وظالم ومسيء وجائر اسماء ذم وهو فاعل لما يستحقّ به الذم من الضرر، وضدّها عادل ومنصف ومحسن وهي من صفات المدح. ويقول المعتزلة لصاحب الصغيرة: ظالم لنفسه. ومن نفى الصغيرة عن الانبياء من الامامية قال: يجوز أن يقال: ظالم لنفسه اذا بخسها الثواب، كقوله: «ظلمت نفسي»(٣)، وقوله: «إني كنت من الظالمين»(٤) حكاية عن يونُس من حيث بخس نفسه الثواب بترك المندوب اليه.

والظلم هو الضرر المحض الذي لا نفع فيه وعليه عاجلاً ولا آجلا، ولا فيه دفع ضرر اعظم منه ولا هو واقع على وجه المدافعة، ولا هو مستحق، فما هذه صفته يستحقّ به الذمّ اذا وقع من مختار عالم أو متمكن من العلم به.

وروي ان الله تعالى ألقى على آدم النوم وأخذ منه ضلعاً فخلق منه حواء(٥). وليس يمتنع أن يخلق الله حواء من جملة جسد آدم بعد أن

(١) نقله عن الأصمعي في تهذيب اللغة: مادة «ظلم» ج١٤ ص٣٨٣.
(٢) هود: ١٨.
(٣) القصص: ١٦.
(٤) الانبياء: ٨٧.
(٥) تفسير العياشي: ج١ ص٢١٥، وتفسير الطبري: ج١ ص١٨٢، وتفسير الماوردي: ج١ص١٠٤.

لا يكونْ جزء، أو مما لا يتم كون الحي حياً إلّا معه؛ لأن ما هذه صفته لا يجوز أن ينقل الى غيره أو يخلق منه حي آخر، من حيث يؤدي الى أن لا يصل الثواب الى مستحقه، لأن المستحق لذلك الجملة بأجمعها، وهذا قول الرماني وغيره من المفسرين ولذلك قيل للمرأة: ضلع أعوج.

وقيل: سميت امرأة لأنها خلقت من المرء، فأما تسميتها حواء لما أُدخل آدم الجنة وأُخرج منها إبليس ولعن وطرد فاستوحش، فخلقت ليسكن اليها، فقالت له الملائكة تجربة لعلمه: ما اسمها؟ قال: حواء، قالوا: لم سمّيت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حي[١].

وقال ابن اسحاق[٢]: خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة، ثم دخلا جميعاً الجنة لقوله تعالى: «ياآدم اسكن أنت وزوجك الجنة» التي كان فيها آدم في السماء، لأنه أهبطهما منها[٣]. وقال ابومسلم محمد بن يحيى: هي في الأرض، لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهاهما عنها، دون غيرها من الثمار[٤].

و«حيث» مبنية على الضم كما تبنى الغاية نحو: من قبلُ ومن بعدُ؛ لأنه منع من الاضافة كما منعت الغاية من الاضافة الى مفرد.

---

(١) رواه بتمامه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٨٢، وقسم منه في علل الشرائع: ص١٦.

(٢) وهو أبو بكر محمد بن اسحاق بن يسار المدني صاحب المغازي والسير، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الامام الصادق عليه السلام وورد مدحه في كلمات علماء العامة فعن مختصر الذهبي: انه كان صدوقاً من بحور العلم، وعن الشافعي: من أراد ان يتبحر في المغازي فهو عيال محمد بن اسحاق الى غير ذلك، توفي ببغداد سنة ١٥١ هـ، ودفن في مقبرة الخيزران.

(الكنى والألقاب: ج١ ص٢١١، الوافي بالوفيّات: ج٢ ص١٨٨).

(٣) نقله عنه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٨٢، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٠٤.

(٤) لم نعثر عليه.

وقوله: «ولا تقربا هذه الشجرة» صيغته صيغة النهي والمراد به الندب عندنا؛ لأنّه دل الدليل على أن النهي لا يكون نهياً إلّا بكراهته المنهيّ عنه، والله تعالى لا يكره إلّا القبيح، والانبياء لا يجوز عليهم القبائح صغيرها ولا كبيرها.

وقالت المعتزلة: إن تلك كانت صغيرة من آدم على اختلافهم في انه كان منه عمداً أو سهواً أو تأويلاً.

وانما قلنا لا يجوز عليهم القبائح؛ لأنها لو جازت عليهم لوجب أن يستحقّوا بها ذماً وعقاباً ولعنةً وبراءةً؛ لأنّ المعاصي كلها كبائر عندنا، والاحباط باطل، ولو جاز ذلك لنفر عن قبول قولهم، وذلك لا يجوز عليهم كما لا يجوز كلّ منفّر عنهم من الكبائر والخلق المشوهة والأخلاق المنفّرة.

ولا خلاف أن النهي يتناول الأكل دون القرب، كأنه قال: لا تقربا بالأكل لأنه لا خلاف أن المخالفة وقعت بالأكل لا بالدنو منها، ولذلك قال: «فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما» (١).

الإعراب:

وقوله: «فتكونا» يحتمل أن يكون جواباً للنهي فيكون موضعه نصباً. وهو الأقوى، ويحتمل أن يكون عطفاً على النهي فيكون موضعه جزماً. وكلاهما جيد محتمل. ومتى كان جواباً كان تقديره: إن قربتما كنتما من الظالمين، لأنه يتضمن معنى الجواب واذا كان عطفاً على النهي فكأنه قال: لا تكونا من الظالمين.

---

(١) طه: ١٢١.

التفسير:

واجاز البصريون من أهل العدل أن يبتدىء الله الخلق في الجنة فينعّمهم فيها تفضلا منه لا على وجه الثواب، لأن ذلك نعمة منه تعالى، كما أن خلقهم وتكليفهم وتعريضهم للثواب نعمة منه وله أن يفعل ما يشاء من ذلك. وقال ابو القاسم البلخي: لا يجوز خلقهم في الجنة ابتداء، لأنه لو جاز ذلك لما خلقهم في دار المحنة، ولما ابتلى من يعلم أنه يكفر ويصير الى عذابه.

وانما لم يجز أن يخلقهم ابتداء في الجنة؛ لأنه لو خلقهم فيها لم يخل إما أن يكونوا متعبدين بالمعرفة لله والشكر أو لا يكونوا كذلك، فلو كانوا غير متعبّدين كانوا مهملين وذلك لا يجوز، ولو كانوا متعبدين لم يكن بدّ من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد ولو كانوا كذلك كانوا على ما هم عليه في دار الدنيا وكان لابد من دار أُخرى يجازون فيها ويخلدون.

وأجاب عن ذلك الأولون؛ بان قالوا: لو ابتدأ خلقهم في الجنة لاضطرّهم الى معرفته، وألجأهم الى فعل الحسن وترك القبيح، ومتى راموا القبيح منعوا منه، فلا يؤدي ذلك الى ما قاله، كالحور العين والاطفال والبهائم اذا حشرهم يوم القيامة.

* * *

قوله تعالىٰ:

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ حمزة وحده «وأزالهما» بألف وتخفيف اللام، الباقون بتشديد اللام وحذف الألف[1].

اللغة:

الزلة والمعصية والخطيئة والسيئة بمعنى واحد،وضد الخطيئة الاصابة. ويقال: زل زلة وأزله إزلالا واستزله استزلالا. وقال صاحب العين: زل السهم عن النزع زليلا وزل فلان عن الصخر زليلا، فاذا زلت قدمه قلت: زل زلاً، فاذا زل في مقالةٍ أو خطبةٍ قلت: زل زلةً[2] قال الشاعر:

هلا على غير جعلت الزله[3]

وأزله الشيطان عن الحق إذ أزاله، والمزلة المكان الدحض، والمزلّة الزلل في الدحض، والزلل مثل الزلة في الخطأ، والازلال الأنعام. وفي الحديث: «من أزلت إليه نعمة فليشكرها»[4] بمعنى أُسديت، قال كثير[5]:

---

(١) التيسير في القراءات السبع: ص٧٣ وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٥٣.

(٢) العين: مادة «زل» ج٧ ص٣٤٨.

(٣) نقله الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «زل» ج١٣ ص١٦٤ من انشاد الليث، وتمامه:

هلا على غيري جعلت الزّله   فسوف أعلوا بالحسام القُلّه

(٤) رواه البيهقي في شعب الايمان: ج٦ ص١٥٦ ح٩١١٥، والنهاية لابن الاثير: ج٢ ص٣١٠.

(٥) وهو أبو صخر كثير بن عبد الرحمان بن الأسود، المشهور بكثير عزة، وهو من فحول شعراء ←

وإني وإن صدت لمثنٍ وصادق عليها بما كانت إلينا أزلت[(١)]

ويقال: أزللت الى فلان نعمة، فأنا أزلها إزلالا. فالأصل في ذلك الزوال. والزلة زوال عن الحق.

ومعنى: «أزلهما» نحاهما من قولك: زلت عن المكان اذا تنحّيت منه.

والوجه ما عليه القراء لأن هذا يؤدي الى التكرار، لأنه قال بعد ذلك: «فأخرجهما» فيصير تقدير الكلام: فأخرجهما الشيطان عنها فأخَرجهما، وذلك لا يجوز. ويحسن أن يقول: استزلهما فأخرجهما.

ومن قرأ: «أزالهما» أراد المقابلة بين قوله: «أزلّهما» وبين قوله: «اسكن»، لأن معناه: اسكن واثبت أنت وزوجك، وتقديره: اثبتا، فأراد أن يقابل ذلك فقال: «فأزالهما» فقابل الزوال بالثبات.

وإنما نسب الازلال والاخراج إلى الشيطان لما وقع ذلك بدعائه ووسوسته وإغوائه.

ولم يكن إخراجهما من الجنة على وجه العقوبة، لأنّا قد بينا أن الأنبياء لا يجوز عليهم القبائح على حال، ومن أجاز عليهم العقاب فقد أعظم الفرية

الاسلام، وجعله ابن سلام في طبقات الشعراء في الطبقة الأُولى منهم، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والرّاعي، وقال عنه: اشعر أهل الأسلام، كان شيعياً امامياً، قال عنه الاصفهاني في الأغاني: وكان غالياً في التشيّع ويقول بالرجعة، وقال عنه ابن قتيبة في الشعر والشعراء: وكان رافضياً، والمشهور عنه في كتب التواريخ انه نظر رجل الى كثير راكباً والامام الباقر عليه السلام يمشي الى جنبه، فقال له: اتركب وابو جعفر يمشي؟ فقال: هو أمرني بذلك، وانا بطاعته في الركوب أفضل مني في عصياني إياه بالمشي.

توفي رضوان الله علي سنة ١٠٥هـ وحضر تشييعه الامام الباقر عليه السلام.

(طبقات الشعراء: ص١٦، الشعر والشعراء: ص٣١٦، الأغاني: ج٩ ص٤)

(١) ديوانه: ص٥٧.

وقبح الذكر على الأنبياء. وإنما أخرجهم من الجنة لأنه تغيرت المصلحة لما تناول من الشجرة، واقتضى التدبير والحكمة تكليفه في الأرض وسلبه ما ألبسه الله تعالى من لباس الجنة.

وقال قوم: إن إلباس الله له ثياب الجنة كان تفضّلاً[1]. وللمتفضل أن يمنع ذلك تشديداً للمحنة، كما يفقر بعد الغنى، ويميت بعد الاحياء، ويسقم بعد الصحة.

فان قيل: كيف وصل إبليس الى آدم حتى أغواه ووسوس اليه، وآدم كان في الجنة، وابليس قد أخرج منها حين تأبى من السجود ؟

قيل: عن ذلك أجوبة:

أحدها: إن آدم كان يخرج الى باب الجنة وابليس لم يكن ممنوعاً من الدنو منه، وكان يكلمه ويغويه.

و[الثاني]: قال آخرون: انه كلّمهما من الأرض بكلام فهماه منه وعرفاه.

والثالث: قال قوم: إنه دخل في فقم الحية، وخاطبها من فقمها[2]. والفقم: جانب الشدق.

والرابع: قال قوم: راسلهما بالخطاب. وظاهر الكلام يدل على أنه شافههما بالخطاب.

والخامس: وقال قوم: يجوز أن يكون قرب من السماء فكلّمهما.

فأما ما روي عن سعيد بن المسيب: أنه كان يحلف ولا يستثني أن آدم

---

(١) في النسخة الخطية «تفضيلاً» والصحيح ما أثبتناه.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٨٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

ما أكلْ من الشجرة وهو يعقل لكن حواء سقته الخمر حتى إذا سكر، قادته اليها فأكل[١] فانه خبر ضعيف .

وعند اصحابنا إن الخمرة كانت محرمة في سائر الشرائع، ومن لم يقل ذلك ، يقول: لو كان كذلك ، لما توجه العتب على آدم ولا كان عاصياً بذلك ، والأمر بخلاف ذلك ؛ وانما قلنا ذلك لأن النائم غير مكلف في حال نومه لزوال عقله، وكذلك المغمى عليه وكذلك السكران. وانما يؤاخذ السكران بما يفعله في شرعنا، لما ثبت تحريم ما يتناوله اسم السكر، والا فحكمه حكم النائم عقلاً. وقد قلنا: إن أكلهما من الشجرة كان على وجه الندب دون أن يكون ذلك محظوراً عليهما، لكن لما خالفا في ترك المندوب اليه تغيّرت المصلحة واقتضت إخراجهما من الجنة. وقد دللنا على ذلك في ما مضى .

وقال قوم: تعمّد ذلك . وقال قوم آخرون: نهي عن جنس الشجرة، واخطأ[٢]. وقال قوم: إنه تأول النهي الحقيقي، فحمله على الندب وأخطأ. وقد قدمنا ما عندنا فيه .

فان قيل : كيف يكون ذلك ترك الندب مع قوله: «فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه» ؟

قلت: التوبة هي الرجوع، ويجوز أن يرجع تارك الندب عن ذلك ، والعزم على ألّا يعود مثله، فيكون تائباً، ومن قال: وقعت معصيته محبطة

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص١٨٨ .

(٢) نقله السيد المرتضىٰ في تنزيه الانبياء: ص٧ عن أبي علي الجبائي، والقاضي في تنزيه القرآن: ص٢٣.

يقول: انه تاب توبة صحيحة لان بها يخرج عن الاصرار. كما تجدّد التوبة بعد التوبة وان كانت الاُولى اسقطت العقاب.

فإن قيل: كيف يكون ذلك ندباً أو صغيرة وابليس يقول لهما: «ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلّا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين»[1].

قيل: ما قبلا ذلك من إبليس، ولو قبلاه لكانت المعصية أعظم، فلما لم يعاتبهما الله على ترك ذلك دلّ على انهما لم يقبلا. وهذا جواب من يقول: انه كان صغيراً، أو كان ناسياً.

وعلى ما قلناه ـ إن ذلك كان ندباً ـ لا يحتاج الى ذلك، بل نقول: دليل العقل أمننا من وقوع قبيح من آدم والانبياء، فلو كان صريحاً لتركنا ظاهره لقيام الدليل على خلافه. على أنه لا يمنع أن يقاسمهما إنه لمن الناصحين في ترك الندب، وإنما ظاهر النهي تركه يوجب أن يصيرا من الخالدين.

وقوله: «مما كانا فيه» يحتمل أن يكون أراد: من لباسهما حتى بدت لهما سوآتهما. ويحتمل أن يكون من الجنة حتى أُهبطا. ويحتمل أن يكون أراد من الطاعة الى المعصية.

اللغة:

وقوله: «اهبطوا» فالهبوط والنزول والوقوع نظائر. ونقيض الهبوط والنزول الصعود، يقال: هبط يهبط اذا انحدر في هبوط من صعود، والهبوط اسم كالحدور، وهو الموضع الذي يهبط من أعلى الى أسفل، والهبوط

---

(١) الأعراف: ٢٠و٢١.

المصدر، قال ابن دريد: هبطته واهبطته[١] .

والعداوة والبراءة والمباعدة نظائر، وضد العدو الوليّ ، والعدو الحُضر (خفيف) والعدو (ثقيل) يقال في التعدّي وقرئ «فيسبّوا الله عَدْوَاً ـ وعُدُوّاً ـ بغير علم »[٢] ، والعدوان الظلم ، والعدوى طلبك الى والٍ ليعديك على من ظلمك أي ينتقم لك ، والعدو اسم جامع للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث، فاذا جعلته نعتاً قلت: الرجلان عدواك ، والرجال اعداؤك ، والمرأتان عدوتاك ، والنسوة عدواتك . وأصل الباب المجاوزة، يقال: لا يعدونَّك هذا الأمر أي لا يتجاوزنّك .

المعنى :

وقوله: «اهبطوا» انما قال بالجمع، لأنه يحتمل أشياء :

أحدها: أنه خاطب آدم وحواء وابليس فيصلح ذلك ، وان كان ابليس أُهبط من قبلهما، يقال: أخرج جمع من الجيش وان خرجوا متفرقين، اختار هذا الزجاج[٣] .

والثاني: أنه أراد آدم وحواء والحية .

والثالث: آدم وحواء وذريتهما .

والرابع: قال الحسن: إنه أراد آدم وحواء والوسوسة[٤] .

وظاهر القول وان كان أمراً فالمراد به التهديد، كما قال: «اعملوا ما

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «هبط» ج١ ص٣١١.

(٢) الانعام: ١٠٨، ونقل القراءتين الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «عدا» ج٣ ص١٠٨.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص١١٥.

(٤) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٠٧، ولم ينسبه الى أحد.

شئتم»(١) .

وقوله: «مستقر» قرار لقوله: «جعل لكم الأرض قراراً»(٢)، وقيل: مستقر في القبور(٣). والأول أقوى وأحسن .

اللغة:

والقرار الثبات،والبقاء مثله، وضد القرار الانزعاج، وضد الثبات الزوال، وضد البقاء الفناء، ويقال: قرَّ قراراً، والاستقرار الكون أكثر من وقتٍ واحد على حال . والمستقرّ يحتمل أن يكون بمعنى الاستقرار، ويحتملَ أن يكون بمعنى المكان الذي يستقرُّ فيه .

وقوله: «ومتاع الى حين» والمتاع والتمتع والتلذذ والمتعة متقاربة المعنى وضدّها التألم، يقال: أمتعه به إمتاعاً، وتمتّع تمتعاً، واستمتع استمتاعاً، ومتعه تمتيعاً، ومتع النهار متوعاً وذلك قبل الزوال، والمتاع من أمتعة البيت ما يتمتع به الانسان من حوائجه، وكل شيء تمتعت به فهو متاع، ومنه متعة النكاح، ومتعة المطلقة، ومتعة الحج .

وقوله: «إلى حين» فالحين والمدة والزمان متقاربة. والحين الهلاك ، حان يحين، وكل شيء لم يوفّق للرشاد فقد حان حينا، والحين الوقت من الزمان وجمعه أحيان، وجمع الجمع أحايين، ويقال: حان يحين حينونةً، وحيّنت الشيء جعلت له حيناً، وحينئذ تبعيد لقولك:الآن، فاذا باعدوا بين الوقتين باعدوا بـ«إذ » فقالوا: حينئذٍ، والحين يوم القيامة. وأصل

---

(١) فصّلت: ٤٠.

(٢) غافر: ٦٤.

(٣) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص١٩٢.

الباب الوقت، والحين وقت الهلاك، ثم كثر فسمي الهلاك به، والحين الوقت الطويل.

المعنى:

وقيل: الـ«حين» في الآية يعني الموت[١]. وقيل: إلى يوم القيامة[٢]. وقيل: إلى أجل[٣]. وقال ابن السراج: إذا قيل: «ولكم في الأرض مستقر ومتاع» لظن أنه غير منقطع، فقال: «إلى حين» انقطاعه، والفرق بين قول القائل: هذا لك حيناً وبين قوله: إلى حين؛ أن (إلى) تدل على الانتهاء، ولابد أن يكون له ابتداء وليس كذلك الوجه الآخر.

معنى قوله: «بعضكم لبعضٍ عدوٌّ» قال الحسن: يعني بني آدم وبني إبليس[٤]. وليس ذلك بأمرٍ على الحقيقة بل هو تحذير؛ لأن الله لا يأمر بالعداوة، وفي الآية دلالة على أن الله تعالى لا يريد المعصية، ولا يصدُّ أحداً عن طاعته، ولا يخرجه عنها، ولا تنسب المعصية إليه؛ لأنه نسب ذلك إلى الشيطان، وهو يتعالى عما عاب به الأبالسة والشياطين.

* * *

---

(١) تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص٢٢٤.

(٢) تفسير القمي: ج١ ص٤٣، والعين: مادة «حين» ج٣ ص٣٠٤، وكذا ذكره الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١١٦، والأزهري في تهذيب اللغة: مادة «حان» ج٥ ص٢٥٥.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٩٢، والزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١١٦.

(٤) تفسير الماوردي: ج١ ص١٠٨.

قوله تعالى:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ آية .

القراءة:

قرأ ابن كثير «آدم» بنصب الميم، «كلمات» برفع التاء[١] .

اللغة والمعنىٰ والاعراب:

يقال: لقي زيد خيراً فيتعدى الفعل الى مفعول واحد، ومنه قوله: «فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب»[٢]، وقوله: «إذا لقيتم فئةً فاثبتوا»[٣] و«لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً»[٤] فاذا ضعفت العين تعدى إلى مفعولين، تقول: لقّيت زيداً خيراً، قال الله تعالى: «ولقّاهم نضرةً وسروراً»[٥]، وتقول: لقّيت بعض متاعك على بعض؛ فتعدّيه إلى مفعول واحد لأنه بناء مفرد لا لأنه منقول ليتعدى إلى مفعولين، وتقول: لقيته لقية واحدة في التلاقي واللقيان، ولقيته لقاءً ولقياناً ولقاةً. وقوله: «تحيتهم يوم يلقونه سلام»[٦] معناه يلقون ثوابه بخلاف قوله: «يلقون غيا»[٧] .

---

(١) التيسير في القراءات السبع: ص٧٣، وكتاب السبعة في القراءات: ص١٥٣، والحُجّة في القراءات السبع: ج٢ ص١٨.

(٢) محمد: ٤.

(٣) الانفال: ٤٥.

(٤) الكهف: ٦٢.

(٥) الدهر: ١١.

(٦) الاحزاب: ٤٤.

(٧) مريم: ٥٩.

ومعنى «تلقى آدم من ربه كلمات» تعلّمها، يقال: تلقيت هذا من فلان أي قبله فهمي من لفظه،قال أبو عبيدة[١]:قال أبو مهدية[٢]:وتلا عليه الآية قال: تلقيتها من عمّي تلقاها من أبي هريرة[٣]تلقاها من رسول الله صلّى

---

(١) أبو عبيدة معمر بن مثنى البصري النحوي اللغوي، كان متبحراً في علم اللغة وايام العرب واخبارها، ويحكى انه يقول: ما التقى فرسان في جاهلية واسلام الّا عرفتها وعرفت فارسها، وهو أول من صنّف غريب الحديث، وكان أبو نؤاس الشاعر يتعلّم منه، كان يرىٰ رأي الخوارج، مات سنة ٢٠٩ هـ وقد بلغ نحواً من مائة، ولم يحضر جنازته أحد من الناس بالمصلّى حتّى اكتُريَ لها من يحملها ولم يكن يسلّم عليه شريف ولا وضيع إلّا تكلّم فيه .

(الكنى والالقاب: ج١ ص١١٩، والفهرست لابن النديم: ص٥٨)

(٢) أبو مهدية: أعرابي صاحب غريب، يروي عنه البصريون، وكان تهيج به المرّة في كل سنة مدّة مديدة، ولا مصنّف له .

(الفهرست لابن النديم: ص٥٢).

(٣) أبو هريرة: عبد الرحمان بن صخر، اختلف في اسمه على نيف وثلاثين قولاً على ما قاله الفيروزآبادي في القاموس. وذكر ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة في الجزء الرابع عن شيخه أبي جعفر الاسكافي: ان معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة الى ان قال: وقال ابو جعفر: وابو هريرة عند شيوخنا غير مرضي الرواية ضربه عمر بالدرة .

كان ابو هريرة يلعب بالشطرنج، قال الاميري: والمروي عن ابي هريرة من اللعب به مشهور في كتب الفقه، وروى بعضهم قال: رأيت أبا هريرة يلعب بالسدر، والسدر لعبة يقامر بها. وعن شعبة قال: كان أبو هريرة يدلس، وروي انه سأله أصبغ بن نباتة في محضر معاوية فقال: يا صاحب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم اني احلفك بالله الذي لا اله إلّا هو عالم الغيب والشهادة وبحق حبيبه المصطفىٰ صلّى الله عليه وآله وسلم إلّا أخبرتني أشهدت غدير خم؟ فقال: بلىٰ شهدته، قلت: فما سمعته يقول في علي عليه السلام؟ قال سمعت يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره واخذل من

←

الله عليه وآله[١] وأصل الملاقاة الملاصقة، لكنه كثر حتى قيل: لاقى فلان فلاناً إذا قاربه وإن لم يلاصقه، وكذلك تلاقى الجيشان، وتلاقى الفرسان، ويقال: تلاقى الخطان أي تماسا، وتقول: تلقيت الرجل بمعنى استقبلته، وتلقاني استقبلني.

فعلى هذا يجوز في العربية رفع «آدم» ونصبه مع رفع الـ «كلمات» والاختيار قراءة الاكثر، لأن معنى التلقّي هاهنا القبول، فكأنه قال: قبل آدم من ربه كلمات، وانما جاز نصب آدم، لأن الأفعال المتعدية الى المفعول به على ثلاثة أقسام:

أحدها: يجوز أن يكون الفاعل له مفعولا به والمفعول به فاعلا، نحو: اكرم بشرٌ بشراً، وشتم زيد عمراً.

ثانيها: ومنها لا يكون المفعول به فاعلاً، نحو: أكلت الخبز، وسرقت درهماً، وأعطيت ديناراً، وأمكنني الغرض.

وثالثها: ما يكون إسناده الى الفاعل في المعنى كاسناده الى المفعول، نحو: أصبت ونلت وتلقيت، تقول: نالني خيرٌ، ونلت خيراً، وأصابني خيرٌ، وأصبت خيراً، ولقيني زيدٌ، ولقيت زيداً، وتلقاني، وتلقيته. وقال تعالى: «وقد بلغني الكبر»[٢]، وقال: «وقد بلغت من الكبر عتياً»[٣] فعلى هذا

خذله، قلت له: فانت اذاً واليت عدّوه وعاديت وليّه، فتنفّس أبو هريرة الصعداء وقال: إنا لله وإنا اليه راجعون.

(الكنىٰ والألقاب: ج١ ص١٧٩)

(١) مجاز القرآن: ج١ ص٣٨.

(٢) آل عمران: ٤٠.

(٣) مريم: ٨.

الرفع والنصب في المعنى واحد في الآية، وإنما أُجيز رفع آدم لأن عليه الأكثر وشواهده أكثر، كقوله «تلقونه بألسنتكم»[١]. وأُسند الفعل الى المخاطبين والمفعول به كلام متلقى، كما أن الذي تلقى آدم كلام متلقى، وكما اسند الفعل الى المخاطبين فجعل التلقي لهم كذلك يلزم ان يسند الفعل إلى آدم فيجعل التلقي له دون الكلمات.

واما على ما قال أبو عبيدة[٢]: معناه قبل الكلمات، فالكلمات مقبولة، فلا يجوز غير الرفع في آدم. ومثل هذا في جواز اضافته تارة الى الفاعل وأُخرى الى المفعول، كقوله: « لاينال عهدي الظالمين»[٣]. وفي قراءة ابن مسعود: «لا ينال عهدي الظالمون»[٤].

والكلمات جمع كلمة، والكلمة اسم جنس لوقوعه على الكثير والقليل، يقولون: قال امرؤ القيس في كلمته يعني في قصيدته، وقال قسّ في كلمته يعنون في خطبته، فوقوعها على الكثير نحو ما قلناه.

ووقوعها على القليل قال سيبويه: قال قد أوقعها على الاسم المفرد والفعل المفرد والحرف المفرد.

فأمّا الكلام فان سيبويه قد استعمله فيما كان مؤلّفاً من هذه الكلم، فقال: لو قلت: إن تضرب ناساً لم يكن كلاماً، وقال أيضاً: انما، فقلت، ونحوه، ما كان كلاماً [بل] قولاً، واوقع الكلام على المتألف. والذي حرّره المتكلمون، ان حدّ الكلام ما انتظم من حرفين فصاعداً من هذه

---

(١) النور: ١٥.

(٢) مجاز القرآن: ج١ ص٣٨.

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) الحجّة في القراءات السبع: ج٢ ص٣٤.

الحروف المنقولة إذا وقع ممن يصح منه أو من قبله الافادة، ثم ينقسم قسمين: مفيد ومهمل، فالذي أراد سيبويه أنه لا يكون كلاماً انه لا يكون مفيداً، وذلك صحيح، فأما تسميته بأنه كلام صحيح؛ وكيف لا يكون صحيحاً وقد قسموه الى قسمين: مهمل ومفيد، فأدخلوا المهمل الذي لا يفيد في جملة الكلام .

اللغة :

والكلمة والعبارة والابانة نظائر، وبينها فروق، والفرق بين الكلمة والعبارة: إن الأظهر في الكلمة هي الواحدة من جملة الكلام وان قالوا في القصيدة أنها الكلمة، والعبارة تصلح للقليل والكثير. وأما الابانة فقد تكون بالكلام، والحال وغيرهما من الأدلة كالاشارة والعلامة وغير ذلك .

وأما النطق فيدل على إدارة اللسان بالصوت، وليس كذلك الكلام، ولهذا يقولون: ضربته فما تكلّم، ولا يقولون: فما نطق اذا كان صاح، وكذلك لا يجوز أن يقال في الله: إنه ناطق .

وأما اللفظ فهو من قولك : لفظت الشيء إذا أخرجته من فمك ، وليس في الكلام مثل ذلك ، ويقال: كلّمته تكليماً وكلاماً، وتكلّم تكلّماً، ولذلك لا يجوز أن يقال فيه تعالى: لَفَظَ ولا أنه لافظ .

والكلم الجرح، والجمع الكلوم، يقال: كلمته أكلمه كلْماً فأنا كالم وهو مكلوم، وكليمك الذي يكلّمك ، ويقال: كِلْمة وكلم لغة تميمية، وقيل: إنها حجازية. وتميم حكي عنها كلمة بكسر الكاف وتسكين اللام، وحكي تسكين اللام مع فتح الكاف[1] .

---

(١) راجع تهذيب اللغة: مادة «كلم» ج١٠ ص٢٦٤.

وأصل الباب أنه أثرٌ دالٌ، والكلْم أثر دال على الجارح، والكلام أثر دال على المعنى الذي تحته، والمتكلّم من رفع ما سميناه كلاماً بحسب دواعيه وأحواله، وربما عُبِّر عنه بأنه الفاعل للكلام، وليس المتكلم من حَلّه[١] الكلام؛ لأن الكلام يحلُّ اللسان والصدر، ولا يوصفان بذلك . وقد بينا فساد الكلام [النفسي][٢] في كتاب العدة في أُصول الفقه[٣]، وقلنا: إن اختصر ذلك ، هل هو إلّا الخبر، أو ما معناه معنى الخبر، وإن كان لكل قسم معنى يخصه .

المعنى :

والكلمات التي تلقاها آدم قال الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد[٤]: «ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»[٥] فان في ذلك اعترافاً بالخطيئة، ولذلك وقعت موقع الندم، وحقيقته الانابة. وحكي عن مجاهد أنه قال: هي قول آدم: اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت نفسي فارحمني، إنك أنت أرحم الراحمين، اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك وبحمدك ، رب إني ظلمت

(١) في المخطوطة «من جملة» وهو تصحيف والصحيح ما أثبتناه.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطيّة وأثبتناه من المطبوعة.

(٣) لم يتعرّض الشيخ لهذا البحث في كتاب «العدّة» وتعرّض له مفصّلاً في تمهيد الأُصول في علم الكلام: ص١١٧-١٢٧.

(٤) رواه الطبري في تفسيره: ج١ ص١٩٣، والحسن البصري في تفسيره: ج١ ص٨٩.

(٥) الأعراف: ٢٣.

نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم[١].

وروي مثل ذلك عن أبي جعفر عليه السلام[٢]. وحكي عن ابن عباس: أن آدم قال لربه إذ عصاه: أرأيتَ إن تبت وأصلحت؟ فقال له تعالى: إني راجعك إلى الجنة وكانت هذه الكلمات[٣].

وروي في أخبارنا: أن الكلمات هي توسله بالنبي عليه السلام وأهل بيته[٤]. وكل ذلك جائز.

اللغة:

قوله: «فتاب عليه» فالتوبة والانابة والاقلاع نظائر في اللغة، وضد التوبة الاصرار، يقال: تاب يتوبُ توبةً وتوباً واستتابةً، والله تعالى يوصف بالتواب، ومعناه: أنه يقبل التوبة عن عباده،وأصل التوبة الرجوع عما سلف والندم على ما فرط، والله تعالى تائب على العبد بقبول توبته، والعبد تائب الى الله بمعنى نادم على معصيته، والتائب صفة مدح كقوله: «التائبون العابدون»[٥].

[بحث في التوبة]

والتوبة شرطها الندم على ما مضى من القبيح، والعزم على أن لا يعود

---

(١) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٠٩.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص٤١ ح٢٥.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٩٣.

(٤) تفسير العياشي: ج١ ص٤١، ومعاني الأخبار: ص١٢٥.

(٥) التوبة: ١١٢.

الى مثله من القبيح؛ لأن هذه التوبة هي المجمع على سقوط العقاب [عندها][١]، وما عداها فمختلف فيه. وقد يقول القائل: قد تبت من هذا الأمر يعني عزمت على ألا أفعله، وصرت بمنزلة التائب، وذلك مجاز.

وكل معصية لله تعالى فانه يجب التوبة منها، والتوبة يجب قبولها لأنّها طاعة، فأمّا إسقاط العقاب عندها فتفضل منه تعالى، وقالت المعتزلة ومن وافقها: وذلك واجب. وقد بينّا الصحيح من ذلك في شرح الجمل[٢].

والتوبة اذا كانت من ترك ندب عندنا تصح، وتكون على وجه الرجوع الى فعله، وعلى هذا تحمل توبة الانبياء كلهم في جميع ما نطق به القرآن؛ لأنه قد بينا أنه لا يجوز عليهم فعل القبيح. والمطبوع على قلبه له توبة، وبه قال أهل العدل، وقالت البكرية: لا توبة له، وهو خطأ، من قبل انه لا يصحّ تكليفه إلّا وهو متمكّن من أن يتخلص من ضرر عقابه، وذلك لا يتم إلّا بأن يكون له طريق الى إسقاط عقابه. وقد وعد الله بذلك ـ وإن كان تفضّلاً ـ إذا حصلت التوبة.

واختلفوا في التوبة من الغصب، هل تصح مع الإقامة على منع المغصوب؟ فقال قوم: لا تصح. وقال آخرون: تصح، وهو الأقوى إلّا أن يكون فاسقاً بالمنع، فيعاقب[٣] عقاب المانع، وإن سقط عنه عقاب الغصب.

والصحيح إن القاتل عمداً تصحّ توبته، وقال قوم: لا تصحّ، والتوبة من القتل الذي يوجب القود، قال قوم: لا تصح إلّا بالاستسلام لولي

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطّية وأضفناها تقويماً للمتن.

(٢) تمهيد الأُصول (شرح جمل العلم والعمل للسيّد المرتضى): ص٢٧١.

(٣) في النسخة «يعاقب» بدون الفاء.

المقتول وحصول الندم والعزم على أن لا يعود، وقال قوم آخرون: تصح التوبة من نفس القتل، ويكون فاسقاً بترك الاستسلام. وهذا هو الأقوى، واختاره الرماني.

فاما التوبة من قبيح بفعل آخر فلا تصحّ على أصلنا، كالتائب من الالحاد بعبادة المسيح، وقال قوم: تصح، وأجراه مجرى معصيتين يترك باحداهما الأُخرى، فانه لا يؤاخذ بالمتروكة.

وقال قوم: التوبة من اعتقاد جهالة إذا كان صاحبها لا يعلم انها معصية بأنه يعتقد انه لا محجوج إلّا عارف، فانه يتخلّص من ضرر تلك المعصية إذا رجع عنها الى المعرفة وإن لم يوقع معها توبة. وقال آخرون: لا يتخلص إلّا بالتوبة، لأنه محجوج فيه، مأخوذ بالنزوع عن الاقامة عليه، وهو الأقوى.

فأما ما نسي من الذنوب، فانه يجري مجرى التوبة منه على وجه الجملة، وقال قوم: لا يجري، وهو خطأ؛ لأنه ليس عليه في تلك الحال أكثر مما عمل. فأما ما نسي من الذنوب مما لو ذكرنا عليه[1]، لم يكن عنده معصية. وهل يدخل في الجملة إذا أوقع التوبة من كل خطيئة؟ قال قوم: يدخل فيها. وقال آخرون: لا يدخل فيها، لكنّه يتخلص من ضرر المعصية؛ لأنه ليس عليه اكثر مما علم في تلك الساعة. والأول أقوى، لأن العبد إذا لم يذكر صرف توبته الى كل معصية هي في معلوم الله معصية.

فأما المشرك إذا كان يعرف قبل توبته بفسق إذا تاب من الشرك هل يدخل فيه التوبة من الفسق في الحكم، وإن لم يظهر التوبة منه؟ قال قوم:

---

(١) كذا في الخطّية، وفي المطبوعة «مما لو ذكر لم يكن ... ».

لا يزول عنـه حكم الـفسـق، وهو قول اكثر المـعتزلة. وقـال قوم: يزول عـنه حكم الفسق. وقال ابن الاخشـاد: القول في هذا باجتهاد، والذي يقوى في نفسي انـه يزول؛ لأن الاسلام الأصل فـيه العـدالة الى ان يتجـدد منه بـعد الاسلام ما يوجب تفسيقه[١] .

فأما التوبة من قبيحٍ مع الاقامة على قبيحٍ آخر يعلم ويعتقد قبحه، فعند اكثر مـن تقدم صحيحـة، وقـال أبو هاشم واصحابـه: لا تصـح، وقد قلنا ما عـندنا في ذلك في شـرح الجمل[٢] ، واعتمـد الأولون على أن قالوا: كما يجوز ان يمتنع من قبيـح لقبحه ويفعـل قبيحاً آخر وإن علم قبحه، كذلك جاز أن يندم مـن القبيـح مع المقـام على قبيح آخـر يعلـم قبحه. وهـذا إلزام صحيح معتمد .

واختلـفوا في التوبـة عند ظـهور اشراط السـاعـة، هل تصحّ أم لا؟ فقال الحسن: يحجب عنهـا عند الآيـات الست، ورواه عن النبيّ صلّـى الله عليه وآله أنه قال: بادروا الأعمال قبل ست: طلوع الشمس من مغربها والدَّجال والـدُّخان ودابّة الأرض وخويصـة أحـدكم ـيعني الموت ـ وأمـر العامة يعني القيامة[٣]. وقال قوم: لاشكّ أن بعض الآيات يحجب، وباقيها محجور، وهو الأقوى .

* * *

(١) أوائل المقالات: ص١٠١.

(٢) تمهيد الأُصول: ص٢٧١ـ٢٨٥.

(٣) سنن ابن ماجة: باب الآيات من كتاب الفتن، ح٤٠٥٦ ص١٣٤٨، ومسند احمد بن حنبل: ج٢ ص٣٣٧.

التفسير:

وقوله: «فتاب عليه» يعني قبل توبته؛ لأنه لما عرضه للتوبة بما ألقاه من الكلمات فعل التوبة، وقبلها الله تعالى منه، فقال: اللهم تب عليَّ أي وفقني للتوبة.

وقوله: «إنه هو التواب الرحيم» إنما ذكر الرحيم ليدل بذلك على أنه متفضّل بقبول التوبة ومنعم به، وأن ذلك ليس هو على وجه الوجوب على ما يقوله المخالف، ومن خالف في ذلك يقول: لما ذكر التواب بمعنى الغفار باسقاط العقوبة وصل ذلك بذكر النعمة، ليدل على أنه مع إسقاط العقوبة لا يُخلي العبد من النعمة الحاصلة ترغيباً له في الانابة والرجوع اليه بالتوبة.

و«تواب» بمعنى أنه قابل التوبة لا يطلق إلّا عليه تعالى، ولا يطلق في الواحد منها، وإنما قال: «فتاب عليه» ولم يقل:فتاب عليهما، لأنه اختصر، كما قال: «والله ورسوله أحقّ أن يرضوه»[1] ومعناه أن يرضوهما، كذلك معنى الآية: فتاب عليهما، ومثل ذلك قوله: «وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها»[2] وقال الشاعر:

رماني بأمر كنت منه ووالدي بريئاً، ومن جول الطِّوي رماني[3]

وقال آخر:

---

(١) التوبة: ٦٢.

(٢) الجمعة: ١١.

(٣) الكتاب لسيبويه: ج١ ص٥١، ومعاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٤٥٨، ومعاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٥٣. والبيت لابن أحمر الباهلي.

نحـن بمـا عـنـدنـا وأنـت بمـا عنـدك راض والـرأي مختـلف[١]

وحكـي عـن الحسن انه قـال: لم يخلق الله آدم إلّا للأرض، ولو لم يعص لخرج على غير تلك الحال[٢]. وقـال غـيره: يجوز أن يكـون خلقه للأرض إن عصى ولغيرها ان لم يعص، وهـو الأقوى؛ لأن ما قاله لا دليل عليه. وروي عن قتادة: ان اليـوم الـذي قـبل الله توبة آدم فيـه يـوم عـاشوراء[٣]، ورواه ايضاً اصحابنا[٤].

قوله تعالى:

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

قد بيّنـا معنى الهبـوط فيما مضـى بما فيـه كفاية، وقـال الجبائي: الهـبوط الأول هـو الهبـوط مـن الجنـة الى السماء، وهـذا الهـبـوط مـن السماء الى الأرض[٥]. وقد يستعمل في غير التـنزول من مكان عال الى أسفل، يـقال: هبط فلانٌ الى أرض كذا أذا أتاها، وإن لم يرد بـه النزول فبه استعـمال إلّا أن فيه إيماءً الى هبوط المنزل،قال لبيد:

---

(١) البيت لقيس بن الحطيم، أُنظر ديوانه: ص١١٥، ونسب الى غيره أيضاً، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «قعد» ج١ ص٢٠١، وسيبويه في الكتاب: ج١ ص٥٠.

(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١١٠.

(٣) المصنّف للصنعاني: ج٤ ص٢٩١، نقلاً عن عكرمة.

(٤) رواه الصدوق في أماليه: ج١ ص١١٠.

(٥) لم نعثر عليه.

كــلُّ بني حـــرة مصــيـــرهـــم قــلَّ وإن أكــثــروا مــن الــعــدد
إن يــغــبطــوا يهــبطــوا وإن أمروا يـوماً فـهـم للـفـنـاء والفند[١]

الـفَنَـد الهرم. والاتـيان والمجيء والاقبال نظائر، ونـقيضه الـذهاب والانصراف، يقال: أتى اتيـاناً، وأتى آتـياً، وأتى تأتياً، وأتى تـأتيـةً، وآتيت فلاناً على أمره مؤتاةً، ولا يقال: آتية إلّا في لغة قبيحة لتيم .

الاعراب:

ودخلت «ما» في قوله مع «إن» التي للجزاء لـيصحّ دخول النون التي للتوكيد في الفعل، ولو أُسقطت «ما» لم يجز دخول النون؛ لأنها لا تدخل في الخبر الواجب إلّا في القسم أو ما أشبه القسم، كقولك: زيدٌ لـيأتينك، ولو قلت بغير الـلام لم يجز، وكذلك تقـول: بـعينٍ ما أريـنّـك، ولو قلت: بعينٍ أرينك، بغير ما لم يجز، فدخـول «ما» هاهنا كدخول اللام في أنهـا تؤكّد أول الكلام وتؤكّد النون آخره. والأمر والنهي والاستفهام تدخل النون فيه وان لم يكـن معه «ما»، اذا كان الأمـر والنهي ممـا تشتدّ الحاجة الى الـتوكـيد فيه، والاسـتفهـام مشبه بـه اذا كـان معنـاه أخبرني، والـنـون انما تلـحق للـتوكيد فلذلك كان من موضعها.

قال الله تعالى: « ولا تقولنّ لشيء اني فاعلٌ ذلك غداً »[٢] .

فان قيل: أين جواب أما؟ واين جواب من ؟

قيل: الجزاء وجوابه بمنزلة المبـتدأ والخبر، لأن الشرط لا يتم إلّا بجوابه،

---

(١) ديوانه: ص٥٠.

(٢) الكهف: ٢٣.

كما لا يتم المبتدأ الّا بخبره، ألا ترى انك لوقلت: إن تقم، وسكت لم يجز، كما لو قلت: زيد، لم يكن كلاما حتى تأتي بالخبر. ولك أن تجعل خبر المبتدأ جملة، وهي أيضاً مبتدأ وخبر، كقولك: زيد أبوه منطلق. وكذلك «إن» التي للجزاء إذا كان الجواب بالفاء ووقع بعد الفاء الكلام مستأنفاً صلح أن يكون جزاءً وغير جزاء، تقول: إن تأتني فأنت محمودٌ، ولك أن تقول: إن تأتني فمن يكرمك أكرمه، وإن تأتني فمن يبغضك فلا وضيعة عليه.

وقوله: «إما يأتينكم» شرط، وجوابه الفاء، وما بعد قوله: «فمن» شرط آخر، وجوابه الذي بعده من قوله: «فلا خوف عليهم». وهو نظير المبتدأ والخبر الذي يكون خبره مبتدأ وخبراً. وهذا في مقدمات القياسات يسمى الشرطية المركبة، وذلك أن المقدّم فيها إذا وجب، وجب التالي المرتّب عليه.

التفسير:

والهدى المذكور في الآية يحتمل أمرين: أحدهما: البيان والدلالة. والآخر: الأنبياء والرُّسل. وعلى القول الأخير يكون قوله: «قلنا اهبطوا» لآدم وحواء وذريّتهما، كما قال: «فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين»[١] أي أتينا بما فينا من الخلق طائعين.

اللغة:

وقوله: «فمن تبع هداي» فالاتباع والاقتداء والاحتذاء نظائر، ونقيض

---

(١) فصلت: ١١.

الاتباع الابتداع تقول: تبعه تباعاً، وأتبعه إتباعاً، وتابعه متابعةً، وتتبع تتبعاً، واستتبع استتباعاً، والتابع التالي ومنه التتبُّع، والتبيع ما تبع أثر شيء فهو يتبعه، والتتبُّع فعلك شيئاً بعد شيء، تقول: تتبعت عليه آثاره، وفي الحديث: القادة والأتباع[1]. والقادة السادة، والأتباع القوم الذين يتبعونهم، والقوائم يقال لها:تبع. والتبيع من ولد البقر العجل؛ لأنه تبع امّهٔ يعدو، وثلاثة أتبعة الجمع، وبقرة متبع خلفها تبيع، وخادم متبع معها ولدها يتبعها حيثما أقبلت وأدبرت، وأتبع فلان فلاناً، وأتبعه الشيطان إذا تتبعه يريد به شراً، كما تبع فرعون موسى، قال الله تعالى: «فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين»[2] وفلان يتبع فلاناً إذا تتبع مساوءه في مهلة، والتتابع من الأشياء إذا فعل هذا في أثر هذا بلا مهلة، ومنه تتابعت الأمطار وتتابعت الأشياء، والتبع الظل.

وأصل الباب كله الاتباع وهو أن يتلو شيء شيئاً.

قوله: «فلا خوف عليهم» فالخوف والجزع والفزع نظائر، ونقيض الخوف الأمن، تقول: خافه يخافه خوفاً،وأخافه إخافة، وتخوف تخوفاً، وخوفه تخويفاً، وطريق مخوف يخافه الناس، وطريق مخيف يخيف الناس، والتخوّف التنقص، يقال: تخوفناهم تنقصناهم، ومنه قوله: «أو يأخذهم على تخوّف»[3]، أي على تنقص.

وأصل الباب الخوف الذي هو الفزع، والخوف كله من الضرر، يقال: فلان يخاف الأسد أي يخاف ضرره، ويخاف الله أي يخاف عقابه.

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) الأعراف: ١٧٥.

(٣) النحل: ٤٧.

[قوله: «ولا هم يحزنون»] والحزن والهم والغم نظائر، ونقيضه السرور، يقال: حزن حزناً، وحزنه حزناً، وتحزن تحزناً، وحزن تحزيناً، والحُزن والحَزن لغتان[1]، وحزني وأحزنني لغتان، وأنا محزون ومحزن. وإذا أفردوا الصوت أو الأمر قالوا:محزن لا غير، والحَزْن من الأرض والدواب ما فيه خشونة، والأُنثى حزنة. والفعل: حزن حُزونة، وقولهم: كيف حشمك وحُزانتك ؟ أي كيف من تتحزن بأمره .

وأصل الباب غُلظ الهم .

المعنىٰ:

وقوله: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» .

عمومه يقتضي أنه لا يلحقهم خوف أهوال القيامة، وهوقول الجبائي[2]، وقال ابن الأخشاد[3]: لا يدل على ذلك، لأن الله تعالى وصف القيامة بعظم الخوف. قال الله تعالى: «إن زلزلة الساعة شيء عظيم ـ إلى قوله ـ شديد»[4]. ولأنه روي أنه يلجم الناس العرق[5]، وغير ذلك من الشدائد .

وهذا ليس بمعتمد؛ لأنه لا يمتنع أن يكون هؤلاء خارجين من ذلك الغمّ .

وأما الحزن فلا خلاف أنه لا يلحقهم، ومن أجاز الخوف فرق بينه

---

(١) العين: مادة «حزن» ج٣ ص١٦٠، وتهذيب اللغة: مادة «حزن» ج٤ ص٣٦٤.

(٢)و(٣) لم نعثر على قوليهما.

(٤) الحج: ١و٢.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٢٥٤.

وبين الحزن؛ لأن الحزن إنما يقع على ما يغلظ ويعظم من الغمّ والهم، فلذلك لم يوصفوا بذلك، ولذلك قال تعالى: «لا يحزنهم الفزع الأكبر»[١] لأن ما يلحقهم لا يثبت ويزول وشيكاً. قالوا: ويدلك على أن الحزن ما ذكرنا، أنه مأخوذ من الحزن وهو ما غلظ من الأرض وكأنّه ما غلظ من الهمّ. فأما لحوق الحزن والخوف في دار الدنيا، فلا خلاف أنه يجوز أن يلحقهم؛ لأنّ من المعلوم أن المؤمنين لا ينفكّون منه.

و«هداي» بتحريك الياء، وروي عن الأعرج[٢] «هداي» بسكون الياء. وهي غلط، إلّا أن ينوي الوقف.

وإنما كرر «اهبطوا» لأنّ أحدهما كان من الجنة إلى السماء والثاني من السماء الى الأرض عند أبي علي[٣]، وقيل: المعنى واحد وكرر تأكيداً. وقيل: هو على تقدير اختلاف حال المعنى لا اختلاف الأحوال، كما يقول: اذهب مصاحباً، إذهب سالماً معافىً، وكأنه على تقدير ذهاب يجامع ذهاباً وإن كان حقيقةً واحدة.

وإنما كرر «اما» في قوله: «إما شاكراً وإما كفوراً»[٤] ولم يكرر هاهنا، لأنها هناك للعطف وهاهنا للجزاء، وإنما هي (إن) ضُمّ اليها (ما)،

---

(١) الانبياء: ١٠٣.

(٢) الأعرج، عبد الرحمان بن هرمز الأعرج أبو داود المدني، مولى ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، يقال: انه كان كثير النقل للحديث، وكان عالماً بالأنساب، مات بالاسكندرية سنة ١١٧ هـ وقيل: سنة ١١٠ هـ.

(تهذيب التهذيب: ج٦ ص٢٩٠).

(٣) لم نقف على قوله فيما لدينا من المصادر.

(٤) الدهر: ٣.

كقوله: «وإما تخافَنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء»[١] وهداي مثل هواي، وهي لغة قريش وعامّة العرب[٢]، وبعض بني سليم[٣] يقولون: هويّ مثل عليّ ولديّ[٤]، قال أبو ذؤيب:

سبقوا هويّ واعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع[٥]

وروي هديّ في الآية عن الجحدري وابن أبي إسحاق وعيسى، والصواب ما عليه القراء.

والفرق بين هوي[٦] ولدي وعلي، وهو أن إليّ وعليّ ولديّ مما يلزمها الاضافة وليست بمتمكنة، ففصلوا بينها وبين الأسماء المتمكنة كما فصلوا بين ضمير الفاعل وضمير المفعول، حين قالوا: ضربتَ فسكنوا لأجل التاء، ولم يسكنوا في ضربَكَ، إذ الفاعل يلزم الفعل.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ٣٩﴾

آية.

المعنى:

قد بينا فيما مضى معنى الكفر والتكذيب فلا وجه لاعادته.

---

(١) الأنفال: ٥٨.

(٢) الحجّة في القراءات السبع: ج١ ص١٣٩.

(٣) بنو سُلَيم: بضمّ السين، قبيلة عظيمة من قيس عيلان والنسبة إليهم سلمى، وهم بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس، قيل: كانت منازلهم في عالية نجد بالقرب من خيبر. (نهاية الأرب: ص٢٧٣)

(٤) راجع الحجّة في القراءات السبع: ج١ ص١٣٩، ومعاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٣٥.

(٥) لسان العرب: مادة «هوا» ج١٥ ص١٦٨.

(٦) كذا في النسخة الخطية والمطبوعة والحجرية.

والاستدلال بهذه الآية على أنّ من مات مصرّاً على الكفر غير تائب منه وكذّب بآيات ربه فهو مخلّد في نار جهنم صحيح؛ لأنّ الظاهر يفيد ذلك والاستدلال بها على أن عمل الجوارح من الكفر، من حيث قال: «وكذبوا بآياتنا» فبعيدٌ؛ لأنّ التكذيب نفسه وإن لم يكن كفراً وهو لا يقع إلّا من كافر فهو دلالة عليه كالسجود للشمس وغيره.

اللغة:

وقوله: «أصحاب» فالاصطحاب والاجتماع والاقتران نظائر، وكذلك الصاحب والقرين، ونقيضه الافتراق، يقال: صحبه صحبةً، وأصحبه إصحاباً، واصطحبوا اصطحاباً، وتصاحبوا تصاحباً، واستصحبوا استصحاباً، وصاحبه مصاحبة، والصحب جماعة، والصُحب والأصحاب جماعة الصاحب. ويقال أيضاً: الصحبان والصحبة والصحاب، والصحابة مصدر قولك: صحبك الله يعني بالسلامة وأحسن صحابتك، ويقال للرجل عند التوديع: معاناً مصاحباً ومصحوب ومصاحب، ومن قال: مصاحب معان، فانما معناه: أنت المصاحب المعان، والصحبة مصدر صحب يصحب، وقد أصحب الرجل إذا صار صاحباً. ويقال: قد أصحب الرجل وقد أشطأ إذا بلغ ابنه مبلغ الرجال، الذي صار ابنه مثله، وأشطأ الزرع إذا لحقته فراخه، ويقال له: الشطأ.

قال أبو عبيدة وابن دريد: قوله: «ولا هم منا يُصحبون» أي لا يُحفظون[١]، وأديم مصحب إذا دبغته وتركت عليه بعض الصوف

(١) جمهرة اللغة لابن دريد: مادة «بَ ح صَ» ج١ ص٢٢٤، نقلاً عن أبي عبيدة.

والشعر، وأصل الصحبة المقارنة. والصاحب هو الحاصل مع آخر مدّة؛ لأنه إذا اجتمع معه وقتاً واحداً لا يقال: صاحب، ولكن يقال: صحبه وقتاً من الزمان ثمّ فارقه .

والفرق بين المصاحبة والمقارنة : إنّ في المصاحبة دلالة على المبالاة، وليس ذلك حاصلاً في المقارنة. واتباع الرئيس أصحابه .

التفسير:

و«آيات الله» دلائله وكتبه التي أنزلها على أنبيائه. والآية الحجة، والدلالة والبيان والبرهان واحد في أكثر المواضع وإن كان بينها فرق في الأصل، لأنّك تقول:دلالة هذا الكلام كذا، ولا تقول: آيته ولا علامته، وكذلك تقول: دلالة هذا الاسم،ولا تقول: برهانه .

و«أصحاب النار» هم الملازمون لها، كما تقول: أصحاب الصحراء يعني القاطنين فيها، الملازمين لها .

والخلود معرّفٌ من العرف يدل على الدوام، لأنهم يقولون: ليست الدنيا دار خلود، وأهل الجنة مخلدون، يريدون الدوام، فأما في أصل الوضع فانه موضوع لطول الحبس .

فان قيل : لم دخلت الفاء في قوله: «والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك لهم عذاب مهين»[1] في سورة الحج، ولم يقل هاهنا في قوله: «أولئك أصحاب النار»؟

قيل : لأنّ ما دخلت فيه الفاء من خبر الذي وأخواته مشبه بالجزاء، وما

(١) الحج: ٥٧.

لم يكن فيه فاء فهو على أصل الخبر، وإذا قلت: مالي فهو لك، جاز على وجه ولم يجز على وجه، فإن أردت أن معنى (ما) الذي فهو جائز، وإن أردت أن مالي تريد به المال ثم تضيفه إليك، كقولك: غلامي لك، لم يجز، كما لم يجز غلامي فهو لك.

الاعراب:

وموضع «أُولئك» يحتمل ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يكون بدلاً من الذين، أو يكون عطف بيان، وأصحاب النار بيان عن «أُولئك» مجراه مجرى الوصف والخبر «هم فيها خالدون».

والثاني: أن يكون ابتداءً وخبراً في موضع الخبر الأول.

والثالث: أن يكون على خبرين بمنزلة خبر واحد، كقولهم: حلو حامض.

قوله تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

«يا» حرف نداء. «بني» جمع ابن، والابن والولد والنسل والذرية متقاربة المعاني، إلّا أن الابن يقع على الذكر، والولد يقع على الذكر والأُنثى، والنسل والذرية تقع على جميع ذلك. وأصله من البناء، وهو وضع الشيء على الشيء، والابن مبني على الأب تشبيهاً للبناء على الأصل؛ لأن

الأب أصل والابن فرع، ويقال: تبنى تبنياً، وبنى بناءً، وابتنى ابتناءً، وباناه مباناة.

والبنوة مصدر الابن، وإن كان من البناء كما قالوا: الفتوة [مصدر الفتى][1] وثنوا الفتى فتيان، ويقال: فلان ابن فلان على التبنّي. ولا يطلق ذلك إلّا على ما كان من جنسه وشكله تشبيهاً بالابن الحقيقي، ولهذا لا يقولون: تبنّى زيد حماراً، لما لم يكن من جنسه، ولا تبنّى شاب شيخاً،لما لم يكن ذلك فيه.

والفرق بين اتخاذ الابن وبين اتخاذ الخليل: إن اتخاذ الخليل يكون به خليلاً على الحقيقة؛ لأن بالمحبة والاطلاع على الأسرار المهمّة يكون خليلاً على الحقيقة، وليس كذلك الابن؛ لأن البنوة في الحقيقة إنما هي الولادة للابن.

الإعراب:

و«بني» في موضع نصب، لأنه منادى مضاف.

و«إسرائيل» في موضع جر، لأنه مضاف إليه، وفتح لأنه أعجمي لا ينصرف، لأن «إسرا» معناه: عبد، و«ئيل» هو الله بالعبرانية، فصار مثل عبد الله، وكذلك جبرائيل وميكائيل. ومن حذف الألف من جبرائيل حذفه للتعريب كما يلحق الاسماء التغيير إذا أُعربت فيلخصون حروفها على العربية.

* * *

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطية، وأثبتناه من المطبوعة.

القراءة:

وفي «اسرائيل» خمس لغات: حكى الأخفش: إسرال ـ بكسر الهمزة ـ من غير ياء، وحكي: أسرال ـ بفتح الهمزة ـ ويقول بعضهم: إسريل، فيميلون[١]. وحكى قطرب: سرال من غير همزٍ ولا ياء، واسراين ـ بالنون ـ، والخامس: إسرايل، قراءة إلياس، وحمزة وحده مدّ بغير ألف.

المعنى:

وقال أكثر المفسرين: إن المعنى بـ«يابني إسرائيل» أحبار اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله[٢]. وهو المحكي عن ابن عباس[٣]. وقال الجبائي: المعني به بنو إسرائيل من اليهود والنصارى[٤]. ونسبهم إلى الأب الأعلى، كما قال: «يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد»[٥].

اللغة:

قوله: «اذكروا» فالذكر والتنبيه والتيقظ نظائر، ونقيضه التغافل، يقال: ذكره يذكره ذكراً، وأذكره إذكاراً، واستذكره استذكاراً، وتذكره

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٢٤٢.
(٢) تفسير الطبري: ج١ ص١٩٧.
(٣) تفسير ابن عباس: ص٨ و٢٩.
(٤) لا يوجد لدينا كتابه.
(٥) الأعراف: ٣١.

تذكّراً، وذكره تذكاراً، واذّكر اذكاراً، وقال صاحب العين: الذكر الحفظ للشيء تذكره، تقول: هو منّي على ذكر، والذكر جري الشيء على لسانك، تقول: جرى منه ذكر، والذكر الشرف والصيت لقوله: «وإنه لذكر لك ولقومك»(١). والذكر الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، وكل كتاب من كتب الأنبياء ذكر، والذكر الصلاة والدعاء.

وقيل: كانت الأنبياء إذا حزنهم أمر فزعوا إلى الذكر أي الصلاة، يقومون فيصلون، وذكر الحق هو الصك، والذكرى هو اسم للتذكير، والذَكَر ذكر الرجل معروف، والجمع الذكرة، ولهذا سمي ما ينسب اليه (المذاكير) ولا يفرد، وإن أُفرد فذّكر، مثل مقدّم ومقاديم.

والذكر خلاف الانثى، وجمعه ذكور وذكران، ومن الدواب ذكورة لا غير، والذكر من الحديد أيبسه وأشده؛ ولذلك يسمّى السيف مذكر، وامرأة مذكرة وناقة مذكرة إذا كانت خلقتها تشبه خلقة الذكر وأشبهته في شمائلها، وامرأة مذكار إذا أكثرت ولادة الذكور، وعكسه مئناث، ويقال للحبلى: أيسرت وأكثرت أي يسر عليها وولدت ذكوراً(٢).

والذكر ضد النسيان، ورجل ذكر شهم من الرجال ماهر في أُموره، وأصل الباب الذكر الذي هو التنبيه على الشيء، والذكر الوصف بالمدح والثناء أو بالمدح والهجاء.

التفسير:

وقوله: «نعمتي» المراد بها الجماعة، كما قال تعالى: «وإن تعدُّوا نعمة

---

(١) الزخرف: ٤٤.

(٢) العين للفراهيدي: مادة «ذكر» ج٥ ص٣٤٦.

الله لا تحصوها»(١) والنعمة وإن كانت على أسلافهم جاز أن تضاف اليهم، كما يقول القائل إذا فاخره غيره: هزمناكم يوم ذي قار، وقتلناكم يوم الفجار، وبددنا جمعكم يوم النار، والمراد بذلك جميع النعم الواصلة اليهم مما اختصوا به دون آبائهم أو اشتركوا فيه معهم، وكان نعمة على الجميع.

فمن ذلك تبقية آبائهم حتى تناسلوا فصاروا من أولادهم ومن ذلك خلقه اياهم على وجه يمكّنهم الاستدلال على توحيده والوصول الى معرفته، فيشكروا نعمه ويستحقوا ثوابه، ومن ذلك ما لا يخلّون منه في كل وقت من منفعة ودفع مضرة.

فالقول الأول: هو التذكير بالنعمة عليهم في أسلافهم. والقول الثاني: تذكير جميع النعم عليهم والنعم التي على أسلافهم، ما ذكر في قوله تعالى: «واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وأتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين»(٢).

الإعراب واللغة:

وقوله: «أُوف بعهدكم» في موضع جزم، لأنه جواب الأمر.

قال صاحب العين: تقول:وفيت بعهدك وفاءً، ولغة أهل تهامة: أوفيت بعهدك (٣) وهي القرآن، قال الشاعر في الجمع بين اللغتين:

أما ابن عوفٍ فقد أوفى بذمّته ... كما وفى بقلاص النجم حاديها(٤)

---

(١) ابراهيم: ٣٤، والنحل: ١٨.

(٢) المائدة: ٢٠.

(٣) العين: مادة «وفي» ج٨ ص٤٠٩.

(٤) الخصائص لابن جني: ج١ ص٣٧٠، ومعاني القرآن للزجّاج: ج١ ص١٢٢، والشاعر هو «طفيل الغَنَويّ».

يعني به الدبران وهو التالي، وتقول: وفى يفي وفاءً، وأوفى يوفي ايفاءً، واستوفى استيفاءً، وتوفى توفيا، ووفى توفية، وتوافى توافياً، ووافاه موافاةً، وكل شيء بلغ تمام الكلام فقدوفي وتم، وكذلك درهمٌ وافٍ، لأنه درهم وفى مثقالاً، وكيل وافٍ، ورجل وفا ذووفاء، وأوفى فلان على شرفٍ من الأرض اذا أشرف فوقها، وتقول: أوفيته حقّه، ووفيته أجره، والوفاة المنية توفى فلان، وتوفاه الله اذا قبض نفسه.

واصل الباب الوفاء وهذا هو الا تمام. ومن اكرم اخلاق النفس الوفاء، ومن ادونها وأرذلها الغدر.

المعنى:

ومعنى قوله: «اوفوا بعهدي اوف بعهدكم» قال ابن عباس: اوفوا بما أمرتكم من طاعتي ونهيتكم عن معصيتي في النبي صلّى الله عليه وآله وغيره[١].

«اوف بعهدكم» اي أرضى عنكم وادخلكم الجنة وسمي ذلك عهداً؛ لأنه تقدم بذلك اليهم في الكتب السابقة، كما قال: «يعرفونه كما يعرفون ابناءهم وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون»[٢].

والعهد هو العقد عليهم في الكتاب السابق بما امروا به ونهوا عنه. قال بعضهم: انما جعله عهداً لتأكيده بمنزلة العهد الذي هو اليمين[٣] قال الله تعالى: «واذ أخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيّننه للناس

(١) تفسير ابن عباس: ص٨.

(٢) البقرة: ١٤٦.

(٣) راجع تهذيب اللغة: مادة «عهد» ج١ ص١٣٦.

ولا تكتمونه»[١].

وقال الحسن: العهد الذي عاهدهم عليه حيث قال: «خذوا ما آتيناكم بقوة» أي بجدّ «واذكروا ما فيه» اي ما في الكتاب في قوله: «ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي...» الى آخر الآية[٢].

وقال الجبائي: جعل تعريفه إياهم نعمه عهداً عليهم وميثاقاً؛ لأنه يلزمهم القيام بما يأمرهم به من شكر هذه النعمة كما يلزمهم الوفاء بالعهد والميثاق الذي يأخذ عليهم[٣].

والقول الأول أقوى، لأن عليه أكثر المفسرين وبه يشهد القرآن.

الاعراب:

قوله: «وإياي» ضمير منصوب، ولا يجوز أن يكون منصوباً بقوله: «فارهبون» لأنّه مشغول، كما لا يجوز في قولك: زيداً فاضربه، أن يكون منصوباً بقوله: فاضربه، لكنه يكون منصوباً بفعل دلّ عليه ما هو مذكور في اللفظ، تقديره: وإياي ارهبوا، ولا يظهر ذلك للاستغناء عنه بما يفسره، وإن صح تقديره. ولا يجوز في مثل ذلك الرفع على أن يكون الخبر «فارهبون» إلّا على تقدير محذوف، كما أنشد سيبويه:

وقائلةٍ: خولانُ فانكح فتاتهم وأكرومة الحيين خِلوٌ كما هيا[٤]

---

(١) آل عمران: ١٨٧.

(٢) تفسيره: ج١ ص٩٠.

(٣) لا توجد لدينا مؤلّفاته.

(٤) كتاب سيبويه: ج١ ص١٣٩.

تقديره: وقائلةٍ: هـذه خولان، وعلى هذا حمل قوله: «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما»[١] وقوله: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحدٍ منهما»[٢] تقديره مما يتلىٰ عليكم السارق والسارقة، وفيما فرض عليكم الزانية والزاني .

اللغة :

وقوله: «فارهبون» فالرهبة والخشية والمخافة نظائر، وضدها: الرغبة، تقول: رهب رهبة، وأرهبه إرهاباً، ورهبه ترهيباً، واسترهب استرهاباً، ويقال: رهب فلانٌ يرهب رهباً ورهاباً ورهبة اذا خاف من شيء، ومنه اشتقاق الراهب، والاسم الرهبة، ومن أمثالهم (رهبوتٌ خير من رحموت) أي ترهب خير من أن ترحم، والترهّب التعبّد في صومعة، والجمع الرهبان، والرهبانية خطباء .

والفرق بين الخوف والرهبة: ان الخوف هو شك في أن الضرر يقع أم لا، والرهبة معها العلم بأن الضرر واقع عند شرط، فان لم يحصل ذلك الشرط لم يقع .

القراءة :

واختير تحريك الياء في قوله: «نعمتي التي أنعمت» لأنه لقيها ألف ولام فلم يكن بدٌّ من اسقاطها أو تحريكها، وكان التحريك أولى؛ لأنه أدل

---

(١) المائدة: ٣٨.

(٢) النور: ٢.

على الأصل وأشكل بما يلزم اللام في الاستئناف من [فتح] ألف الوصل. واسكان الياء في قوله: «ياعبادي الذين اسرفوا»(١) أجود؛ لأن من حق ياء الاضافة ألا تثبت في النداء، واذا لم تثبت فلا سبيل الى تحريكها.

وقوله: «فبشّر عبادي الذين يستمعون»(٢) الاختيار حذف الياء لانه رأس آية،ورؤوس الآي لا يثبت فيها الياء؛ لانها فيه أصل ينوى فيها الوقف، كما يفعل ذلك في القوافي، ومثل قوله: «نعمتي التي» قوله: «أخي أُشدد»(٣) في ان الاختيار تحريك الياء، وان كان مع الالف واللام اقوى، لما تقدم ذكره مع المشاكلة والرد الى الأصل، وفي «أخي اشدد» سببٌ واحد، وهو أنه ادل على الاصل.

واجمعوا على اسقاط الياء من قوله: «فارهبون» الا ابن كثير فانه اثبتها في الوصل دون الوقف(٤)، والوجه حذفها لكراهية الوقف على الياء، وفي كسر النون دلالة على ذهاب الياء.

قوله تعالى:

وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ آية واحدة بلا خلاف.

المعنى:

«آمنوا» معناه صدّقوا؛ لأنا قد بينا أن الايمان هو التصديق.

---

(١) الزمر: ٥٣.

(٢) الزمر: ١٧-١٨.

(٣) طه: ٣٠-٣١.

(٤) راجع التيسير في القراءات السبع: ص٦٩، ونقله الطبري في تفسيره: ج١ ص١٩٩.

«بما أنزلت» يعني بما انزلت على محمد صلّى الله عليه وآله من القرآن.

وقوله: «مصدّقاً» يعني ان القرآن مصدّق لما مع اليهود من بني اسرائيل من التوراة، وأمرهم بالتصديق بالقرآن واخبرهم أنّ فيه تصديقهم بالتوراة؛ لأن الذي في القرآن من الامر بالاقرار بنبوة محمد صلّى الله عليه وآله وتصديقه نظير الذي في التوراة والانجيل، وموافق لما تقدم من الاخبار به، فهو مصداق ذلك الخبر.

وقال قوم: معناه انه مصدّق بالتوراة والانجيل الذي فيه الدلالة على أنّه حق (١).

والأول الوجه؛ لأن على ذلك الوجه حجة عليهم دون هذا الوجه.

الاعراب:

ونصب «مصدّقاً» على الحال من الهاء المحذوفة، كأنّه قال: أنزلته مصدّقاً، ويصلح ان ينصب بـ«آمنوا» كأنه قيل: آمنوا بالقرآن مصدّقاً.

والمعنيُّ بقوله: «آمنوا» أهل الكتاب من بني اسرائيل؛ لأنه في ذكرهم، وفيه احتجاج عليهم، اذا جاء بالصفة التي تقدّمت بها بشارة موسى وعيسى عليهما السلام. وهو امرٌ بالإقرار بالنبوة وما جاءت به من الشريعة.

اللغة:

وانما وحّد «كافراً» في قوله: «ولا تكونوا أوّل كافر»، وقبله جَمَع لما

---

(١) تفسير مجاهد: ص٢٠١.

ذكره الفراء[١] والأخفش[٢]: وهو أنه ذهب مذهب الفعل، كأنه قال: أول من كفر به، ولو أراد الاسم لما جاز إلّا الجمع ومثل ذلك قول القائل للجماعة: لا تكونوا أول رجل يفعل ذلك.

قال المبرّد: هذا الذي ذكره الفرّاء خارجٌ عن المعنى المفهوم، لأن الفعل هاهنا والاسم سواء إذا قال القائل: زيد أوّل رجل جاء فمعناه أول الرجال الذين جاؤوا رجلاً رجلاً، ولذلك قال: أول كافر وأول مؤمن، ومعناه: أول الكافرين وأول المؤمنين لا فصل بينهما في لغة ولا قياس، ألا ترى أنك تقول: رأيت مؤمناً ورأيت كافراً كما تقول: رأيت رجلاً لا يكون إلّا ذلك؛ لأنك انما رأيت واحداً، كما تقول: رأيت زيداً أفضل مؤمن، وزيدٌ أفضل حرّ، وزيدٌ أفضل رجل وانبل غلام، وليس بين ذلك اختلاف، ولكن جاز «ولا تكونوا أوّل» قبيل «كافر به» وأوّل حزب كافر به، وهو مما يسوغ فيه النعت ويبين به الاسم؛ لأنك تقول: جاءني قبيلٌ صالح، وجاءني حيٌّ كريم، فينعت به الجمع، اذا كان الجمع اسماً واحداً لجميعه كقولك: نفر وقبيل وحزبٌ وجمع، ولا تقول: جاءني رجل كريم، وانت تريد برجل نفراً، كما تقول: نفر كريم؛ لأنّ النعت جارٍ على المنعوت والاسم منفرد بنفسه، ونظير قوله: «أول كافر»، قول الشاعر:

فاذا همُ طَعموا فألأم طاعم واذا همُ جاعوا فشرُّ جِياع[٣]

المعنى:

ومعنى قوله: «ولا تكونوا أوّل كافر به» قال قوم: يعني بالقرآن من أهل

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٣٢.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) البيت استشهد به الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٣٣.

الكتاب؛ لأن قريشاً كفرت به قبلهم بمكة. وقيل: معناه: لا تكونوا أول كافر به أي لا تكونوا أول السابقين بالكفر فيه فيتبعكم الناس، أي لا تكونوا أئمة في الكفر به. وقيل: لا تكونوا أول كافر به أي أول جاحدٍ به إن صفته في كتابكم[١].

والأول والسابق والمتقدم نظائر، ويقال: أول وآخر واول وثان، والأول هــو الموجود قبل الآخر. والأول قبل كل شيء يناقض الوصف بانه محدث، ويعلم ذلك ضرورة.

والهاء في قوله: «به» قيل فيه ثلا ثة أقوال:

احدها: انه يعود الى «ما» في قوله: «بما انزلت» وهو الأجود.

والثاني: لا تكونوا أول كافر به أي بمحمد صلّى الله عليه وآله.

والثالث: أول كافر بما معكم من كتابكم؛ لانهم إذا جحدوا ما فيه من صفة النبي صلّى الله عليه وآله فقد كفروا به.

والأول قول ابن جريج[٢]، وانما كان هو الأجود لأنه اشكل بما تقدم، والثاني قول ابي العالية[٣]. والثالث حكاه الزّجاج وقواه بأنهم كفروا بالقرآن[٤] وانما قيل: ولا تكونوا أول كافر بكتابكم أي صفة محمد صلّى الله عليه وآله فيه. وقال الرماني: وإنما عظم أول الكفر لانهم إذا كانوا أئمة فيه وقدوة في الضلالة كان كفرهم اعظم[٥]، كما روي عن النبيّ صلّى

(١) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٠.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٠.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٠.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٢٢.

(٥) لا توجد لدينا مؤلّفاته.

الله عليه وآله: من سن سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وِزْرها ووِزْر من عمل بها الى يوم القيامة[١]. وليس في نهيه عن أن يكونوا أول كافر دلالة على انه يجوز ان يكونوا آخر كافر؛ لأن المقصود من الكلام النهي عن الكفر على كل حال، وخصّ الأول بالذكر لما قدمنا من عظم موقعه، كما قال الشاعر:

من أُناس ليس في أخلاقهم عاجل الفحش ولا سوء الجزع[٢]

وليس يريد ان فيهم فحشاً آجلاً.

اللغة:

وقوله: «ثمناً قليلاً» فالثمن والعوض والبدل نظائر، وبينها فرق، فالثمن هو البدل في البيع من العين أو الورق، واذا استعمل في غيرهما كان مشبّهاً بهما ومجازاً، والعِوض هو البدل الذي ينتفع به كائناً ما كان، واما البدل فهو الجعل للشيء مكان غيره، ويقال: ثمّنه تثميناً، وثامنه مثامنة، ويجمع الثمن اثماناً واثمناً، ويروى بيت زهير:

وعزّت أثمنُ البدن[٣]

جمع ثمن، ومن روى أثمَنَ البدن أراد الثمينة منها أي أكثرها ثمنا، والثمُن جزء من الثمانية اجزاء من اي مالٍ كان، وثوب ثمين اذا كان كثير الثمن.

---

(١) صحيح مسلم: ج٧ ص١٠٣ و١٠٤، مع اختلاف يسير.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) ديوان زهير: ص١٠٥، والبيت هكذا:

مَن لا يُذابُ له شحمُ السّديفِ إذا زار الشّتاءُ وعَزّتْ أثمنُ البُدُنِ

والفرق بين الثمن والقيمة: إن الثمن قد يكون وفقا، وقد يكون بخسا، وقد يكون زائداً، والقيمة لا تكون إلّا مساوية المقدار للمثمن من غير نقصان ولا زيادة، وكل ما له ثمن فهو مال، وليس كل ملك له ثمن.

والقليل والحقير واليسير نظائر، وضدّه الكثير، تقول: قلّ يقلّ قلةً، واقل منه اقلالاً، واستقل استقلالاً، وتقلّل تقلّلاً، وقلّله تقليلاً، وقليل وقلال بمعنى، ورجل قليل أي قصير، وقلّ الشيء أقله، والقلة والقل لغتان، والقلّة رأس كل شيء، والرجل يقلّ شيئاً يحمله، وكذلك يستقلّه، واستقل الطائر اذا ارتفع، وقُلّة الجبل أعلاه وهي قطعة تستدير في أعلاه وهي القُلة، والقلة التي جاءت في الحديث «مثل قِلال هجر»[1]. قيل: إنها جِرار عِظام. والقِلّة النقصان من العدد. وقيل: في الصغر.

وقوله: «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» فأدخل الباء في الآيات دون الثمن، وفي سورة يوسف في الثمن، في قوله: «وشروه بثمنٍ بخس»[2] قال الفراء: إنما كان كذلك؛ لأن العروض كلها أنت مخير فيها في إدخال الباء، إن شئت قلت: اشتريت الثوب بكساءٍ، وإن شئت قلت: اشتريت بالثوب كساءً. أيها جعلته ثمناً لصاحبه جاز، فاذا جئت الى الدراهم والدنانير وضعت الباء في الثمن، كقوله: «بثمن بخس» لأن الدراهم ثمن أبداً[3].

وروي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» قال عليه السَّلام: كان ليحيى بن أخطب وكعب بن أشرف وآخرين منهم مأكلة على اليهود في كل سنة، فكرهوا بطلانها بأمر النبي

(١) تهذيب اللغة للازهري: مادة «قلل» ج٨ ص٢٨٨.

(٢) يوسف: ٢٠.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص٣٠.

عليه السلام فحرفوا لذلك آيات من التوراة فيها صفته وذكره، فذلك الثمن القليل الذي أُريد به في الآية(١).

وتقييده بـ «لا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً» لا يدل على أنه إذا كان كثيراً يجوز مشترىً به؛ لأنّ المقصود من الكلام أن أيّ شيء باعوا به آيات الله كان قليلاً، وانه لا يجوز أن يكون له ثمنٌ يساويه، كقوله: «ومن يدع مع الله آلهاً آخر لا برهان له به»(٢) انما أراد بذلك نفي البرهان عنه على كل حال، وأنه لا يجوز أن يكون عليه برهان، ومثله قوله: «ويقتلون النبيين بغير حق»(٣) وأنما اراد ان قتلهم لا يكون إلّا بغير الحق، ونظائر ذلك كثيرة، ومثله قول الشاعر:

على لاحبٍ لا يهتدى بمناره(٤)

وانما أراد لا منار هناك فيهتدى به، ولذلك نظائر نذكرها إذا انتهينا اليه إن شاء الله.

قوله تعالى:

وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ آية واحدة بلا خلاف.

اللغة:

اللبس والستر والتغطية والتعمية نظائر، والفرق بين التعمية والتغطية:

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) المؤمنون: ١١٧.

(٣) آل عمران: ٢١.

(٤) القائل هو إمرؤ القيس، انظر ديوانه: ص٩٥ وعجز البيت هكذا:

اذا سافه العودُ النُّباطيُّ جَرجَرا

إن التعمية قد تكون بالنقصان والزيادة، والتغطية تكون بالزيادة. وضد الستر الكشف، وضد اللبس الايضاح، يقال: لبس لبساً، وألبَسه إلباساً، والتبس التباساً، وتلبَّس تلبساً، ولبّسه تلبيساً، ولابَسه ملابسةً، واللباس ما واريت به جسدك. ولِباس التقوى الحياء، والفعل: لبس يلبس، واللبس خلط الأُمور بعضها ببعض إذا التبست، واللبوس الدروع، وكل شيء تحصنت به فهو لبوس، قال الله تعالى: «وعلّمناه صنعة لبوسٍ لكم»(١)، قال الشاعر:

إلبس لكل حالة لبوسَها إما نعيمها وإما بؤسها(٢)

وثوبٌ لبيس، وجمعه ألبس، واللبسة ضربٌ من اللباس، والفعل: لبس يلبس لبساً ولبسة واحدة، ويقال: لبست الأمر ألبسه إذا عميته، ومنه قوله: «وللبسنا عليهم ما يلبسون»(٣)، ولابست الرجل ملابسةً إذا عرفت دخلته، وفي فلان ملبس إذا كان فيه مستمع، وفي أمره لبسة أي ليس بواضح.

وأصل اللبس الستر، قال الأخطل:

وقد لبست لهذا الدهر أعصره حتى تجلّل رأسي الشيب فاشتعلا(٤)

والفرق بين اللبس والاخفاء والريب والاشكال: إن الاخفاء يمكن أن يدرك معه المعنى، ولا يمكن إدراك المعنى مع اللبس، والريب معه تهمة المشكوك فيه، والاشكال قد يدرك معه المعنى إلّا أنه بصعوبة، لأجل

(١) الأنبياء: ٨٠.

(٢) إصلاح المنطق: ص٣٣٣، وقائله: بيهس الفزاري.

(٣) الانعام: ٩.

(٤) ديوانه: ص٢١٩.

التعقيد .

وأسباب الالباس كثيرة، منها: الاشتراك ، ومنها: الاختلاف، ومنها: الاختزال وهو حذف مقدمه وشرطه أو ركنه، ومنها: الاختلاط والبسط وهو المنع من إدارك الشيء تشبيهاً بما يمنع من إدراكه بالستر والتغطية،ومنه قول النبي عليه السلام للحارث بن حوط: ياحار إنه ملبوس عليك ، إنّ الحق لا يعرف بالرجال، إعرف الحقّ تعرف أهله(١) .

والبطلان والفساد والكذب والزور والبهتان نظائر، وضد الحق الباطل، يقال: بطل بطولاً، وبطلاً وبطلاناً إذا تلف، وأبطلته ابطالا إذا أتلفته، والبطل والباطل واحد، وبطل الرجل بطولة إذا صار بطلا، ويقال: رجل بطل، ولا يقال: إمرأة بطلة، وبطل بطالة إذا هزل وكان بطّالا، والأباطل جمع إبطالة وأُبطولة، والباطل ضد الحق، وأبطلته جعلته باطلاً. وأبطل فلان إذا جاء بباطل، والبطل الشجاع الذي يبطل جراحاته، لا يكترث لها، ولا تكفه عن نجدته .

وأصل الباطل الخبر الكذب، ثم كثر حتى قيل لكل فاسد. ويقال: فعل باطل أي قبيح، وبناء باطل أي منتقض، وزرع باطل أي محترق تالف .

المعنى :

ومعنى لبسهم الحق بالباطل أنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض،

---

(١) لم نعثر في مصادرنا الحديثية، ورواه الطبرسي في مجمع البيان: ج١-٢ ص٩٥ عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال للحرث بن حوط، فلاحظ.

فخلطوا الحق بالباطل؛ لأنهم جحدوا صفة محمد صلّى الله عليه وآله فذلك الباطل، وأقرّوا بغيره مما في الكتاب على ما هو به، وذلك حق .

وقال ابن عباس: لا تخلطوا الصدق بالكذب[١]. وقال الحسن: كتموا صفة محمد صلّى الله عليه وآله ودينه وهو الحق، وأظهروا دين اليهودية والنصرانية[٢]. وقال ابن زيد: الحق التوراة التي أنزلها الله على موسى، والباطل ما لبسوه بأيديهم[٣] .

واللبس في الآية قيل معناه: التعمية[٤]. وقيل: خلط الحق بالباطل، عن ابن عباس[٥]، ومنه قوله: «وللبسنا عليهم ما يلبسون»[٦] أي لخلطنا عليهم ما يخلطون، قال العجّاج:

لما لبسن الحق بالتجنيّ عيين واستبدلن زيداً مني[٧]

وقال بعضهم: الحق إقرارهم بأن محمداً صلّى الله عليه وآله مبعوث إلى غيرهم، والباطل إنكارهم أن يكون بعث إليهم[٨] وهذا ضعيف؛ لأنه إن جاز ذلك على نفرٍ يسير لم يجز على الخلق الكثير، مع إظهار النبي صلّى الله عليه وآله وتكذيبهم فيه، وإقامة الحجّة عليهم .

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠١.

(٢) تفسيره: ج١ ص٩٢.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٢.

(٤) تلخيص البيان للرضي : ص١١٥.

(٥) تفسير ابن عبّاس: ص٨.

(٦) الأنعام: ٩.

(٧) ديوانه: ص٦٥.

(٨) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٠١.

الإعراب:

وقوله: «وتكتموا الحق» يحتمل أمرين من الاعراب:

أحدها: الجزم على النفي، كأنه قال: لا تلبسوا الحق ولا تكتموه.

والآخر: النصب على الظرف، كأنه قال: لا تجمعوا اللبس والكتمان، كما قال الشاعر:

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثله ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيم[1]

ومثله: لا يسعني شيء، ويعجز عنك. وعند الخليل[2] وسيبويه[3] والاخفش[4]: ينصب مثل ذلك باضمار أن، ويكون تقدير الكلام: لا يكن منكم لبس الحق وكتمانه، ودلّ «تلبسوا» على اللبس و«تكتموا» على الكتمان، كما تقول: من كذب كان شراً له، وكذب دليل على الكذب، فكأنه قال: من كذب كان الكذب شراً له.

المعنى:

قوله: «وأنتم تعلمون» قال قوم: هو متوجه إلى رؤساء أهل الكتاب، ولذلك وصفهم بأنّهم يحرّفون الكلم عن مواضعه للتلبيس على أتباعهم، قالوا: وهذا تقبيح لما يفعلونه[5]، وكذلك قوله: «وتكتمون الحق» أي

---

(١) المقتضب: ج٢ ص٢٦.

(٢) راجع الجمل في النحو للفراهيدي: ص ٦٨.

(٣) الكتاب: ج١ ص٤٩٧.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٢٢٩.

(٥) تفسير مجاهد: ص٢٠١، وتفسير الطبري: ج١ ص٢٠٣.

تتركون الاعتراف به، وأنتم تعرفونه أي تجحدون ما تعلمون. وجحد المعاند أعظم من جحد الجاهل.

ومن قال هذا لا يلزمه ما يتعلق به أهل التعارف من هذه الآية، من قولهم: إن الله أخبر أنهم يكتمون الحق وهم يعلمون؛ لأنه إذا خصّ الخطاب بالرؤساء -وهم نفر قليل- فقد جوّز على مثلهم العناد والاجتماع على الكتمان، وإنما يمنع مع ذلك في الجماعة الكثيرة، لما يرجع الى العادات واختلاف الدواعي، كما قيل في الفرق بين التواطي والاتفاق في العدد الكثير. وقال بعضهم: وأنتم تعلمون البعث والجزاء.

فان قيل: كيف يصحّ ذلك على أصلكم الذي تقولون: إن من عرف الله لا يجوز أن يكفر؟ وهؤلاء إذا كانوا كفاراً، وماتوا على كفرهم، كيف يجوز أن يكونوا عارفين بصفة محمد، وأنه حق بما معهم من التوراة، وذلك مبني على معرفة الله، وعندكم ما عرفوا الله؟

[قلنا]: إن الذي يمنع أن يكفر من عرف الله، إذا كان معرفته على وجه يستحقّ بها الثواب فلا يجوز أن يكفر؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع الثواب الدائم على إيمانه والعقاب الدائم على كفره، والاحباط باطل. وذلك خلاف الاجماع، ولا يمتنع أن يكونوا عرفوا الله على وجهٍ لا يستحقّون به الثواب؛ لأن الثواب إنما يستحق بأن يكونوا [نظروا من الوجه الذي وجب عليهم، فأما إذا نظروا][1] بغير ذلك، فلا يستحقون الثواب فيكونوا على هذا عارفين بالله وبالكتاب الذي أنزله على موسى، وعارفين بصفات النبي صلّى الله عليه وآله، لكن لا يؤمنون [ولا يكونوا] مستحقين الثواب. وعلى هذا يجوز

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة الخطيّة وأثبتناه من المطبوعة.

أن يكفروا .

وفي الناس من قال: استحقاقهم الثواب على إيمانهم مشروط بالموافاة، فاذا لم يوافوا به لم يستحقّوا الثواب، فعلى هذا أيضاً يجوز أن يكونوا عارفين، وإن لم يكونوا مستحقّين لثواب يبطل بالكفر. والمعتمد الأوّل .

وقال قوم: الآية متوجّهة إلى المنافقين منهم، وكان خلطهم الحق بالباطل ما أظهروا بلسانهم من الإقرار بالنبي صلّى الله عليه وآله بما يستبطنونه من الكفر. وهذا يمكننا الاعتماد عليه، ويكون قوله: «وأنتم تعلمون» معناه أنكم تعلمون أنكم تظهرون خلاف ما تبطنونه. وهذا أسلم من كل وجهٍ على أصلنا .

ويمكن أن يقال: معنى قوله: «وأنتم تعلمون» أي عند أنفسكم؛ لأنّهم إذا كانوا يعتقدون أنهم عالمون بالتوراة وبأنّه من عند الله وفيها ذكر النبي فهم عالمون عند أنفسهم بنبوّته لكن يكابرون .

قوله تعالى:

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ آية بلا خلاف .

اللغة :

الصلاة في أصل اللغة الدعاء، قال الشاعر:

عليك مثل الذي صلّيت فاغتمضي نوماً فان لجنب المرء مضطجعا[1]

أي دعوت، وقال آخر:

وقابلها الريح في دنّها وصلى على دنّها وارتسم[2]

(١) البيت للأعشى،انظر ديوانه: ص١٠٦.

(٢) البيت أيضاً للأعشى، أنظر ديوانه: ص١٩٦ من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب. وأما

أي ودعا، وقيل: أصلها اللزوم من قول الشاعر:

لم أكن من جناتها علم الله وإني لحرّها اليوم صال(١)

أي ملازم لحرها، فكان معنى الصلاة ملازمة العبادة على الحدّ الذي أمر الله عز وجل، وقيل: بل أصلها الصلا وهو عظم العجز لرفعه في الركوع والسجود، من قول الشاعر:

فآب مصلوهم بعين جليّة وغودر بالجولان حزم ونائل(٢)

أي الذين جاؤوا في صلا السابق. والقول الأول أقرب إلى معنى الصلاة في الشرع، وقد بينّا معنى إقامة الصلاة فيما مضى (٣)، فلا وجه لاعادته.

وقوله: «وآتوا الزكاة» فالزكاة والنماء والزيادة نظائر في اللغة، ونقيض الزيادة النقصان، ويقال: زكا يزكو زكاء، وتزكى تزكيةً، قال صاحب العين: الزكاة زكاة المال وهو تطهيره، ومنه زكى يزكّي تزكيةً، والزكاة زكاة الصلاح، تقول: رجل تقي زكي، ورجال أتقياء أزكياء، والزرع زكا زكآء (ممدود) وكل شيء يزداد وينمو فهو يزكو زكاء، وتقول: هذا لا يزكو بفلان أي لا يليق به(٤)، قال الشاعر:

المال يزكو بك مستكثراً يختال قد أشرق للناظر(٥)

ومصدر الزكاة ممدود، ويقال: إن فلاناً لزكا النقد أي حاضره وعتيده،

عبارة «وقال آخر» فهي مثبّتة في الخطية والمطبوعة، ولعلّ «آخر» زيادة من النسّاخ.

(١) الأغاني: ج٤ ص١٤٥،وقائله الحارث بن عباد.

(٢) البيت للنابغة الذبياني، انظر ديوانه: ص٢١٢..

(٣) راجع الجزء الأول: ص ٣٧٢.

(٤) العين: مادة «زكو» ج٥ ص٣٩٤.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «زكا» ج١٠ ص٣٢٠.

والزكا الشفع، قال الشاعر:

كانوا خساً أو زكاً من دون أربعة ... لم يخلقوا وجدود الناس تعتلج[١]

والخسا الوتر. وأصل الباب النمو، والزكاة تنمي المال بالبركة التي يجعل الله فيه. وسمّي بالزكاة في الشريعة، ما يجب إخراجه من المال؛ لأنه نماء ما يبقى ويثمر. وقيل: بل مدح لما يبقى لأنه زكي أي مطّهر، كما قال: «أقتلت نفساً زكية بغير نفس»[٢] أي طاهرة.

وقوله: «واركعوا» فالركوع والانحناء والانخفاض نظائر في اللغة، يقال: ركع ورفع، قال الشاعر:

لا تهين الفقير علّك أن ... تركع يوماً والدهر قد رفعه[٣]

قال أبو زيد: الراكع الذي يكبو على وجهه، ومنه الركوع في الصلاة[٤]، قال الشاعر:

وأفلت حاجب فوق العوالي ... على شقّاء تركع في الظراب[٥]

والركعة الهوة في الأرض -لغة يمانية-. قال صاحب العين: كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبته الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطىء رأسه فهو راكع[٦] قال الشاعر:

ولكني أنص العيس تدمى ... أياطلها وتركع بالحزون[٧]

---

(١) البيت منسوب للدبيرية، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «خسا» ج٧ ص٤٨٥.

(٢) الكهف: ٧٤.

(٣) البيت للأضبط بن قريع الأسدي، انظر تهذيب اللغة: مادة «ركع» ج١ ص٣١٢.

(٤) جهرة اللغة: مادة «رَعَكَ» ج٢ ص٣٨٥، ولم ينسبه لأحد.

(٥) قائله «بشر بن أبي حازم الاسدي» أنظر جهرة اللغة: مادة «رَعَكَ» ج٢ ص٣٨٥.

(٦) العين: مادة «ركع» ج١ ص٢٠٠.

(٧) نسبه في العين مادة «ركع» ج١ ص٢٠١ للبيد، ولم نجده في ديوانه المطبوع.

وقال لبيد:

أخبر أخبار القرون التي مضت أدب كأني كلّما قمت راكع[١]

وقيل: إنه مأخوذ من الخضوع، ذهب اليه الفضل بن سلمة[٢] والأصمعي[٣][٤]، قال الشاعر:

لا تهين الفقير علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه

والأول أقوى، لأن هذا مجاز مشبّه به.

التفسير:

وقوله: «واركعوا مع الراكعين» إنما خص الركوع بالذكر من أفعال الصلاة، لما قال بعض المفسرين: إن المأموزين هم أهل الكتاب، ولا ركوع في صلاتهم وكان الأحسن ذكر المختصّ دون المشترك؛ لأنه أبعد عن اللبس[٥].

وقيل: لأنه يعبر بالركوع عن الصلاة، يقول القائل: فرغت من ركوعي

---

(١) ديوانه: ص٨٩.

(٢) هو أبو سلمة الفضل بن سلمة بن جرير الجهني، حافظ من علماء المالكية، توفي في بجانة سنة ٣١٩هـ.

(الأعلام: ج٥ ص١٤٩).

(٣) ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن قريبة الاصمعي راوية العرب واحد علماء اللغة والشعر، والاصمعي نسبة الى جده الاصمع، مولده ووفاته في البصرة، كان الرشيد يسميه شيطان الشعر له عدة كتب. توفي سنه ٢١٦هـ.

(وفيات الأعيان: ج٢ ص٣٤٤، الاعلام: ج٤ ص١٦٢).

(٤) نقل قولهما الماوردي في تفسيره: ج١ ص١١٤.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٣.

أي من صلاتي، وانما فعل ذلك؛ لأنه أول ما يشاهد مما يدل على أن الانسان في الصلاة، لأنا بيّنا أن أصل الركوع الأنحناء.

فان قيل: كيف أُمروا بالصلاة والزكاة وهم لا يعرفون حقيقة ما في الشريعة؟

قيل: إنما أُمروا بذلك؛ لأنهم أُحيلوا فيه على بيان الرسول اذقال: «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا»[١]، ولذلك جاز أن يأمرهم بالصلاة على طريق الجملة، ويحيلهم في التفصيل الى بيان الرسول صلّى الله عليه وآله وقد بيّنا تفصيل ما ورد الشرع به من الصلاة والزكاة وفرائضها وسننها في كتاب النهاية والمبسوط وغيرهما من كتبنا في الفقه، فلا نطوّل بذكره في هذا الكتاب.

وقد ورد في القرآن على طريق الجملة آي كثير نحو قوله: «أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة»، وقوله «فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً»[٢]، وقوله: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»[٣]، وقوله: «قد أفلح المؤمنون*الذين هم في صلاتهم خاشعون»[٤]. ويمكن الاستدلال بهذه الآيات على وجوب جميع الصلوات، وعلى صلاة الجنائز، وصلاة العيدين، وعلى وجوب الصلاة على النبي صلّى الله عليه وآله في التشهد؛ لأنه عام في جميع ذلك.

فان قيل: قوله: «وأقيموا الصلاة» دخل فيها الركوع فلم قال:

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) النساء: ١٠٣.

(٣) البقرة: ٢٣٨.

(٤) المؤمنون: ١-٢.

«واركعوا» هل هذا إلّا تكرار؟

قلنا: قد ثبت أن هذا خطاب لأهل الكتاب، وليس في صلاتهم ركوع، فكأنه أمرهم بالصلاة على ما يرون هم، وأمرهم بضم الركوع إليها. ومعنى قوله: «اركعوا» أي صلّوا نقول: إن ذلك تأكيد، ويمكن أن يقال فيه فائدة، وهو أن يقال: إن قوله: «أقيموا الصلاة» إنما يفيد وجوب إقامتها، ويحتمل أن يكون إشارة إلى صلاتهم التي يعرفونها. ويمكن أن يكون إشارة إلى [الصلاة][1] الشرعية، فلما قال: «واركعوا مع الراكعين» يعني مع هؤلاء المسلمين الراكعين، تخصصت بالصلاة في الشرع، ولا يكون تكراراً بل يكون بياناً.

وقيل: قوله: «واركعوا مع الراكعين» حث على صلاة الجماعة[2] لتقدم ذكر الصلاة المنفردة في أول الآية.

قوله تعالى:

أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ آية.

المعنى:

كل طاعة لله تعالى فلا خلاف أنها تسمى براً. واختلفوا في المراد بهذه الآية، فقال ابن عباس: المراد به التمسك بكتابهم، فكانوا يأمرون أتباعهم، ويتركون هم التمسك به؛ لأن جحدهم النبي عليه السلام هو تركهم التمسك

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الخطيّة واثبتناه من المطبوعة.

(٢) تفسير ابن عباس: ص٨.

به[١].

وقال قتادة: كانوا يأمرون الناس بطاعة النبي عليه السلام ويخالفون ذلك[٢]. وقال قوم: إن معناه أنهم كانوا يأمرون ببذل الصدقة ويضنون بها[٣]. وقال بعضهم: البر الصدق[٤] من قولهم: صدق وبر، ومعناه: أنهم يأمرون بالصدق ولا يصدقون.

اللغة:

والبر ـ في أُصول اللغة ـ والصلة والاحسان نظائر، يقال: هو بارّ وصول محسن. وضد البر العقوق، وقال ابن دريد: البرّ ضد العقوق، ورجل بار وبر بمعنى واحد، وبرّت يمينه إذا لم يحنث، وبر حجّه، وبر (لغتان) والبَر خلاف البحر، والبُر معروف أفصح من الحنطة والقمح، واحده برة[٥]،قال الهذلي:

لادرّ درّي إن أطعمت نازلهم قرف الحتي وعندي البرّ مكنوز[٦]

الحتي ردي المقل خاصة، ومن أمثالهم: لا يعرف الهر من البر، واختلفوا في هذا المثل، فقال الرماني: الهر السنّور، والبر الفارة في بعض اللغات أو

---

(١) تفسير ابن عباس: ص٨، ونقله بالمضمون الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٣.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٤، وتفسير الماوردي: ج١ ص١١٤. وفيها: «بطاعة الله» بدل «بطاعة النبي».

(٣) تفسير الماوردي: ج١ ص١١٤.

(٤) راجع العين: مادة «بر» ج٨ ص٢٥٩.

(٥) جمهرة اللغة: مادة «برر» ج١ ص٢٧.

(٦) جمهرة اللغة: مادة «بَ رَرَ» ج١ ص٢٧، وفيه: «رائدهم» بدل «نازلهم»

دويبة تشبهها[١]. وقال الاخفش: معناه لا يعرف من يبره ممن يهر عليه[٢]. وقوم بررة أبرار والمصدر البر، ويقال: صدق وبر، وبرت يمينه أي صدقت، وكانت العرب تقول: فلان يبرر به أي يطيعه، قال الراجز:

لاهــم إن بــكــراً دونــكــا يــبـرك الـنـاس ويـفـجـرونـكـا[٣]

والابرار: الغلبة، يقال: أبرّ عليهم فلان، قال طرفة:

ويبرون على الآي المُبِر[٤]

والبربرة كثرة الكلام، والجلبة باللسان، وأصل الباب كله البر وهو اتساع الخير. والفرق بين البر والخير: إن البر يدل على القصد، والخير قد يقع على وجه السهولة.

اللغة:

قوله: «وتنسون أنفسكم».

فالنسيان والغفلة والسهو نظائر. وضدّ النسيان الذكر، تقول: نسي نسياناً، وأنساه إنساء، وتناساه تناسياً، وفلان نسي كثير النسيان، والنسي والمنسي الذي ذكره الله تعالى: «وكنت نسياً منسياً»[٥] وسمّي الانسان إنساناً إشتقاقاً من النسيان، وهو في الأصل إنسيان، وكذلك إنسان العين،

---

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) أنظر الصحاح: مادة «برر» ج٢ ص٥٨٨، والبر: صوت المعزى، والهر: صوت الضأن.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «عشج» ج١ ص٣٥٤، وورد شطراً منه في العين: مادة «بر» ج٨ ص٢٥٩.

(٤) ديوانه: ص٦٧، وتمام البيت هكذا:

يـكشـفـون الضُـر عـن ذي ضـرهـم ويُـبـرُّونَ على الآبي الـمُـبِـر

(٥) مريم: ٢٣.

والجمع أناسي، والنسا عرق سيق بين الفخذين فيستمر في الرجل وهما نسيان، والجمع أنساء، وهو في الفخذ، ويسمى في الساق: الطفل، وفي البطن: الحالبين، وفي الظهر: الأبهر، وفي الحلق: الوريد، وفي القلب: الوتين، وفي اليد: الأكحل، وفي العين: الناظر، يقال: هو نهر الجسد لأنه يمد جميع العروق.

وأصل الباب النسيان ضد الذكر، وقوله: «نسوا الله فنسيهم»(١) أي تركوا طاعته فترك ثوابهم، ويقال: آفة العلم النسيان، والمذاكرة تحيي العلم، وحدّ النسيان: غروب الشيء عن النفس بعد حضوره لها.

والفرق بين النسيان والسهو: إن السهو يكون ابتداءً وبعد الذكر، والنسيان لا يكون إلّا بعد الذكر. والنسيان والذكر معاً من فعل الله تعالى؛ لأن الانسان يجتهد أن يذكر شيئاً فلا يذكره.

المعنى:

ومعنى قوله: «وتنسون أنفسكم» أي تتركونها، وليس المراد بذلك ما يضاد الذكر؛ لأن ذلك من فعل الله لا ينهاهم عنه.

فان قيل: إذا كان الواجب عليهم مع ترك الطاعة والاقامة على المعصية الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية، فكيف قيل لهم هذا القول؟

قلنا: في أمرهم بالطاعة ونهيهم عن المعصية تعظيم لما يرتكبونه من معصية الله تعالى؛ لأن الزواجر كلها كلما كانت أكثر كانت المعصية أعظم، ففي نهيهم لغيرهم زواجر، فهو توبيخ على عظيم ما ارتكبوا من ذلك.

---

(١) التوبة: ٦٧.

اللغة:

وقوله: «وانتم تتلون الكتاب».

فالتلاوة والقراءة والدراسة نظائر، يقال: فلانٌ يتلو تلاوة فهو تالٍ أي تابع، والمتالي الأُمهات إذا تلاهن الأولاد، والواحد متل، وناقة متلية وهي التي تنتج في آخر النتاج.

وأصل الباب الاتباع، فتسمى التلاوة بذلك لاتباع بعض الحروف فيها بعضاً.

والفرق بين التلاوة والقراءة: إن أصل القراءة جمع الحروف، وأصل التلاوة اتباع الحروف، وكل قراءة تلاوة وكل تلاوة قراءة. وحدّ الرماني التلاوة ما به صوت يتبع فيه بعض الحروف بعضاً[1].

المعنى:

والكتاب الذي كانوا يتلونه التوراة، على قول ابن عباس وغيره[2]. وقال أبو مسلم: كانوا يأمرون العرب باتباع الكتاب الذي في أيديهم، فلما جاءهم كتاب مثله لم يتبعوه[3].

اللغة:

وقوله: «أفلا تعقلون».

فالعقل والفهم واللب والمعرفة نظائر، يقال: فلانٌ عاقلٌ فهيم أديب ذو

(١) لا توجد لدينا مؤلّفاته.

(٢) تفسير الطبرسي: ج١ ص٢٠٤.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

معرفة، وضد العقل الحمق، يقال: عقل الشيء عقلا، وأعقله غيره إعقالا، ويقال: اعتقله اعتقالا، وانعقل انعقالا. وقيل لابن عباس: أنى لك هذا العلم؟ قال: قلبٌ عقول ولسانٌ سؤول[١]. ويقال: عقلت بعد الصبا أي عرفت الخطأ الذي كنت فيه.

وقال صاحب العين: العقل ضد الجهل، يقال: عقل الجاهل إذا علم، وعقل المريض بعد ما هجر، وعقل المعتوه ونحوه، والعِقال الرباط، ويقال: عقلت البعير أعقله عقلاً إذا شددت يده بالعقال، وإذا أخذ صدقة الابل تامةً لسنةٍ يقال: أخذ عقالاً وعقالين لسنتين وعقلاً لجماعة، وقال الشاعر:

سعى عقالاً فلم يترك لنا سبداً ... فكيف لو قد سعى عمرو عقالين
لاصبح الناس أوباداً وما وجدوا ... يوم التحمل في الهيجا جمالين[٢]

قال المبرّد: يقال للمصدق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنه: أخذ عقالاً، وإذا أخذ قيمته قيل: أخذ نقداً[٣]. والعقيلة من النساء التي قد عُقلت في بيتها أي حبست في بيتها وخدّرت، والجمع عقائل، والدرة عقيلة البحر، وعقيلة كل شيء أكرمه، وعُقل القتيل إذا أُوديت ديته من القرابة لا من القبائل، والعقل في الرجل اصطكاك الركبتين، والعقل ثوب أحمر تتخذه نساء العرب، والمعقول هذا العقل عند قوم، قال الراعي[٤]:

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «عقل» ج١ ص٢٣٩، والشاعر «عمرو بن العدّاء الكلبي». ونقل البيت الاول العين: مادة «عقل» ج١ ص١٥٩.

(٣) حكاه ابن الأثير بلفظة «قيل» في النهاية: ج٣ ص٢٨٠.

(٤) وهو عبيد بن حُصَين الرّاعي من رجال العرب ووجوه قومه، وكان مع ذلك بذيّاً هجّاءً ←

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولا [1]

والعقل والمعقل وهو الحصن، وجمعه: عقول، والعاقول من النهر والوادي، ومن الامور أيضاً الملتبس وما اعوج منه، وعقل الدواء بطنه أي حبسه وقولهم: لا يعقل حاضر لبادٍ، قال ابن دريد: معناه أن القتيل إذا كان بالبادية فان أهلها يتعاقلون بينهم الديّة، ولا يلزمون أهل الحضر من بني اعمامهم شيئا، وفي الحديث: (انا لا نتعاقل المضيع) يعني ما سهل من الشجاج، بل يلزم الجاني[2]. وعاقلة الرجل بنو عمه الأدنون، لأنهم كالمعقل له.

وأصل الباب العقل الذي هو العقد، والعقل مجموع علوم لأجلها يمتنع من كثير من القبائح ويفعل كثيراً من الواجبات. وقال الرماني: العقل هو العلم الأول الذي يزجر عن قبيح الفعل، وكل من كان زاجره أقوى كان عقله أقوى[3]. وقيل: العقل معرفة يفصل بها بين القبيح والحسن في الجملة. وقيل: العقل قوة يمكن معها الاستدلال بالشاهد على الغائب. وهذه العبارات قريبة المعاني مما ذكرناه.

والفرق بين العقل والعلم: إن العقل قد يكمل لمن فقد بعض العلوم، كفقد من كمل عقله العلم بأن هذه الرمانة حلوة أو حامضة، ولا يكمل العلم لمن فقد بعض عقله.

لعشيرته، ضافه يوماً رجلٌ من بني كلاب في سنة حصّاء ولم يحضره قِرىً، وكان الكلابيّ على ناب له فأمر الراعي ابن أخ له يقال له حبتر فنحرها فأطعمها إيّاه ولا يعلم الكلابي، فعيّره بنو عمّ له من قومه.

(طبقات الشعراء: ص١١٧).

(١) لم نعثر عليه.

(٢) جمهرة اللغة: ج٣ ص١٢٩، وفيه «المُضغ» بدل «المضيع».

(٣) مؤلفاته مفقودة.

فان قيل: إذا كان العقل مختلفا فيه، فكيف يجوز أن يستشهد به؟

قيل: الاختلاف في ماهية العقل لا يوجب الاختلاف في قضاياه، ألا ترى أن الاختلاف في ماهية العقل، حتى قال بعضهم: معرفة، وقال بعضهم: قوة، لا يوجب الاختلاف في أن الألف أكثر من الواحد، وأن الموجود غير المعدوم، وغير ذلك من قضايا العقل.

قوله تعالى:

﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ آية واحدة.

قال الجبائي: هذا خطاب للمؤمنين دون أهل الكتاب(١). وقال الطبري والرماني: هو خطاب لأهل الكتاب، ويتناول المؤمنين على وجه التأديب(٢). والأقوى أن يكون خطاباً لجميع من هو بشرائط التكليف، لفقد الدلالة على التخصيص، واقتضاء العموم ذلك. **فمن قال: إنه خطاب** لأهل الكتاب، قال: لأنه قال: واستعينوا على الوفاء بعهدي الذي عاهدتكم في كتابكم عليه من طاعتي واتباع أمري واتباع رسولي، وترك ما نهيتكم عنه، والتسليم لأمري ولمحمد صلّى الله عليه وآله بالصبر والصلاة.

اللغة:

وأصل الصبر هو منع النفس محابها وكفّها عن هواها، ومنه الصبر على المصيبة، لكفّه نفسه عن الجزع. وقيل لشهر رمضان: الصبر، لصبر صائمه عن الطعام والشراب نهاراً، وصبرت إياهم صبرة حبسه لهم وكفه إياهم عنه،

---

(١) لم تتوفر لدينا مؤلفاته.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٦.

كما يصبر الرجل القتيل فيحبسه عليه حتى يقتله صبراً، يعني حبسه عليه حتى قتله.

والمقتول مصبور، والقاتل صابر، والصبر واللبث والحبس نظائر، والصبر ضد الجزع، وأنشد أبو العباس[١]:

فان تصبرا فالصبر خيرُ معيشة وإن تجزعا فالأمر ما تريان

ويقال: صبر صبراً، وتصبر تصبراً، واصطبر اصطباراً، وتصابر تصابراً، وصابره مصابرة، قال صاحب العين: الصبر نصب الانسان للقتل فهو مصبور، يقال: صبروه أي نصبوه للقتل، ويقال: صبرته أي حلّفته بالله جهد نفسه، وكل من حبسته لقتل أو يمين فهو قتل صبر، ويمين صبر.

والصبر عصارة شجر معروف، والصبار تمر الهند، وصبر الاناء ونحوه نواحيه، وأصبار القبر نواحيه، والصبرة من الحجارة ما اشتدَّ وغلظ، والجمع الصبّار، وأُم صبار هي الداهية الشديدة، وصبر كل شيء أعلاه، وصبير القوم الذي يصبر معهم في أمرهم، وصبر الخِوان رقاقة غليظة تبسط تحت ما يؤكل من الطعام، وتقول: اشتريت الشيء بلا صبر أي بلا كيل، والصبير الكفيل[٢].

واصل الباب الصبر الذي هو الحبس.

المعنى:

والصبر خلق محمود أمر الله تعالى به ودلّ عليه، فقال: «واصبر وما

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٢) العين: مادة «صبر» ج٧ ص١١٥-١١٧.

صبرك إلّا بالله»[١] وقال: «اصبروا وصابروا»[٢] وقال: «وبشر الصابرين»[٣] وقال: «واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الامور»[٤] وفي الحديث: (اقتلوا القاتل واصبروا الصابر)[٥] وذلك فيمن أمسكه حتى قتله آخر فأمر بقتل القاتل وحبس الممسك.

والصبر المأمور به في الآية قيل فيه قولان: أحدهما: الصبر على طاعته واجتناب معصيته. والثاني: أنه الصوم[٦].

وفي الصلاة ـ هاهنا ـ قولان: أحدهما: الدعاء. والثاني: أنها الصلاة الشرعية ذات الركوع والسجود[٧].

وكان النبي صلّى الله عليه وآله إذا أحزنه أمر استعان بالصلاة والصوم، ووجه الاستعانة بالصلاة لمكان ما فيها من تلاوة القرآن والدعاء والخضوع لله تعالى والاخبات؛ فإنّ في ذلك معونة على ما تنازع اليه النفس من حبّ الرياسة والانفة من الانقياد الى الطاعة.

والضمير في قوله: «وإنها لكبيرة» عائد على الصلاة عند أكثر المفسرين[٨]. وقال قوم: عائد الى الاجابة للنبي عليه السلام[٩] وهذا

(١) النحل: ١٢٧.
(٢) آل عمران: ٢٠٠.
(٣) البقرة: ١٥٥.
(٤) لقمان: ١٧.
(٥) السنن الكبرىٰ: ج٨ ص٥١.
(٦) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٥.
(٧) تفسير الطبري: ج١ ص٨٠.
(٨) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٦.
(٩) تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٦، وتفسير الماوردي: ج١ ص١١٦.

ضعيف؛ لأنه لم يجر للاجابة ذكر ولا هي معلومة إلّا بدليل غامض، وليس ذلك كقوله: «إنا أنزلناه»(١) لأنّ ذلك معلوم.

وردّ الضمير على واحد وقد تقدّم ذكر شيئين، فيه قولان:

أحدهما: انها راجعة الى الصلاة دون غيرها على ظاهر الكلام لقربها منه، ولأنها الأهم والأفضل، ولتأكيد حالها وتفخيم شأنها وعموم فرضها.

والآخر: أن يكون المراد الاثنين وان كان اللفظ واحداً، كقوله: «والله ورسوله أحقّ أن يرضوه»(٢) قال الشاعر:

أما الوسامة أو حسن النساء فقد ... أُوتيت منه أو انّ العقل محتنك(٣)

وقال البرجمي(٤):

فمن يك امسى بالمدينة رحله ... فاني وقيار بها لغريب(٥)

---

(١) يوسف: ٢، والدخان: ٣، والقدر: ١.

(٢) التوبة: ٦٢.

(٣) أورده الأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٢٥٣ ولم ينسبه لأحد.

(٤) البُرْجميّ: ضابئ بن الحارث البُرْجميّ بن بني غالب بن حنظلة: شاعر، خبيث اللسان، كثير الشعر، عُرف بالجاهلية وأدرك الاسلام، فعاش بالمدينة الى أيام عثمان، وكان مولعاً بالصيد، وله خيل وكان ضعيف البصر، سجنه عثمان لقتله صبياً بدابته، ثم إنه تخلّص من السجن. وقد كان استعار كلباً من قوم من بني نهشل فحبس الكلب حولاً، ثم جاؤوا يطلبون كلبهم وألحوا عليه حتى أخذوه منه فهجاهم، ورمىٰ أُمهم بالكلب فقال:

تَجَشَّمَ دوني وَفْدُ قُرْحانَ شُقَّةً ... تَظَلُّ بها الوَجْناء وهي حسيرُ

فأردفتُمُهم كلباً فراحوا كأنّما ... حَباهُمْ بتاج الهُرمزانِ أميرُ

فأُمُّكُمُ لا تتركوها وكلبكم ... فإنّ عقوق الوالدات كبيرُ

فأعاده عثمان الى السجن لهجائه قوم بني النهشل وبقي فيه الى ان مات سنة ٣٠هـ.

(طبقات الشعراء لابن سلام: ص٤٠، والشعر والشعراء لابن قتيبة: ص٢٠٢، والأعلام: ج٣ ص٢١٣، والكامل في التاريخ: ج٣ ص١٨٢).

(٥) نقله ابن سلام في طبقات الشعراء: ص٤٠، وابن قتيبة في الشعر والشعراء: ص٢٠٤،

وقال ابن أحمر[١]:

رماني بأمرٍ كنت منه ووالدي بريأً ومن طول الطوي رماني[٢]

وقال آخر:

نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والرأي مختلف[٣]

وقوله: «واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضّوا اليها»[٤]، قال قوم: اللفظ واحد والمراد به اثنان[٥]. وقال الفراء: راجع الى التجارة لأن تجارةً جاءت فضربوا بالطبل فانصرف الناس اليها[٦].

والاستعانة في الآية المأمور بها على ما تنازع اليه نفوسهم من حبّ الرياسة وغلبة الشهوة للذة العاجلة، والاستعانة بالصبر على المشقّة بطاعة الله.

والأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٢٥٤.

(١) ابن احمر: عمرو بن أحمر بن العمرّد من شعراء الجاهلية المعدودين، وكان ينزل الشام، وقد أدرك الإسلام وأسلم، وقال في الجاهلية والاسلام شعراً كثيراً، وكان أعور، رماه رجل يقال له فحشيٌّ بسهم فذهبت عينه، فقال:

شَلّت أناملُ فحشيٍّ فلا جَبَرت ولا استعانَ بضاحي كَفّه أبداً
أهوى لها مشقصاً حَشراً فشبرقها وكنت أدعو قذاها الاثمد القِردا

عاش نحو ٩٠ سنة، ومات سنة ٦٥هـ.

(الأغاني: ج٨ ص٢٣٤، الشعر والشعراء: ٢٠٧).

(٢) سيبويه: ج١ ص٥١، ومعاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٤٥٨، ومعاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٥٣، وفيها الشطر الثاني هكذا: برئياً ومن أجلِ الطويّ رماني.

(٣) الشعر لقيس بن الخطيم، ديوانه: ص٢٣٩.

(٤) الجمعة: ١١.

(٥) راجع اعراب القرآن للزجّاج: ج٢ ص٧٦٣، وج٣ ص٧٨٧.

(٦) معاني القرآن: ج٣ ص١٥٧.

ومعنى «الكبيرة» هاهنا أي ثقيلة عند الحسن والضحاك [١] . وأصل ذلك ما يكبر ويثقل على الانسان حمله، كالأحمال الجافية التي يشقّ حملها، فقيل لما يصعب على النفس وان لم يكن من جهة الحمل : يكبر عليها، تشبيهاً بذلك .

اللغة :

وقوله: «إلّا على الخاشعين» .

فالخشوع والخضوع والتذلل والاخبات نظائر، وضد الخضوع الاستكبار، يقال: خشع خشوعاً، وتخشع تخشّعاً، قال صاحب العين: خشع الرجل يخشع خشوعاً إذا رمى ببصره الى الأرض، واختشع إذا طأطأ رأسه كالمتواضع. والخشوع قريب المعنى من الخضوع، إلّا أن الخضوع في البدن وهو الاقرار بالاستخدام، والخشوع في الصوت والبصر، قال الله تعالى: «خاشعة أبصارهم» و«خشعت الأصوات للرحمن» أي سكنت [٢] .

وأصل الباب من اللين والسهولة من قولهم: نقاً خاشعاً للأرض التي غلبت عليها السهولة، والخاشع الأرض التي لا يهتدى إليها بسهولة لمحو الرياح آثارها، والخاشع والمتواضع والمتذلل والمسكين بمعنى واحد، قال الشاعر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشّع [٣]

---

(١) تفسير الحسن البصري: ج١ ص٩٤، وتفسير الطبري: ج١ ص٢٠٦.

(٢) العين: مادة «خشع» ج١ ص١١٢.

(٣) البيت لجرير، ديوانه: ص ٢٧٠.

وخاشع صفة مدح لقوله: «والخاشعين والخاشعات»[١] .

وإنما خصّ الخاشع بأنها لا تكبر عليه؛ لأن الخاشع قد تواطأ ذلك له بالاعتياد له والمعرفة بما له فيه، فقد صار بذلك بمنزلة ما لا يشقّ عليه فعله ولا يثقل تناوله، وقال الربيع بن أنس: «الخاشعين» في الآية الخائفون[٢] .

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ۝٤٦﴾ آية بلا خلاف .

ان قيل: كيف أخبر الله عمن وصفه بالخشوع بالطاعة، ومدحهم بذلك بأنهم يظنون بأنهم ملاقو ربهم، وذلك مناف لصفة المدح؟

قلنا: الظن المذكور في الآية المراد به العلم واليقين، قال دريد بن الصمّة[٣]:

فقلت لهم ظنوا بألفي مدجج سراتهم في الفارسيّ المسرّد[٤]

وقال عمير بن طارق[٥]:

بان يعتزوا قومي واقعد فيكم واجعل مني الظنّ غيباً مرجما[٦]

---

(١) الاحزاب: ٣٥.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٦.

(٣) هو دريد بن الصمّة بن الحارث من جشم، ويُكنّى أبا قرّة، فارس شجاع، من شعراء الفرسان، أدرك الاسلام ولم يسلم، وقتل كافراً يوم حنين مظاهراً للمشركين، ولا فضل له في الحرب وانما كان يخرجه قومه تيمّناً به ليقتبسوا من رأيه وينتفعوا بمشورته .

(الأغاني: ج١٠ ص٣ ، والشعر والشعراء: ص٤٧٠).

(٤) ديوانه: ص٤٧.

(٥) لم نجد شاعراً يذكر بهذا الاسم في المراجع المتوفّرة.

(٦) أورده الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٦.

وقال ابو داود[١]

رُبّ هـمٍّ فـرّجـتـه بـعـزيم وغـيـوب كشـفتها بظـنـون[٢]

وقال المبرّد: ليس من كلام العرب: أظنّ عند زيد مالاً، يريد: أعلم؛ لأن العلم المشاهد لا يناسب باب الظنّ، وقد أفصح في ذلك أوس بن حجر في قوله:

الألمعي الـذي يظـنّ بـك الظـن كـأن قـد رأى وقـد سـمـعا[٣]

وقال آخر:

فـالا يـاتـكـم خبر يـقين فإن الظـنّ يـنـقص أو يـزيد[٤]

وقال بعض الشيوخ: أصل الظنّ ما يجول في النفس من الخاطر الذي يغلب على القلب، كأنه حديث النفس بالشيء، وتأوّل جميع ما في القرآن من معنى العلم على هذا.

وقال الحسن وأبو العالية[٥] ومجاهد[٦] وابن جريج[٧]: «يظنّون» أي يوقنون، ومثله: «ظننتُ أني ملاقٍ حسابيه»[٨] أي علمت، ومثله: «وظنّوا

(١) ابو داود الرؤاسي أحد بني رؤاس بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، عدّه ابن سلام في الطبقة العاشرة من الشعراء.
(طبقات الشعراء: ص١٥٠).

(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١١٦.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «لمع» ج٢ ص٤٢٤.

(٤) لم نعرف قائله.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٧.

(٦) تفسيره: ص٢٠١.

(٧) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٧.

(٨) الحاقة: ٢٠.

أن لا ملجأ من الله إلّا إليه»[١] ومعناه استيقنوا، وقوله:«ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها»[٢] يعني: علموا .

وقد جاء في القرآن الظنّ بمعنى الشكّ كقوله: «ان هم إلّا يظنّون»[٣] وقوله: «إنّ الظنّ لا يغني من الحقّ شيئاً»[٤] .

وقال قوم: يحتمل قوله:«يظنّون» وجهاً آخر، وهو أنهم يظنون انهم ملاقو ربّهم بذنوبهم لشدّة اشفاقهم من الاقامة على معصية الله، وهذا وجه مليح وقد استبعده الرماني، وقال: لأنّ فيه حذوفا كثيرة، وليس بمنكر اذا كان الكلام محتملاً له .

وقيل أيضاً: الذين يظنّون إنقضاء أجلهم وسرعة موتهم فيكونون ابداً على حذرٍ ووجل، كما يقال لمن مات: لقي الله .

والظن والشك والتجويز نظائر، إلّا أن الظنّ فيه قوة على أحد الأمرين دون الآخر، وحدّه ما قوي عند الظانّ كون المظنون على ما ظنّه مع تجويزه أن يكون خلافه، فبالتجويز ينفصل من العلم، وبالقوة ينفصل من الشكّ والتقليد وغير ذلك .

وضدّ الظنّ اليقين، ويقال: ظنّ ظنّاً وتظنن تظنناً، وقال: «وظنّوا انهم الينا لا يرجعون»[٥] وقوله: «وظننتم ظنّ السوء»[٦] والظنين المتّهم،

---

(١) التوبة: ١١٨.

(٢) الكهف: ٥٣.

(٣) الجاثية: ٢٤.

(٤) يونس: ٣٦.

(٥) القصص: ٣٩.

(٦) الفتح: ١٢.

ومصدره الظنّة، والظنون الرجل السيء الظن بكل أحد، والظنون القليل الخير، والتظنّي والتظنّن بمعنى واحد، والظنون البئر التي يظنّ أن بها ماء ولا يكون فيها شيء، ومظنّة الرجل ومظانّه حيث يألفه فيكون فيه .

ومعنى قوله: «انهم ملاقو ربهم» أي ملاقو جزاء ربهم، فجعل ملاقاة الجزء ملاقاة له تفخيماً وتعظيماً لشأن الجزاء. وأصل الملاقاة الملاصقة، من قولك :التقى الحدّان اي تلاصقا، ثم كثر حتى قالوا: التقى الفارسان اذا تحاذيا ولم يتلاصقا .

ومثل ما قلنا في قوله:«ملاقو ربّهم» قوله تعالى: «فاعقبهم نفاقاً في قلوبهم الى يوم يلقونه»(١) معناه يوم يلقون جزاءه؛ لأن المنافقين لا يرون الله عند أحد من أهل الصلاة، وكذلك قوله: «ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون»(٢) معناه إذ وقفوا على جزاء ربهم، لأنّ الكفار لا يرون الله عند أحد من الأمة .

فان قيل : ما معنى الرجوع هاهنا وهم ما كانوا قط في الآخرة فيعودوا إليها؟

قيل : راجعون بالاعادة في الآخرة في قول أبي العالية(٣). وقيل: يرجعون بالموت كما كانوا في الحال المتقدّمة لأنهم كانوا أمواتاً ثم احيوا ثم يموتون فيرجعون أمواتاً كما كانوا. والأول أظهر وأقوى. وقيل: إنّ معناه: انهم راجعون الى أن لا يملك أحدهم ضرّاً ولا نفعاً غيره تعالى كما كانوا في بدو الخلق؛ لأنّهم في أيام حياتهم قد يملك الحكم عليهم غيرهم، والتدبير

---

(١) التوبة: ٧٧.

(٢) الأنعام: ٣٠.

(٣) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٠٨.

لنفعهم وضرّهم بين ذلك، قوله: «مالك يوم الدين» ومعنى ذلك انهم يقرّون بالنشأة الآخرة، فجعل رجوعهم بعد الموت الى المحشر رجوعاً اليه.

اللغة:

وأصل الرجوع العود الى الحال الأوّل، يقال: رجع الرجل ورجعته وهو أحد ما جاء على فعل وفعلته، ويحتمل أن يكون المراد أنهم اليه صائرون، كما يقول القائل: رجع الأمر الى فلان وان كان قط لم يكن له، ومعناه صار اليه. وحذفت النون من «ملاقو ربهم» عند البصريين تخفيفاً والمعنى على اثباتها(١)، ومثله قوله: «انا مرسلو الناقة»(٢) و«كل نفس ذائقة الموت»(٣) قال الشاعر:

هل أنت باعث دينارٍ لحاجتنا   أو عبد رب اخا عون بن مخراق(٤)

ولو أردت معنى الماضي لتعرف الاسم بالاضافة، لم يجز فيه اظهار النون البتّة، واذا كان الفعل غير واقع كان إثبات النون هو الوجه دون الاضافة، فلو قيل: «ملاقون» كان صواباً، قال الأخفش: وجرى حذف النون هاهنا للاستثقال(٥) كما قال الشاعر في قوله:

فانّ الذي حانت بفلجٍ دماؤهم   هم القوم كلّ القوم يااُم خالد(٦)

---

(١) نسب الأخفش ذلك الى العرب في معاني القرآن: ج١ ص٢٥٤.

(٢) القمر: ٢٧.

(٣) آل عمران: ١٨٥، وغيرها.

(٤) البيت من أبيات سيبويه التي لم يعرف قائلها، أنظر الكتاب: ج١ ص١٠٧

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٢٥٧.

(٦) البيت كما مرّ في الجزء الأوّل للأشهب بن رميلة، الكتاب لسيبويه: ج١ ص١١٧، والعين: ←

فأسقط النون من (الذين) استثقالا، وقال الأخطل(١) :

ابني كـلـيـبٍ إنّ عـمّـي الـلّـذا قتـلا الملـوك وفـكّكـا الأغلالا(٢)

فأسقط النون. وقال الكوفيون: اذا حذف النون فاللفظ الاسم وإذا اثبت وظهر النصب فالمعنى الفعل(٣) .

قال الزجاج: ويجوز كسر الهمزة من قوله : «إنّهم اليه راجعون» لكن لم يقرأ به أحد على معنى الابتداء، ولا يجوز كسر إن الأُولى لأن الظنّ وقع عليها(٤) .

قوله تعالى:

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

آية .

المعنى :

قد مضى تفسير مثل هذا في ما تقدم فلا وجه لاعادته. وأما قوله:

مادة «ذا» ج٨ ص٢٠٩.

(١) الأخطل: وهو غياث بن غوث من بني تغلب من فَدَوكس، ويكنى أبا مالك ، وقال مسلمة بن عبد الملك : ثلاثة لا أسأل عنهم أنا أعلم العرب بهم: الأخطل والفرزدق وجرير، فأمّا الأخطل فيجيء سابقاً ابداً، وأمّا الفرزدق فيجيء مرّة سابقاً ومرة ثانياً، وأمّا جرير فيجيء سابقاً مرة وثانياً مرّة، وسُكّيتاً مرة، وكان الأخطل يشبه من شعراء الجاهلية بالنابغة الذبياني. دخل على كثير من الخلفاء والأُمراء فمدحهم بشعره، وله مناظرات كثيرة ومشهودة في كتب الشعر والتراجم .

(الشعر والشعراء: ص٣٠١).

(٢) ديوانه: ص٢٤٨.

(٣) ذكر ذلك سيبويه ولم ينسبه الى أحد، الكتاب: ج١ ص١١٧.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٢٧.

«وإنّي فضّلتكم على العالمين» ذكرهم الله تعالى من الآية ونعمه عندهم بقوله: «وإني فضّلتكم على العالمين» فضّلت أسلافكم، فنسب النعمة الى آبائهم وأسلافهم، لأنها نعمة عليهم منه، لأن مآثر الآباء مآثر الأبناء، والنعم عند الآباء نعم عند الأبناء لكون الأبناء من الآباء.

اللغة:

وقوله: «فضّلتكم».

فالتفضيل والترجيح والتزييد نظائر، والتفضيل نقيضه التسوية، يقال: فضله وتنقضه على وجه النقض، ونقيض التزييد التنقيص، يقال: فضل فضلا وافضل افضالاً، وتفضّل تفضّلاً، واستفضل استفضالاً، وتفاضلوا تفاضلاً، وفاضله مفاضلة، وفضّله تفضيلاً، والمفضال اسم المفاضلة، والفضيلة الدرجة الرفيعة في الفضل، والتفضّل التوشّح، ورجل فضل متفضّل، وامرأة متفضلة، وعليها ثوب فضل اذا خالفت بين طرفيه على عاتقها فتتوشّح به، قال الشاعر:

اذا تُغرِّد فيه القينة الفُضُل[1]

وافضل فلان على فلان اذا أناله من خيره وفضّله وأحسن اليه، وأفضل فلان من الطعام والأرض والخبز اذا ترك منه شيئاً، لغة أهل الحجاز: فضل يفضل، ورجل مفضال كثير المعروف والخير، والفضائل واحدها فضيلة

---

(١) عجز بيتٍ للأعشى ورد في ديوانه ضمن لاميته المشهورة: ص١٤٧، وفيه هكذا:

ومستجيبٍ تخال الصنج يسمعه

إذا تُرجِّع فيه القينةُ الفُضُل

وهي المحاسن، والفواضل الأيادي الجميلة، المفضل ثوب تتحفف به المرأة في بيتها والجمع مفاضل، وامرأة مفضل اذا كان عليها مفضل.

واصل الباب الزيادة. والافضال والاحسان والانعام نظائر، ويقال: فضله اذا أعطاه الزيادة، وفضله اذا حكم له بالزيادة.

التفسير:

فان قيل: لم كرّر قوله: «يا بني اسرائيل»؟

قلنا: لأنه لما كانت نعم الله هي الأصل فيما يجب فيه شكره وعبادته احتيج الى تأكيدها، كما يقول القائل: اذهب اذهب، اعجل اعجل، وغير ذلك في الأمر المهمّ، وايضاً فان التذكير الأول ورد مجملاً، وجاء الثاني مفصّلا، كأنه قال: اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم فيما انتم عليه من المنافع التي تتصرّفون فيها وتتمتّعون بها، وإني فضّلتكم على العالمين، ودلّ هذا على قوله: «وإني فضّلتكم على العالمين» لأنّها إحدى الخصال التي ذكروا بها، وجاءت عاطفة فدلّت على خصلة قبلها إمّا مذكورة أو مقدّرة.

وإنما فضلوا بما ارسل الله فيهم من كثرة الرسل وأنزل عليهم من الكتب، وقيل: بكثرة من جعل فيهم من الانبياء، وما انزل الله عليهم من المن والسلوى، الى غير ذلك من النعمة العظيمة من تغريق فرعون عدوهم، ونجاتهم من عذابه، وتكثير الآيات التي يخف معها الاستدلال، ويسهل بها كثرة المشاقّ. وهو قول أكثر أهل العلم كأبي العالية وغيره[١].

ونظير هذه الآية قوله: «واذ نجّيناكم من آل فرعون»[٢] «وإذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون»[٣].

(١) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٠٨. (٢) البقرة: ٤٩. (٣) البقرة: ٥٠.

المعنى:

وقوله: «على العالمين».

قال أكثر المفسّرين: أنّه أراد الخصوص ومعناه عالمي زمانهم. ذهب اليه قتادة والحسن وأبو العالية ومجاهد وغيرهم(١). وقال بعضهم: اذا قلت: فضل زيد على عمرو في الشجاعة لم يدل على انه أفضل منه على الاطلاق، ولا في جميع الخصال، فعلى هذا يكون التخصيص في التفضيل لا في العالمين.

وأُمة نبينا محمد صلّى الله عليه وآله أفضل من أُولئك بقوله: «كنتم خيرَ أُمةٍ أُخرجت للناس»(٢) وعليه اجماع الامة؛ لأنّهم أجمعوا على ان أُمة محمد صلّى الله عليه وآله أفضل من سائر الأُمم، كما إنّ محمداً صلّى الله عليه وآله أفضل الانبياء من ولد آدم عليه السلام.

قوله تعالى:

وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ آية واحدة بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن كثير وأهل البصرة «لا تقبل منها» بالتاء، الباقون بالياء(٣).

---

(١) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٠٨، والبغوي في تفسيره: ج١ ص٣٨، ونقل مضمونه النووي في تفسيره: ج١ ص١٣.

(٢) آل عمران: ١١٠.

(٣) الحجة لابي على الفارسي: ج٢ ص٣٥، والسبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٥٤، والتيسير في القراءات للداني: ص٧٣.

الاعراب:

موضع «لا تجزي» نصب لأنّه صفة يوم. والعائد عند الكسائي لا يكون إلّا هاء محذوفة من تجزيه(١). وقال بعضهم: لا يجوز إلّا فيه. وقال سيبويه(٢) والأخفش(٣) والزجاج(٤): يجوز الأمران.

المعنى:

قال أبو علي: المعنى في قوله: «لا يقبل منها شفاعة» فمن ذهب الى ان (فيه) محذوفة من قوله: «واتقوا يوماً لا تجزي» جعل (فيه) بعد قوله: «ولا يقبل»، ومن ذهب الى انه حذف الجار وأوصل الفعل الى المفعول، ثم حذف الراجع من الصفة كما يحذف من الصلة، كان مذهبه في قوله: «لا يقبل» ايضاً مثله. وحذف الهاء من الصفة يحسن كما يحسن حذفها من الصلة، ألا ترى إنّ الفعل لا يتسلّط بحذف المفعول منه على الموصوف كما لا يتسلّط بذلك على الموصول؟ ومما حذف منه الراجع الى الصفة قوله:

وما شيء حميت بمستباح(٥)

---

(١) نقله الزجّاج في معاني القرآن: ج١ ص١٢٨، وحكاه الأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٢٥٨، ولم ينسبه لأحد.

(٢) كتاب سيبويه: ج١ ص٥٧ـ٥٩.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص٢٥٨.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٢٨.

(٥) عجز بيت لجرير من قصيدة نظمها في مدح عبد الملك بن مروان، أنظر ديوانه: ص٧٧، وشرح الديوان: ص٧٤، وتمام البيت:

أبحتَ حمى تهامة بعدَ نجدٍ وما شيء حميتَ بمستباح

ومن الحذف قوله:

تـروّحـي أجـدرَ أن تـقـيلي غـداً بجـنبي بـاردٍ ظـليـل[١]

المعنى: تأتي مكانا اجدر أن تقيلي فيه فحذف الجار ووصل الفعل ثم حذف الضمير، ونظير الآية قول الراجز:

قد صبّحت صبَّحها السلام بكبدٍ خالطها السنام

في ساعةٍ يحبها الطعام[٢]

أي تحب الطعام فيها .

اللغة :

والمجازاة والمكافأة والمقابلة نظائر، يقال: جزى يجزي جزاء، وجازاه مجازاة، وتجازوا تجازيا. قال صاحب العين: المجازاة المكافأة بالاحسان احساناً وبالاساءة اساءةً، وفلان ذو جزاء وذو غناء وتقول:هذا الشيء يجزيء عن هذا -بهمز وتليين- وفي لغة يجزي أي يكفي. وأصل الباب مقابلة الشيء بالشيء[٣] .

المعنى:

ومعنى قوله: «لا تجزي نفس عن نفس شيئاً» أي لا تقابل مكروهها بشيء يدرأه عنها، قال الله تعالى: «هل تجزون إلّا ما كنتم تعملون»[٤]

---

(١) أورده أبو علي الفارسي في الحجّة: ج٢ ص٣٧، قائله أُحيحة بن الجلاح.

(٢) أورده الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٣٢.

(٣) العين: مادة «جزي» ج٦ ص١٦٤.

(٤) النمل: ٩٠.

وقال: «اليوم تجزى كل نفس ما كسبت»[١] والفرق بين المقابلة والمجازاة: إنّ المقابلة قد تكون للمساواة فقط كمقابلة الكتاب بالكتاب، والمجازاة تكون في الشر بالشر والخير بالخير.

ومعنى قوله: «لا تجزي» أي لا تغني، وهو قول السدي[٢]، كما تقول: البقرة تجزي عن سبعة، وهي لغة أهل الحجاز. وبنو تميم تجزىء بالهمزة من أجزأه[٣] والأوّل من جزت.

وقال الأخفش: لا تجزي منها أي لا يكون مكانها بدلاً منها، وأنكر عليهم ذلك لقوله: «شيئاً». وجعل الأخفش لا تجزي منها «شيئاً» في موضع المصدر، كأنّه يقول: لا تجزي جزاءً ولا تغني غناء[٤] قال الرماني: والأقرب أن تكون «شيئاً» في موضع «حقاً» كأنّه قيل:لا يؤدّي عنها حقاً وجب عليها[٥]. وقال بعضهم: «لا تجزي» بمعنى لا تقضي.

وقبول الشيء تلقيه والأخذ به، وضدّه الاعراض عنه، ومن ثمّ قيل لتجاه القبلة: قبالة، وقالوا: أقبلت المكواة الداء أي جعلتها قبالته، ويجوز أن يكون المخاطبون بذلك اليهود؛ لأنّهم زعموا أنّ آباءهم الأنبياء وتشفع لهم فأُويسوا بقوله: «قل فلم يعذبكم بذنوبكم»[٦] وبقوله: «لا يقبل منها شفاعة».

---

(١) غافر: ١٧.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٠٩.

(٣) أُنظر معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٦١.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٢٦٠-٢٦١.

(٥) لا يوجد لدينا تفسيره.

(٦) المائدة: ١٨.

اللغة :

والقبول والانقياد والطاعة والاجابة نظائر، ونقيضها الامتناع، يقال: قبل قبولا، وأقبل إقبالاً، وقابله مقابلة، وتقابلوا تقابلا، واستقبله استقبالاً، وتقبل تقبالا، وقبّله تقبيلاً، وقبلُ نقيض بعد، والقُبُل خلاف الدُبُر، والقبل اقبالك على الشيء كأنّك لا تريد غيره، والقِبَل الطاقة تقول: لا قبل لي أي لا طاقة لي، ومنه قوله: «فلنأتينهم بجنود لا قِبَل لهم بها»[1] .

والقبل التلقاء، تقول: لقيته قبلا أي مواجهة، وأصبتُ هذا من قبله أي من تلقائه أي من لدنه ومن عنده، وقوله: «وحشرنا عليهم كل شيء قُبلاً»[2] أي قبلاً، وفسّر بعضهم عياناً[3]. وكل جيل من الناس والجن، والقبيلة من قبائل العرب معروفة، والكرة يقال لها: قبائل، وكل قطعة من الجلد قبيلة، وقبيلة الرأس كل فلقة قد قوبلت بالأُخرى، وكذلك قبائل العرب، والقبال زمام البغل، يقال: بغل مقبولة ومقبلة .

والقبل رأس كل شيء مثل الجبل والأكمة وكثب الرمل. وقبالة كلُ شيء ما كان مستقبله، ومن الجيران مقابل ومدابر، وشاة مقابلة اذا قطعت من أُذنها قطعة وتركت معلّقة من مقدّم، وان كانت من خلف فهي مدابرة، واذا ضممت شيئاً الى شيء قلت: قابلته، والقابلة هي الليلة المقبلة وكذلك العام القابل والمقبل، والقابلة التي تقبل الولد .

والقبول من الريح الصبا، لأنها تستقبل الدبور وهي تستقبل القبلة من

(١) النمل : ٣٧.
(٢) الانعام : ١١١.
(٣) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٣٥١.

المشرق،والقبول أن تقبل العفو وغير ذلك. وهو اسم المصدر واميت الفعل منه، والقبول الاسم، تقول: أفعل هذا من ذي قبل أي من ذي استقبال، والقبلة معروفة، والفعل منه التقبيل، والقبلة قبلة الصلاة.

والتقبّل تقبّل الشيء، تقول: تقبّل الله منك وعنك عملك، وتقول: تقبلت فلاناً من فلان بقبول حسن، ورجل مقابل في كرم وفي شرف من قبل أعمامه وأخواله، ورجل مقبل الشاب لم ير فيه أثر من الكبر، والقبيل والدبير في الحبل، فالقبيل الفتل الأول الذي عليه العمامة، والدبير الفتل الآخر، وبعضهم يقول: القبيل في قوى الحبل كل قوة على وجهها الداخل قبيل والوجه الخارج دبير، وقد قرىء قبلا وقبلا فمن قرأ قبلاً أراد جمع قبيل، ومن قرأ قَبلا أراد مقابلة، والقبيل والكفيل واحد، وقبيل القوم عريفهم، وأصل الباب المقابلة خلاف المدابرة.

وأما الشفاعة فيه مأخوذة من الشفع الذي هو خلاف الوتر فكأنّه سؤال من الشفيع، شفع سؤال المشفوع له، والشفاعة والوسيلة والقربة والوصلة نظائر، ويقال: شفع شفاعة، وتشفّع تشفعاً، واستشفع استشفاعاً وشفعه تشفيعاً، والشفع من العدد ما كان أزواجاً تقول:كان وتراً فشفعته بآخر حتى صار شفعاً، ومنه قوله: «والشفع والوتر»(١) قالوا: الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة(٢). وقال بعض المفسّرين: الشفع الحفاء يعني كثرة الخلق، والوتر الله(٣).

والشافع الطالب لغيره والاسم الشفاعة، والطالب الشفيع والشافع،

---

(١) الفجر: ٣.

(٢) معاني القرآن للفرّاء: ج٣ ص٢٥٩، وتفسير مجاهد: ص٧٢٦.

(٣) تفسير الطبري: ج٣٠ ص١٠٩.

والشفعة في الدار معروفة، وتقول: فلان يشفع اليّ بالعداوة أي يعين عليّ ويعاديني، وتقول: شفعت الرجل اذا صرت ثانيه وشفعت له اذا كنت له شافعاً. وانما سمّيت شفعة الدار؛ لأن صاحبها يشفع ما له بها، ويضمّها الى ملكه. واصل الباب الزوج من العدد.

التفسير:

وقوله: «ولا يقبل منها شفاعة» مخصوص عندنا بالكفّار؛ لأن حقيقة الشفاعة عندنا أن يكون في اسقاط المضارّ دون زيادة المنافع. والمؤمنون عندنا يشفع لهم النبي صلّى الله عليه وآله فيشفعه الله تعالى، ويسقط بها العقاب عن المستحقّين من أهل الصلاة. لما روي من قوله عليه السلام: ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي[1]، وانما قلنا:لا تكون في زيادة المنافع؛ لأنها لو استعملت في ذلك لكان أحدنا شافعاً في النبي صلّى الله عليه وآله اذا سأل الله أن يزيده في كراماته، وذلك خلاف الاجماع فعلم بذلك ان الشفاعة مختصة بما قلناه.

وعلم بثبوت الشفاعة إنّ النفي في الآية يختصّ بالكفّار دون أهل القبلة. والآيات الباقية نتكلم عليها اذا انتهينا اليها ان شاء الله.

بحث في الشفاعة:

والشفاعة ثبت عندنا للنبي صلّى الله عليه وآله وكثير من أصحابه

---

(١) الذخيرة في علم الكلام للسيد المرتضى: ص٥٠٧، وبمضمونه في من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٧٤ ح٤٩٦٣، وسُنن ابن ماجة: ج٢ ص١٤٤١ ح٤٣١٠.

ولجميع الأئمّة المعصومين وكثير من المؤمنين الصالحين .

وقيل: إنّ نفي الشفاعة في هذه الآية يختص باليهود من بني اسرائيل؛ لأنهم ادعوا انّهم أبناء الله وأحباؤه وأولاد أنبيائه، وانّ آباءهم يشفعون اليه فآيسهم الله من ذلك [١]، فأخرج الكلام مخرج العموم والمراد به الخصوص. ولابد من تخصيص الآية لكل احد؛ لأن المعتزلة والقائلين بالوعيد يثبتون شفاعة مقبولة وان قالوا انها في زيادة المنافع .

وأصل الشفاعة أن يشفع الواحد للواحد فيصير شفعاً، ومنه الشفيع لأنه يصل جناح الطالب ويصير ثانياً له. والذي يدلّ على ان الشفاعة في إسقاط الضرر قول شاعر غطفان أنشده المبرّد:

وقالوا اتعلم ان مالك ان تصب يفدك وان يحبس يديل ويشفع [٢]

واستعملت في زيادة المنافع أيضاً وان كان مجازاً لما مضى، قال الحطيئة[٣] في طلب الخير:

وذاك امرؤ إن تأته في صنيعة الى ما له لم تأته بشفيع [٤]

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٢١١.

(٢) الكامل في اللغة للمبرّد: ج١ ص٦٩، وفيه: «نَزُرك » بدل «يديل».

(٣) الحطيئة: وهو جرول بن أوس من بني قطيعة بن عبس، ولقب بالحطيئة لقصره، وكان راوية زهير وهو جاهلي، أدرك الاسلام ولم يسلم إلّا بعد وفاة النبي صلّى الله عليه وآله، وحكى عنه انه قال عند الاحتضار: احملوني على حمار فإنّه لم يمت عليه كريم لعلّي أنجو ثم قال:

لكل جديدٍ لذةٌ غير انني رأيت جديدَ الموت غير لذيذ

له خبطة في الخلق ليست بسكّر ولا طعم راح يشتهي ونبيذ

ومات مكانه .

(الشعر والشعراء: ص١٨٠).

(٤) ديوانه: ص١٨٤.

وقد استعملت الشفاعة بمعنى المعاونة، أنشد بعضهم للنابغة:

أتاك امرؤ مستعلن لي بغصةٍ له من عدوّ مثل مالك شافع(١)

أي معين، وقال الاحوص:

كأنَّ مَن لامني لأصرمها كانوا لليلى بلومهم شفعوا(٢)

أي تعاونوا:

اللغة:

قوله: «لا يؤخذ منها عدل» .

والعدل والحق والانصاف نظائر، والعدل نقيض الجور، يقال: عدل عدلا، واعتدل اعتدالا، وتعادل تعادلا وتعدّلا، وعادله معادلة، وعدّله تعديلاً، والعدل المرضي من الناس يقع على الواحد والجماعة والذكر والأُنثى، فاذا قلت: هم عدل، قلت: هما عدلان .

والعدل الحكم بالحق، يقال: هو حكم عدل ذو معدلة في حكمه، وعدل الشيء نظيره، ومثله تقول: عدلت بفلان فلانا أعدله، والعادل المشرك الذي يعدل بربه، والعدل أن يعدل الشيء عن وجهه فيميله، تقول: عدلته عن كذا، وعدلت أنا عن الطريق، والعديل الذي يعادلك في المحمل أو نحوه ما كان. وسمعت العرب تقول: اللهم لا عِدْل لك أي لا مثل لك ، وفي الكفارة «عدل ذلك »(٣) أي مثله في المعدّل لا بالنظير بعينه .

---

(١) ديوانه: ص٨٢.

(٢) نقله الأزهري في تهذيب اللغة: مادة « شفع » ج١ ص٤٣٧.

(٣) المائدة: ٩٥.

والعدل الفداء، لقوله: «لا يقبل منها عدل»[١]، وقيل ايضاً: ان العدل الفريضة والصرف النافلة، وقوله: «بربّهم يعدلون»[٢] أي يشركون. وقيل لما يؤكل: معتدل اذا لم يكن فيه ضرر من حرّ أو برد، وتقول: عدلته أي أقمته حتى اعتدل واستقام، وعدلت فلانا عن طريقه والدابة عن طريقها إذا عطفتها فانعدلت، والعدل[٣] الطريق، ويقولون: الطريق يعدل الى مكان كذا وكذا، فاذا أرادوا الاعوجاج فيه قالوا: ينعدل في مكان كذا وكذا أي ينعوج. والاعتدال الاستواء، فلان عدل حسن العدالة. واصل الباب العدل الذي هو الاستقامة.

والعدل المذكور في الآية الفدية، روي ذلك عن النبي صلّى الله عليه وآله[٤] وهو قول ابن عباس[٥] وابي العالية[٦]. وقال قوم: هو بدل.

والفرق بين العِدل والعَدل: إنّ العِدل (بالكسر) المثل، تقول: عندي عِدل جاريتك أي جارية مثلها، فاذا قلت:عندي عَدل جاريتك،يجوز أن يكون قيمتها من الثمن.

ومن قرأ بالتاء فلأنّ الشفاعة مؤنثة، ومن ذكّر قال: لأن التأنيث ليس بحقيقي، ولأنّ الفعل تقدّم على المؤنث فأشبه علامة التثنية[٧] والجمع اذا

---

(١) البقرة: ١٢٣.

(٢) الأنعام: ١ و١٥٠.

(٣) في النسخة الخطية «انعدل» وهو تصحيف، والصحيح ما اثبتناه كما في العين: مادة «عدل» ج٢ ص٤٠.

(٤) رواه الطبري في التفسير: ج١ ص٢١٢.

(٥) تفسير ابن عبّاس: ص٨.

(٦) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢١١.

(٧) في النسخة الخطّية «التأنيث» بدل «التثنية» والظاهر انه تصحيف.

تقدم الفعل سقط كذلك هاهنا، ومثله قوله: «لئلا يكون للناس على الله حجّة بعدَ الرسل»[١] وكقول الشاعر:

فـلا مُـزنـة ودقـت ودقـهـا ولا أرض أبـقـل إبـقـالها[٢]

والتاء أجود لأنه أصل والياء حسن .

اللغة :

قوله:«ولا هم ينصرون» .

والنصر والمعونة والتقوية نظائر، وضد النصر الخذلان، يقال: نصرته نصراً،وانتصر انتصاراً، واستنصر استنصاراً، وتناصر تناصراً، قال صاحب العين: النصر عون المظلوم، وفي الحديث: (انصر أخاك ظالماً ومظلوماً) معناه ان كان مظلوماً فامنع منه الظلم، وان كان ظالماً فامنعه من الظلم وانهه، والانصار كالنصار، وانصار النبي صلّى الله عليه وآله اعوانه، وانتصر فلان اذا انتقم من ظالمه، والنصير الناصر، والتنصر الدخول في النصرانية، والنصارى منسوبون الى ناصرة، وهي موضع، ونصرت السماء اذا امطرت[٣]، قال الشاعر:

اذا خرج الشهر الحرام فودّعي بلادَ تميمٍ وانصري أرض عامرِ[٤]

ونصرت الرجل اذا أعطيته، وانشد:

---

(١) النساء: ١٦٥.

(٢) نسبه سيبويه في الكتاب لعامر بن جوين الطائي: ج١ ص٢٧٩ رقم البيت ٣٥٤، وحكاه الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص١٢٧.

(٣) العين: مادة «نصر» ج٧ ص١٠٨.

(٤) نسبه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «نصر» ج١٢ ص١٦٠، للراعي.

ابوك الذي اجدى عليّ بنصره فاسكت عني بعده كل قائل[١]

وأصل الباب المعونة، والنصرة قد تكون بالحجّة وقد تكون بالغلبة، فالله عز وجل ينصر جميع المؤمنين بالحجّة التي تؤيدهم، وأما النصر بالغلبة فبحسب المصلحة ولا يدلّ وقع الغلبة لبعض المؤمنين على أنه مسخوط عليه، كما أنّه ليس في تخلية الله بين الكفار وبين الأنبياء دلالة على حال منكرة، وقد قتل الكفار كثيراً من الانبياء ونالوا منهم بضروب من الأذى، قال الله تعالى: «ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق»[٢] وقوله: «ثم بُغي عليه لينصرنّه الله»[٣] معناه بالغلبة وأما ما يأخذ له بالحق من الباغي عليه لينصر به من الله للمبغي عليه واقعة لا محالة.

والخذلان لا يكون إلّا للظالمين؛ لأنّ الله تعالى لا يخذل أولياءه وأهل طاعته، وقوله: «إن ينصركم الله فلا غالب لكم»[٤] أي بالمعونة التي توجب الغلبة؛ لأن الله تعالى يقدر على اعطائهم ما يغلبون به كلّ من نازعهم، ويستعلون على كل من ناوأهم.

وحدّ النصرة المعونة على كل من ظهرت منه عداوة، وقد تكون المعونة بالطاعة فلا تكون نصرة.

والفرق بين النصرة والتقوية: إنّ التقوية قد تكون على صناعة، والنصرة لا تكون إلّا مع منازعة. فأما قولهم: لا قبل الله منهم صرفاً ولا عدلا، فقال الحسن البصري: الصرف العمل، والعدل الفدية[٥].

(١) أورده الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «نصت» ج١٢ ص١٥٥.

(٢) البقرة: ٦١ .

(٣) الحجّ: ٦٠.

(٤) آل عمران: ١٦٠.

(٥) تفسيره: ج١ ص٩٤، وذكره الماوردي في تفسيره: ج١ ص١١٧.

وقال الكلبي: الصرف الفدية، والعدل الفريضة[١]. وقال أبو عبيدة: الصرف الحيلة، والعدل الفدية[٢]. وقال أبو مسلم: الصرف التوبة، والعدل الفداء[٣].

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

هذه الآية عطف على ما تقدّم من قوله: «اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم»، فـ«اذ» هاهنا متعلّقة بذلك، كأنّه قال: اذكروا نعمتي عليكم اذ نجيناكم من آل فرعون، ونظيره «والى ثمود اخاهم صالحاً»[٤] لما تقدّم ما يدل على «ارسلنا» وهو قوله: «لقد ارسلنا نوحاً الى قومه»[٥] فكأنّه قال: وأرسلنا الى ثمود أخاهم صالحاً.

والخطاب وان كان متوجهاً الى الحاضرين في الحال فالمراد به من سلف لهم من الآباء، كما يقول القائل: هزمناكم يوم ذي قار وقبلناكم يوم الجفار[٦] وانما يعني الاسلاف، قال الأخطل يهجو جريراً:

ولقد سما لكم الهذيل فنالكم ... بإراب حيث يقسّم الأنفالا[٧]

---

(١) تفسير الماوردي: ج١ ص١١٧، وفيه: «الدية» بدل «الفدية».

(٢) مجاز القرآن: ج١ ص٥٣، وتفسير الماوردي: ج١ ص١١٧.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «صرف» ج١٢ ص١٦١، ونسبه إلى أبي عبيد.

(٤) الأعراف: ٧٣. (٥) الأعراف: ٥٩.

(٦) كذا في النسخة الخطّية، وفي المطبوعة «قتلناكم يوم الفجار».

(٧) ديوانه: ص٢٥١.

وجرير لم يلحق هذيلاً، ولا أدرك اراب. وقد بيّنا إنّ النعمة على الآباء نعمة على الأولاد، فلا وجه لإعادته.

اللغة:

ومعنى «نجيناكم» فالنجاة والسلامة والاسعاد والتخلص نظائر، وضدّ النجاة الهلاك، تقول: نجا ينجو نجاة، وانجاه الله إنجاء، ونجّاه تنجية، وانتجوا انتجاء، واستنجى استنجاء، وتناجوا تناجياً. قال صاحب العين[1]: نجا ينجو نجاة في السرعة فهو ناج أي سريع، وناقة ناجية أي سريعة، وتقول: نجوت فلاناً أي استنهكته، قال الشاعر:

نجوت مجالداً فوجدت منه كريح الكلب مات حديث عهد[2]

ونجا بنو فلان اذا أحدثوا ذنباً أو غيره، والاستنجاء التنظيف بمدر أو ماء، والنجاة هي النجوة من الأرض وهي التي لا يعلوها السيل، قال الشاعر:

فمن بنجوته كمن بعقوته والمستكنّ كمن يمشي بقرواح[3]

والنجو السحاب أول ما ينشأ وجمعه نجاء، والنجوة ما خرج من البطن من ريح وغيرها، والنجو استطلاق البطن، يقال: نجا فلان نجواً، والنجو كلام بين اثنين كالسرّ والتسارّ، تقول: ناجيتهم فتناجوا بينهم، وكذلك انتجوا وهم جميعاً نجوىٰ، وكلامهم نجوى، وفلان نجيّ فلان أي يناجيه دون غيره، قال الشاعر:

إني اذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الارشيه[4]

---

(١) العين: مادة «نجو» ج٦ ص١٨٦.

(٢) ذكره صاحب العين ولم ينسبه الى أحد، مادة «نجو» ج٦ ص١٨٦.

(٣) البيت لعبيد بن الأبرص، أُنظر ديوانه: ص٥٣ ط دار صعب، وفيه «بمحفله» بدل «بعقوته».

(٤) القائل هو سحيم بن وثيل اليربوعي، استشهد به الفراهيدي في العين: مادة «نجو» ج٦ ص١٨٧.

والنجا ما القيته عن نفسك من ثياب أو سلخته عن الشاة، تقول: نجوت الجلد انجوه نجا اذا كشطته، ونجوت العود أي اقتضبته.

وقال بعض المفسرين في قوله: «فاليوم ننجيك ببدنك» أي نلقيك على نجوة(٢).

وأصل الباب النجوة وهي الارتفاع.

والفرق بين النجاة وبين التخلّص: إنّ التخلص قد يكون من تعقيد ليس بأذى، وليس كذلك النجاة؛ لانها لا تكون إلّا من مكروه، وكل نجاة نعمة، ولا يقال لمن لا خوف عليه: نجا؛ لأنّه لا يكون ناجياً إلّا مما يخاف مثله.

قوله: «من آل فرعون» فالآل والأهل والقرابة نظائر، وقيل: أصل الآل الأهل لأنّه يصغر أهيل، وحكى الكسائي: اويل(٣) فزعموا أنّها ابدلت، كما قالوا: ايهات وهيهات، وكما قالوا: ماء واصلها ماه بدليل قولهم: مويه في التصغير، وفي الجمع: امواه ومياه. وقيل: لا بل أصل على حياله.

والفرق بين الآل والأهل: إنّ الأهل أعمّ منه، يقال: أهل الكوفة، ولا يقال: آل الكوفة، ويقال: أهل البلد ولا يقال: آل البلد، وآل فرعون قومه وأتباعه. وقال صاحب العين: الآل كل شيء يؤول الى شيء اذا رجع اليه، تقول: طبخت العصير حتى آل الى كذا، وأولى كلمة وعيد على وزن فعلى، والآل السراب، وآل الرجل قرابته واهل بيته، وآل البعير ألواحه

---

(١) يونس: ٩٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١١ ص١١٣.

(٣) نقله الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «آل» ج١٥ ص٤٣٨.

وما اقترب من أوطار جسمه[١]، وآل الخيمة عمدها، والآلة شديدةٌ من شدائد الدهر، قالت الخنساء:

سأحمل نفسي على آلة   اما عليها واما لها

وآل الجبل: اطرافه ونواحيه[٢]. وقال ابن دريد: آلُ كلّ شيء شخصه، وآل الرجل أهله وقراباته، قال الشاعر:

ولا تبك ميتا بعد ميت أجنّه   عليّ وعباس وآل أبي بكر

والآلة: الحربة[٣]. وأصل الباب: الأول وهو الرجوع، قال أبو عبيدة: سمعت أعرابياً فصيحاً يقول:أهل مكة آل الله، فقلنا: ما تعني بذلك ؟ قال: أليسوا مسلمين، والمسلمون آل الله؟ قال: وقال: ليس يجوز أن تنصب رجلاً من المسلمين، فيقول:آل فلان، وانما يجوز ذلك للرئيس المتبع، وفي شبه مكة لأنّها أُمّ القرى. ومثل فرعون في الضلال واتباع قومه له، فان جاوزت هذا فآل الرجل أهل بيته خاصة فقلنا له: فتقول لقبيلته آل فلان؟ قال: لا إلّا أهل بيته خاصة[٤].

التفسير:

وفرعون اسم لملوك العمالقة، كما قيل قيصر لملك الروم، وكسرى لملك الفرس، وخاقان لملك الترك ، والاخشاذ لملك الفراعنة، وتبع لملك التبابعة، فهو على هذا بمعنى الصفة؛ لأنه يفيد فيه انه ملك العمالقة بنفس

---

(١) كذا في النسخة الخطية، وفي المصدر: «وما أشرف من أقطار جسمه».

(٢) العين: مادة «ايل» ج٨ ص٣٥٩.

(٣) جمهرة اللغة: «لَ أ وَ يَ» ج١ ص١٨٩.

(٤) لم نعثر عليه.

الصفة الجارية عليه وعلى غيره .

وقيل: ان اسم فرعون مصعب بن الريان(١). وقال محمد بن اسحاق: هو الوليد بن مصعب(٢) .

ومعنى قوله: «يسومونكم سوء العذاب» أي يولونكم سوء العذاب، يقال: سامه خطة خسفاً اذا أولاه ذلك، قال الشاعر:

ان سيم خسفاً وجهه تربدا(٣)

وقيل: يجشّمونكم سوء العذاب(٤). والسوم والتجشم والتجمل نظائر، يقال: سامه الشقة وجسّمه اياها وحمّله اياها بمعنى. يقال: سام يسوم سوماً، وساومه واستامه استياماً، وتساوموا تساوماً، وسوم تسويماً، والسوم سومك سلعة ومنه المساومة والاستيام، والسوم من سير الابل وهبوب الرياح اذا كان مستمراً في سكون، يقال: سامت الرياح وسامت الابل، وهي تسوم سوما، والسوام هي الغنم السائمة، واكثر ما يقال ذلك في الابل خاصة، والسائمة تسوم الكلأ سوما اذا داومت رعيه، والراعي يسيمها، والمسيم الراعي، والسويم العلامة على الجبل، يقال: سوم فلان فرسه إذا اعلم عليه بجريرة أو شيء يعرف به .

والسما في الأصل ياء وهاء وواو وهي العلامة التي يعرف بها الخير

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) أخرجه الطبري عنه: ج١ ص٢١٣، وذكره الجوهري أيضاً في الصحاح: مادة «فرعن» ج٦ ص٢١٧٧، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١١٨.

(٣) أورده الطبري في تفسيره: ج١ ص٢١٤.

(٤) قال صاحب العين: مادة «سوم»، في ج٧ ص٣٢٠، ما نصه: والسوم: أنْ تُجشِّمَ إنساناً مَشقّةً وخُطّةً من الشر...

والشر في الانسان، ومنه قوله: «سيماهم في وجوههم»[١] و«تعرفهم بسيماهم»[٢] وقوله: «يعرف المجرمون بسيماهم»[٣] ويقال: سيماء الخير وسمت فلاناً سوء العذاب من المشقّة.

وقال ابن دريد: سام الرجل ماشيته يسومها سوماً اذا رعاها، فالماشية سائمة والرجل مُسيم، ولم يقولوا سائم خرج من القياس[٤].

وأصل الباب [السوم] الذي هو ارسال الابل في المرعى.

وقوله: «سوء العذاب» و«أليم العذاب» و«شديد العذاب» نظائر، يقال: ساءه يسوءه سوءً واساء اساءةً.

قال صاحب العين: السوء اسم العذاب الجامع للآفات والداء، تقول: سؤت فلاناً أسوءه مساءةً ومسايةً، وتقول:أردتُ مساءتك ومسايتك، وأسأتُ إليه في الصنع، واستاء فلان من السوء، كقوله: اهتمّ من الهمّ، وسؤت فلاناً وسوءت له وجهه. وتقول: لَساء ما صنع، والسيء والسيئة اسم الخطيئة، والسوأى فعلى اسم للفعلة السيئة بمنزلة الحسنى [للحسنة]، وامرأة سوأىٰ [أي][٥] قبيحة، والسوءة السوءىٰ الفعلة القبيحة، يقال للرجل: أسوأ.

والسوأة الفرج، لقوله: «فبدت لهما سوأتهما»[٦] والسوأة كل عمل

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) البقرة: ٢٧٣.

(٣) الرحمن: ٤١.

(٤) جمهرة اللغة: مادة «س م و» ج٣ ص٥٣.

(٥) ما بين المعقوفتين أثبتناه من المصدر.

(٦) طه: ١٢١.

يشين، تقول: سوأة لفلان، تعييبه لأنّه ليس بخير، والسَّوْأة السَّوْآء المرأة المخالفة، وتقول في النكرة: رجلُ سوءٍ، فاذا عرّفته قلت: الرجل السوء لا تضيفه، وتقول: عمل سوء وعمل السوء[1] ورجل صدق ولا تقول: الرجل الصدق لأن الرجل ليس من الصدق. وكلما ذكر بسيء فهو السوء. ويكنّى عن البرص بالسوء، كقوله: «بيضاء من غير سوء»[2] أي من غير برص، وتقول: لا خير في قول السَّوء ولا في قول السُّوء فاذا فتحت السين فعلى ما وصفناه، واذا ضممته فمعناه لا تقل سوء.

وأصل الباب السوء من قولك: ساء يسوء سوءً، ثم كثرحتى صار علماً على الضرّ القبيح، فقالوا: أساء يسيء إساءةً، نقيض أحسن يحسن إحساناً[3].

اللغة:

وقوله: «يذبّحون أبناءكم».

فالذبح والنحر والشنق نظائر، والذبح فري الأوداج، يقال: ذبح ذبحاً، واستذبح استذباحاً، وتذابحوا تذابحاً، وذبح تذبيحاً، وأصل الذبح الشقّ، وذبحت المسك اذا فتقت عنه، فهو ذبيح ومذبوح، والذبح الشيء المذبوح لقوله: «وفديناه بذبحٍ عظيمٍ»[4] والذباح والذبحة ـ بفتح الباء وتسكينها ـ داءٌ يصيب الانسان في حلقه. وتقول العرب: حيّ الله هذه الذبحة، أي هذه

(١) كذا في النسخة الخطّية، وفي المصدر: ولم تقل العمل السّوء، وهو الصحيح فلاحظ.

(٢) طه: ٢٢.

(٣) أُنظر العين: مادة «سوء» ج٧ ص٣٢٧-٣٢٩.

(٤) الصافّات: ١٠٧.

الطلعة. والذباح الشقوق في الرجل، أصله ذباح في رجله، والذبح نور أحمر، وسعد الذابح كوكب معروف من منازل القمر.

قال صاحب العين: الذبح قطع الحلقوم من باطن. وموضعه المذبح، والمِذبَح السكين الذي يذبح به الذّبح، والذُّباح نبات من الشجر[١]، قال الاعشى:

انما قولك صاب وذبح[٢]

وقال آخر:

كأن عيني فيها الصاب مذبوح[٣]

وأصل الباب الشقّ.

المعنىٰ:

قوله: «يستحيون نساءكم».

إنما قال نساءكم وهم كانوا لا يستبقون الأطفال من البنات تغليباً، لأنّهم كانوا يستبقون الصغار والكبار، كما يقال: أقبل الرجال وإن كان معهم صبيان، وقيل: إنّ اسم النساء يقع على الكبار والصغار. وقيل: انهم سمعوا بذلك على تقدير انهنّ يبقين حتى يصرن نساء[٤].

والمرأة والنساء والزوجات نظائر، ولا واحد للنساء من لفظه، ويقال:

---

(١) العين: مادة «ذبح» ج٣ ص٢٠٢.

(٢) لم نعثر عليه في ديوانه.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، تهذيب اللغة: مادة «ذبح» ج٤ ص٤٧١، وتمامه:

نام الخلي وبت الليل مشجّراً كأن...

(٤) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢١٥-٢١٦.

الرجال والنساء على وجه النقيض. قال صاحب العين: النسوة والنسوان والنسين كل ذلك مثل النساء(١).

قوله: «وفي ذلكم بلاء من ربّكم عظيم» البلاء والاحسان والنعمة نظائر في اللغة، وبلى يبلي بلىً فهو بالٍ، والبَلاء لغة [في البلى]، قال الشاعر:

والمرء يبليه بلاء السربال تناكر الليالي واختلاف الأحوالِ(٢)

والبلية الدابة التي كانت تشد في الجاهلية عند قبر صاحبها،رأسها في الركبة حتى تموت، ومنها ما يعقر عند القبر حتى يموت، وناقة بلو مثل نضو قد أبلاها السفر، والفعل من البلية ابتليت وتقول: بلى الانسان وابتلى.

والبلاء على وجهين في الخير والشر، والله تعالى يبلي العبد بلاء حسناً وبلاء سيئاً، وابليت فلاناً عذراً أي بليت فيما بينه وبيني بما لا لوم عليّ بعده، والبلوى هي البلية، والبلوى التجربة، تقول: بلوته بلوى.

وأصل الباب التجربة، والبلاء الامتحان الذي فيه انعام. والبَلاء الامتحان الذي فيه انتقام، فاذا أردت الانعام قلت: ابليته بلاء حسناً، وفي الاختبار تقول: بلوته بلاءً، قال الله تعالى: «ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة»(٣)، وقال في الإنعام: «وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً»(٤) قال زهير:

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم وأبلاهما خير البلاء الذي يبلو(٥)

---

(١) العين: مادة «نسو» ج٧ ص٣٠٣.

(٢) العين: مادة «بلي» ج٨ ص٣٣٩، ونسبه الأزهري في تهذيب اللغة للعجّاج: مادة «بلا» ج١٥ ص٣٩٠.

(٣) الأنبياء: ٣٥.

(٤) الأنفال: ١٧.

(٥) ديوانه: ص٦١.

فجمع المعنين لأنّه أراد: وانعم عليهما خير النعم التي يختبر بها عباده، وقال الأحنف: البلاء ثم الثناء[١]، يعني الإنعام ثمّ الشكر.

المعنى:

وإنما كان في استحياء النساء محنة عليهم وبلوى لهم، لأنّهم كثيراً يُستعبدْنَ وينكحن على الاسترقاق، فهوعلى رجالهن أعظم من قتلهن. وقيل: إنهنّ كنّ يستبقين للاذلال والاستبقاء محنة، كما أنّ من أُحيي للتعذيب فحياته نقمة، ومن أُحيي للتلذيذ فحياته نعمة.

والأبناء جمع ابن، والمحذوف من الابن عند الاخفش الواو؛ لأنّها أثقل وهي بالحذف أولى. وقال الزجّاج: يجوز أن يكون المحذوف ياءً وواواً أو هما سيّان ولا حجّة في البنوة كما لا حجّة في الفتوة، لقولهم فتيان قال: وقد جاء حذف الياء كما في يد، كقولهم: يديت اليه يدا[٢]، وفي دم، قال الشاعر:

فلو إنّا على حجرٍ ذبحنا   جرى الدميان بالخبر اليقين[٣]

والقتل الذي هو فري الاوداج أو نقض بنية الحياة يقدر الواحد منا عليه، وأمّا الموت بتسكين الحركة الحيوانية أو فعل ضدّ الحياة عند من قال لها ضدٌّ، فلا يقدر عليه غير الله.

---

(١) اللسان: مادة «بلا» ج١ ص٤٩٧، ولم ينسبه لاحد.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٣١، ونقل قول الأخفش كذلك.

(٣) ذكره الفراهيدي في العين: مادة «وخى» ج٤ ص٣٢٠، وذكره الأزهري كذلك في تهذيب اللغة: مادة «دمى» ج١٤ ص٢١٧، ولم ينسباه لأحد.

الاعراب:

وموضع «يسومونكم سوء العذاب» يحتمل أمرين من الاعراب:

أحدهما: الاستئناف فيكون موضعه رفعاً، كأنّه قال: يسومونكم من قبل ذلك سوء العذاب.

والثاني: أن يكون موضعه نصباً على الحال من آل فرعون والعامل فيه نجيناكم.

المعنى:

و «يسومونكم سوء العذاب» كان بذبح الأبناء واستحياء النساء. وقيل: باستعمالهم في الأعمال الشاقّة، واستحياء النساء كان بأن يستبقين. وقيل: انه كان يفتش أحياء النساء عما يلدن. وقيل: انهم كانوا يستحيون أن يلجوا على النساء في بيوتهن اذا انفردن عن الرجال صيانة لهنَّ فعلى هذا يكون انعاماً عليهن[1] وهذا بعيد من أقوال المفسرين.

والسبب في أن فرعون كان يذبّح الأبناء ويستحيي النساء ما ذكره السدي وغيره؛ أنّ فرعون رأى في منامه ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط وتركت بني اسرائيل وأخربت مصر، فدعى السحرة والكهنة والقافة فسألهم عن رؤياه، فقالوا: يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه ـ يعنون بيت المقدس ـ رجل يكون على يده هلاك مصر، فأمر بني إسرائيل الّا يولد لهم غلام إلّا ذبحوه ولا جارية

(١) نقل هذه الأقوال ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢١٤.

إلّا تركت[١] .

وليس في الآية دلالة على سقوط القود عمن قتل غيره مكرها، ولا القود على المكره، ولا أن كان مختاراً غير مكره. فالقود عليه لأنه لم يجر لذلك ذكر.

فان قيل : اذا كانوا نجوهم والله انجاهم، ما المنكر أن يكون العاصي هو الذي عصى الله والله خلق معصيته؟

قيل: لا يجب ذلك ، ألا ترى أنّه يقال:قد ينجيني زيد فأنجو، وان لم يكن فعلاً بلا خلاف. وكذلك اذا استنقذنا النبي صلّى الله عليه وآله من الضلالة فخلّصنا لا يجب ان يكون من فعل فعلنا. واخبار الله اليهود بهذه القصّة على لسان رسوله من دلائل نبوّته؛ لأنّ منشأه معروف، وبعده عن مخالطة الكتابيين معلوم .

قوله تعالى:

وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ آية .

موضع «اذ» نصب كما تقدّم وهو عطف على ما مضى، فكأنّه قال: واذكروا إذ فرقنا بكم البحر،وذلك من جملة نعم الله تعالى التي عدّدها عليهم مما فعله مع أسلافهم .

ومعنى «فرقنا بكم البحر» أي فرقنا بين الماءين حتى مررتم فيه وكنتم فرقاً بينهما .

---

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص٢١٥، والقمّي في تفسيره: ج١ ص٤٧ مع تفاوتٍ يسير.

اللغة:

والفرق والفصل والقطع نظائر، والفرق يقتضي الجمع، يقال: فرق فرقاً، وأفرق المريض إفراقا، وافترق الشيء افتراقاً، واستفرق استفرَاقاً، وفرّقه تفريقاً، وتفارقوا تفارقاً، وتفرّق تفرقاً، وفارقه مفارقةً، وانفرق انفراقاً، والفرق موضع المفرَق من الرأس، والفرق تفريق ما بين الشيئين، والفرق فرجك ما بين شيئين تفرق بينهما فزقاً حتى يتفرقا ويفترقا، وتقول:تفارق هؤلاء الصحبة أي فارق بعضهم بعضاً وافترقوا، وتقول: مشطت الماشطة كذا وكذا فرقاً أي كذا وكذا ضربا.

والفرق طائفة من الناس، قال أعرابي لصبيان رآهم: هؤلاء فِرق سوء، والفرق الطائفة من كل شيء ومن الماء اذا انفرق بعضه عن بعض، وكل طائفة من ذلك فرق،وقوله: «فكان كل فرق كالطود العظيم»[١] يعني الفرق من الماء، والفريق الطائفة من الناس، والفرقة مصدر الافتراق وهو أحد ما خالف فيه مصادر افعل.

والفرقان اسم للقرآن، وكلّ كتاب أنزل الله وفرق به بين الحقّ والباطل فهو فرقان، وسمّى الله تعالى التوراة فرقاناً، وقوله: «يوم الفرقان يوم التقى الجمعان»[٢] كان يوم بدر ويوم أُحد فرّق الله بين الحق والباطل، والفرق هو الفلق، والمفرق هو مكيال لأهل العراق.

والفرق الخوف، تقول: رجل فروقة وامرأة فروقة،والفعل فرق يفرق من

---

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) الانفال: ٤١.

كذا فراقاً، وقوله: «وقرآناً فرقناه»[١] ـ مخفّف ـ معناه أحكمناه، كقوله: «فيها يفرقُ كلّ أمرٍ حكيم»[٢] وتقول: مفرق ما بين الطرفين، وأفرق فلان من مرضه إفراقاً اذا برىء، ولا يكون الافراق إلّا من مرض لا يصيب الانسان إلّا دفعةً واحدة نحو الجدري والحصبة.

وديك أفرق اذا انفرق عرفه، وتيس أفرق اذا تباعد طرفا قرنيه، ورجل فروقة وكذلك المرأة مثل نسّابة وعلامة، وجاء مصدر فرقته تفرّقة. والفرق ـ الذي جاء في الحديث: ما أسكر الفرق فالجرعة منه حرام[٣] ـ مكيال يعرف بالمدينة. وفرقة من الناس وجمعه فرق.

واصل الفرق الفصل بين الشيئين، والفريقة حلبة تطبخ بتمر للنفساء وغيرها.

والبحر يسمى بحراً وهو انبساطه وسعته، ويقال: استبحر فلان في العلم وتبحّر لاستبحاره اذا اتسع فيه وتمكّن منه، ويقال: تبحّر الراعي في رعي كثير، قالَ أُميّة الصغير:

أنفق نصابك في نفل تبحّره ... من الأباطح واحبسها بخلدان[٤]

وتبحّر فلان في الماء، ومن ذلك بحيرة طبرية وهي عشرة أميال في ستة أميال. وقيل: هي علامة خروج الدجال اذا يبست فلا يبقى منها قطرة ماء[٥] وبحرت اذن الناقة بحراً اذا شققتها وهي البحيرة، وكانت العرب

---

(١) الاسراء: ١٠٦.

(٢) الدخان: ٤.

(٣) سنن ابن داود: ج٣ ص٣٢٩ ح٣٦٨٧، والنهاية لابن الأثير: ج٣ ص٤٣٧.

(٤) البيت أورده الفراهيدي في العين: مادة «بحر» ج٣ ص٢١٩، ومعجم البلدان: ج٢ ص١٥١.

(٥) راجع سنن الترمذي: ج٤ ص٥١٢.

تفعل ذلك اذا انتجت عشرة ابطن فلا تركب ولا ينتفع بظهرها، فنهى الله عن ذلك .

والسائبة التي تسيب فلا ينتفع منها بظهر ولا لبن. والوصيلة في الغنم كانت اذا وضعت أنثىٰ تُركت وان وضعت ذكراً أكله الرجال دون النساء، وان ماتت الأُنثى الموضوعة اشتركوا في أكلها، وان ولد مع الميتة ذكر حي اتصلت به كانت للرجال دون النساء، ويسمونها وصيلة. وقد قيل غير ذلك سنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

والباحر الأحمق الذي لبّس في حديثه، اذا كلم بقي كالمبهوت، وبحراني منسوب الى البحرين، ودم بحراني وباحر اذا كان خالص الحمرة من دم الجوف، والعرب تسمي المالح والعذب بحراً اذا كثر، ومنه قوله: «مرج البحرين يلتقيان» [١] يعني المالح والعذب .

وأصل الباب الاتساع. والبحر هو المجرى الواسع الكثير الماء، واما المالح فهو الذي لا يرى حافتيه من في وسطه، لعظمه وكثرة مائه، فدجلة بحر بالاضافة الى الساقية، وليست بحراً بالاضافة الى جدة وما جرى مجراها .

المعنى:

ومعنى قوله: «فرقنا بكم البحر» أي جعلناكم بين فرقيه تمرون في طريق يبس، كما قال تعالى: «فاضرب لهم طريقاً في البحر يبسا» [٢] وقال: «فأوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كلُّ فرق

---

(١) الرحمن: ١٩.

(٢) طه: ٧٧.

كالطود العظيم»[١].

وقال بعضهم في معنى «فرقنا»: يعني بين الماء وبينكم أي فصلنا بينكم وبينه حجزنا حيث مررتم فيه[٢]. وهذا خلاف الظاهر، وخلاف ما بيّنه في الآيات الأُخر التي وردت مفسّرة لذلك، ومبينة لما ليس فيه اختلاف.

اللغة:

وقوله: «واغرقنا آل فرعون».

قال صاحب العين: الغرق الرسوب في الماء، ويشبه به الدّين والبلوى والتغريق والتغويص والتغييب نظائر. والنجاة ضد الغرق كما إنّها ضدّ الهلاك، يقال: غرق غرقا وأغرق في الأمر اغراقاً، وغرّقه تغريقاً، وتغرّق تغرقا، ورجل غرق وغريق، وغرقت السيل وأغرقته اذا بلغت به غاية المدّ في النفوس، والفرس اذا خالط ثم سبقها يقال:اغترقها، والغرق من اللبن القليل[٣].

قال ابن دريد: غرق يغرق غرقاً في الماء، وغرق في الطيب والمال، وأصله في الماء، وكثر فاستعمل في غيره. وكذلك غرق في الذنوب، واغرق في الأمر يغرق إغراقا اذا جاوز الحدّ فيه. وأصله من نزع السهم حتى يخرجه من كبد القوس، واغرورقت عيناه شرقت بدمعها، وجمع غريق: غرقى، واصل الباب الغرق الرسوب في الماء[٤].

---

(١) الشعراء: ٦٣.
(٢) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٦٥.
(٣) العين: مادة «غرق» ج٤ ص٣٥٤.
(٤) جمهرة اللغة: مادة «رَغَ ق» ج٢ ص٣٩٥.

اللغة:

وقوله: «وانتم تنظرون» قال المفسّرون: وأنتم ترون ذلك وتعاينونه[١] .

والنظر والبصر والرؤية نظائر في اللغة، يقال: نظر ينظر نظراً، وأنظر ينظر إنظاراً، وانتظر انتظاراً، واستنظر استنظاراً، وتناظر تناظراً، وناظره مناظرة .

قال صاحب العين: نظر ينظر نظراً -بتخفيف المصدر- وتقول: نظرت الى كذا من غير ذكر العين[٢]، ونظرت في الكتاب ونظرت في الأمر. وقول القائل: أنظِرُ الى الله تعالى ثمّ اليك، معناه: إنّي أتوقّع فضل الله ثمّ فضلك، ويقال: نظرتُ بعلمي ويقال: أنظرَ الدهرِ اليّهم أي أهلكهم، قال الشاعر:

نظر الدهر اليهم فابتهل

والنظر الاسم من نظر. وقوله: «لا ينظر اليهم» أي لا يرحمهم. والمنظور من الناس هو المرجو فضله، ينعت به السيّد، والنظور الذي لا يغفل عن النظر الى ما أهمّه، والمناظرة أن تناظر أخاك في أمرٍ تنظر أنت في ذلك وينظر هو فيه كيف تأتيانه .

والمنظرة موضع في رأس جبل يكون فيه رقيب ينظر فيه الى العدو ويحرس أصحابه، والمنظرة منظرة الرجل اذا نظرت اليه أعجبك أو أساءك ، تقول: انه لذو منظرة بلا مخبرة، والمنظر مصدر كالنظر. والمنظر الشيء الذي يعجب بالنظر اليه ويسرّ به، تقول: إنّ فلاناً لفي منظرٍ ومسمع، وفي ريٍّ

(١) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢١٩.

(٢) وردت العبارة في العين هكذا: «نظرت الى كذا وكذا من نظر العين».

ومشبع؛ أي فيما أحب النظر اليه.

ونظار بمعنى انتظر في الأمر، وناظر العين النقطة السوداء الخالصة الصافية التي في جوف سوداء العين مما يرى انسان العين. والنظير نظيرك الذي هو مثلك، والانثى نظيرة، وجمعه نظائر في الكلام والانشاء.

ونظرته وانتظرته بمعنى واحد، ويقول: انظرني يافلان أي استمع اليّ، لقوله: «لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا»(١) وتقول: بعت فلاناً فانظرته أي انسأته، والاسم النظرة، ومنه قوله: «فنظِرةٌ الى مَيسرة»(٢) أي فانتظار، واستنظر فلان -من النظرة- إذا هو سأل. والنظر توقّع أمر تنتظره، وبفلان نظرة أي سوء هيئة، وقوله: «انظرونا نقتبس من نوركم»(٣) أي انتظرونا(٤).

وأصل الباب كلّه الاقبال نحو الشيء بوجهٍ من الوجوه.

وقال قوم: إنّ النظر اذا كان معه «الى»(٥) لا يحتمل إلّا الرؤية، وحملوا قوله: «الى ربّها ناظرة»(٦) على ذلك، وقالوا لا يحتمل التأمّل.

وذلك غلط، لأنّهم يقولون: إنّما انظر الى الله ثم اليك بمعنى اتوقّع فضل الله ثم فضلك، وقال الطريح بن اسماعيل(٧).

---

(١) البقرة: ١٠٤.

(٢) البقرة: ٢٨٠.

(٣) الحديد: ١٣.

(٤) العين: مادة «نظر» ج٨ ص١٥٤-١٥٦.

(٥) في حاشية النسخة الحجرية توضيح للعبارة هكذا: أي كلمة الى.

(٦) القيامة: ٢٣.

(٧) طريح بن اسماعيل بن أبي سلمة الثقفي، ويكنى أبا الصلت، نشأ في دولة بني أُمية واستنفد شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، وام طُريح بنت عبد الله بن سباع بن ←

واذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك جرتني نعماء(١)

وقال جميل بن معمر(٢):

اني اليك لما وعدت لناظر نظر الفقير الى الغني الموسر(٣)

وقال آخر:

وجوه يوم بدر ناضرات الى الرحمان تأتي بالفلاح(٤)

واتوا بـ (الى) على معنى نظر الانتظار، والصحيح إنّ النظر لا يفيد الرؤية وانما حقيقته تحديق الجارحة الصحيحة نحو المرئي طلباً لرؤيته، ولو افاد الرؤية

عبد العُزّى، وسباع هو الذي قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أُحد. مات في أيام المهدي سنة ١٦٥هـ.

(معجم الأدباء: ج١٢ ص٢٢، والأغاني: ج٤ ص٣٠٨)

(١) لم نعثر عليه في المراجع المتوفرة لدينا.

(٢) جميل بن عبد الله بن معمر العذري ويكنى أبا عمرو، وهو أحد عُشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته بثينه، شاعر فصيح. عشق بثينة وهو غلام صغير فلما كبر خطبها فُرِّد عنها. وكان اوّل ما عِلق بها أنه أقبل يوماً بإبله حتّى أوردها وادياً يقال له بغيض، فاضطجع وأرسل إبله مُصْعِدةً، وأهل بثينة بذَنب الوادي، فأقبلت بثينة وجارةٌ لها واردتين الماء، فمرّتا على فصال له بُرُوك فَعَرمَتهنّ بثينةُ؛ أي أصابتهن بشر، وهي اذا ذاك جويرية صغيرة فسبّها جميلٌ فافترت عليه، فَمُلح اليه سبابُها فقال:

وأول ما قادَ المودةَ بيننا بوادي بغيضٍ يا بثينَ سبابُ

وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكل كلامٍ يا بثينَ جواب

فافتتن بها، وتناقل الناس أخبارهما، وجميل وبثينه كلاهما من عذرة وكانت منازلهم في وادي القرى (من أعمال المدينة) ورحلوا الى اطراف الشام الجنوبية، فقصد جميل مصر، وافداً على عبد العزيز بن مروان، فاكرمه عبد العزيز وأمر له بمنزل فأقام قليلاً، ومات فيه سنة ٨٢هـ.

(الأغاني: ج٨ ص٩٠، والشعر والشعراء: ص٢٦٠).

(٣) ديوانه: ص٤٠، وفيه: «المكثر» بدل «الموسر».

(٤) لم نعرف القائل.

لما جعل غاية لنفسه؛ ألا تراهم يقولون: ما زلت أنظر اليه، ولا يقولون:ما زلت أراه حتى رأيته؛ ولأنهم يثبتون النظر وينفون الرؤية، يقولون: نظرت اليه فلم أره، ولا يقولون:رأيته فلم أره .

المعنى:

فاذا ثبت هذا، فالأولى أن نقول: إنّ تأويل الآية «وأغرقنا آل فرعون» وأنتم مقبلون عليهم متوقّعون له. وقال الفرّاء: قد كانوا في شغل من أن ينظروا مستورين بما اكتنفهم من البحر من أن يروا فرعون وغرقه، ولكنّه كقولك: قد ضربت وأهلك ينظرون فما اتوك ولا اعانوك ، ومعناه وهم قريب بمرأى ومسمع .

ومثله قوله: «ألم تر الى ربّك كيف مدّ الظلّ»[١] وليس هاهنا رؤية، وانما هو علم؛ لأن الرؤية تستعمل في مثل ذلك يقول القائل: رأيتُ فرعون أعتى الخلق وأخبثه[٢] .

وهذا الذي ذكره الفّراء محتمل مليح، غير أنه مخالف لقول المفسّرين كلّهم؛ فانهم لا يختلفون أنّ أصحاب موسى رأوا انفراق البحر والتطام أمواجه بآل فرعون حتى غرقوا، فلا وجه للعدول عن الظاهر مع احتماله؛ ولأنهم اذا عاينوا ذلك كانوا أشدّ في قيام الحجّة، وأعظم في ظهور الآية. وذكر الزجّاج وجهاً آخر،قال: معناه وانتم بازائهم، كما يقول القائل: دور آل فلان الى دور آل فلان أي هي بازائها، لأنّها لا تبصر[٣] .

---

(١) الفرقان: ٤٥.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٣٦.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص١٣٣.

قصة موسى عليه السلام:

وقصة فرعون مع بني اسرائيل في البحر، ولا نعلم [إلّا] جملة ما قال ابن عباس:

إنّ الله أوحى الى موسى «ان أسر بعبادي إنكم متبعون»[١] فسرى موسى ببني اسرائيل ليلاً فاتبعه فرعون في الف الف حصان سوى الاناث، وكان موسى في ستمائة ألف، فلما عاينهم قال: «إنّ هؤلاء لشرذمةٌ قليلون وانّهم لنا لغائظون وإنّا لجميع حاذرون»[٢].

فسرى موسى ببني اسرائيل حتى هجموا على البحر، فالتفتوا، فاذا هم برهج دواب فرعون فقالوا يا موسى « أُوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا»[٣] هذا البحر أمامنا وهذا فرعون قد رهقنا بمن معه «قال عسى ربكم أن يهلك عدوّكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون»[٤].

قال: فأوحى الله الى موسى«ان اضرب بعصاك البحر»[٥]وأوحى الى البحر ان اسمع لموسى وأطع اذا ضربك، قال: فبات البحر له أفكل أي له رعدة لا يدري من أي جوانبه يضربه، قال: فقال يوشع لموسى عليه السلام: بماذا أُمرت، قال: أُمرت أن اضرب البحر، قال: فاضربه، فضرب موسى البحر بعصاه، فانفلق، فكان اثنا عشر طريقاً كالطود العظيم، فكان لكل سبط منهم طريق يأخذون فيه.

فلما أخذوا في الطريق، قال بعضهم لبعض: مالنا لا نرى اصحابنا،

---

(١) الشعراء: ٥٢.

(٢) الشعراء: ٥٤و٥٥و٥٦.

(٣)و(٤) الأعراف: ١٢٩.

(٥) الشعراء: ٦٣.

قالوا لموسى: اصحابنا لا نراهم، فقال لهم: سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم، فقالوا:لا نرضى حتى نراهم، فيقال: إنّ موسى قال لله تعالى: اللهم أعني على اخلاقهم السيئة، فأوحى الله اليه أن قل لعصاك [١] هكذا يميناً وشمالاً، فصار فيها كوى ينظر بعضهم الى بعض.

قال ابن عباس: فساروا حتى خرجوا من البحر، فلما جاز آخر قوم موسى هجم فرعون هو وأصحابه، وكان فرعون على فرس أدهم ذنوب حصان، فلما هجم على البحر هاب الحصان أن يتقحّم على البحر، فتمثل له جبرائيل على فرس انثى وديق فلما رآها الحصان تقحم خلفها، وقيل لموسى: اترك البحر رهواً أي طرقاً على حاله.

ودخل فرعون وقومه البحر، فلما دخل آخر قوم آل فرعون وجاز آخر قوم موسى، انطبق البحر على فرعون وقومه فاغرقوا. ويقال: نادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى، وعرف ذلّه وخذلة نفسه: لا إله إلّا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين[٢].

فان قيل: كيف لم يُسوِّ الله بين الخلق في هذه الآيات الباهرات التي اعطاها بني اسرائيل لتكون الحجة أظهر والشبهة أبعد؟

قيل: الآيات يظهرها الله على حسب ما يعلم من المصلحة في ذلك، وعلى حد لا ينتهي الى الالجاء والاضطرار، وخولف بين الآيات لهم على قدر حدّة أذهان غيرهم وكلالة اذهانهم، يدل على ذلك إنّ بعد مشاهدة هذه

---

(١) كذا في النسخة الخطية، وفي الطبعة الحجرية: «ان قل بعصاك ...»،وفي المطبوعة تحقيق العاملي: «انقل بعصاك ...»، وفي المجمع: «ان مل بعصاك ...».

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢١٨-٢٢٠.

الآيات قالوا: يا موسى أجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة. ولما كانت العرب من أحدّ الناس اذهاناً وأجودهم أوهاماً جاءت الآيات مشاكلة لطباعهم ومجانسة لدقّة اذهانهم، وفي الجميع الحجة الباهرة والآية القاهرة.

وليس يمكن ان يقال:انه لو ظهر لهم مثل تلك الآيات لآمنوا لا محالة على وجهٍ لا يكونون ملجئين اليه؛ لأنّ ذلك لو كان معلوماً لأظهره الله تعالى، فلما لم يظهرها الله علمنا انه لم يكن ذلك معلوماً، وموسى عليه السلام لم يكن مجتلباً الى المعارف لمشاهدته هذه الآيات؛ لأنه كان يقدم له الايمان بالله ومعرفته.

وقوله: «واغرقنا آل فرعون» وان لم يكن في ظاهره انه أغرق فرعون فهو دالٌّ عليه، وكأنه قال: وأغرقنا آل فرعون وفرعون معهم وانتم تنظرون فاختصر لدلالة الكلام عليه؛ لأنّ الغرض مبني على إهلاك فرعون وقومه. ونظيره قول القائل: دخل جيش الأمير البادية، فانّ الظاهر من ذلك، إنّ الأمير معهم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ۝٥١﴾ آية.

القراءة:

قرأ «وعدنا» بغير ألف أهل البصرة، وأبو جعفر هنا وفي الاعراف وطه، وقرأ الباقون بألف قبل العين[1]،وقرأ ابن كثير وحفص والبرجمي

(١) السبعة في القراءات: ص١٥٤.

ورويس«اتخذتم» و«أخذتم» وماجاءمنه باظهار الذال، ووافقهم الأعشى فيما كان على وزن افتعلت وافتعلتم، الباقون بالادغام[١] .

حجّة من قرأ باثبات الالف دلالة الله على وعده وقبول موسى لأنه اذا حسن في مثل قوله: «اخلفوا الله ما وعدوه»[٢] الاخبار كان هنا في الاختيار واعدنا. ومن قرأ بالألف[٣]، قال: هو أشدّ مطابقة للمعنى اذ القبول ليس بوعد في الحقيقة انما هو إخبار الموعود بما يفعل به من خير، وعلى هذا قوله: «اخلفوا الله ما وعدوه» مجاز حقيقة بما اخبروه انهم فاعلوه .

وقال جماعة من أهل العلم: ان المواعدة في الحقيقة لا تكون إلّا من البشر،والله تعالى هو المتفرّد بالوعد والوعيد، كما قال تعالى: «واذ يعدكم الله احدى الطائفتين»[٤] وقال: «وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات»[٥] والقراءتان جميعاً صحيحتان قويّتان .

اللغة:

و«اذ» معطوفة على الآيات المتقدّمة، كأنه قال: واذكروا اذ وعدنا، وبيّنا وجه الحسن فيه؛ فالوعد والعدة والموعد والميعاد نظائر. والوعد في الخير والوعيد في الشر، يقال: وعده وعداً وأوعده ايعاداً، وواعده مواعدةً، وتواعدوا تواعداً، واتعدوا اتعاداً، وتوعّدوا في الشرّ خاصة .

---

(١) السبعة في القراءات: ص١٥٤، والتيسير في القراءات السبع: ص٧٣.

(٢) التوبة: ٧٧.

(٣) كذا في الطبعة الحديثة والحجرية والخطية والصحيح ظاهراً هو: «بلا ألف» فلاحظ.

(٤) الانفال: ٧.

(٥) المائدة: ٩، وراجع تفسير الطبري في معنى المواعدة: ج١ ص٢٢١.

قال صاحب العين: الوعد والعدة مصدران ويكونان اسمين؛ فأما العدة فيجمع على العدات والوعد لا يجمع، والموعد موضع التواعد وهو الميعاد، ويكون الوعد مصدر وعدته، ويكون الموعد وقتاً للحين، والموعدة اسم العدة، والميعاد لا يكون إلّا وقتاً أو موضوعاً، والوعيد من التهدُّد أوعدته المكاره، ويقال أيضاً: وعدته من الشر، كقوله: «النار وعدها الله الذين كفروا»، ووعد الفحل اذا همّ أن يصول[1].

واصل الباب الوعد الذي هو الخبر بانه سيفعل بالمخبر به خيراً أو شراً، وقال أحمد بن يحيى: تقول:أوعدته، وتسكت أو تجيء بالباء تقول: أوعدته بالشرّ، ولا تقول،أوعدته الشر[2].

وموسى اسم مركّب من اسمين بالقبطية فـ (مو) هو الماء، و(سى) شجر. وسُمّي به؛ لأنّ التابوت الذي كان فيه موسى وجد عند الماء والشجر، وجدته جواري آسية امرأة فرعون وقد خرجْنَ ليغتسلْنَ، فسُمّي بالمكان الذي وجد فيه. وهو موسى بن عمران بن يصمر بن فاهث بن لاوي بن يعقوب اسرائيل الله.

المعنى:

وقال: «أربعين ليلة» ولم يقل:يوماً،على عادة العرب في التأريخ بالليالي؛ لأن الأهلّة تطلع فيها، واعتمادهم على الأهلة.

وقال الأخفش: وعد باتمام أربعين ليلة، أو إنقضاء أربعين ليلة،

---

(١) مادة «وعد» ج٢ ص٢٢٢.

(٢) الصحاح: مادة «وعد» ج٢ ص٥٥١، ولم ينسبه لاحد.

كقولك: اليوم أربعون يوماً مذ خرج فلان، واليوم يومان أي تمام يومين[١].

وقال غيره: الاربعون كلها داخلة في الميعاد[٢].

قال أبو العالية: واعدنا موسى أربعين ليلة يعني ذا القعدة وعشراً من ذي الحجّة[٣].

وقال غيره: ذا الحجة وعشراً من المحرم؛ وذلك حين خلف موسى أصحابه واستخلف عليهم هارون فكث على الطور أربعين ليلة وانزلت عليه التوراة في الألواح. وعن الربيع نحوه[٤].

وقال الطبري: لا يجوز ما قاله الأخفش؛ لأنّه خلاف ظاهر التلاوة، وما جاءت به الرواية[٥].

قال الرماني: هذا غلط ظاهر إذ[٦] الوعد لايتصل وقوعه في الاربعين كلها اذاكان الوعد هو الاخبار الموعود بما فيه النفع، فلم يكن ذلك الخير في طول تلك المدّة، فلابدّ على ذلك أن يكون التقدير على ما قاله الأخفش أو على وعدناه إقامة أربعين ليلة للمناجاة أو غيبته أربعين ليلة عن قومه للمناجاة، وما أشبه ذلك من التقدير[٧].

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٢٦٤.

(٢) قاله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٢٢.

(٣) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٢٠.

(٤) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٢٢.

(٥) تفسيره: ج١ ص٢٢٢.

(٦) كذا في حاشية الحجرية، وفي متنها والنسخة الخطية هكذا: «هذا غلط الظاهر انّ».

(٧) لا يوجد لدينا كتابه.

قال أبو علي: لا يخلو أن تكون «اربعين» ظرفاً أو مفعولاً ثانياً، ولا يجوز أن تكون ظرفاً؛ لأنّ الوعد ليس فيها كلها فيكون جواب كم، ولا في بعضها فيكون جواباً لمتى، فاذا لم تكن ظرفاً كانت منتصبة بوقوعها موقع المفعول الثاني، فيكون تقديره: وعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أو تتمّة أربعين ليلة، فحذف المضاف ،كما تقول:اليوم خمسة عشر من الشهر أي تمامه(١) .

اللغة :

والأربعة عدد يزيد على الثلاثة، وينقص عن الخمسة، يقال: ربع يربع ربعاً، وربّع تربيعاً، وتربّع تربعاً، وارتبع ارتباعاً، تقول: ربعت القوم فأنا رابعهم، والرابع من الورد وهو أن تحبس الابل عن الماء أربعة أيام ثم ترد يوم الخامس، وربعت الحجر بيدي ربعاً اذا رفعته عن الأرض بيدك ، وارتبعت الحجر كذلك ، وربعت الوتر اذا جعلته أربع طاقات، وتقول: أربع على ضلعك ، واربع على نفسك ، واربع عليك ،كل ذلك واحد بمعنى انتظر.

والربع المنزل والموطن، والربع الفصيل الذي نتج في الربيع، وما ينتج بالصيف يقال له: هبع؛ وفي المثل: (ما له هبع ولا ربع)، ورجل ربعة ومربوع ليس بطويل ولاقصير، والربعة الجونة ، والمرباع كانت العرب اذا غزت أخذ رئيس القوم ربع الغنيمة والباقي بينهم .

وأول الاسنان الثنايا، ثم الرباعيّات وهي أربعة ثنيتان من تحت وثنيتان من فوق، والواحد رباعية،واربع الفرس اذا القى رباعية من السنة

(١) الحجة في القراءات السبع: ج٢ ص٥٣.

الأُخرى والجمع الربع، والربيعة هي البيضة من السلاح،يقال:ربعت الأرض فهي مربوعة من الربيع، وارتبع القوم اذا اصابوا ربيعا، وحمّى ربع تأتي في اليوم الرابع[1]، والمربعة خشبة تشال بها الأحمال وتوضع على الابل، والربع الباهر.

ورجل مربوع ومربع اذا أخذته حمى الربع، والربيع حظ من الماء للارض ربع يوم أو ربع ليلة، يقال: لفلان في الماء ربيع، وربع المال جزء من أربعة ويقال له: ربيع، ولم يتجاوز العرب في هذا المعنى الثمين. وقال بعضهم: التسيع والعشير، والأوّل أظهر.

وأصل الباب الأربعة من العدد. والأربعة تجري تارة على نفس العدد، وأُخرى على المعدود،فاذا أجريته على العدد قلت: أربعة اثواب، واذا أجريته على المعدود قلت: أثواب أربعة .

وليلة وعشية ومساء نظائر، ويقال: يوم وليلة على طريق النقيض. قال صاحب العين: الليل ضدّالنهار، والليل ظلام الليل والنهار الضياء؛ فاذا افردت أحدهما من الآخر قلت: ليلة ويوم، تصغيرها لييلة،أخرجوا الياء الأخيرة من مخرجها في الليالي. يقول بعضهم: انما كان بناؤها ليلاء فقصر يقولون: هذه ليلة ليلاء اذا اشتدّت ظلمتها، قال الكميت:

وليلهم الأليل

هذا لضرورة الشعر وفي الكلام ليلاء[2]. والليلة الوقت من غروب

---

(١) العبارة مشوّشة في الحجرية والمطبوعة والخطية، والصحيح ما أثبتناه في المتن اعتماداً على عبارة العين: مادة «ربع» ج٢ ص١٣٤.

(٢) العين: مادة «ليل» ج٨ ص٣٦٣.

الشمس الى طلوع الفجر الثاني، واليوم من طلوع الفجر الثاني الى غروب الشمس.

قال ابو زيد: اتخذنا مالا فنحن نتخذه اتخاذاً، وتخذت أتخذ تخذا[١].
قال أبو علي: اتخذ افتعل[٢] ومنه تخذت، قال الله تعالى: «لو شئت لاتخذت عليه أجراً»[٣] وتخذت: لا يتعدى إلّا الى مفعول واحد. واتخذت تارةً يتعدّى الى مفعول واحد وتارة الى مفعولين فتعدّيه الى مفعول واحد، مثل قوله: «يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً»[٤] ومثل قوله: «واتخذوا من دون الله آلهةً»[٥] وتعدّيه الى مفعولين مثل قوله تعالى: «اتخذوا أيمانهم جنّة»[٦] وقوله: «لا تتّخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء»[٧] وقوله: «واتخذتموهم سخريا»[٨] ومن أدغم فلقرب مخرج الذال من مخرج التاء، ومن لم يدغم فلأنّ مخرجهما متغاير.

والعجل والثور والبقرة نظائر، إلّا إنّ العجل هو البقرة الصغيرة، ويقال: عجل وعجول، واشتقاقه من عجل يعجل عجلة، وأعجله اعجالاً، واستعجل استعجالاً، وتعجّل تعجّلا، وعجل تعجيلاً، وعاجلته معاجلة، وتعاجلوا تعاجلاً، ورجل عَجِل وعَجُل لغتان، وتقول: استعجلت فلاناً أي

---

(١) نقله عنه الفارسي في الحُجّة: ج٢ ص٦٠.
(٢) الحجة في علل القراءات السبع: ج٢ ص٦٠.
(٣) الكهف: ٧٧.
(٤) الفرقان: ٢٧.
(٥) مريم: ٨١.
(٦) المجادلة: ١٦.
(٧) الممتحنة: ١.
(٨) المؤمنون: ١١٠.

حثثته،. وأعجلت فلاناً اعجله إعجالاً، وتعجّلت خراجه أي كلفته أن يعجله، ورجل عجلان وامرأة عجلى وقوم عجال ونسوة عجال .

والعجال الابل، والعجل عجل الثيران والواحدة عجلة، ويجمع على الأعجال، والعجالة ما تعجّلت من شيء، والعجالة طعام الراكب الذي لا يحسن طبخه، ويقال: هو تمر ولبن والعجلة الادواة الصغيرة وهي المطهرة والجمع العجال. والعاجلة نقيض الآجلة يعني الدنيا والآخرة، والعاجل نقيض الآجل،عام في كلّ شيء،تقول:عاجل وآجل، والعجل ولد البقرة، وجمعه عجاجيل،ويقال: عجول والأُنثى عجولة .

وقوله: «خلق الانسان من عجل»[1] يقال: إن آدم عليه السلام حين بلغ الروح منه الى الركبتين همّ بالنهوض قبل أن تبلغ القدمين، فقال الله تعالى: «خلق الانسان من عجل»[2] وأورثنا آدم العجلة، والعجل الظنين من غير الخليل، والعجل خشب يؤلف شبه المحفة تجعل عليه الا ثقال وجمعه الاعجال، وصاحب عجال .

واصل الباب العجل الذي هو الاسراع، والعجلة والسرعة والخفة نظائر. ونقيض العجلة التأني، ونقيض السرعة الابطاء .

وبَعدُ نقيض قَبلُ، تقول: كان هذا بعدَ هذا، وتقول: بعد بعداً، أو أبعده الله إبعاداً، وتباعد تباعداً، وباعده مباعدة، واستبعده استبعاداً، وبعده تبعيداً، وتبعّد تبعّداً .

قال صاحب العين: (بعد) لما يكون على أثر الشيء اذا كان قد مضى

---

(١) الأنبياء: ٣٧.

(٢) تفسير القمي: ج٢ ص٧١.

فاذا أفردوا قالوا: هو من بعد، كقوله تعالى: «لله الأمر مِن قبلُ ومِن بَعدُ»[(١)] وتقول: بعداً وسحقاً، ويقرأ: «باعد بين أسفارنا»[(٢)] وبعد بمعنى واحد.

والأبعد نقيض الأقرب، والجمع: أباعد وأقارب، ويقرأ «بَعِدت ثمود» و«بَعُدت ثمود»[(٣)] ومعناهما واحد إلّا أنّهم يقولون: بعد الرجل وأبعده الله، والبعد من اللعن يقول: ابعده الله، أي لا يرثي له ممّا نزل[(٤)].

وقال ابن دريد: البعد ضد القرب، وبعد ضدّ قبل، وسمع ابو زيد العرب تقول: فلان غير بعيد وغير بعد[(٥)].

وأصل الباب البعد نقيض القرب.

المعنى:

ومعنى قوله: «ثم اتّخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون» أي اتخذتموه إلهاً؛ لأن بنفس فعلهم لصورة العجل لا يكونون ظالمين؛ لأنّ فعل ذلك ليس بمحظور وانما هو مكروه. وما روي عن النبي صلّى الله عليه وآله انه لعن المصوّرين[(٦)] معناه: من شبّه الله بخلقه أو اعتقد فيه أنّه صورة، فلذلك قدّر الحذف في الآية، كأنّه قال: اتخذتموه الهاً، وذلك انّهم عبدوا العجل

---

(١) الروم: ٤.

(٢) سبأ: ١٩.

(٣) هود: ٩٥.

(٤) العين: مادة «بعد» ج٢ ص٥٣.

(٥) جمهرة اللغة: مادة «ب د ع» ج١ ص٢٤٥.

(٦) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٥، والبخاري: ج٣ ص١٠٨، ومسند أحمد: ج٤ ص٣٠٨.

بعد موسى لمّا قال لهم السامري: هذا إلهكم واله موسى .

«فنسي» أي ترك المهم ومضى ناسياً، وقيل: بل معنى «فنسي» اي فترك ما يجب عليه من عبادة الله .

قصة السامري:

وكان سبب عبادتهم العجل ما ذكره ابن عباس: إنّ السامري كان رجلاً من أهل باكرم[1]، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حبّ عبادة البقر في نفسه، وكان قد اظهر الاسلام في بني اسرائيل .

فلما قصد موسى الى ربه خلف هارون في بني اسرائيل، قال لهم هارون: إنكم تحمّلتم أوزاراً من زينة آل فرعون، وأمتعة وحلياً فتطهّروا منها فانّها نجس، وأوقد لهم ناراً، وقال لهم: اقذفوا ما كان معكم فيها، فجعلوا يأتون بما كان معهم من تلك الأمتعة وذلك الحلي فيقذفون به فيها، حتى إذا انكسر الحلي ورأى السامري أثر فرس جبرئيل، فأخذ تراباً من أثر حافره، ثمّ أقبل الى النار.

فقال لهارون: يا نبي الله أُلقي ما في يدي؟ قال: نعم، ولم يظنّ هارون إلّا انه كبعض ما جاء به غيره من الحلي والأمتعة، فقذف فيها وقال: كن عجلاً جسداً له خوار، وكان البلاء والفتنة، وقال: هذا الهكم وآله موسى، فعكفوا عليه وأحبوه حبّاً لم يرَ مثله قط[2] .

* * *

(١) كذا في الخطية والحجرية والمطبوعة، وفي مجمع البيان: «باجرمي».

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٢٤.

اللغة:

وسمي العجل عجلاً مأخوذ من التعجيل؛ لأن قصر المدّة كالعجل في الشيء.

وقال أبو العالية: انما سمّي العجل عجلاً؛ لأنهم عجلوا فاتخذوه قبل أن يأتيهم موسى [(١)].

وقال الحسن: صار العجل لحماً ودماً [(٢)]. وقال غيره: لا يجوز؛ لأن ذلك من معجزات الأنبياء.

ومن وافق الحسن قال: إنّ القبضة من أثر الملك كان الله قد أجرى العادة بانها اذا طرحت على أي صورة كانت حييت، فليس ذلك بمعجزة، إذ سبيل السامري فيه وسبيل غيره سواء، ومن لم يجز انقلابه حياً، فأوّل الخوار على إنّ السامري جعل فيه خروقا فدخلها الريح فحدث فيه صوت كالخوار.

وانما قال: «وانتم ظالمون» يعني ظالمي أنفسهم إذ أدخلوا عليها الضرر بما يستحقّون على عبادته من العقوبة والظلم، وقد يكون للنفس وقد يكون للغير.

وانما وصفوا بانهم اتخذوا العجل إلها، وهي صفة ذمّ لهم بما لم يفعلوا لرضاهم بما كان عليه أسلافهم، وسلوكهم طرائقهم في المخالفة لأمر الله، والذمّ على الحقيقة على أفعالهم فان كان اللفظ على أفعال أسلافهم فاخرج

---

(١) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٢٥.

(٢) ذكره الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٢١.

اللفظ مخرج من، كأنّهم فعلوا ذلك لسلوكهم تلك الطرق وعدولهم الى المخالفة، فالذم متعلق بما كان منهم في الحقيقة.

فان قيل: هل هذا الميقات في قوله: واعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر؟

قيل: قال أبو علي وابو بكر بن اخشاد واسمه احمد بن علي: ان هذا ذاك، وفي الناس من قال: هو غيره، والأول أظهر.

وانما ذكر الثلاثين وأتمّها بعشر، والأربعين قد تكمل بعشرين وعشرين؛ لأن الثلاثين أراد بها ذا القعدة وذا الحجة فذكر هذا العدد لمكان الشهر ثم ذكر ما يتم به العدد أربعين ليلة.

وانما قال: «اربعين ليلة» ولم يقل: أربعين يوماً؛ لتضمّن الليالي الأيام على قول المبرد[١]، ومعنى ذلك: انه اذا ذكرت الليالي دخلت فيها الأيام وليس اذا ذكرت الايام دخلت الليالي فيها، هكذا هو الاستعمال.

والصحيح إن العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيام والأهلّة، فأوّل الشهر الليالي، ولذلك ارخت بالليالي وغلبتها على الايام ولذلك صارت الايام تابعة لليالي، واكتفى بذكر الليالي من الايام، فقيل:لعشر خلون، ولم يقولوا:لعشرة؛ لأنّه جرى على ما جرى على الليالي.

«واتخذ» قال الرماني: وزنه افتعل وأصله يتخذ، فقلبت الياء تاء وأُدغمت في التاء التي بعدها. وقال ابو علي: يتخذت وليس من اخذت، لأنّ الهمزة لا تبدّل من الياء ولا تبدّل الياء منها، واتخذت لا تكون افتعلت من اخذت ويكون ابدلت الهمزة ياء ثم ادغمت في التاء، كما قالوا: اتسر

---

(١) لم نعثر عليه فيما لدينا من المصادر.

الجزور وهو من اليسر؛ لأنه لا يجوز على قول اصحابنا لاختلاف الحرفين .

وفائدة الآية التعجّب من قولهم، اذ كانوا في مقدار هذه المدة اليسيرة لغيبة موسى عنهم اتخذوا العجل إلها. وادغام الذال عند التاء جائز، وتركه أيضاً كذلك جائز(١) .

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٥٢﴾ آية بلا خلاف .

قيل في معنى ما وقع العفو عنهم بقوله: «ثم عفونا عنكم» قولان :

أحدهما: انا تركنا معاجلتكم بالعقوبة من بعد اتخاذكم العجل إلهاً .

والآخر: عفونا عنكم بقبول التوبة من عبادة العجل(٢) .

اللغة:

والعفو والصفح والمغفرة والتجاوز نظائر. فالمغفرة نقيض العقوبة، ويقال: عفا عفواً واعفاه اعفاء، واستعفى استعفاء، وعفى تعفية، وعافاه معافاة، وتعفى تعفيا، وتعافى تعافيا، واعتفاه اعتفاء .

العفو أحلّ المال وأطيبه، والعفو المعروف، والعفاة طلاب المعروف، وهم المعتفون، تقول: اعتفيت فلاناً، اذا طلبت معروفه وفضله، والعافية من الطير والدواب طلاب الرزق اسم جامع لها، ومنه قوله عليه السلام: من غرس شجرة مثمرة فما اكلت العافية منها كتب له صدقة(٣) .

والعافية دفاع الله عن العبد، يقول: عافاه الله من مكروه وهو يعافيه

---

(١) الحجة في علل القراءات السبع: ج٢ ص٥٩.

(٢) حكاه الطبري في التفسير: ج١ ص٢٢٥.

(٣) مسند أحمد: ج٣ ص٣٩١.

معافاة، والاستعفاء ان تطلب الى من كلّفك امراً أن يعفيك منه، وعفى الشيء اذا كثر، وأعفيته اذا اكثرته، قال تعالى: «حتى عفوا»[١]، ومنه إعفاء اللحية اكثارها.

وعفى درس، يقال: أخذ من فلان ما عفا وصفا. والعفا التراب، تقول: يعفيه العفا، وعليه العفا، والعفا الدروس، قال زهير:

على آثار ما ذهب العفاء[٢]

ومنه عفت الديار، والريح تعفو الديار عفاء وعفوا، وتعفّت الدار والأثر تعفيّاً، والعَفوة والعِفوة والعُفوة. والجمع: العفو وهي الحمر الأفتأ والفتيات. والعفاء ما كثر من الوبر والريش، وناقة ذات عفاء كثيرة الوبر طويلته، والعفو ولد الأتان الوحشية.

وأصل الباب الترك، ومنه قوله: «فمن عفي له من أخيه شيء»[٣] من ترك له. وعفو الشيء صفوه.

ومعنى «لعلّكم» في الآية لكي تشكروا، وقيل: معناه التعريض كأنّه قال: عرضناكم للشكر.

وقوله: «من بعد ذلك» ـ وان كان اشارة الى الواحد ـ فمعناه الجمع. وانما كان ذلك كذلك؛ لأنّ ذا اسم مبهم فمرة يأتي على الأصل، ومرّة يأتي على مشاكلة اللفظ اذا كان لفظ المبهم على الواحد وان كان معناه الجمع، على أنّه قد يخاطب بلفظ الواحد ويراد به الجمع، كقوله: «ياأيّها النبي» ثم

---

(١) الأعراف: ٩٥.

(٢) ديوانه: ص٨، وتمام البيت:

تحمّل أهلها منها فبانوا ... على آثار ما ذهب العفاءُ

(٣) البقرة: ١٧٨.

قال: «اذا طلّقتم النساء»(١).

وقوله: «من بعد ذلك» إشارة الى اتخاذهم العجل إلهاً.

اللغة:

وقوله: «لعلكم تشكرون».

فالشكر هو الاعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم. وقال الرمّاني: الشكر هو الاظهار للنعمة(٢). والصحيح هو الأوّل؛ لأنه قد يظهر النعمة من لا يكون شاكراً لها.

والفرق بين الشكر والمكافاة: إنّ المكافأة من التكافؤ وهو التساوي، وليس كذلك الشكر، ففي مكافأة النعمة دلالة على أنّه قد استوفى حقّها. وقد يكون الشكر مقصرا عنها وان كان ليس على المنعم عليه أكثر منه إلّا أنّه كلما ازداد من الشكر حسن له الازدياد وان لم يكن واجباً؛ لأنّ الواجب لا يكون إلّا متناهياً، وذلك كالشكر لنعمة الله لو استكثرته غاية الاستكثار لم يكن لينتهي الى حدٍّ لا يجوز له الازدياد لعظم نعم الله عز وجل وصغر شكر العبد.

ويقال: شكر شكراً وشكوراً، وتشكّر تشكراً، والشكور من الدواب ما يكفيه قليل العلف لسمنه. والشكر من الحيوانات التي تصيب حظّاً من بقلٍ أو مرعى فتغزر ليتها بعد قلة، يقال: اشكر القوم اذا انزلوا منزلاً فاصابت نعمهم شيئاً من بقل فدرت عليه، وانهم ليحلبون شكرة ـ بجزم

---

(١) الطلاق: ١.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

الكاف ـ وقد شكرت الحلوبة شكراً، والشكير شعر ضعيف ينبت خلال الشيب، وكذلك ما ينبت من ساق الشجر قضبان تخرج غضّةً بين قضبان عاسية يقال له: الشكر، وأشكر ضرع الناقة اذا امتلأ لبناً، والشكر بضع المرأة .

وأصل الباب الظهور. ولا يستحقّ الكافر الشكر على وجه الاجلال والانعام، والكافر لا يستحقّ كذلك وانما يجب له مكافاة نعمته كما يجب قضاء دينه على وجه الخروج اليه من غير تعظيم له ويسمّى ذلك شكراً .

والشكر لا يستحقّ إلّا على نعمةٍ. ومعنى قولنا في الله: «انه غفور شكور» انه يجازي العبد على طاعاته من غير أن ينقصه شيئاً من حقّه فجعل المجازاة على الطاعة شكراً في مجاز اللغة .

ولا يستحقّ الانسان الشكر على نفسه؛ لأنه لا يكون منعماً على نفسه كما لا يكون مقرضاً لنفسه، والنعمة تقتضي منعماً غير المنعم عليه، كما أن القرض يقتضي مقترضاً غير المقرض. وقد يصحّ أن يحسن الى نفسه كما يصحّ أن يسيء إليها؛ لأنّ الاحسان من المحسن، فاذا فعل بها فعلاً حسناً ينتفع به كان محسناً اليها بذلك الفعل، واذا فعل بها فعلاً قبيحاً كان مسيئاً اليها .

والشكر متعلّق في الآية بعفو الله عنهم ونعمه عليهم، كأنّه قال: لتشكروا الله على عفوه عنكم وسائر نعمه عليكم .

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ آية .

المعنى:

قوله: «واذ» عطف على ما مضى من التذكير بنعمه، فكأنّه قال:

واذكروا اذ آتينا موسى الكتاب؛ لأنّ (اذ) اسم للوقت الماضي و(إذا) للوقت المستقبل، وكذلك تستعمل في الجزاء؛ لأنّ الجزاء لا يكون إلّا بالمستقبل، كقولهم: ان تأتني آتك. و(لو) تشبه الجزاء من حيث أنه لابدّ لها من الجواب، كما لابدّ لحرف الجزاء من الجواب.

وقوله: «وآتينا موسى الكتاب» معناه أعطيناه، والكتاب يريد به التوراة، وأمّا الفرقان فقال الفراء[١] وقطرب[٢] وتغلب[٣]: يحتمل أن يكون أُتي موسى كتاب التوراة ومحمّد الفرقان، كما قال الشاعر:

متقلّداً سيفاً ورمحا[٤]

وضعّف قوم هذا الوجه؛ لأنّ فيه حمل القرآن على المجاز من غير ضرورة مع أنّه تعالى أخبر أنه أتى موسى الفرقان في قوله: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء»[٥].

وقال الفرّاء: هو كلام مثنّى يراد به التوراة، وكرّر لاختلاف اللفظين، كقولهم: بعداً وسحقاً، وهما بمعنى واحد[٦].

قال الرماني: هذا المثال لا يشبه الآية، لأنّه جمع الصفتين لموصوف واحدٍ على معنيين متّفقين، والأولى أن يمثل بقولهم: هو العالم الكريم

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٣٧.

(٢)و(٣) راجع تهذيب اللغة: مادة «فرق» ج٩ ص١٠٥، ومعاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٣٤، نقلاً عن قطرب.

(٤) تقدّم ذكره، وهو رجز لعبدالله بن الزبعرى، أورده المبرد في الكامل: ج١ص١٨٩، والمرتضى في أماليه: ج٢ ص٢٦٠، وتمامه:

يا ليت بعلك قدْ غدا ... مُتقلّداً سيفاً ورُمحا

(٥) الأنبياء: ٤٨.

(٦) معاني القرآن: ج١ ص٣٧.

فجمعت الصفتان لموصوف واحد على معنيين مختلفين[١]. وقال عدي بن زيد:

وقددمت الأديم لراهشيه   وألفي قولها كذباً ومينا[٢]

وقال قوم: الكتاب: التوراة، والفرقان: انفراق البحر لبني اسرائيل والفرج الذي اتاهم كما قال: «يجعل لكم فرقانا» أي مخرجاً.

وقال بعضهم: الفرقان: الحلال والحرام الذي ذكره في التوراة.

وروي عن ابن عباس وابي العالية ومجاهد: ان الفرقان الذي ذكره هو الكتاب الذي اتاه يفرّق فيه بين الحق والباطل[٣].

وقال ابن زيد: الفرقان: النصر الذي فرّق الله به بين موسى وفرعون، كما فرق بين محمد صلّى الله عليه وآله وبين المشركين، كما قال: «يوم الفرقان يوم التقىٰ الجمعان»[٤].

وقال ابو مسلم: هو ما أُوتي موسى من الآيات والحجج التي فيها التفرقة بين الحق والباطل[٥].

المعنى:

وقوله: «لعلكم تهتدون».

أي لكي تهتدوا، وقد بينّاه فيما مضى. وفيه دلالة على أنه تعالى أراد أن يهتدوا لأنّ هذه اللام لام الغرض؛ وذلك يفسد قول المجبرة إنه اراد

---

(١) لا يوجد لدينا كتابه.

(٢) أمالي المرتضى: ج٢ ص٢٥٨، ومعاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٣٧.

(٣)و(٥) نقل أقوالهم الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٢٥-٢٢٦ والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٢١.

(٤) الأنفال: ٤١.

منهم الكفر.

فان قيل: كيف يهتدون بما أُوتي موسى من البيان، وما أُوتي في التوراة من البرهان مع انقطاع النقل الذي تقوم به الحجّة.

قيل: الجواب عنه من وجهين:

أحدهما: إنّ الخطاب لأسلافهم، كما قال: «واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون»[١].

والثاني: إنّ إخبار الرسول لهم ما تقوم به الحجّة عليهم، فيمكنهم أن يستدلّوا بذلك على ما أنعم الله به على أسلافهم؛ ولأنّهم مقرّون بأنّ موسى عليه السلام أُتي التوراة بما فيها من الهدى والبينات، فتقوم الحجّة عليهم باقرارهم.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

«بارئكم» أسكنَ الهمزة فيها أبو عمرو، إلّا المعدّل وسحارة ـ من طريق الجرمي ـ وابن مجاهد فكلّهم خفّفوا الهمزة فيها، إلّا أبا طاهر عن ابن مجاهد عن اسماعيل فإنّه قلبها ياء[٢].

---

(١) البقرة: ٥٠.

(٢) الحُجّة في القراءات السبع: ج٢ ص٦٢، والسبعة في القراءات: ص١٥٤.

المعنى:

التقدير: واذكروا ايضاً اذ قال موسىٰ لقومه: «يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل»، وظلمهم إيّاها كان فعلهم بها ما لم يكن لهم أن يفعلوه بما يستحقّ به العقاب، وكذلك كلّ من فعل فعلاً يستحق به العقاب فهو ظالم لنفسه، وقد بينا معنى التوبة فيما مضى[1].

اللغة:

وامّا قوله: «الى بارئكم».

فالبارىء هو الخالق الصانع، يقال: برأه، واستبرأ استبراءً، وتبرّأ تبرِياً، وباراه مباراة، وبرأه براءة وتبرئة. قال صاحب العين: البَرْءُ -مهموز- وهو الخلق، تقول: برأ الله الخلق، وهو يبرؤهم، وهو البارىء[2]، وقال أُميّة:

الخالق البارىء المصوّر في الأرحام ماءً حتى يصير دما[3]

والبرء السلامة من السقم، تقول: برأ يبرؤه، ويبروه، وبرئت وبرأت وبرؤت براءة، وتبرأ تبرياً لغة في هذا، والبراءة من العيب والمكروه لا يقال منه الا برىء براء، وفاعله بريء، وفلان بريء وبراء، كقوله: إني براء، وامرأة براء، ونسوة بَراء وبُراء على وزن فعلاء، ومنه قوله: «انا برآء منكم»[4] جمع بريء. ومن ترك الهمزة قال: براء على وزن فعال.

وتقول: بارأت الرجل اي برئت اليه، وبرىء الى مثل ذلك، وبارأت

---

(١) تقدّم في ص.

(٢) العين: مادة «برأ» ج٨ ص٢٨٩.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) الممتحنة: ٤.

المرأة اي صالحتها على المفارقة، وابرأت الرجل من الضمان والدين، وبرّأه تبرئة، ويقال: أبرأ الله فلاناً من المرض إبراء حسناً، والاستبراء: استبراء الجارية والمرأة بأن لايطأها حتى تحيض، والاستبراء نقاء الفرج من القذر.

وأصل الباب تبرّي الشيء من الشيء وهو انفصاله منه.

وبرأ الله الخلق أي فطرهم؛ فانّهم انفصلوا من العدم الى الوجود. والبرية الخلق، فعيلة بمعنى مفعول، لا يهمز كما لا يهمز ملك وان كان أصله من الالوكة.

وقيل: البرية مشتقة من البراوة، وهو التراب، فلذلك لم تهمز(١).

وقيل: إنّه مأخوذ من بريت العود؛ فلذلك لم يهمز(٢). والبراءة من الشيء المفارقة والمباعدة عنه،وبرىء الله من الكافر باعده عن رحمته.

وأنواع الفعل كثيرة: منها الخلق والانشاء والارتجاء، والبرء الفطر، فأمّا الإحداث والإيجاد والتكوين فكالفعل. والجعل أعمّ من الفعل؛ لأنّه لما وجد بعد أن لم يكن، كقولك: جعلت الطين خزفاً، فلم يحدث الخزف في الحقيقة، وانما أحدث ما صار خزفاً.

اللغة

وقوله: «فاقتلوا».

فالقتل والذبح والموت نظائر، وبينها فرق: فالقتل نقض بنية الحياة،

---

(١) قاله الفرّاء، انظر معاني القرآن: ج٣ ص٢٨٧.

(٢) حكاه الأزهري عن الليث، انظر تهذيب اللغة: مادة «برى» ج١٥ ص٢٦٧، وأشار الى هذه الأقوال الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٢٩،وفيه بدل الألوكة «لأك» فلاحظ.

والذبح فري الأوداج، والموت عند من أثبته معنى عرض يضاد الحياة، يقال: قتل يقتل قتلا، واقتتلوا اقتتالا، وتقاتلوا تقاتلا، واستقتل استقتالا، وقتل تقتيلا، وقاتله مقاتلة، وقوله تعالى: «قاتلهم الله»[١] معناه لعنهم الله، وقوم اقتال أي هم أهل الوتر، والترة أي هم أعداء وتراة، وتقول: تقتلت الجارية للفتى تصف به العشق، وقال الشاعر:

تقتلت لي حتى اذا ما قتلتني　　　تنسّكت ما هذا بفعل النواسك[٢]

واقتل فلان فلاناً اذا عرضه للقتل، والمقتل من الدوابّ الذي قد ذلّ ومرن على العمل، وقلب مقتل أي قتل عشقاً، ومنه قول امرىء القيس:

في أعشار قلب مقتل[٣]

قال ابن دريد: قتلت الخمر بالماء إذا مزجتها، قال الشاعر:

إنّ التي ناولتني فرددتها　　　قُتلت قتلت فهاتها لم تقتل

وتقتّل الرجل لحاجة أي يأتي لها، وتقتّل الرجل للمرأة اذا خضع لها في كلامه، وقتل الرجل عدوه، والجمع اقتال، وفلان قتل فلان أي نظيره وابن عمّه، وقتله قتلة سوء، واقتتلوا بمعنى تقاتلوا، ومثله قتّلوا؛ قال أبو النجم:

تدافع الشيب ولم تقتل

وناقة ذات قتال وذات كيال؛ اذا كانت غليظة وثيقة الخلق، في

---

(١) التوبة: ٣٠، والمنافقون: ٤.

(٢) انشده الليث، تهذيب اللغة: مادة «قتل» ج٩ ص٥٦، والصحاح: مادة «قتل» ج٥ ص١٧٩٩.

(٣) شطر من بيت من معلقته، أُنظر ديوانه: ص٣٨، وشرح المعلّقات السبع للزوزني: ص٢٠، وتمام البيت:

وما ذرَفت عيناكِ الا لتضربي　　　بسهميك في أعشار قلبٍ مُقتَّلِ

المثل: قتلت ارضٌ جاهلَها، وقتل أرضاً عالمُها. ومقاتل الانسان هي التي اذا أُصيبت قتلت[١].

وأصل الباب القتل وهو نقض البنية التي تصحّ معها الحياة.

وقال المبرّد: واصله إماتة الحركة، وقوله: «قاتلهم الله أنّى يؤفكون»[٢] اي قد حلّوا محل من يقال له هذا القول؛ اي انزل الله بهم القتل، ويقول: قتله علماً اذا أيقنه وتحققه.

المعنى:

وقوله: «فاقتلوا انفسكم» قيل في معناه قولان:

أحدهما: يقتل بعضكم بعضاً، ذهب اليه ابن عباس[٣] وسعيد بن جبير[٤] ومجاهد[٥] والحسن وغيرهم من أهل العلم[٦]، كما يقول القائل: قتل آل فلان اذا قتل بعضهم بعضاً.

والثاني: ذكره ابن عباس واسحاق واختاره ابو علي، وهو ان يستسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلاً منهم لأنفسهم على وجه التوسّع[٧].

وقيل: إنّ السبعين الذين اختارهم موسى للميقات أُمروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بني اسرائيل.

وقيل: إنهم قتلوا أنفسهم كما أُمروا، عمدوا الى الخناجر وجعل بعضهم

---

(١) راجع جمهرة اللغة: مادة «تَ قَ لَ» ج٢ ص٢٦-٢٧.

(٢) المنافقون: ٤.

(٣)و(٤) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٢٧.

(٥) تفسيره: ص٢٠٢.

(٦)و(٧) أشار الى ذلك السيد المرتضى في أماليه: ج٢ ص٣٧١ من دون نسبة.

يطعن بعضاً .

قال ابن عباس وغيره من أهل العلم: ويقال: غشتهم ظلمة شديدة فجعل بعضهم يقتل بعضاً، ثم انجلت الظلمة، فاجلوا عن سبعين الف قتيل[١] .

والسبب الذي لاجله امروا بقتل انفسهم ذكره ابن جريج: ان الله علم ان ناساً منهم علموا انّ العجل باطل فلم يمنعم ان ينكروا إلّا خوف القتل؛ فلذلك بلاهم الله أن يقتل بعضهم بعضاً[٢] .

وقال الرماني[٣] : ولابد ان يكون في الامر بالقتل لطف لهم ولغيرهم، كما يكون في استسلام القاتل لطف له ولغيره .

فان قيل: كيف يكون في قتلهم نفوسهم لطف لهم، وبعد القتل لا تكليف عليهم، واللطف لا يكون لطفاً فيما مضى ولا فيما يقاربه؟

قلنا: اذا كان القوم كلفوا أن يقتل بعضهم بعضا، وكل واحد منهم يقصد قتل غيره ويجوز أن يبقى بعده، فيكون القتل لطفاً له فيما بعد، ولو كان بمقدار زمان يفعل فيه واجباً واحدا. ويمتنع فيه من قبيح، وذلك كما نقول في عبادتنا في قتال المشركين؛ فانّ الله تعالى تعبّدنا أن نقاتل حتى نقتُل ونقتَل ومدح على ذلك؛ فلذلك روى أهل السير انّ الذين عبدوا العجل تعبّدوا أن يقاتلوا من لم يعبد ويصبروا على ذلك حتى يقتل بعضهم بعضاً، وكان القتل شهادة لمن قتل وتوبة لمن بقي. وانما كانت تكون شبهة لو امروا بان يقتلوا

---

(١) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٢٧، وتفسير الماوردي: ج١ص١٢٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٢٨.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

نفوسهمْ بأيديهم .

ولو صحّ ذلك لكان لا يمتنع بأن يكونوا أُمروا بأن يفعلوا بنفوسهم الجراح التي تفضي الى الموت وان لم يزل معها العقل فينافي التكليف .

وأمّا على القول الآخر وهو انّهم أمروا بالاستسلام والقتل والصبر عليه؛ فلا مسألة لأنهم أُمروا بقتل نفوسهم. وعلى هذا يكون قتلهم حسناً؛ لانه لو كان قبيحاً لما جاز أن يؤمروا بالاستسلام .

وكذلك نقول: لا يجوز ان يتعبّد نبي أو إمام بأن يستسلم للقتل مع قدرته على الدفع عن نفسه فلا يدفعه؛ لانّ في ذلك استسلاماً للقبيح مع القدرة على الدفع منه، وذلك لا يجوز. وانما يقع قتل الأنبياء والأئمة على وجه الظلم، وارتفاع التمكن من الدفع مع الحرص على الدفع، غير أنه لايمتنع ان يتعبّد بالصبر على الدفاع وتحمّل المشقّة في ذلك وان قتله غيره ظلماً.

والقتل وإن كان قبيحاً بحكم العقل، فهو ما يجوز تغيره بأن يصير حسناً؛ لأنّه جارٍ مجرى سائر الالام، وليس يجري ذلك مجرى الجهل والكذب الذي ليس يصير قط حسناً، ووجه الحسن في القتل إنّه لطف على ما قلناه، وكما يجوز من الله أن يميت الحيّ، كذلك يجوز أن يأمرنا بإماتته ويعوّضه على ما يدخل عليه من الآلام ويكون فيه لطف على ما قدّمناه .

وقوله: «ذلكم» إشارة الى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم الله تعالى به، بدلالة قوله: «فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم»، فقوله: «توبوا» دالّ على التوبة؛ فكأنّها مذكورة .

اللغة :

وقوله: «خير» .

فـالخير والـنفع والـفضل والحظ نظـائر، وضدّ الخير الشـرّ، وضـدّ الـنفع الضـرر، تقـول: خار الله لـه الخير خيـرة، واخـتار اخـتيـاراً، واسـتخار فلان استخارة، وتخيـر تخيراً وتخايراً، وخيّره تخييراً، وخـايره مخايرة، ورجل خـيّر، وامـرأة خيّرة أي فاضلة، وقـوم أخـيار وخيار، وامرأة خيّـرة حـقيقة في جمالها وميسمها، ومنه قوله: «فيهنّ خيرات حسان»[١] .

وناقة خـيار، ورجـل خيـار، والجمع خيار، وتـقول: هـذه وهذا وهؤلاء خيـرتي، وهو ما تختاره، وتـقول: أنـت بالمختار وأنت بـالخيار سواء. والرجل يسـتخير الضبع واليربـوع اذا جـعـل حبسه في موضع الـنـافـقاء، فخرج من القاصعاء[٢]. والخيرة مصدر خار خيرة ساكنة الياء مثل راب ريبةً .

واصل الباب الخير نقيض الشر، والخير الهيأة المختارة .

وحذفـت اليـاء من قولـه: «يا قـوم» وأُثبتت في قولـه: «ياليـت قومي» لأنّ ياء الاضافة تحـذف في النداء؛ لأنّـه موضع حذف يحـذف فيه الـتنوين ويحذف الاسم للـتـرخيم، فـلما كـانت بالاضافـة تحـذف في غير الـنـداء لزم حذفها في النداء .

وأما قوله: «ياليـت قومي يعـلمون»[٣]، فانها تـثبت لانّها ياء الاضافة لا يا حقـها ما يـوجب حـذفها كما لحق اليـاء في الـنـداء. ويجوز في «ياقوم» كسر الميم وحذف الـياء هو اجماع الـقرّاء[٤] ويجوز بيـاء ساكـنـة، ويجوز بفتح الـياء وما قرىء بها. فأمّـا إسكان الهمزة، فالذي رواه سـيبويه عن أبي عمرو

---

(١) الرحمن: ٧٠.

(٢) النافقاء: جحر اليربوع، والقاصعاء مثله.

(٣) يٰس: ٢٦.

(٤) راجع التيسير في القراءات السبع: ص٦٣.

اختلاس الحركة. وهو اضبط من غيره،والاسكان في مثل هذا يجوز في ضرورة الشعر، كقول الشاعر:

اذا اعوججن قلت صاحب قوّمِ[(١)]

وكان ينبغي أن يقال:صاحبَ لأنّه منادى، وقال امرؤ القيس:

فاليوم فاشرب غير مستحقب إثماً من الله ولا واغل[(٢)]

وقد روى بعضهم صاح قوم، وروي فاليوم فاشرب، وروى بعضهم: فاليوم فاسقِ .

ولا يقال في الله تعالى:تائب مطلقاً، وانما يقال: تائب على العبد .

قوله: «فتاب عليكم» فالفاء متعلق بمحذوف كأنّه قال:ففعلتم أو قتلتم أنفسكم فتاب عليكم. وكان فيما بقي دلالة عليه .

قوله تعالى:

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ آية بلا خلاف .

وهذه الآية ايضاً عطف على ما تقدم، كأنّه قال: واذكروا اذ قلتم يا موسى لن نصدّق حتى نرى الله جهرة .

اللغة:

فالرؤيا والنظر والابصار نظائر في اللغة، يقال: رأى رؤية، ورأى ـ من الرأي ـ رأيا،وأراه الله اراءة، وتراءى القوم ترائيا، وارتأى ارتياء، وراءاه

---

(١) الكتاب: ج٢ ص٣٥٦.

(٢) ديوانه: ص١٤٩.

مراءاة.

قال صاحب العين[١]: الرأي رأي القلب والجمع الاراء، وتقول: ما أضلّ آراءهم -على التعجب- ورأيهم أيضاً. ورأيت رؤية، وتقول: رأيته رأي العين أي حيث يقع البصر عليه، وتقول من رأي القلب: ارتأيت، وتقول: رأيت رؤيا حسنة، وتقول: رأيت فلاناً ذا مسحةٍ في اللون وريّة حسنة في اللباس والمتاع. والذي يتعرّض بريّه كهانة أو طبا، وفي بعض اللغات ريت بمعنى رأيته، وعلى ذلك قراءة من قرأ أريت، قال الشاعر:

قد ريت منه عجبا من الكبر[٢]

وتراءى القوم إذا رأى بعضهم بعضاً، وتراءى لي فلان اذا تصدّى لي فأراه، والرواء المنظر في البهاء والجمال، تقول: امرأة لها رواء وبهاء وسناء أي حسنة. والمرآة مثل المنظرة والمنظر والمرآة التي ينظر فيها وجمعها مراءى. ومن حوّل الهمزة قال: مرايا، تقول: مرأت المرأة اذا نظرت وجهها، وفي الحديث: (لا يتراءى أحدكم في الماء) أي لا ينظر فيه[٣].

ويحذفون الهمزة في كل كلمة تشتق من رأيت اذا كانت الراء ساكنة، تقول: أريت فلاناً فأنا مريٌّ وهو مريّ أي بحذف الهمزة، واثبتوها في موضعين؛ في قولهم: رأيته فهو مرئي، وأرأت الناقة والشاة اذا أرأى ضرعها انها قد اقربت وانزلت، وهي مُرأى؛ والحذف فيه أيضاً صواب.

وتقول في الظنّ: رأيت إنّ فلاناً أخوك. ومنهم من يحذف الهمزة يقول:

---

(١) العين: مادة «رأي» ج٨ ص٣٠٦.

(٢) لم نعرف قائله.

(٣) نقله صاحب العين: مادة «رأي» ج٨ ص٣٠٨، وفيه «لا يتمرأى ... ».

ريت انّه [فلان]، ومن قلب الهمزة من رأى قال:راي،مثل ما تقولون: استريت واسترأيت بالمرآة، والمرئيّة[١] ـمكسورة الراء مهموزة ممدودة ـماترى المرأة من الحيض صفرة أو بياضاً قبلاً أو بعداً .

وأما البصر بالعين فهو الرؤية إلّا أن تقول:نظرت اليه رأي العين [وتذكر العين] فيه، وتقول: ما رأيته إلّا رؤيةً واحدةً، وتقول للذي يريك الشيء:مري، والمرأة مرية بلا همزة، وتقول: رأيت فلاناً برؤية، والمرآة التي تنظر فيها، والرأي ما رأيت القوم في حسن البشارة والهيئة، قال جرير:

وكل قوم لهم رأي ومختبر وليس في تغلب رأي ولا خبر[٢]

وأصل الباب الرؤية بالعين، وشبه الرؤية بالقلب به بمعنى العلم، والرأي يرى حال صلاح ويظنّ خلافها، والمرية لأنّها بمنزلة الآلة للقلب يرى بها .

والجهرة والعلانية والمعاينة نظائر، تقول: جهر جهراً أو جاهر مجاهرةً وجهاراً، وتجاهروا تجاهراً، ورجل جهير الصوت .

قال صاحب العين[٣]: جهر فلان بكلامه، وهو يجهر بقراءته جهاراً، وأجهر بقراءته إجهاراً، وجاهرتم بالأمر جهاراً أي عالنتم به إعلاناً، واجتهر القوم فلاناً جهاراً اذا نظروا اليه، وكلّ شيءٍ يبدو فقد جهر، ورجل جهير اذا كان في المنظر والجسم في الناس مجهراً[٤]. وكلام جهير وصوت جهير أي عال، والفعل منه جهر جهارة .

---

(١) في العين بدل «المرئيّة» عبارة: «الترئة» فلاحظ.

(٢) ذكره صاحب العين: مادة «رأي» ج٨ ص٣١٠، ولم نعثر عليه في ديوانه.

(٣) العين: مادة «جهر» ج٣ ص٣٨٨.

(٤) كذا في المطبوعة والحجرية والخطية، وفي المصدر: «مجتهراً» بدل «مجهراً».

والجهير هو الجريء المتقدم، والجهوري هو الصوت العالي، والجوهر كل حجارة يستخرج منها شيء ينتفع به، وجوهر كل شيء ما خلقت عليه جِبلّته، والشاة الجهر التي لا تبصر في الشمس، والكبش أجهر.

وقال بعضهم: جهرت البئر اذا اخرجت ما فيها من الحمأة والماء، وبئرٌ مجهورة. والجهر ضدّ السر، وجهرني الرجل إذا راعك جماله وهيئته، ورجل جهير ذو رواء.

واصل الباب الظهور.

والجهر يقتضي ظاهراً بعد أن يكون خافياً، ليدرك ما لم يكن قبل مدركاً.

ويستدلّ بالجهر على أنهم أرادوا الرؤية بالعين دون رؤية القلب.

وحقيقة الجهر ظهور الشيء معاينة، والفرق بين الجهر والمعاينة: إنّ المعاينة ترجع الى حال المدرِك، والجهرة ترجع الى حال المدرَك.

المعنى:

ومعنى قوله: «حتى نرى الله جهرةً» قال ابن عباس: علانية[١]. وقال قتادة: عياناً[٢]. وقد تكون الرؤية غير جهرة كالرؤية في النوم والرؤية بالقلب، فاذا قال: جهرة لم يكن إلّا رؤية العين على التحقيق دون التخيّل.

وسؤالهم الرؤية قال قوم: هو كفر؛ لأن إجازة الرؤية كفر. وقال آخرون: ليس بكفرٍ وانما إجازة الرؤية التي تقتضي التشبيه كفر. فأمّا هذا

---

(١) تفسير ابن عباس: ص٩.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٣٠.

القول منهم فكفر إجماعا؛ لأنّه ردّ على الرسول وكلّ مَن يلقى قول الرسول بالردّ من المكلّفين، كان كافراً(١).

وأمّا الصاعقة فإنّها تكون على ثلاثة أوجه:

أولها: الموت، كقوله: «فصعق مَن في السموات ومَن في الأرض»(٢) «فأخذتكم الصاعقة».

الثاني: العذاب، كقوله: «فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود»(٣).

والثالث: نار تسقط من السماء، كقوله: «ويرسل الصواعق»(٤) وأكثرهم على أنّ موسى لم يمت بالصاعقة كما مات من سأل الرؤية، وقال شاذّ منهم: إنّه مات بالصاعقة.

وقوله: «وخرّ موسى صعقاً»(٥) أي مغشيّاً عليه عند أكثر المفسّرين(٦) بدلالة قوله: «فلما أفاق» والإفاقة لا تكون إلّا من الغشية دون الموت، وإلّا لكان قد قال: فلما حيي.

وقوله: «جهرةً» مشتقّ من جهرت الركية أجهرها جهراً وجهرةً اذا كان ماؤها قد غطاه الطين، فنقيت حتى ظهر الماء، وقيل: أخذ من قولهم: فلان تجاهر بالمعاصي اذا كان لا يسرّها وانما فزعوا بسؤال أسلافهم الرؤية

---

(١) راجع امالي المرتضىٰ: ج٢ ص٢١٥، وله في المقام بحث شيّق ودقيق.

(٢) الزمر: ٦٨.

(٣) فصلت: ١٣.

(٤) الرعد: ١٣.

(٥) الأعراف: ١٤٣.

(٦) تفسير ابن عباس: ص١٣٧، وتفسير الطبري: ج٩ ص٣٧.

من حيث أنهم سلكوا طريقهم في المخالفة للنبي الذي لزمهم اتباعه والتصديق بجميع ما أتى به فجروا على عادة أسلافهم في ذلك؛ الذين كانوا يسألون تارة أن يجعل لهم إلهاً غير الله، ومرّة يعبدون العجل من دون الله، ومرة يقولون: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة»، ومرة يقولون: «اذهب انت وربّك فقاتلا انا هٰهنا قاعدون»[١] .

وقال الزجاج: في هذه الآية دلالة على مشركي العرب الذي كانوا ينكرون البعث لأنّ أهل الكتاب مع مخالفتهم الرسول يقرّون بأنّ الله أمات قوماً في الدنيا ثم أحياهم[٢] .

وعندنا إنّ نقل أهل الكتاب لمثل هذا ليس بحجّة، وانما الحجّة في أخبار الله على لسان نبيه وحده؛ اذ كان كلّما يخبر به فهو حقّ وصدق .

واستدل البلخي بهذه الآية على أنّ الرؤية لا تجوز على الله تعالى، قال: لأنها انكارهم امرين ردّهم على نبيهم، وتجويزهم الرؤية على ربّهم، وبيّن ذلك قوله تعالى: «فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة» فدلّ ذلك على أنّ المراد إنكار الأمرين[٣] .

وهذه الآية تدل على أنّ قوله: «رب أرني انظر اليك» كان سؤالاً لقومه؛ لأنه لا خلاف بين أهل التوراة إنّ موسى ما سأل الرؤية إلّا دفعة واحدة، وهي التي سألها لقومه .

وقوله: «لن نؤمن لك» تعلّق بما يخبرهم به من صفات الله عز وجل؛ لأنّهم قالوا:لن نؤمن لك بما تخبرنا به من صفاته وما يجوز عليه حتى نراه .

---

(١) المائدة: ٢٤.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص١٣٨.

(٣) لا يوجد لدينا كتابه.

وقيل: انه لما جاءهم بالألواح وفيها التوراة قالوا: لن نؤمن بانّ هذا من عند الله حتى نراه جهرةً. ونرى على وزن نفعل وأصله نرأى، قال الشاعر:

أُرى عَينيّ ما لم تَرأياه   كلانا عالمٌ بالترّهات[١]

فجاء به على الأصل.

وقال آخر:

ألم تر ما لاقيت والدهر أعصر   ومن يتملّ العيش يرأى ويسمع[٢]

وانما دعاهم الى أن قالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله» شكّهم وحيرتهم فيما دعاهم اليه موسى عليه السلام من توحيد الله عز وجل، ولو كانوا عارفين لكان دعاهم اليه العناد لموسى، ومعلوم أنّهم لم يكونوا معاندين له عليه السلام.

وفي الناس من قال: إنّ قولهم: «جهرة» من صفة السؤال على التقديم والتأخير، كأنّه قال: واذا قلتم جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله. وقال الأكثر: إنها من صفة الرؤية. وهو الأقوى، لأنّ ما قالوه ترك الظاهر، وتقدير التقديم والتأخير ليس هنا إلى ذلك حاجة[٣].

وقوله: «وانتم تنظرون» يعني ما نزل بكم من الصاعقة والموت.

* * *

(١) انظر تهذيب اللغة: مادة «رأى» ج١٥ ص٣١٨، والبيت لسراقة البارقي كما في اللسان: مادة «رأي» ج٥ ص ٨٥.

(٢) لم نعرف قائله.

(٣) راجع أمالي المرتضى: ج٢ ص٢١٥.

قوله تعالى:

﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

قوله: «بعثناكم» احييناكم، عند أكثر المفسّرين كالحسن وقتادة وغيرهما. وقال السدي: بعثناكم أنبياء[١]. والأول أصحّ؛ لانّه ظاهر الكلام، فلا يجوز العدول عنه.

وأصل البعث إثارة الشيء من محلّه، ومنه قيل: بعث فلان راحلته اذا اثارها من مبركها للسير، ومنه قولهم: بعثت فلاناً لحاجتي اذا اقمته من مكانه الذي هو فيه للتوجّه فيها، ومن ذلك قيل ليوم القيامة: يوم البعث؛ لأنه يوم تثار فيه الناس من قبورهم لموقف الحساب.

اللغة:

والبعث والارسال والإطلاق نظائر، يقال: بعثت بعثاً، وانبعثت انبعاثاً، وتبعثت تبعثة، وبعثته من نومه فانبعث اي نبهته فانتبه، وتقول: ضرب البعث على الجند، اذا بعثوا إلى العدو. وكلّ قوم يبعثون الى وجهٍ أو في أمرٍ فهم بعث.

وأصل الباب البعث وهو الارسال. وكل باعث فاعل، واما المبعوث فقد يكون فاعلاً وقد لا يكون، يقال: بعث الله عليهم ريحاً فاقتلعتهم والريح مبعوثة. ويقال: الشهوة للشيء تبعث على الطلب له.

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٢٣١.

بحث كلامي:

فان قيل: هل يجوز أن يردّ الله أحداً الى التكليف بعد أن مات وعاين ما يضطره الى معرفته بالله؟

قيل: في ذلك خلاف، قال أبو علي: لا يجوز ذلك إلّا على من لم يضطره الله الى معرفته (١).

وقال بعضهم: يجوز التكليف في الحكمة، وان اضطر الى المعرفة.

وقول ابي علي أقوى، وأعلّ الرماني (٢) قول ابي علي.

فان قيل: لما كانت المعرفة لأجل الطاعات التي كلفها العبد كانت هي الغرض الذي يتبعه سائر الطاعات، فلو ارتفع الغرض ارتفع التابع له، كما أنّ الغرض في الشرائع الاستصلاح في الأُصول التي تجب بالعقل، فلو ارتفع ذلك الغرض ارتفع وجوب العمل بالشرع، وكما انه لا يجوز تكليف الطاعة مع رفع التمكّن مع المعرفة من غير ضرورة اليها.

قال: و وجه القول الثاني أنّه لما كان الشكر على النعمة يجب في المشاهد مع الضرورة الى معرفة النعم، كان الشكر للنعمة التي هي أجلّ من نعمة كل منعم في الشاهد أولى أن يجب مع الاضطرار الى المعرفة.

ولابي علي أن يقول لا نمنع من الوجوب؛ لكن لا يجوز التكليف؛ لأنّ الغرض المعرفة، أي هي أصل ما وقع التكليف به للعباد.

والذي اقوله: إن الذي يحيى بعد الاماتة؛ إن كان لم يخلق له المعرفة

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

الضرورية لم يضطر إليها، فانه يمتنع تكليفه؛ لأنّ العلم بان الاحياء بعد الاماتة لا يقدر عليه غير الله طريقه الدليل وغوامض الاستدلال، فليس احياؤه بعد الاماتة ما يوجب ان يكون مضطراً الى معرفته، فلذلك يصح تكليفه، وليس الاحياء بعد الاماتة إلّا كالانتباه من النوم والافاقة بعد الغشية فانّ ذلك لا يوجب علم الاضطرار.

وان فرضنا انه خلق فيه المعارف ضرورة، فلا يحسن تكليفه؛ لانّ حسن التكليف موقوف على ازاحة علّة المكلف من فعل اللطف والاقدار وغير ذلك، ومن جملة الألطاف تكليفه للمعرفة، والضرورية لا تقوم مقامها على ما بيـنّاه في الأُصول[1]. واذاً لا يحسن تكليفه؛ لانّه يصير مكلّفاً ولم يفعل به ما هو لطف له، وذلك لا يجوز.

وقوله: «لعلّكم تشكرون» معناه لكي تشكروا، وهذه لام الغرض. وفيه دليل على فساد قول المجبّرة: إن الله تعالى ما اراد من الكفّار الشكر؛ لأنه لو أراد كفرهم، لقال: لتكفروا، وذلك خلاف القرآن.

بحث الرجعة:

ومن استدل بها على جوازها [الرجعة] كان صحيحاً، لأنّ من منع منه وأحاله فالقرآن يكذبه، وإن استدلّ به على وجوب الرجعة وحصولها فلا يصحّ؛ لأن احياء قوم في وقتٍ، ليس بدلالة على إحياء آخرين في وقتٍ آخر، بل ذلك يحتاج إلى دلالةٍ اخرى.

---

(١) انظر كتاب تمهيد الأُصول في علم الكلام: ص٥.

وقول من قال: لا تجوز الرجعة؛ لأنّ ذلك معجزة ودلالة على نبوة نبي، وذلك لا يجوز إلّا في زمن نبي غير صحيح؛ لان عندنا يجوز اظهار المعجزات على يد الأئمة والصالحين. وقد بيّناه في الاصول[١] .

ومن ادّعى قيام الحجّة بانّ الخلق لا يردون الى الدنيا، كما علمنا أن لا نبي بعد نبينا مقترح مبتدع لما لا دليل على صحّته، فإنّا لا نخالف في ذلك .

وقال البلخي: لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها؛ لانّ فيها إغراء بالمعاصي من جهة الا تكال على التوبة في الكرّة الثانية .

قال الرماني: هذا ليس بصحيح من قبل انه لو كان فيها إغراء بالمعصية، لكان في إعلام التبقية الى مدّة إغراء بالمعصية، وقد أعلم الله تعالى نبيه وغيره ابليس أنّه يبقيه الى يوم يبعثون، ولم يكن في ذلك إغراء بالمعصية .

وعندي إنّ الذي قاله البلخي ليس بصحيح؛ لانّ من يقول بالرجعة، لا يقطع على أنّ الناس كلّهم يرجعون، فيكون في ذلك اتكال على التوبة في الرجعة فيصير اغراء، فلا أحد من المكلّفين إلّا ويجوز أن لا يرجع، وان قطع على الرجعة في الجملة،ويجوز أن لا يرجع يكفي في باب الزجر.

وأمّا قول الرماني: إنّ الله تعالى أعلم اقواماً مدّة مقامهم؛ فانّ ذلك لا يجوز إلّا فيمن هو معصوم يؤمن من جهة الخطأ كالأنبياء ومن يجري مجراهم في كونهم معصومين؛ فأمّا من ليس بمعصوم، فلا يجوز ذلك ؛ لأنّه يصير مغرٍ بالقبيح .

(١) تمهيد الأُصول في علم الكلام: ص٣١٨.

وأما تبقية ابليس مع اعلامه ان يبقيه الى يوم القيامة، ففيه جوابان:

أحدهما: انه انما وعده قطعاً بالتبقية بشرط ألا يفعل القبيح، ومن فعل القبيح حق اخترته عقبه(١)، ولا يكون مغرى.

والثاني: انّ الله قد علم أنّه لا يريد بهذا الاعلام فعلاً قبيحاً، وإلّا لما كان يفعله، وفي ذلك اخراجه من باب الاغراء.

وقد قيل: إنّ ابليس قد زال عنه التكليف، وانما امكنه الله من وسوسة الخلق تغليظاً للتكليف؛ وزيادة في مشاقّهم، ويجري ذلك مجرى زيادة الشهوات انه يحسن فعلها إذا كان في خلقها تعريض للثواب الكثير الزائد.

قوله تعالى:

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ آية بلا خلاف.

قوله: «وظلّلنا» عطف على قوله: «ثم بعثناكم من بعد موتكم» وكأن التقدير: ثم بعثناكم من بعد موتكم وظللنا عليكم الغمام.

اللغة:

والظلمة والغمامة والسترة نظائر في اللغة، تقول: ظلّ يظل ظلولاً، وأظلّ اظلالاً، واستظلّ استظلالاً، وتظلّل تظلّلاً، وظلّله تظليلاً، قال صاحب العين(٢): تقول: ظلّ نهاره فلان صائماً، ولا تقول العرب ظلّ إلّا

---

(١) كذا في المطبوعة واما في الحجرية فهكذا: «... حق اخترامه عقبه» وفي الخطية هكذا: «حوا احرامه عقبه» والظاهر انها كلها تصحيف عن «ولم يفعل القبيح حتى اخترته عقبه»، والله العالم.

(٢) العين: مادة «ظل» ج٨ ص١٤٨.

لكلّ عملٍ بالنهار، كما لا تقول بات إلّا بالليل، وربما جاءت ظلّ في أشعارهم نادراً.

ومن العرب من يحذف لام ظللت ونحوها، فأمّا أهل الحجاز فيكسرون الظاء على كسر اللام التي أُلقيت فيقولون: ظِلنا وظِلتم، كما قال تعالى:«فظلتم تفكّهون»(١). والمصدر الظلول، فالامر فيه اظلل.

والظل ضد الصبح ونقيضه، ويقال لسواد الليل فيسمى ظلاً، وجمعه ظلال، قال الله تعالى: «الم تر إلى ربّك كيف مَدّ الظلّ ولو شاء لجعلَه ساكناً»(٢) يعني الليل. والظلّ في كلام العرب هو الليل، وتقول: أظلّتني هذه الشجرة إظلالاً، والمكان الظليل الدائم الظلّ، وقد دامت ظلاله، والظُلّة كهيئة الصُفّة، وقوله: «عذابُ يوم الظلّة»(٣) يقال: هو عذاب يوم الصُفَّة، والمظلّة البرطلّة، والاظلال الدنو، يقول: قد أظلّك فلان أي كأنّه ألقى عليك ظلّه من قربه، وتقول:لا يجاوز ظلّي ظلّك،وملاعب ظلّه طائر يُسمّى بذلك، والأظلّ باطن منسم البعير وجمعه أظلال، قال الشاعر:

يشكو الوجى مِن أظللٍ وأظللِ(٤) *

يعني من أظلّ وأظلّ، فاظهر التضعيف بضرورة الشعر، قال لبيد:

بنكيب معر دامي الاظل(٥)

---

(١) الواقعة: ٦٥.

(٢) الفرقان: ٤٥.

(٣) الشعراء: ١٨٩.

(٤) الرجز للعجّاج، انظر ديوانه: ص١٥٥.

(٥) أُنظر ديوانه: ص١٣٩، تمام البيت هكذا:

وتصُكُّ المرو لما هَجّرتْ

بنكيب ....

اراد بخفٍّ نكيب أي منكوب نكبته الحجارة، مُعر ساقط الشعر أملس.

والظِلّ لون النهار تغلب عليه الشمس، قال رؤبة: كل موضع تكون فيه الشمس فتزول عنه فهو ظلّ وفيء[1] يقالان جميعاً، وما سوى ذلك يقال له: ظل، ولا يقال فيه: الفيء.

والظل الظليل الجنّة،قال الله تعالى: «وندخلهم ظلاً ظليلاً»[2] والظلّ الخيال الذي يرى من الجنّ وغيره. والمظلّة ايضا تتخذ من خشب وغيره يستظل بها، والظل المنعة والعز، كذا ذكر ابن دريد،يقال: فلان في ظل فلان اي في عزه[3].

وأصل الباب التظليل، وهو الستر. والاظلال الدنو كدنو الساتر، وحدّ التظليل السترمن علّة.

والغمام السحاب والقطعة منها غمامة،تقول: يوم غمّ، وليلة غمّة، وأمر غام، ورجل مغموم ومغتم ذوغم، وفلان في غمةٍ من أمره اذا لم يهتد له. والغمّاء الشديدة من شدائد الدهر، ورجل أغم وجبهة غماء كثيرة الشعر تقول منه: غم يغمّ. وكذلك في القفا، قال الشاعر:

فلا تنكحي ان فرّق الدهر بيننا اغم القفا والوجه ليس بانزعا[4]

والغميم الغمس وهو لبن يسخّن حتى يغلظ[5]. والغمّ ضد الفرح،

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) النساء: ٥٧.

(٣) جمهرة اللغة: مادة «ظل» ج١ ص١١٠.

(٤) نسبه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «نزع» ج٢ ص١٤١، والمبرد في الكامل: ج١ ص٢٥٨، لهدبة بن خشرم.

(٥) كذا في المطبوعة والحجرية والخطية وفي المصدر هكذا: «الغميم الغميس وهو الأخضر تحت ←

والغمّة الغطاء على القلب من الغمّ، والغمة الضيقة،تقول: اللهم احسر عنّا هذه الغمّة أي الضيقة، وغمّ الهلال اذا غطّاه الغيم، وكلّ شيء غطّيته فقد غميته، ولذلك سمّي الرطب الغموم؛ وهو الذي يوضع في جرّة وهو بسر، ثم يغطى حتى يرطب.

والغمام اشتق من هذا، لأنّه يغطي السماء، ورجل أغمّ وامرأة غمّاء اذا دنا قصاص الشعر من حاجبيه حتى يغطّي جبهته؛ وكذلك هو في القفا. وأصل الباب الغطاء.

المعنى:

يوم الغمام الذي ظلل على بني اسرائيل، قال ابن عباس ومجاهد(١): لم يكن بالسحاب، ولكنّه الذي عنى في قوله: «هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام»(٢) وهو الغمام الذي أتت فيه الملائكة يوم بدر، ولم يكن لغيرهم. قال ابن عباس: كان معهم في التيه(٣) وقيل: هو ما ابيضّ من السحاب(٤).

وأما «المنّ» قال ابن عباس: هو المنّ الذي يعرفه الناس يسقط على الشجر(٥). وقال قتادة: كان المنّ ينزل عليهم مثل الثلج(٦). وقيل: هو

اليابس من النبات والغميم لبن ... ».

(١) ذكر قوليهما الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٣٣.

(٢) البقرة: ٢١٠.

(٣) تفسيره: ص٩.

(٤) حكاه الطبري في تفسيره: ١ ص٢٣٣.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٣٤.

(٦) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٣٣.

عسل. وقيل: خبز مرقق. وقيل: هو الزنجبيل(١). وقيل: هو شيء كالصمغ كان يقع على الأشجار، وطعمه كالشهد والعسل عن مجاهد(٢). وقال الزجاج: جملة المنّ ما منّ الله تعالى على عباده مما لا تعب فيه ولا نصب. وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: الكمأة من المنّ وماؤها شفاء للعين(٣).

قال بعض أهل العلم: يعني بمائها الوسمي الذي يكون منها الكمأ؛ وهو أول مطرٍ يجيء في الخريف(٤). وقيل: هو الذي يسقط على الثمّام، والمنّ حلوٌ كالعسل(٥). وإيّاه عنى الأعشى في قوله:

لو أطعموا المن والسلوى مكانهم ... ما أبصر الناس طعما فيهم نجعا(٦)

وجعله أُمية بن أبي الصلت في شعره عسلا، فقال:

ورأى الناس انهم بمضيع ... لا بذي مزرع ولا معمورا

فنساها عليهم غاديات ... ومرى مزنهم خلايا وخورا

عسلاً ناطفاً وماء فراتاً ... وحليباً ذا بهجة مثمورا(٧)

الناطف القاطر والصافي من اللبن، والمنّ قطع الخير قال الله تعالى لهم: «اجر غير ممنون»(٨) أي غير مقطوع. والمنّ هو الاحسان الى من

---

(١) حكاه الفرّاء: ج١ ص٣٧ عن بعض المفسرين.

(٢) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٣٣.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص١٣٨.

(٤) لم نعثر عليه.

(٥) ذكره الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٣٧، والثّمام: نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص.

(٦) ديوانه: ص١٠٩.

(٧) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٣٤، مع بعض التفاوت.

(٨) التين: ٦.

لا يستثيبه، والاسم هو المنّة، والله تعالى المنّان علينا الرحيم .

والمنّة قوة القلب، يقال: ضعيف المنّة، ويقال:ليست لقلبه منة. والمنون الموت، وهو اسم مؤنث. قال ابن دريد: منّ يمنّ منا اذا اعتقد منّةً، ومنّ عليه بيدٍ أسداها اليه إذا قرّعه بها[١] .

وأصل الباب الاحسان. فالمنّ الذي كان يسقط على بني اسرائيل مما منّ الله عليهم أي أحسن به اليهم .

وأما «السلوى» فقال ابن عباس: هو السماني[٢] . وقيل: هو طائر كالسماني وواحده سلوى[٣] قال الاخفش: لم أسمع له بواحد، قال: ويجوز أن يكون واحده سلوى مثل جماعته كما قالوا:دفلى للواحد والجماعة[٤] . وقال الخليل: واحده سلواة، قال الشاعر:

كما انتفض السلواة بلله القطر

ويقال: سلا فلان يسلو عن فلان اذا تسلى عنه، وفلان في سلوة من العيش اذا كان في رغد يسلّيه الهم. والسلوان ماء من شربه ذهب غمّه على ما يقال، ويقال: هذا مثل يضرب لمن سلا عن شيء يقال:سقي سلوة وسلوانا[٥] .

وقال ابن دريد: سلا يسلو أسلُو سَلْواً وسُلوّةً، والسلوانة خرزة

---

(١) جهرة اللغة: مادة «م ن ن» ج١ ص١٢٢.

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٣٥.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن: ج١ ص٣٨.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٢٦٨.

(٥) العين: مادة «سلو» ج٧ ص٢٩٧، والبيت لأبي صخر الهُذلي، وتمامه:

وانّي لتعروني لذكراكِ هزّة　　　كما انتفض ....

زعموا انّهم اذا صبّوا عليها الماء، فسقي منها الرجل سلا(١) .

وأصل الباب السلو، وهو زوال الهم .

سبب نزول المنّ والسلوى :

وكان سبب انزال المنّ والسلوى عليهم انّه لما ابتلاهم الله تعالى بالتيه، حين قالوا لموسى: «اذهب انت وربّك فقاتلا إنا هٰهنا قاعدون»(٢) فأمرهم بالمسير الى بيت المقدس، فلمّا ساروا تاهوا في قدر خمس فراسخ أو ستّة، فلما أصبحوا ساروا عادين فأمسوا، فاذا هم في مكانهم الذي ارتحلوا منه، فلم يزالوا كذلك حتى تمّت أربعين سنة، تفضّل عليهم في تلك الحال واحسن اليهم، وانزل عليهم المنّ والسلوى .

وكانت ريح الجنوب تحشره عليهم، قال ابن جريج: كان الرجل إذا اخذ من المنّ والسلوى زيادة على طعام يومٍ واحدٍ، فسد إلّا يوم الجمعة فإنّهم اذا أخذوا طعام يومين لم يفسد(٣) .

الاعراب والمعنى :

وموضع «كلوا» نصب على «وقلنا كلوا» كذا قال الرماني.

وقيل في معنى «الطيبات» قولان:

أحدهما: انه المشتهى اللذيذ. والثاني: انه المباح الحلال الذي يستلذّ أكله .

وقوله: «وما ظلمونا» .

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «س ل و» ج٣ ص٥١.

(٢) المائدة: ٢٤.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٣٦.

إنّما يتصل بما قبله بتقدير محذوف، فكأنّه قال: فخالفوا ما امر الله به أو كفروا هذه النعمة. «وما ظلمونا» قال ابن عباس: وما نقصونا ولكن كانوا انفسهم ينقصون[١].

وقال غيره: معناه وما ضرّونا ولكن كانوا انفسهم يضرّون[٢].

قال أبو علي[٣]: الظلم الذي لا يستحقه المضرور ممن قصده وليس للمضرور فيه نفع.

وقال الرماني[٤]: حقيقته الضرر القبيح.

والصحيح في حقيقة الظلم ما ذكرناه فيما مضى هو الضرر الذي لا نفع فيه يوفى عليه، ولا دفع ضرر اعظم منه عاجلا وآجلا، ولا يكون واقعاً على وجه المدافعة. فأمّا ما قاله الرماني فهو حدّ الشيء نفسه؛ لأنّ السؤال باقٍ. ولقائل أن يقول: وما الضرر إلّا القبيح؛ لأن كونه قبيحاً حكم من أحكامه فلابدّ من بيان ذلك حينئذٍ.

وما ذكره أبو علي ينتقض بالألم الواقع على وجه المدافعة، وبالألم الذي فيه وجه ضرر أعظم منه عن الضرورة، وبالضرر الذي فيه نفع يوازيه.

وروي عن الصادق عليه السلام انّه قال: المنّ كان ينزل على بني اسرائيل من بعد طلوع الفجر الثاني الى طلوع الشمس، فمن نام في ذلك الوقت لم ينزل عليه نصيبه[٥]. فلذلك يكره النوم في هذا الوقت الى بعد طلوع الشمس.

---

(١) تفسيره: ص٩.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٣٧.

(٣)و(٥) لم نعثر عليه.

(٤) لا يوجد لدينا كتابه.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ نافع وأهل المدينة «يغفر» بضم الياء وفتح الفاء، الباقون بفتح النون وكسر الفاء[1] وادغم الراء في اللام وما جاء منه. والآية معطوفة على ما تقدّم، فكأنّه قال: واذكروا إذ قلنا ادخلوا.

اللغة:

والدخول والولوج والاقتحام نظائر. والفرق بين الدخول والاقتحام: إنّ الاقتحام دخول على صعوبة.

ونقيض الدخول الخروج، تقول: دخل يدخل دخولاً، وأدخله إدخالاً، وتداخل تداخلاً، واستدخل استدخالاً، وداخله مداخلة. ويقال: في أمره دخل أي فساد. دخل أمره يدخل دخلا أي فسد. ودخلت الدار وغيرها دخولاً، وأوردت ابلي دخالا إذا اوردتها فادخلت بين كل بعيرين بعيراً ضعيفاً بعدما ابتعر أو تشرب دون ريّها.

وفلان دخيل بني فلان اذا كان من غيرهم، وأطلعت فلاناً على دخلة أمري اذا بثثته مكتومك. والدُّخَل طائر صغير، وفلان حسن المدخل أو قبيح

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص١٥٦، والحجّة للفارسي: ج٢ ص٧٠.

المدخل أي المذهب في الأمور، وكل لحمة على عصب فهي دخلة .

قالَ صاحب العين[١]: فلان مدخول اذا كان في عقله دخل أو في حسبه، والمدخول المهزول الداخل في جوفه الهُزال. والدُّخلة بطانة الأمير، يقال: فلان خبث الدُّخلة، وادخل في عارٍ ويدخل فيه، ونحو ذلك، يصف شدة الدخول. ودخيل الرجل الذي يداخله في أُموره كلّها فهو له دخيل دخال، والدخال مداخلة المفاصل بعضها في بعض، والدخولة معروفة، والدخل صغار الطير أمثال العصافير مأواها الغيران وبطون الأودية تحت الشجر الملتفّ وجمعه دخاخيل، والأُنثى دُخّلة .

واصل الباب الدخول. قال الرماني في حدّ الدخول: الانتقال الى محيط[٢]، وقد يقال: دخل في الأمر، كما يقال: دخل في الدار تشبيهاً ومجازاً .

وقوله: «هذه القرية» إشارة الى بيت المقدس، على قول قتادة والربيع بن أنس. وقال السدي: هي قرية بيت المقدس. وقال ابن زيد: إنها أريحا قريب من بيت المقدس[٣] .

اللغة :

والقرية والبلدة والمدينة نظائر. قال أبو العباس[٤]: أصله الجمع، ومنه المقراة: الحوض الذي تسق فيه الابل، سمّي مقراة لجمع الماء فيه. والمقراة

---

(١) العين: مادة «دخل» ج٤ ص٢٣٠.

(٢) لا يوجد لدينا كتابه.

(٣) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٣٧، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٢٥.

(٤) لم نعثر عليه.

الجفنة التي يعدّ فيها الطعام للأضياف، قال الشاعر:

*عظام المقاري جارهم لا يفزع[١]

ومنه قريت الضيف، ومنه قريت الماء في الحوض، ومنه قريت الشاة تقري، وشاة قارية إذا كانت تجمع الجرّة في شدقها. وهو عيب عندهم شديد، وكل ما قري فهو مقري مثل المرقد كل ما رقدت فيه.

والقري المسيل الذي يحمل الماء الى الروضة، وجمعه قريان كقضيب وقضبان، قال الشاعر:

ماء قريّ مده قري[٢]

قال ابن دريد: قريت الضيف أقريه قرى، وقريت الماء في الحوض أقريه قرياً. وقرى البعير: جرته في شدقه قريا. والقرية اشتقاقها من قرى البعير جرته أي جمعها، والجمع قُرى ـعلى غير قياسـ. وقال قوم من أهل اليمن: قرية [قرًى] .

وقال صاحب العين[٣]: القَرية والقِرية لغتان، تقول: ما زلت استقري هذه الأرض قرية قرية، والكسر لغة يمانية. ومن هناك اجتمعوا على جمعها على القُرى، حيث اختلفوا فحملوها على لغة من قال: كِسوة وكُسوة. والنسبة اليها قُروي .

---

(١) لم نعرف قائله.

(٢) رجز للعجّاج ذكره ابن دريد في جمهرة اللغة: مادة «رَق ي» ج٢ ص٤١١، وتمامه:

كـأنّـه والهـول عسكـريّ اذا تبـارى وهـو ضحضاحـي

مـاء قـري مـده قـريّ

(٣) العين: مادة «قرو» ج٥ ص٢٠٣.

وأُمّ القرى مكة،وقوله: «وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا»[١] يعني بها الكور والأمصار والمدائن. والقرا الظهر من كل شيء[٢] حتى الآكام وغيرها، والجمع الأقراء. والقِرى الإحسان الى الضيف، تقول: أقرى يقري الضيف قرىً إذا اضافه ضيافة، وانزله نزالة. والقَرْي جَبْيُ الماء في الحوض. والمدّة تقرى في الجرح أي تجتمع .

المعنى :

وقوله: «وادخلوا الباب» .

أي الباب الذي أُمروا بدخولها. وقال مجاهد[٣] والسدي[٤]: هو باب حطّة من بيت المقدس، وهو الباب الثامن .

وقيل: باب القبّة التي كان يصلّي إليها موسى. وقال قوم: باب القرية التي أُمروا بدخولها. قال أبو علي: قول من قال: إنّه باب القبّة أقوى من قول من قال: إنّه باب القرية؛ لأنّه لم يدخلوا القرية في حياة موسى، لأنّه قال: «فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم»[٥]. والعطف بالفاء يدلّ على أنّ هذا التبديل منهم كان في أثر الأمر، فدلّ ذلك على أنّه كان في حياة موسى .

ومعنى قوله: «سجداً» قال ابن عباس: ركعاً[٦]، وهو شدّة الانحناء،

(١) الكهف: ٥٩.

(٢) هكذا في المطبوعة والحجرية والخطية، وفي المصدر: «ووسط ظهر كلّ شيء هو القرا ...».

(٣) تفسيره: ص٢٠٣.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٢٣٨.

(٥) البقرة: ٥٩.

(٦) تفسيره: ص٩.

ومنه السجد من النساء الفاترات الأعين، وقال الأعشى:

وهوي إلى حور المدامع سجّدِ[(١)]

وقال الآخر:

ترى الأُكم فيه سجّداً للحوافر[(٢)]

وقال غيره: ادخلوا خاضعين متواضعين، قال أَعشى قيس:

تـراوح مـن صـلـوات المـلـيـ ـك طوراً سجـوداً وطـوراً جؤارا[(٣)]

المعنى:

وقوله: «حطة» .

قال الحسن وقتادة واكثر أهل العلم: معناه حُطّ عنا خطايانا .

وروي عن ابن عباس أنه قال: أُمروا أن يستغفروا. وروي عنه ايضاً أنه قال: أُمروا أن يقولوا: هذا الأمر حق، كما قيل لكم .

وقال عكرمة: أُمروا أن يقولوا لا إله إلّا الله[(٤)]. وكل هذه الأقوال محطّ الذنوب فيرحم بحطّه عنها .

اللغة:

وحِطّة مصدر مثل رِدّة وجدّة من رددت وجددت .

---

(١) لم نجده في ديوانه.

(٢) استشهد به ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٣٨، وتمامه:

بجمعٍ تضلّ البلق في حجراته ترى..........

(٣) ديوانه: ص٨٤.

(٤) نقل قول الجميع الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٣٨، والماوردي في تفسيره: ج١ص١٢٦.

قال صاحب العين[١]: الحطّ وضع الأحمال عن الدواب، تقول: حططت عنها أحطّ حطّاً، وانحطّ انحطاطا .

والحطّ والوضع والخفض نظائر. والحطّ الحدر من العلو، كقول امرئ القيس:

كجلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ[٢]

ويقال للنجيبة السريعة: حطّت في سيرها وانحطت، وتقول: حطّ الله وزرك الذي أنقض ظهرك ، وقال الشاعر:

واحطط إلهي بفضلٍ منكَ أوزاري[٣]

والحطاطة بثرة تخرج في الوجه تقبح اللون ولا تقرح. وجارية محطوطة المتنين ممدودة حسنة، والحطّ حط الأديم بالمحط وهي خشبة يصقل بها الأديم أو ينقش .

وأصل الباب الحط وهو الحدر من علو.

الإعراب:

وارتفعت «حطة» في الآية ـ على قول الزجاج ـ على تقدير مساءلتنا حطّة[٤]. وقال غيره: دخولنا الباب سجداً حطّة لذنوبنا، كقوله: «وإذ قالت أُمة منهم لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً قالوا

---

(١) العين: مادة «حط» ج٣ ص١٨.

(٢) ديوانه: ٥٢، وتمامه:

مُكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود ....

(٣) ذكره صاحب العين: مادة «حط» ج٣ ص١٨.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٣٩.

معذرة»[١] يعني موعظتنا معذرة إلى ربّكم .

ويجوز النصب في العربية على معنى حط عنا ذنوبنا حطةً، كقولك : سمعاً وطاعة يعني أسمعُ سمعاً وأطيعُ طاعة، وكقولك : معاذ الله، يعني نعوذ بالله؛ وهو أقوى لأنّه دعاء .

اللغة :

وقوله: «نغفر لكم» .

والغفران والعفو والصفح نظائر، يقال: غفر الله غفراناً، واستغفر استغفاراً واغتفر اغتفاراً. قال ابو العباس: غفر الله لزيد بمعنى ستر غطّى له على ذنوبه[٢] .

والغفران انما هو التغطية، يقال للسحابة فوق السحاب: الغفارة. وثوب ذو غفر اذا كان له زئير يستر قبحه[٣]. ويقال: المغفر، لتغطيته العنق. ويقال: غفرت الشيء إذا واريته. والمغفرة والغفيرة بمعنى، والمغفرة منزل من منازل القمر، يسمى [بذلك] لخفائه. وقال الزجاج[٤]: الغفر التغطية، وكلّ ما تفرع من هذا الباب فهذا معناه. وقولهم: اللهم اغفر لنا، تأويله اللهم غطّ علينا ذنوبنا والله الغفور والغفار. والمغفر ما يغطى به الرأس من الحديد وغيره، وكذلك الغفارة وهي خرقة تلف على سية القوس أي طرفها، وغفارة اسم رأس جبل .

---

(١) الأعراف: ١٦٤.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) كذا في المطبوعة والخطية، وفي حاشية الحجرية: «نسجه» أو «قبيحه» فلاحظ.

(٤) لم نعثر عليه.

والمغفورة والمغفارة صمغ العرفط، وقد أغفر الشجر إذا ظهر ذلك فيه. وفي الحديث: إن النبي صلّى الله عليه وآله دخل على عائشة، فقالت: يا رسول الله أكلت مغافير[1] تعني هذا الصمغ. ومنهم من يقول: مغاثير، كما قيل: جدث وجدف. والغفر شعر صغار دون الكبار وريش دون الريش الكبار؛ لأنه هو الذي يغطي الجلد.

والغفر النكس من المريض، يقال: صلح فلان من مرضه ثم غفر أي نكس، ومنه قول ضرار ـ وقيل إنه لجميل ـ:

خليليّ إنّ الدار غفر لذي الهوى ... كما يغفر المحموم أو صاحب الكلم[2]

ومعناه: أن المحبّ إذا سلا عن حبيبه، ثم رأى داره جدد عليه حبه، فكأنّه مريض نكس. وانما قيل النكس؛ لأنه يغطّي على العافية. والغفر شعر يكون في اللحيين، وقد غفر فلان وقد غفرت المرأة إذا نبت لها ذلك الشعر. ومتاع البيت يقال له: الغفر؛ لأنه يغطي على الخلل. والغفر الحوالق، ويقال: جاءوا الجماء الغفير، وجاءوا جمّاً غفيرا، وجاؤوا جمّاء الغفير اي مجتمعين جمعاً يغطي الأرض.

والغفر ولد الأروى وهي أُنثى الوعل؛ لأنها تأوي الجبال فتستتر عن الناس. يقال لأُنثى الوعل إذا كان معها ولدها: مغفر، كما يقال لكل ذات طفل: مطفل. ويقال: غفرت الأمر تغفرة إذا أصلحته بما ينبغي أنْ يصلح به، والمعنى أصلحته بما غطّى على جميع فساده، والغفر زئير الثوب، وثوب ذو غفر.

---

(١) سُنن ابن داود: ج٣ ص٣٣٥ ح٣٧١٥.

(٢) انظر الصحاح للجوهري: مادة «غفر» ج٢ ص٧٧١.

وغفرت المتاع إذا جعلته في وعاء، وكل شيء غطيته فقد سترته. ويقال: إصبغ ثوبك فانه أغفر للوسخ أي استر له.

وأصل الباب التغطية، وحدّ المغفرة ستر الخطيئة برفع العقوبة.

والخطيئة والزلة والمعصية نظائر، يقال: خطأ خطأ، واخطأ إخطاءً، واستخطأه استخطاء، وخطّأه تخطئةً، وتخاطى تخاطياً. قال ابن دريد: الخطأ مقصور مهموز، يقال:خطىء الشيء خِطأ اذا لم يرده وأصابه، وأخطأ يخطىء اخطاء اذا أراده فلم يصبه. والأول خاطىء والثاني مخطىء به، والخطيئة تهمز[1].

قال صاحب العين: الخطأ ما لم يتعمّد، ولكن يخطى أخطاءً وخطاءة وتخطئة[2].

واصل الباب الخطأ ومثله الزلل.

والخاطىء الذي قد زلّ عن الشيء في قصده، وان اتفق له أن يصيبه من غير أن يقصده؛ ولذلك لا يكون الخاطىء في الدين إلّا عاصياً؛ لأنّه لم يقصد الحق. وأما المخطىء فانما زلّ عن قصده، ولذلك يكون المخطىء من طريق الاجتهاد مصيباً؛ لأنه قصد الحق واجتهد في اصابته فصار الى غيره.

وحدّ الخطيئة العدول عن الغرض المجرّد. وخطايا وزنها فعائل، وتقديره: خطائي، فقلبت الهمزة الأخيرة ياءً على حركة ما قبلها، فصارت خطايي، ثم فعل بها ما فعل بمداري، حتى قيل:مدارى فصارت خطاءى. فاستثقل همز بين ألفين، لأنه بمنزلة ثلاث ألفات، فقلبت الهمزة ياء. وانما

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «خ ط و» ج٣ ص٢٣٨.

(٢) العين: مادة «خطو» ج٤ ص٢٩٢.

أعلت هذا الاعلال؛ لأن الهمزة التي بعد الألف عرضت في جميع فعل القياس. تقول في جمع مرآة: مراءى، فلا تعل. والخليل يقول: وزنه فعالى على قلب الهمزة[1].

القراءة:

من اختار النون من القراء، قال: لأنه مطابق لما تقدّم من قوله: «وظللنا» و«قلنا». وانما اتفق القراء على خطاياكم هاهنا، واختلفوا في الأعراف وسورة نوح، لأنّ اللتين في الاعراف ونوح كتبتا في المصحف بالياء بعد ألف، والتي في البقرة بألف[2].

وقوله: «وسنزيد المحسنين».

فالزيادة التي وعدها الله المحسنين، هي تفضّل يعطيه الله المحسنين، يستحقّونها بوعده إيّاهم، وهي زيادة على الثواب الذي يستحقّونه بطاعته تعالى.

اللغة:

والفرق بين أحسن اليه وأحسن في فعله: ان أحسن اليه لا يكون إلّا بالنفع له، وأحسن في فعله ليس كذلك؛ ألا ترى أنّه لا يقال: أحسن الله اليه إلى أهل النار بتعذيبهم، ويقال: أحسن في تعذيبهم بالنار يعني أحسن في فعله وفي تدبيره.

---

(١) العين: مادة «خطر» ج٤ ص٢٩٢.

(٢) التيسير في القراءات: ص٧٣، والسبعة في القراءات ص١٥٦، والحجّة في القراءات: ج٢ ص٧٠.

والإحسان والإنعام والإفضال نظائر. وضدّ الاحسان الاساءة، يقال: حسن حسناً، وأحسن إحساناً، واستحسن استحساناً، وتحاسنوا تحاسناً، وحسّنه تحسيناً، وحاسنه محاسنةً، والمحسَن والجمع محاسن المواضع الحسنة في البدن، ويقال: رجل كثير المحاسن، وامرأة كثيرة المحاسن، وامرأة لحسناء، ولا تقول: رجل أحسن، وتقول: رجل حسان وامرأة حسانة، وهو المحسن جيداً.

والمحاسن في الأعمال ضد المساوىء، تقول: أحسن فانك الحسان. والحسنى الجنة، لقوله: «للذين أحسنوا الحسنى وزيادة»(١). والحسنى ضدّ السوء، والحسن ضدّ القبيح، والحسان جمع حسن الحقوها بضدّها، فقالوا: قِباح وحِسان، كما قالوا: عِجاف وسِمان.

وأصل الباب الحسن وهو على ضربين: حسن في النظر، وحسن في الفعل،وكذلك القبح.

وحدّ الحسن من طريق الحكمة هو الفعل الذي يدعو اليه العقل، وحدّ القبح الذي يزجر عنه العقل، وحدّ الاحسان هو النفع الحسن. وحدّ الاساءة هو الضرر القبيح [و] هذا لا يصحّ إلّا على قول من يقول: إنّ الانسان يكون محسناً الى نفسه ومسيئاً اليها. ومن لا يقول فذلك يريد فيه الواصل الى الغير مع قصده الى ذلك.

والأقوى في حدّ الحسن أن نقول: هو الفعل الذي اذا فعله العالم به على وجه لم يستحقّ الذم؛ فانه لا ينتقض بشيء.

وقوله: «وكلوا منها حيث شئتم رغداً» يعني من هذه القرية، حيث

---

(١) يونس: ٢٦.

شئتم رغداً أي واسعاً بغير حساب. وقد بيّنا معناه فيما مضى واختلاف الناس فيه.

قوله تعالى:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

معنى قوله: «فبدّل الذين ظلموا» غيّروا. وقوله: «الذين ظلموا» معناه الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله. وقوله: «غير الذي قيل لهم» يعني بذلك بدّلوا قولاً غير الذي امروا أن يقولوه، فقالوا بخلافه. فذلك هو التبديل والتغيير.

وكان تبديلهم بالقول: انّهم أُمروا أن يقولوا حطّة وأن يدخلوا الباب سجداً، وطؤطىء لهم الباب ليدخلوه كذلك فدخلوه يزحفون على أستاههم فقالوا: حنطة في شعيرة مستهزئين[1].

وقوله: «فانزلنا على الذين ظلموا» يعني الذين فعلوا ما لم يكن لهم فعله في تبديلهم بالقول والفعل.

«رجزاً» والرجز في لغة أهل الحجاز: العذاب، وفي لغة غيرهم: الرجس؛ لأنّ الرجس الشر[2]. ومنه قوله عليه السلام في الطاعون: إنه

(١) العبارة مشوّشة في المطبوعة والحجرية والخطية، وما أثبتناه هو الصحيح ظاهراً.

(٢) أنظر العين: مادة «رجز» ج٦ ص٦٦، وتهذيب اللغة: مادة «رجز» ج١٠ ص٦١١.

رجس عذّب به بعض الامم(١) وهو قول ابن عباس وقتادة (٢) .

وقال أبو عبيدة: الرجز والرجس لغتان، مثل الردع والسدع والبزاق والبساق. وقال ابو العالية: هو الغضب. وقال ابو زيد: هو الطاعون؛ فقيل: انه مات منهم في ساعة واحدة اربعة وعشرون الفاً من كبرائهم وشيوخهم وبقي الأبناء وانتقل العلم والعبادة اليهم(٣) .

وقوله: «من السماء» قال قوم: يعني ما قضاه الله عليهم من السماء. وقال آخرون: أراد بذلك المبالغة في علوّه بالقهر(٤) .

وقوله: «يفسقون» مضمومة السين عليه جميع القرّاء، وهو أشهر اللغات. وقد حُكي في بعض اللغات بكسر السين(٥) .

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ آية واحدة بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «واذ» متعلق بكلام محذوف، ويجوز أن يكون ذلك ما تقدّم ذكره في الآيات المتقدّمة من ضروب نعم الله على بني اسرائيل، فكأنّه قال: واذكروا إذ استسقى موسى لقومه أي سأله أن يسقي قومه ماء، تقول:

(١) موطأ مالك: ص٧٨٣ ح٢٠، ما جاء في الطاعون.

(٢)و(٣) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٢ وتفسير الماوردي: ج١ ص١٢٧.

(٤) لم نعرف القائلين.

(٥) قرأ الأعمش بالكسر، أُنظر اعراب القرآن للنحاس: ج١ ص٥٩.

سقيته من سق السقة، واسقيته: دللته على الماء، فنزّل منزلة سؤال ذلك. والمعنى الذي سأل موسى اذ كان فيما ذكر من الكلام الظاهر دلالة على معنى ما ترك .

وكذلك قوله: «فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً» من ماء فاستغنى بدلالة الظاهر على المتروك منه؛ لأن معنى الكلام: قلنا اضرب بعصاك الحجر فضربه فانفجرت منه. فترك ذكر الخبر عن ضرب موسى الحجر اذ كان فيما ذكره دلالة على المراد وكذلك قوله: «قد علم كل اناس مشربهم» فترك ذكر منهم لدلالة الكلام عليه .

والانفجار الانشقاق، والانبجاس أضيق منه، فيكون أوّلا انبجاسا ثم يصير انفجاراً. والعين من الأسماء المشتركة العين من الماء مشبهة بالعين من الحيوان بخروج الماء منها، كخروج الدمع من عين الحيوان .

وقد بينّا إنّ أُناساً لا واحد له من لفظه فيما مضى، وإن الانسان لو جمع على لفظه لقيل اناسين واناسيه .

وقوم موسى هم بنو اسرائيل الذين قصّ الله عز وجل قصصهم في هذه الآيات. وانما استسقى لهم ربّهم الماء في الحال التي تاهوا فيها في التيه شكوا اليه الظمأ، فامروا بحجر طوري أي من الطور، فضربه موسى بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين معلومة ماؤها لهم .

وروي عن ابن عباس أنه قال: ظلل عليهم الغمام في التيه وأنزل عليهم المنّ والسلوى وجعل لهم ثياباً لا تبلى ولا تتسخ وجعل بين ظهرانيهم حجر مربع[١]. وروي انه كان مثل شكل الرأس[٢] .

---

(١) أخرجه الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٤٣.

(٢) أخرج ذلك الطبري في تفسيره عن ابن زيد: ج١ ص٢٤٣.

وامر موسى فضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً في كل ناحية منه ثلاثة عيون، ولا يرتحلون مرحلة إلّا وجدوا ذلك الحجر بينهم في ذلك المكان الذي كان بينهم في المنزل الأول.

وقيل: إنّهم كانوا ينقلونه معهم في الجوالق، اذا احتاجوا الى الماء ضربه موسى بالعصا فينفجر منه الماء[١].

وقال قوم: بانه امر بان يضرب أي حجر شاء لا حجراً بعينه[٢].

والأول أظهر لأن فيه لام التعريف.

القراءة:

والشين ساكنة في اثنتا عشرة عند جميع القرّاء، وكان يجوز كسرها في اللغة ولم يقرأ به أحد. والكسر لغة ربيعة وتميم، والاسكان لغة أهل الحجاز واسد[٣]، فاذا صغرت اثنتا عشرة قلت:ثني عشرة، واذا صغرت ثني قلت: ثنتي عشرة.

وروى فتحها محمد عن الأعمش[٤]وهو غلط إلّا إذا قيل:عشرة مفرد فانه يفتح الشين. فاما ما زاد على ذلك فالشين ساكنة، أو مكسورة إلّا قولهم: أحدَ عشرَ إذا بنيا معاً.

الاعراب:

ونصب عيناً على التميز، وعند الكوفيين على التفسير. ولا ينبغي الوقف

---

(١) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٤.

(٢)و(٤) لم نعثر عليه.

(٣) انظر اعراب القرآن للنحاس: ج١ ص٢٣٠، ومعاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٧١.

على أحد الاسمين المجعولين اسماً واحداً دون الآخر، كقولك: أحد عشر واثنا عشر وما اشبه ذلك، ولذلك يكره الوقف على العدد الأخير قبل أن يميزه ويفسّره.

وكذلك قوله: «خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ مردّاً»(١) و«ملء الأرض ذهباً»(٢) و«عدل ذلك صياماً»(٣) و«خير حافظاً»(٤) و«احسن ثواباً»(٥) واشباه ذلك.

التفسير:

ومن آيات الله العجيبة انفجار العيون من الحجر الصلد بعدد قبائل اسرائيل على وجهٍ يعرف كل فرقة منهم شرب نفسه، فلا ينازعه فيه غيره، وذلك من الأُمور الظاهرة، على أنّ فاعل ذلك هو الله تعالى وان ذلك لا يتم فيه حيلة محتال ولا كيد كائد. ومن استبعد ذلك من الملحدين فالوجه ان يتشاغل معه في الكلام في اثبات الصانع، وحدوث الصنعة، واثبات صفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز، فاذا ثبت ذلك سهل الكلام في ذلك.

ومتى شكّ في ذلك أو في شيء منه، كان الكلام معه في هذا الفرع ضرباً من العناء لا وجه للتشاغل به.

وقوله هاهنا: «فانفجرت» لا ينافي قوله في الأعراف:

---

(١) مريم: ٧٦.
(٢) آل عمران: ٩١.
(٣) المائدة: ٩٥.
(٤) يوسف: ٦٤.
(٥) لا توجد هكذا آية، بل توجد «خيرٌ ثواباً» الكهف: ٤٤.

«فانبجست»[١] لأنّ الانبجاس هو الانفجار إلّا أنه قليل، وقيل: إنه لا يمتنع أن يكون أوّله ما ينبجس كان قليلاً ثم صار كثيراً، حتى صار انفجاراً.

وقوله: «كلوا واشربوا من رزق الله» يعني من النعم التي عددها عليهم من المن والسلوى وغير ذلك.

وقوله: «ولا تَعثوا في الأرض مفسدين» أي لا تطغوا ولا تسعوا في الأرض فساداً. وأصل العثا شدّة الفساد، يقال منه: عثا فلان في الأرض الى غاية، يعثأ والجماعة يعثون.

وفيه لغتان أُخريتان: أحدهما: يعثو عثواً. ومن قرأ بهذه اللغة ينبغي أن يضمّ الثاء، ولم يقرأ به أحد. واللغة الأُولى لغة أهل الحجاز. و[ثانيها] قال بنو تميم: عاث يعيث عيثاً وعيوثاً وعيثاناً، بمعنى واحد[٢]، قال رؤبة بن العجاج:

وعاث فينا مستحل عائث مصدّقٌ أو فاجر مباعث[٣]

يعني بقوله: عاث فينا افسد فينا. وقيل: يعثو أصله العيث، فقدموا بعض الحروف وأخروا بعضها، يقال: عثا يعثو وعاث يعيث وهو الفساد، قال ابن اذينة الثقفي:

نقيم ولا نعثوا برح واننا على الناس سحايون شوس الحواجب[٤]

وانما قال: «ولا تعثوا في الأرض مفسدين» وإن كان العيث لا يكون

---

(١) الأعراف: ١٦٠.

(٢) راجع معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٧٢.

(٣) البيت أورده الطبري في التفسير: ج١ ص٢٤٥ مع اختلاف في عجزه.

(٤) لا يوجد لدينا ديوانه.

إلّا فساداً؛ لأنّه يجوز أن يكون فعلاً ظاهره الفساد وباطنه المصلحة، كخرق موسى (١) السفينة، فبيّن ذلك العيث الذي هو الفساد ظاهراً وباطناً.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ أهل المدينة «النبيئين» بالهمز، الباقون بغير همز (٢). وترك الهمز هو الاختيار.

اللغة:

واختلفوا في اشتقاقه، فقال بعضهم: من أنبائك الامر كأنه انبأ عن الله وأخبر عنه(٣). فترك همز ذلك لكثرة ما يجزي. وقال الكسائي: النبي الطريق يراد به أنه علم وطريق الى الحق(٤).

---

(١) هكذا في جميع النسخ والظاهر أنه «صاحب موسى».

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص١٥٦.

(٣) الحجّة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص٧٢.

(٤) ذكره الازهري في تهذيب اللغة: مادة «نبا» ج١٥ ص٤٨٦.

واصله من النبوة والنجوة أي المكان المرتفع .

ومن قال: هو مشتق من الإنباء، قال: جاء فعيل بمعنى مفعل، كما قال: سميع بمعنى مسمع، كذلك قالوا: نبئ بمعنى منبأ وبصير بمعنى مبصر، وابدل مكان الهمزة من النبيء الياء، فقالوا: نبيّ، هذا .

ويجمع النبي أنبياء، وانما جمعوه كذلك لأنّهم ألحقوا النبي بابدال الهمزة منه ياء، فالنعوت التي تأتي على تقدير فعيل من ذوات الياء والواو وذلك كقولهم: وليّ وأولياء، ووصي وأوصياء، ودعيّ وأدعياء. ولو جمعوه على أصله، والواحد بني ليعتل اليها، لأن فعيل يجمع فعلاء، كقولهم: سفيه وسفهاء،وفقيه وفقهاء، وشريك وشركاء .

وقد سمع من العرب «النبآء» وذلك في لغة من همز النبي، ومن قول العباس بن مرداس السلمي(١) في وصف النبي صلّى الله عليه وآله ومدحه:

يا خاتم النبآء انّك مرسلٌ بالحقّ خيرُ هدى الاله هداكا(٢)

فجمع على أن واحدهم نبيء مهموز، وقد قال بعضهم: النبي والنبوة غير مهموزين؛ لأنهما مأخوذان من النبوة، وهي مثل النجوة، وهما مأخوذان من المكان المرتفع. وكلٌ يقول: إن أصل النبي الطريق، قال القطامي:

لما وردن نبيا واستتبّ بها! مسحنفر كخطوط السيح منسحل(٣)

---

(١) هو العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، شاعر فارس من سادات قومه. أمه الخنساء عاش في زمن الجاهلية والاسلام، واسلم قبيل فتح مكة، وكان من المؤلّفة قلوبهم، ويدعى فارس العُبيد وهو فرسه مات في سنة ١٨ هـ.

(٢) ديوانه: ص١٢٢، وورد العجز هكذا: بالحق كلُّ هدى السبيل هداكا.

(٣) ديوانه: ص٤ .

قالوا: وسمي الطريق نبياً، لأنه ظاهر مبين من النَبْوة. قال ابو علي الفارسي[١]: قال أبو زيد: نبأت من أرض الى أرض، وانا انبأ نباء ونبوءً إذا خرجت منها الى أُخرى[٢]، وليس اشتقاق النبي من هذا وان كان من لفظه ولكنه من النبأ الذي هو الخبر، كأنه المخبر عن الله. فان قلت: لم لا يكون من النباوة وممّا أنشده ابو عثمان، قال: انشدني كيسان[٣]:

محض الضريبة في البيت الذي وضعت   فيه النباوة حُلواً غيرَ ممذوقِ[٤]

أو يجوز فيه الأمرين ؟

فنقول: إنه يجوز أن يكون من النباوة ومن النبأ كما أُجيز في عضة أن يكون من الواو، كقوله «وعضوات»[٥] ومن الهاء كقوله:

لها بعضاة الأرض تهزيز[٦]

قال: وليس ذلك كالعضة؛ لأن سيبويه زعم أنهم يقولون في تحقير النبوة: كان مسيلمة بنبوّته نُبيئَة سوءٍ[٧]. وكلهم يقولون: تنبأ مسيلمة. ولو كان يحتمل الامرين جميعاً، لما اجمعوا على تنبأ ولا على النبيئة .

---

(١) الحجّة: ج٢ ص٧٢. (٢) نقل قوله الجوهري في الصحاح: مادة «نبأ» ج١ ص٧٤.

(٣) في الخطية والحجرية والمطبوعة «ابن كيسان» وفي المصدر «كيسان» وهو الصحيح ظاهراً.

(٤) البيت مذكورٌ في الحجة: ج٢ ص٧٢ ولم نعرف قائله.

(٥) كلمة من بيتٍ ذكره سيبويه في الكتاب: ج٣ ص٣٦٠ وتمامه:

هذا طريق يأزم المآزما   وعضواتٌ تقطعُ اللهازما

(٦) صدره:

قد حال دون دريسة مؤوبة

نسع لها بعضاة الأرض تهزيز

والبيت للمتنخّل الهذلي، أنظر ديوان الهذليين: ج٢ ص١٦.

(٧) الكتاب: ج٣ ص٤٦٠.

فان قيل: فلم لا يستدل بقولهم: انبياء [على جواز الأمرين في اللام من النبي][1]؟ قيل: ما ذكرته لا يدل على تجويز الأمرين، لأن (أنبياء) انما جاز لأن البدل لما الزم في نبيء صار في لزوم البدل له، كقولهم: عيد وأعياد، فكما أن عيد لا يدّل على أنه من الياء لكونه من عود الشيء، كذلك لا يدل انبياء على أنه من النباوة. ولكن لما لزم البدل جعل بمنزلة تقي وأتقياء، وصفي وأصفياء، فلما لزم صار كالبرية الخابية، ونحو ذلك مما لزم الهمزة فيه حرف اللين بدلاً من الهمزة، لما دل على أنه من الهمزة، وأنه لا يعترض عليه شيء وصار قول من حقق الهمزة في النبيء، كرد النبيّ إلى الأصل المرفوض استعماله؛ نحو:وَذَرَ ووَدَعَ، فمن ثمّ كان التخفيف فيه الأكثر.

فأمّا ما روي في الحديث: «من أن بعضهم قال: يا نبيء الله، فقال: لستُ بنبيء الله ولكنّي نبيّ الله» قال أبو علي: أظنّ أن من أهل النقل من ضعّف اسناده، ومما يقوي تضعيفه أن من مدح النبي صلّى الله عليه وآله فقال: ياخاتم النبآء لم يؤثر فيه انكار عليه. ولو كان في واحده نكير لكان في الجمع مثله[2].

ثمّ بينا فيما مضى أن الصبر كفّ النفس وحبسها عن الشيء.

المعنى:

فاذا ثبت ذلك، فكأنه قال: واذكروا إذ قلتم يامعشر بني اسرائيل:

---

(١) ما بين المعقوفتين أضفناها من كتاب الحُجّة توضيحاً للمطلب.

(٢) الحجّة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص٧٥.

لن نطيق حبس أنفسنا على طعامٍ واحد. وذلك الطعام هو ما اخبر الله عز وجل إذ أطعمهم في تيههم وهو السلوى في قول أهل التفسير، وفي قول ابن منبه: الخبز النقي مع اللحم. فسل ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من البقل والقثّاء، وما سمّاه الله مع ذلك. وذكر انه سألوه لموسى وكان سبب مسألتهم ذلك ما رواه قتادة قال: كان القوم في البرية، وقد ظلل عليهم الغمام، وانزل عليهم المنّ والسلوى، فملّوا ذلك وذكروا عيشاً كان لهم بمصر فسألوا ذلك موسى، فقال الله تعالى: «اهبطوا مصراً فان لكم ما سألتم»[1].

وانما قال: «مما تنبت الأرض»، لأن «من» تدخل للتبعيض، ولو لم تدخل هاهنا لكانت المسألة تدخل على جميع ما تنبته الأرض، فأتوا بـ (من) التي نابت مناب البعض حيث قامت مقامه.

وفي الناس من قال: إنّ «من» هاهنا زائدة وانها تجري مجرى قولهم: ما جاءني من أحد[2] والصحيح الأول؛ لان (من) لا تزاد في الايجاب وانما تزاد في النفي؛ ولأنّ من المعلوم أنّهم ما أرادوا جميع ما تنبته الأرض، وجرى ذلك مجرى قول القائل: أصبتُ اليومَ من الطعام عندَ فلان؛ يريدُ أصبت شيئاً منه.

وقوله: «يخرج» جزم جواب الأمر. و«البقل» و«القثاء» معروفان، وفي القثّاء لغتان: ضمّ القاف وكسرها، والكسر أجود وهي لغة القرآن. وانما ذكر الله تعالى هذه الألفاظ ـ وان لم تكن لائقة بفصاحة القرآن ـ على

---

(١) ذكر ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٤٥.

(٢) معاني القرآن للاخفش: ج١ ص٢٧٢.

وجه الحكاية عنهم .

واما «الفوم» فقال ابن عباس وأبو جعفر الباقر عليه السلام وقتادة والسدي: انه الحنطة[١]. وانشد ابن عباس قول أُحيحة بن الجلاح:

قد كنت اغنى الناس شخصاً وافدا ... ورد المدينة عن زراعة فوم[٢]

وقال الفراء والجبائي والازهري: هو الحنطة والخبز، تقول العرب: فوّموا بالتشديد ـ أي اخبزوا لنا[٣] .

وقال قوم: [هو] الحبوب التي تخبز، وهو مأثور[٤] .

وقال ابن مجاهد وعطا وابن زيد: انه الخبز[٥]، وفي قراءة ابن مسعود، وهو قول الربيع بن انس والكسائي انه الثوم، وابدل الثاء فاء كما قالوا: جدت وجدف واثاثي واثافي[٦] .

قال الفرّاء: وهذا أشبه بما بعده من ذكر البصل[٧] .

قال أُمية بن أبي الصلت:

فوق شرى مثل الجوابي عليها ... قطع كالوذيل في نني فوم[٨]

---

(١) أخرج رواية الامام الباقر عليه السلام القمي في تفسيره: ج١ ص٤٨، وأخرج أقوال البقية الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٤٦، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٢٨.

(٢) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٧، ولسان العرب: مادة «فُوم» ج١٠ ص٣٥٥.

(٣) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٤٠، وتهذيب اللغة للازهري: مادة «فام» ج١٥ ص٥٧٣.

(٤) حكى ذلك الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «فم» ج١٥ ص٥٧٤، وفي النسخ «في» بدل [هو] والصحيح ما أثبتناه.

(٥) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٦، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٢٨.

(٦) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٧، وتهذيب اللغة: مادة «فم» ج١٥ ص٥٧٤.

(٧) معاني القرآن: ج١ ص٤١.

(٨) لم نعثر عليه.

وقال ايضاً:

كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة فيها الفراديس والفومان والبصل[(١)]

قال الزجاج: وهذا بعيد؛ لانه لا يعرف الثوم بمعنى الفوم، لان القوم لا يجوز ان يطلبوا الثوم ولا يطلبون الخبز الذي هو الأصل. وايضاً فلا خلاف أن الفوم هو الطعام، وإن كان كل حبّ يخبز منه يقال له: فوم[(٢)] .

وقوله: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» .

قيل فيه قولان:

أحدهما: الذي هو أدنى الطعامين بدلاً من أجودهما .

والثاني: الذي تتبدلون في زراعته وصناعته بما أعطاكم الله عفواً من المنّ والسلوى .

وقرأ بعضهم: أدنأ مهموزاً[(٣)] . وقال بعض المفسّرين: لولا الرواية لكانَ هو الوجه؛ لأنّه من قولك: رجل دنيء من الدناءة، وما كنت دنيئاً، ولكنك دنئت أي خسست، واذا قرء بلا همز فمعناه: القرب[(٤)] .

وليس هذا موضعه، ولكنه موضع الخساسة، ولو كان ما سألوه أقرب اليهم لما سألوه ولا التمسوه. ويجوز أن يجعل أدنى وأقرب بمعنى: أدون، كما تقول: هذا شيء مقارب أي دون .

وحكى الأزهري عن ابي زيد:الداني -بلا همز- الخسيس، والدنيء

---

(١) لسان العرب: مادة «فوم» ج١٠ ص٣٥٥.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص١٤٣ .

(٣) حكا ذلك الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٤٢،والازهري في تهذيب اللغة: مادة «دنا» ج١٤ ص١٨٧.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٧.

ـ بالهمزـ الماجن[١].

وقوله: «اهبطوا مصراً» تقـديره: فدعى موسى فاستجبنا له، فقلنا لهم: اهبطوا مصراً. وقد تمّ الكـلام؛ لأن الله أجابهم بقوله: «فإنّ لـكم ما سألتم وضربت...» ثمّ استأنف حكم الذين اعتدوا في السبت ومَن قتل الانبياء فقال: «ضربت عليهم الذلة والمسكنة».

القراءة:

ونوّن جميع القراء «مصراً» وقـرأ بعضهم بغير تنويـن[٢]، وهي قراءة ابن مسعود بغير الف[٣].

وقـال قتادة والسدي ومجاهد وابـن زيد: لأنّه أراد مصراً من غير تعيين؛ لأن ما سألوه من البقل والقثاء لا يكون إلّا في الامصار.

وقال الحسن وابو العاليـة والربيع: إنـه أراد مصر فرعون الذي خرجوا منه[٤].

وقال ابو مسلم محمد بن بحر: اراد بيت المقدس لقوله: «ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم» وروي ذلك عن ابن زيد[٥].

اللغة:

واما اشتقـاق مصر، فقال بعضهـم: هو من القطع لانـقطاعه بالعـمارة.

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «دنا» ج١٤ ص١٨٨.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٨، وانظر تهذيب اللغة للأزهري: مادة «مصر» ج١٢ ص١٨٣.

(٣) أُنظر معاني القرآن للفراء: ج١ ص٤٣.

(٤) نقل أقوالهم الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٤٨،والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٢٩.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٨.

ومنهم من قال: هو مشتق من الفصل بينه وبين غيره[١]. قال عدي بن زيد:

وجاعل الشمس مصراً لا خفاء به بين النهار وبين الليل قد فصلا[٢]

ومن نوّن أراد مصراً من الامصار غير معين. ويجوز أيضاً أن يريد مصراً بعينه الذي خرجوا منه، وإنما نوّن إتباعاً للمصحف؛ لأن في المصحف ألف كما قرأ «قوارير» «قواريراً»[٣] منوناً اتباعاً لخط المصحف.

ومن لم ينوّن أراد مصر بعينها لا غير. وكلّ ذلك محتمل.

المعنى:

وقوله: «ضربت عليهم الذلّة والمسكنة» استئناف كلام بما فعل الله بهم؛ يعني بالذين اعتدوا في السبت وقتلوا الانبياء.

ومعنى «ضربت» أي فرضت ووضعت عليهم الذلّة وأُلزموها، من قول القائل: ضرب الامام الجزية على أهل الذمة، وضرب فلان على عبده الخراج، وضرب الأمير على الجيش البعث، يريد بجميع ذلك ألزم ذلك، وبه قال الحسن وقتادة[٤].

وقيل: معنى «ضربت عليهم» أي حلوا بمنزلة الذل والمسكنة، مأخوذ من ضرب القباب، قال الفرزدق في جرير:

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «مصر» ج١٢ ص١٨٣.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «مصر» ج١٢ ص١٨٣، ونسبه ابن سيده في المخصّص: ج٤، السفر ١٣ ص١٦٤ الى أُمية بن أبي الصلت فلاحظ.

(٣) الدهر: ١٥.

(٤) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٤٩-٢٥٠، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٢٩.

ضربت عليـك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل(١)

وأما «الـذلّة» فـقال الحسن وقـتادة وغيره: ان الجزية الصغـار [لقوله: حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهـم صاغرون] (٢) [والذلة] مشتق من قولهم: ذلّ فلان يذلّ ذلاً وذلّةً.

وأمّا المسكنـة فهي مصـدر التسكين، يقـال: ما فيهم أسـكن من فلان، وما كان سكيناً ولـكن تمسكن تمسكـناً، ومنهم من يقول: تسكّن تسكنا، والمسكنة هاهـنا مسكنة الفاقة والحاجة، وهي خشوعها وذلّها، تقول: ما في بني فلان اسكن من فلان أي أفقر منه، وهو قول أبي العالية والسدي(٣).

وقال ابن زيد: المعني يهـود بني اسـرائـيل، أبدلهم الله تعالى بـالـعز ذلاً، وبالنعمة بؤساً، وبالرضا عنهم غضبا، جزاء منه بما كفروا بآياته، وقتلهم(٤) أنبياءه ورسله اعتداء وظلماً(٥).

وقـوله: «وباءوا بغضب من الله» أي انصـرفوا ورجعوا، ولا يقال: باء إلّا مـوصـولاً إمـا بخير وامـا بشـر، واكثر مـا يستعـمـل في الشـر، كـذا قال الكسائي(٦). ويقال: باء بدينه يبوء به بوء، ومنه قوله تعالى: «أُريد أن تبوء بإثمي واثمك» (٧) يعني ترجع بما قد صار عليك دوني.

---

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج٢ ص٣١٨.

(٢) مـا بين المعقوفتين أضفـناها من عبارة مجمـع البيان للطبـرسي توضيحاً لـلـمطلب. والعبارة في المطبوعة والحجرية مشوشة.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٥٠.

(٤) في الخطية والمطبوعة والحجرية «وقتله»، وهو كما ترى.

(٥) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٥٠.

(٦) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٣٠.

(٧) المائدة: ٢٩.

فمعنى الكلام: ارجعوا منصرفين متحمّلين غضب الله.

وروي أن رجلاً جاء برجل الى النبي صلّى الله عليه وآله، فقال: هذا قاتل أخي، وهو بواء به[١]. أي مقتول به، ومنه قول ليلى الأخيلية[٢]:

فـان تـكـن الـقـتلى بـواءً فـانـكـم فتى ما قتلتم آل عوف بـن عـامر[٣]

وقـال الـزجـاج: أصـل ذلـك الـتـسـويـة ومعنى ذلك أنهم تساووا بغضب من الله[٤]، ومنه ما روي عن عبادة بن الصامت، قال: جعل الله تعالى الأنفال الى نبيه، فقسمها بينهم على بواء[٥] أي: على سواء بينهم في القسم، ومنه قول الشاعر:

فيقتل خيراً بامرئ لم يكن به بـواء ولـكن لا تـكـايـل بـالدم[٦]

والأصل الرجوع، على ما ذكرناه. وقال قوم: هو الاعتراف، ومعناه انّهم اعترفوا بما يوجب عليهم غضب الله[٧]، ومنه قول الشاعر:

إني أبـوء بـعـثـرتي وخطـيـئتي ربّي وهـل إلّا إلـيـك المـهـرب[٨]

---

(١) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٣٠.

(٢) وهي ليلى بنت عبد الله بن الرحال، أشعر النساء بعد الخنساء وكان توبة بن الحمير يهواها، فلما شهر أمره شكوه الى السلطان فأباح دمه لأهلها إن أتاهم.

(الشعر والشعراء: ص٢٧١، الاغاني: ج١١ ص٢٠٤).

(٣) انظر تهذيب اللغة: مادة «باء» ج١٥ ص٥٩٨، والأغاني: ج١١ ص٢٢٧.

(٤) لم نجده في كتابه، ونقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٣٠.

(٥) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ج٥ ص٣٢٢-٣٢٣، والطبري في تفسيره: ج٩ ص١١٦، ذيل آية الأنفال.

(٦) لسان العرب: مادة «كيل» ج١٢ ص٢٠٣.

(٧) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٥٠.

(٨) لم نعرف القائل.

وأما الغضب، قال قوم: ما حلّ بهم من البلاء والنقمة في دار الدنيا بدلاً من الرخاء والنعمة. وقال آخرون: هوما بينا لهم في الآخرة من العقاب على معاصيهم.

وقوله: «ذلك بأنهم كانوا بكفرون بآيات الله» إشارة الى ما تقدّم ذكره من ضرب الذلّة والمسكنة، وإحلال غضبه بهم؛ لأنه يشتمل على جميع ذلك. ومعنى «بأنهم» أي لأجل أنهم كانوا يكفرون بآيات الله، فعلنا بهم ما فعلنا من أنواع العذاب.

وقوله: «يقتلون النبيين بغير الحق» لا يدلّ على أنه قد يصحّ أن يقتلوهم بحق، لأنّ هذا خرج مخرج الصفة لقتلهم، وانه لا يكون إلّا ظلماً بغير حق، كما قال: «ومن يدع مع الله إله آخر لا برهان له به»[١] وكما قال: «رب احكم بالحق»[٢]، وكما قال الشاعر:

على لاحب لا يهتدي بمناره[٣]

ومعناه ليس هناك منار يهتدى به، ومثله كثير.

وقوله: «ذلك بما عصوا» إشارة الى ما أنزل الله من الذلّة والمسكنة بما عصوا من قتلهم الانبياء وعدوهم في السبت وغير ذلك. وقيل: معناه بنقض العهد وكانوا يعتدون في قتل الانبياء، أنه روي انهم كانوا اذا قتلوا النبي في أول النهار قامت سوق بقتلهم في آخره.

وإنّما خلى الله بين الكافرين وقتل الانبياء لينالوا من رفيع المنازل ما لم

---

(١) المؤمنون: ١١٧.

(٢) الأنبياء: ١١٢.

(٣) البيت لامرئ القيس، أُنظر ديوانه ص٩٥، وعجز البيت:

اذا سافه العودُ النُّباطيُّ جَرجَرا

ينالوه بغيره، وليس ذلك بخذلان لهم، كما فعل بالمؤمن من أهل طاعته .

وقال الحسن: ان الله تعالى ما امر نبياً بالحرب إلّا نصره فلم يُقتل، وانما خلى بينه وبين قتل من لم يؤمر بالقتال من الأنبياء(١) .

والذي نقوله: إنّ النبي ان كان لم يؤد الشرع لا يجوز أن يمكّن الله من قتله؛ لأنّه لو مكّن [الله سبحانه من قتله] فقتل لأدى الى ان لا تزاح علل المكلّفين فيما لهم من الألطاف والمصالح، فاذا أدوا الشرع جاز حينئذٍ أن يخلّي بينهم وبين من قتلهم، لأنه لا يجب المنع منه .

وروى أبو هريرة عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال: اختلف بنو اسرائيل بعد موسى بخمسمائة سنة حتى كثر منهم أولاد السبايا، واختلفوا بعد عيسى بمائتي سنة(٢) .

والاعتداء تجاوز الحدّ الذي حدّه الله لعباده الى غيره، وكل متجاوز حد شيء الى غيره فقد تعداه الى ما تجاوز اليه، فمعنى الكلام فعلت بهم ما فعلت من ذلك بما عصوا أمري، وتجاوزوا حدّه الى ما نهيتهم عنه .

قوله تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ آية واحدة .

القراءة:

قرأ نافع بترك الهمز من الصابئين، وجميع القراء الباقون يهمزون(٣) .

---

(١) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٣٠. (٢) لم نعثر عليه.

(٣) الحجة في علل القراءات: ج٢ ص٧٦، والسبعة في القراءات: ص١٥٧.

أمّا «الذين آمنوا» وهم المصدقون برسول الله صلّى الله عليه وآله بما اتاهم من الحقّ من عند الله. وأمّا «الذين هادوا» فهم اليهود.

اللغة:

ومعنى «هادوا» تابوا، يقال: هاد القوم يهودون هودا، وهيادة، وقال ابن جريج: إنما سميت اليهود يهودا لقولهم: «انا هدنا اليك»[1]. قال أعرابي يؤخذ بقوله -على ما قال ابو عبيدة-:

فاني من مدحه هائد[2]

أي تائب.

وقيل: انما سمّوا يهودا؛ لأنّهم نسبوا الى يهوذا أكبر أولاد يعقوب فعرّبت الذال دالاً[3]. وقال زهير في معنى الرجوع:

سوى مرجع لم يأت فيه مخافة ولا رهقاً من عائذٍ متهَوِّدِ[4]

أي تائب،فسميت اليهود يهودا لتوبتهم من عبادة العجل.

وأصل الهود الطمأنينة، ويخبر به عن لين السير، ومنه الهوادة وهي السكون، قال الحسين بن علي المغربي انشدني أبو رعاية السلمي -وهو من أفصح بدوي أطاف بنا وأغزرهم رواية-:

صباغتها من مهنة الحيّ بالضحى جياد المداري حالك اللون أسودا
اذا نفضته مال طوراً بجيدها وتمثاله طوراً باغيدا فوّدا

---

(١) أخرجه عنه الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٥٢.
(٢) أنظر صحاح اللغة للجوهري: مادة «هود» ج٢ ص٥٥٧،وفيه: إنّي امرؤمن مدحه هائذ.
(٣) راجع العين: مادّة «هود» ج٤ ص٧٦.
(٤) ديوانه: ص٢٤، وفيه: «رُبُع» بدل «مرجع».

كما مال قنوا مطعم هجرّية اذا حركت ريح ذرى النخل هوّدا(١)

المطعم النخلة، شبه شعرها بأقناء البسر. هوّد تحرك تحريكة ليّنة، قال زهير:

ولا رهقاً من عائذٍ متهوّد

وليس اسم يهود مشتقاً من هذا.

والنصارى جمع نصران، كقولهم: سكران وسكارى، ونشوان ونشاوى، هذا قول سيبويه(٢): قال الشاعر:

تراه اذا كان العشي محنفا يضحي لديه وهو نصران شامس(٣)

وقد سمع في الأُنثى نصرانة، قال الشاعر:

وكلتاهما خرّت وأسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف(٤)

وقد سمع في جمعهم أنصار بمعنى النصارى، قال الشاعر:

لما رأيت نبطاً أنصارا شمّرت عن ركبتي الإزارا

كنتُ لهم من النصارى جارا(٥)

والمشهور أن واحد النصارى نصري، مثل بعير مهري ومهارى. وانما سمّوا نصارى لنصرة بعضهم بعضاً، دليله الآيات التي ذكرناها.

وقيل: انما سمّوا بذلك لأنّهم نزلوا أرضاً يقال لها: ناصرة، وكان ينزلها

---

(١) لم نجد الأبيات فيما لدينا من المصادر.

(٢) الكتاب: ج٣ ص٢٥٥ و٤١١.

(٣) ذكره ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٥٢.

(٤) البيت لأبي الأخزَر الحماني، ذكر ذلك سيبويه في الكتاب: ج٣ ص٤١١، وذكره الأزهري أيضاً في تهذيب اللغة: مادة «نصر» ج١٢ ص١٦٠.

(٥) نسبه الفرّاء الى بعض العرب في معاني القرآن: ج١ ص٤٤.

عيسى فنسب اليه، فقيل: عيسى الناصري، ثم نسب اصحابه اليه، فقيل: النصارى، وهذا قول ابن عباس وقتادة وابن جريج[١].

وقيل: إنهم سموا بذلك لقوله: «من انصاري الى الله»[٢].

والصابئون جمع صابىء؛ وهو من انتقل من دينه الى دين آخر كالمرتد من أهل الاسلام. وكلّ خارج من دين كان عليه الى آخر يسمى صابئاً، قال أبو زيد: صبأ فلان في دينه يصبأ صُبُوءاً اذا كان صابئاً، وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئاً اذا كان طلع[٣].

وقال الزجاج: صبأت النجوم اذا ظهرت[٤].

وقال أبو زيد: صبوت اليهم تصبّأ صبأ وصبوءاً إذا طلعت عليهم، فكأنّ معنى الصابىء التارك دينه الذي شرع له الى دين غيره، كما قال: ان الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل الى سواها، فالدين الذي فارقوه هو تركهم التوحيد الى عبادة النجوم أو تعظيمها[٥]. وقال نافع: هو مأخوذ من قولهم: صبا يصبو اذا مال الى الشيء وأحبّه، ولذلك لم يهمز، قال الشاعر:

صبوت أبا ذئب وأنت كبير[٦]

---

(١) أنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٥٢.

(٢) المصدر المتقدم والآية من سورة الصف: ١٤.

(٣) حكاه الفارسي في الحُجّة: ج٢ ص٧٧، والازهري في تهذيب اللغة: مادة «صبا» ج١٢ ص٢٥٧.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٤٧.

(٥) حكاه الفارسي في الحُجّة: ج٢ ص٧٧، والازهري في تهذيب اللغة: مادة «صبا» ج١٢ ص٢٥٧.

(٦) شطر من بيت لأبي ذؤيب الهذلي، وتمامه:

ديار التي قالت غداة لقيتها ... صبوت أبا ذئب وأنت كبيرُ

راجع الحجة: ج٢ ص٧٨.

قال ابو علي الفارسي: هذا ليس بجيد؛ لأنه قد يصبو الانسان الى دين فلا يكون منه تديّن به مع صُبُوّه اليه، فاذا كان هذا هكذا، وكان الصابئون منتقلين من دينهم الذي أُخذ عليهم الى سواه، وجب أن يكون مأخوذاً من «صبأ» الذي هو الانتقال. ويكون الصابون على قلب الهمزة، وقلب الهمزة على هذا الحدّ لا يجيزه سيبويه إلّا في الشعر ويجيزه غيره، فهو على قول من أجاز ذلك؛ وممن أجاز ذلك أبو زيد. وحكي عنه انه قال لسيبويه: سمعتُ قريتُ وأخطيتُ، قال: فكيف تقول في المضارع؟ قلت: أقرأ، فقال: حسبك أو نحو هذا.

قال ابو علي: يريد سيبويه ان قريت مع أقرأ لا ينبغي؛ لأن قريت اقرأ على الهمز وقريت على القلب فلا يجوز ان تغير بعض الأمثلة دون بعض، فدلّ على أنّ القائل لذلك غير فصيح، وانّه مخلّط في لغته(١).

وقال قتادة والبلخي: الصابئون قوم معروفون لهم مذهب ينفردون به، من عبادة النجوم، وهم مقرّون بالصانع وبالمعاد وببعض الانبياء(٢). وقال مجاهد والحسن وابن ابي نجيح: الصابئون بين اليهود والمجوس لا دين لهم. وقال السدي: هم طائفة من أهل الكتاب يقرأون الزبور(٣).

وقال الخليل: هم قوم دينهم شبيه بدين النصارى إلّا ان قبلتهم نحو مهبّ الجنوب حيال منتصف النهار، ويزعمون انهم على دين نوح(٤).

وقال ابن زيد: الصابئون هم أهل دين من الاديان كانوا بالجزيرة

---

(١) الحُجّة في علل القراءات: ج٢ ص٧٨،وفي النسخ «فإنّه غلط» بدل «وأنّه مخلّط» فلاحظ.

(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١٣٣.

(٣) راجع قول مجاهد في تفسيره: ص٢٠٤، ونقل بقية الأقوال الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٥٣.

(٤) العين: مادة «صبأ» ج٧ ص١٧١.

-جزيرة الموصل- يقولون لا إله إلّا الله ولم يؤمنوا برسول الله صلّى الله عليه وآله، فمن اجل ذلك كان المشركون يقولون للنبي عليه السلام وأصحابه: هؤلاء الصابئون، يشبّهونهم بهم[١].

وقال آخرون: هم طائفة من أهل الكتاب[٢].

والفقهاء بأجمعهم يجيزون أخذ الجزية منهم. وعندنا لا يجوز ذلك؛ لأنهم ليسوا أهل كتاب.

المعنى:

وقوله: «من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم».

تقول: من صدّق بالله وأقر بالبعث بعد الممات يوم القيامة وعمل صالحاً وأطاع الله فلهم أجرهم عند ربهم يعني ثواب عملهم الصالح.

فان قيل: فأين تمام قوله: «ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين»؟

قيل: تمامه جملة قوله تعالى: «من آمن بالله واليوم الآخر» لأنّ معناه: من أمن منهم بالله واليوم الآخر، وترك ذكر (منهم) لدلالة الكلام عليه. ومعنى الكلام: ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من يؤمن منهم بالله واليوم الآخر فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم.

* * *

(١) أخرج قوله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٥٣.

(٢) أخرجه الطبري عن أبي العالية والسدي وغيرهما في تفسيره: ج١ ص٢٥٣.

الاعراب:

وقوله: «من آمن بالله واليوم الآخر» .

في النـاس من قال: هو خبر عن الـذيـن هـادوا والنصارى والصابئين؛ لانّ الـذيـن آمنـوا كانـوا مـؤمنين فـلا معنى حينـئـذٍ ان يقـول من آمـن وهو نفسهم .

ومنهم من قال: هو راجع الى الكـل(١) ويكون رجوعه على الذين آمـنوا على وجه الثبـات على الايمان والاستـدامة، وترك التبديل والاستبدال به. وفي الذين هـادوا والنصارى والصابـئين استئناف ايمان بالـنبيّ صلّى الله عليه وآله وما جاء به .

وقوله: «من آمن بالله» فوحّد الفعل ثم قال: «فلهم أجرهم» لأنّ لفظة «من» وان كانت واحـدة، فمعنـاها يكون للواحد والجـمع والانثى والذكر، فإن ذهب الى اللفظ وحّد، وإن ذهب الى المعنى جمع، كما قال: «ومنهم من ينظر اليك أفأنت تهـدي العمي ولو كانوا لا يـبصـرون»(٢) فجمع مرّة مع الفعل لمعناه ووحّد أُخرى على اللفظ، قال الشاعر:

ألـمّـا بسلـمـى عـنكـما إن عرضتما وقولا لها عوجي على مـن تخلفوا(٣)

فجـمع الـفعل لأنّـه جعـل (مَن) بمنزلة الـذين. وربـما كان لا ثنين وهو أبعد، وما جاء فيه قال الفرزدق:

---

(١) ذكر ذلك ابو جعفر النحاس في اعراب القرآن: ج١ ص٢٣٣، والزجاج في إعراب القرآن: ج١ ص٣١٠.

(٢) يونس: ٤٣.

(٣) البيت أورده الطبري في التفسير: ج١ ص٢٥٤.

تعشّ فإن عاهدتني لا تخونني نكن مثل من ياذئب يصطحبان[١]

النزول:

قوله: «من آمن بالله واليوم الآخر».

قال السدي: نزلت في سلمان الفارسي واصحابه النصارى الذين كان قد تنصّر على أيديهم قبل مبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله، وكانوا قد أخبروه بأنه سيبعث، وانهم يؤمنون به إن أدركوه[٢].

وروي عن ابن عباس: أنها منسوخة بقوله تعالى: «ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه»[٣]. وهذا بعيد؛ لأنّ النسخ لا يجوز أن يدخل في الخبر الذي يتضمّن الوعيد، وانما يجوز دخوله فيما طريقه الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها.

وقال قوم: إن حكمها ثابت، والمراد بها: إنّ الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم من المنافقين هم واليهود والنصارى والصابئين إذا آمنوا بعد النفاق واسلموا عند العناد، كان لهم أجرهم عند ربهم؛ كمن آمن في أول الاسلام من غير نفاق ولا عناد؛ لأنّ قوماً من المسلمين قالوا: إنّ من أسلم بعد نفاقه وعناده كان أجره أقلّ وثوابه أنقص. وأخبر الله بهذه الآية أنهم سواء في الأجر والثواب.

وأولى الأقاويل ما قدّمنا ذكره، وهو المحكي عن مجاهد والسدي: «ان الذين آمنوا» من هذه الأمة «والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن»

---

(١) ديوانه: ج٢ ص٥٩٠، وفيه «واثقتني» بدل «عاهدتني».

(٢) أسباب النزول للواحدي: ص١٥.

(٣) أنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٥٦-٢٥٧، والآية من سورة آل عمران: ٨٥.

من اليهود والنصارى والصابئين «بالله واليوم الآخر فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[١] لأنّ هذا أشبه بعموم اللفظ، والتخصيص ليس عليه دليل.

وقد استدلّت المرجئة بهذه الآية على أن العمل الصالح ليس من الايمان؛ لأنّ الله تعالى أخبر عنهم بأنهم آمنوا، ثم عطف على كونهم مؤمنين أنهم إذا عملوا الصالحات ما حكمهم[٢].

قالوا: ومن حمل ذلك على التأكيد أو الفضل فقد ترك الظاهر.

وكل شيء يذكرونه مما ذكر بعد دخوله في الأول مما ورد به القرآن نحو قوله: «فيهما فاكهة ونخل ورمان»[٣] ونحو قوله: «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح»[٤] ونحو قوله: «والذين كفروا وكذبوا بآياتنا»[٥] وقوله: «الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله»[٦] قالوا: جميع ذلك مجاز، ولو خلّينا والظاهر لقلنا: إنّه ليس بداخلٍ في الأوّل.

فان قالوا: أليس الاقرار والتصديق من العمل الصالح فلابدّ لكم من مثل ما قلناه؟

قلنا:عنه جوابان:

أحدهما: إنّ العمل لا يطلق إلّا على أفعال الجوارح؛ لأنّهم لا يقولون:

---

(١) حكىٰ ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٥٧.

(٢) في المطبوعة والحجرية والخطية: «حكمها».

(٣) الرحمن: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ٧.

(٥) المائدة: ٨٦.

(٦) محمّد: ١.

عملت بقلبي، وانما يقولون: عملت بيدي أو برجلي .

والثاني: إنّ ذلك مجاز، وتحمل عليه الضرورة، وكلامنا مع الإطلاق .

وقوله: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» يعني لا خوف عليهم مما قدموا عليه من أهوال القيامة، ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من الدنيا عند معاينتهم ما أُعدّ لهم من الثواب، والنعيم المقيم عنده[1]. وقيل: انّه لا يحزنون من الموت .

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ آية بلا خلاف .

تقديره: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم .

اللغة:

الميثاق المفعال من الوثيقة إمّا بيمين وإمّا بعهد، وغير ذلك من الوثائق. والميثاق الذي أخذه الله هو الذي ذكره في قوله: «واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلّا الله وبالوالدين إحساناً»[2] في الآيات التي ذكر بعدها .

ويحتمل أن يكون أراد الميثاق الذي أخذ الله على الرسل في قوله: «واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم»[3] وقوله: «واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما

---

(١) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٥٤.
(٢) البقرة: ٨٣.
(٣) الأحزاب: ٧.

اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدّقٌ لما معكم لتؤمِنّنَ به ولتنصُرَنّه قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري»(١) .

وقد بينّا إنّ أخذ العهد هو ما نصب لهم من الحجج الواضحة والبراهين الصحيحة، الدالّة على توحيده وعدله، وصدق انبيائه ورسله، وأفسدنا ما يقوله أهل الحشو؛ من استخراج الذرية من ظهر آدم وأخذ العهد عليهم بما لا يحتاج الى اعادته .

المعنىٰ :

وقوله: «ورفعنا فوقكم الطور» .

قال مجاهد: الطور هو الجبل(٢). وكذلك هو في اللغة(٣) وقال العجّاج:

دانى جناحيه من الطور فر   تقضّي البازي اذا البازي كسر(٤)

وقيل: إنه اسم جبل بعينه ناجى الله عليه موسى بن عمران، ذهب اليه ابن عباس وابن جريج .

وقيل: انّه من الجبال التي تنبت دون ما لا تنبت، رواه الضحّاك عن ابن عباس .

وقال قتادة:«ورفعنا فوقكم الطور» قال: الطور الجبل اقتلعه فرفعه فوقهم، فقال: «خذوا ما آتيناكم بقوة» .

---

(١) آل عمران: ٨١.

(٢) تفسيره: ص٢٠٤.

(٣) العين: مادة «طور» ج٧ ص٤٤٦، والصحاح: مادة «طور» ج٢ ص٧٢٧، وتهذيب اللغة: مادة «طور» ج١٤ ص١٠.

(٤) ديوانه: ص١٧.

وقال مجاهد: الطور اسم جبل بالسريانية. وقال قتادة: بالعربية[١] .

وقال قوم من النحويين: معنى خذوا تقديره: ورفعنا فوقكم الطور وقلنا لكم خذوا ما اتيناكم يعني التوراة بقوة أي بجدٍ ويقين لا شك فيه، والا قذفناه عليكم، كما تقول: أوحيت اليه قم أي أوحيت اليه فقلت قم[٢] .

وقال الفرّاء: أخذ الميثاق قول فلا حاجة بالكلام الى إضمار قول [فيه] فيكون من كلامين، غير أنه ينبغي لكل ما خالف القول من الكلام الذي هو بمعنى القول أن تكون معه (أن) كما قال تعالى: «إنا أرسلنا نوحاً الى قومه أن أنذر قومك»[٣] قال: ويجوز حذف أن[٤] .

ومعنى «ما آتيناكم» أي أعطيناكم؛ لأن الايتاء هو الاعطاء يعني ما أمرناكم به في التوراة .

«بقوة» أي بجدٍّ ويقين على ما بينّاه، وهو قول ابن عباس وقتادة والسدي. وقال ابو العالية والربيع بن انس: بطاعة الله[٥]. وقال مجاهد: إنه العمل بما فيه[٦]. وحكي عن ابن نجران معناه: القبول[٧] .

---

(١) نقل أقوالهم ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٥٧-٢٥٨، وانظر تفسير مجاهد: ص٢٠٤.

(٢) نسب ذلك الطبري الى نحويّي البصرة، انظر تفسيره: ج١ ص٢٥٨، وانظر معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٧٧، ومعاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٤٣، وفي الخطّية: «أوحيت عليه» وفي مجمع البيان: «أوجبت عليه»، بدل «أوحيت اليه» المطابق لما في معاني القرآن للاخفش فلاحظ ذلك.

(٣) نوح: ١.

(٤) نسب الطبري ذلك الى نحويّي أهل الكوفة في تفسيره: ج١ ص٢٥٨، ولم نقف عليه في كتابه.

(٥) حكى أقوالهم ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٥٨.

(٦) تفسيره: ص٢٠٥.

(٧) لم نعثر عليه.

وقال أبو علي: «بقوة» معناه بالقدرة التي جعلنا فيكم، وذلك دلالة على ان القدرة قبل الفعل[١].

ومعنى «اذكروا ما فيه» قال قوم: احفظوه لا تنسوه. وقال آخرون: اعملوا بما فيه ولا تتركوه[٢].

والمعنى في ذلك إنّ ما آتيناكم فيه من وعد ووعيد وترغيب وترهيب اعتبروا به واقبلوه وتدبّروه، كي اذا فعلتم ذلك تتقوني وتخافوا عذابي بالاصرار على ضلالتكم فتنتهوا الى طاعتي، فتنزعوا عما أنتم عليه من المعصية.

قوله تعالى:

ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ آية.

التفسير:

قوله: «تولّيتم» أعرضتم ووزنه تفعّلتم، من قولهم: ولاني فلان دبره اذا استدبر عنه وجعله خلف ظهره. ثمّ يستعمل ذلك في كلّ تارك طاعة آمرٍ، ومعرض بوجهه، يقال: فلان تولّى عن طاعة فلان، ويتولى عن مواصلته وصداقته، ومنه قوله: «فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولّوا وهم معرضون»[٣] يعني خالفوا ما وعد الله من قولهم: «لئن آتانا من فضله لنصدّقن ولنكونن من الصالحين»[٤] ونبذوا ذلك وراء ظهورهم؛ فصار

---

(١) الظاهر انه أبو علي الجُبّائي، ومؤلفاته غير متوفّرة لدينا.

(٢) اخرج ذلك الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٥٩.

(٣) التوبة: ٧٦.

(٤) التوبة: ٧٥.

معنى الآية انكم نبذتم العهد الذي أخذناه عليكم بعد إعطائكم المواثيق. وكنّى بذلك عن جميع ما تقدم ذكره في الآية.

ثم قال: «فلولا فضل الله عليكم» يعني فلولا أن تفضّل الله عليكم بالتوبة بعد نكثكم الميثاق الذي واثقتموه؛ إذ رفع فوقكم الطور فاجتهدتم في طاعته، وأداء فرائضه، وانعم عليكم بالاسلام، وبرحمته التي رحمكم بها، فتجاوز عن خطيئتكم بمراجعتكم طاعة ربكم «لكنتم من الخاسرين» وهذا وان كان خطاباً لمن كان بين ظهراني مهاجر رسول الله صلّى الله عليه وآله فانما هو خبر عن أسلافهم، فاخرج الخبر مخرج الخبر عنهم، على نحو ما مضى ذكره.

وقال قوم: الخطاب في هذه الآية انما اخرج باضافة الفعل الى المخاطبين والفعل لغيرهم؛ لأنّ المخاطبين انما كانوا يتولّون من كان فعل ذلك من أوائل بني اسرائيل، فصيّرهم الله منهم من أجل ولايتهم لهم.

وقال بعضهم: انما قال لهم ذلك؛ لأن سامعيه كانوا عالمين، وان الخطاب خرج مخرج الخطاب للأحياء من بني اسرائيل واهل الكتاب؛ وان كان المعنى في ذلك انما هو خبر عما مضى من أسلافهم(١)، ومثل ذلك قول الشاعر:

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا(٢)

فقال: اذا ما انتسبنا، و (اذا) تقتضي من الفعل مستقبلاً، ثم قال: لم تلدني فأخبر عن ماضٍ؛ لأن الولادة قد مضت [وانما فعل ذلك عند المحتج

(١) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٦٠.

(٢) نسبه الفرّاء الى بعض العرب في معاني القرآن: ج١ ص٦١ و١٧٨.

به][1] لأن السامع فهم معناه،والأول أقوى .

وقال ابو العالية: فضل الله الاسلام ورحمته القرآن[2] .

وقوله: «فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين» لا يدلّ على انّ الذين خسروا لم يكن عليهم فضل الله؛ لأن فضل الله شامل لجميع الخلائق، لأن ذلك دليل خطاب، وليس ذلك بصحيح عند الأكثر.

والذي يكشف عن ذلك ، إنّ الواحد منّا قد يعطي أولاده وعبيده ويتفضّل على جميعهم، ثم يبذره بعضهم ويبقى فقيراً، ويحفظه آخر فيصير غنياً، ويحسن ان يقول للغني منهم:لولا فضلي عليك لكنت فقيراً، ولا يدلّ على انه لم يتفضّل على الذي هو فقير، واذا كان كذلك كان تأويل الآية إنّه لولا اقداري لكم على الايمان وازاحة علّتكم فيه حتى فعلتم ايمانكم، لكنتم من الخاسرين .

وانما جعل الايمان فضلاً فيؤتيه الذين به ينجون ولم يكونوا خاسرين من حيث كان هو الداعي اليه والمقدر عليه والمرغب اليه .

ويحتمل أن يكون المعنى: ولولا فضل الله عليكم بامهاله اياكم بعد تولّيكم عن طاعته، حتى تاب عليكم برجوع بعضكم عن ذلك وتوبته لكنتم من الخاسرين .

ويحتمل أن يكون أراد بهذا الفضل في وقت رفع الجبل فوقهم باللطف والتوفيق الذي تابوا عنده حتى زال عنهم العذاب وسقوط الجبل، ولولا فضل الله لسقط الجبل .

---

(١) ما بين المعقوفتين أضفناه من تفسير الطبري توضيحاً للعبارة.

(٢) أخرج ذلك عنه ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٦٠.

قوله تعالى:

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ آية.

المعنى:

علمتم أي عرفتم هاهنا، فقوله: علمت أخاك ولم اكن أعلمه أي عرفته ولم أكن اعرفه، كقوله تعالى: «وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم»[1] يعني لا تعرفونهم الله يعرفهم.

و«الذين» نصب، لانه مفعول به، «اعتدوا» أي ظلموا وجاوزوا ما حدّ لهم، وكانوا أُمروا ألا يعدوا في السبت، وكانت الحيتان تجتمع لأمنها في السبت، فحبسوها في السبت وأخذوها في الأحد.

و«اعتدوا في السبت» لأن صيدها هو حبسها، وقال قوم: بل اعتدوا فصادوا يوم السبت[2].

وسمّي السبت سبتاً؛ لأن السبت هو القطعة من الدهر فسمي بذلك اليوم، هذا قول الزجاج[3].

وقال ابو عبيدة: سمّي بذلك؛ لانه يوم سبت فيه خلق كل شيء أي قطع وفرغ.

وقال قوم: سمّي بذلك، لأن اليهود يسبتون فيه أي يقطعون الأعمال.

---

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٦٠.

(٣) لم نعثر عليه في كتابه، ونقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٣٥.

وقال آخرون: سمّي بذلك لما لهم فيه من الراحة. لأن أصل السبت هو السكون والراحة، ومن ذلك قوله: «وجعلنا نومكم سباتاً»، وقيل للنائم: مسبوت لاستراحته وسكون جسده، فسمي به اليوم لاستراحة اليهود فيه[١].

وقوله: «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» أخبار عن سرعة فعله ومسخه إيّاهم، لا أنّ هناك أمراً كما قال للسمٰوات والأرض: «إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين»[٢] ولم يكن هناك قول، وانما أخبر عن تسهّل الفعل عليه وتكوينه له بلا مشقة بلفظ الأمر.

ومعنى الآية على ما قاله أكثر المفسّرين: انّه مسخهم قردة في صورة القردة سواء.

وحكي عن ابن عباس انه قال: لم يعش مسخ قط أكثر من ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب[٣].

وقال مجاهد: إنّ ذلك مثلٌ ضربه الله، كما قال: «كمثل الحمار يحمل أسفاراً» ولم يمسخهم قردة. وحكي عنه ايضاً انه قال: مسخت قلوبهم فجعلت كقلوب القردة لا تقبل وعظاً ولا تقي زجراً[٤].

وهذان القولان منافيان لظاهر التأويل لما عليه أكثر المفسرين من غير ضرورة داعية اليه.

وقوله: «خاسئين» أي مبعدون، لأنّ الخاسىء هو المبعد المطرود كما

---

(١) راجع في ذلك تفسير الطبري: ج١ ص٢٦٠-٢٦٤.

(٢) فصلت: ١١.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٦١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٣٥.

(٤) تفسيره: ص٢٠٥.

يخسأ الكلب، تقول منه:[خسأه اخسؤه خسئاً وخسياً هو يخسو خسواً، يقال][١]: خسأته فخسأ وانخسأ، قال الراجز:

كالكلب ان قلت له إخسأ انخسا[٢]

أي إن طردته انطرد، وقال مجاهد: معناه اذلاء صاغرين[٣]. والمعنى قريب.

وفي هذه الآيات احتجاج من الله تعالى بنعمه المترادفة، واخبار للرسول عن عناد أسلافهم، وكفرهم مرّة بعد أُخرى مع ظهور الآيات والعلامات، تعزية له صلّى الله عليه وآله وتسلية له عندما رأى من جحودهم وكفرهم، وليكون وقوفه على ما وقف عليه من أخبارهم، حجّةً عليهم وتنبيهاً لهم وتحذيراً أن يحلّ بهم مما حلّ بمن تقدّمهم من آبائهم وأسلافهم.

قوله تعالى:

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

الضمير في قوله: «فجعلناها» يحتمل أن يكون راجعاً الى العقوبة أو القردة، فكأنّه قال: جُعل القردة - أي ما حلّ بها من التشويه وتغيير الخلقة -

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الخطية، وموجود في المطبوعة والحجرية.

(٢) أورده الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٦٤.

(٣) تفسيره: ص٢٠٥.

دلالة على انّ من تقدّمـهم أو تأخر عنهم ممن[1] فعل مثل فـعلهم يستـحقّ من العقاب مثل الذي نزل بهم نكالاً لهم جميعاً، «وموعظة للمتقين» أي تحذيراً وتنبيهاً، لكيلا يـواقعوا من المعاصي مـا واقع أُولئك، فيستحقّوا ما استحقوا، نعوذ بالله من سخطه.

ويحتمل أن تكون (الهاء) راجـعة الى الحيتان. ويحتمل أن تكون راجعة الى القرية التي اعتدوا اهلها فيها. ويحتمل ان تكون (الهاء) راجعة الى الأُمة الذين اعتدوا وهم أهل ايـلة ـقرية على شاطئ البـحرـ وروي ذلك عن أبي جعفر عليه السلام[2].

وقوله: «نكالاً» قال ابن عـباس: عقوبة[3]. وقال غيره: ينكل بها من يراها[4]. وقيل: انّها شـهرة؛ لأن النـكال الاشتهار بالـفضيحة، ذكر ذلك الجبائي، وليس بمعروف.

والنكال الارهاب للغير وأصله المنع؛ لانه مأخوذ من النكل وهو القيد، وهو أيضاً اللجام وكلاهما مانع.

وقوله: «لما بين يديها وما خلفها» روي عن عكرمة عن ابن عباس: انه أراد «ما بين يديها وما خـلفـها» من القرى. وروي عن الضحـاك عن ابن عباس: انـه أراد «ما بين يديها» يـعني من بعدهم من الامم،«ومـا خلفها» الذين كانوا معهم باقين.

وقال السدي: «ما بين يـديها» من ذنـوبها،«وما خلفها» يـعني عبرة لمن

---

(١) في النسخة الخطية والحجرية والمطبوعة (فمن)، وما أثبتناه هو الصحيح استناداً الى مجمع البيان.

(٢) تفسير العياشي: ج٢ ص٣٣.

(٣) تفسيره: ص١١.

(٤) انظر تهذيب اللغة: مادة «نكل» ج١٠ ص٢٤٦.

يأتي بعدهم من الامم (١) .

وقال قتادة: «لما بين يـديها» ذنوبها،«وما خلفها» عبرة لمن يأتي خلفهم بعدهم من الامم (٢) .

وقال قتادة: «لما بين يديها» ذنوب القوم،«وما خلفها» الحيتان التي أصابوها (٣) .

وقال مجاهد: «ما بين يديها» ما مضى من خطاياهم،«وما خلفها» من خطاياهم التي اهلكوا بها(٤) .

«وموعظة للمتقين» خصّ المتقين بها ـ وان كانت موعظة لغيرهم ـ لانتفاع المتقين بها دون الكافرين، كما قلناه في غيره، كقوله: «هدىً للمتقين» .

وأصل النكال العقوبة، تقول: نكل فلان بفلان ينكلُ تنكلاً ونكالاً، قال عدي بن زيد:

لا يسخط المليك ما يصنع العبـ ـد ولا في نكاله تنكير(٥)

وأقوى التأويلات ما رواه الضحاك عن ابن عباس: من انها كناية عن العقوبة والمسخة التي مسخها القوم؛ لأنّ في ذلك اشارة الى العقوبة التي حلّت بالقوم، وإن كانت باقي الأقوال أيضاً جائزة .

---

(١) حكى أقوالهم الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٦٥.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٦٥، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٣٦.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) تفسيره: ص٢٠٥.

(٥) ذكره ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٦٥.

قوله تعالى:
وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أبو عمرو ونافع والكسائي وابن عامر «هُزُؤاً» مثقلاً، وكذلك «كُفُؤاً» مثقلة وقرأوا جزْءاً مخففاً، وعاصم يثقلهن ويخففهن، وحمزة يخففهن ثلاثهن[١] .

قوله: «واذ» معطوفة على قوله: «واذكروا نعمتي التي انعمت عليكم» [أي] واذكروا إذ قال موسى لقومه. وأهل الحجاز يثقّلون هذه الكلمات، وبنو أسد وتميم وعامة قيس يخففونهن، ومن لا يحصى ممّن تجاوزهم يقولون عن مكان اذا كانت الهمزة مفتوحة يجعلونها عيناً، ويقولون: اشهد عنك رسول الله، فاذا كسروها رجعوا الى لغة أهل الحجاز الى الهمزة .

المعنى:

وهذه الآية فيها توبيخ للمخاطبين من بني اسرائيل في نقض أوائلهم الميثاق والذي أخذه الله عليهم بالطاعة لأنبيائه، فقال: واذكروا أيضاً من نكثهم ميثاقي إذ قال موسى لقومه: إن الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً .

والهزء والسخرية واللعب نظائر، قال الراجز:

---

(١) الحجّة في علل القراءات: ج٢ ص٨١-٨٣، والسبعة في القراءات: ص١٥٧.

قد هزئت مني أُمّ طيلسه قالت أراه معدماً لا شيء له[١]

أي سخرت ولعبت، ولا يجوز أن يقع من انبياء الله عز وجل فيما يؤدّونه هزوٌ ولا لعب، وظنّوا في أمره إياهم عن الله بذبح البقرة عند تدارئهم في القتيل انه هازىء لاعب، ولم يكن لهم ذلك.

وحذفت الفاء من قوله: أتتخذنا هزواً -وهو جواب- لاستغناء ما قبله من الكلام عنه وحسن السكوت على قوله: إنّ الله يأمركم ان تذبحوا بقرة فجاز لذلك اسقاط الفاء من قوله: «فقالوا» كما حسن اسقاطها في قوله: «فما خطبكم أيها المرسلون* قالوا انا أُرسلنا»[٢] ولم يقل:فقالوا، ولو قيل بالفاء لكان حسناً. ولو كان ذلك على كلمة واحدة لم تسقط منه الفاء،ألا ترى أنك اذا قلت: قمت ففعلت، لم يجز اسقاط الفاء لأنها عطف لا استفهام يوقف عليه.

فقال موسى حينئذٍ: «أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» يعني السفهاء الذين يردون على الله الكذب والباطل. وكان السبب في أمر موسى لقومه بذبح البقرة ما ذكره المفسّرون أن رجلاً من بني اسرائيل كان غنياً ولم يكن له ولد وكان له قريب يرثه، قيل: انه أخوه، وقيل: انه ابن اخيه، وقيل: ابن عمه، واستبطأ موته فقتله سراً وألقاه في موضع بعض الاسباط، وادّعى قتله على أحدهم فاحتكموا الى موسى، فسأل من عنده من ذلك علم، فقالوا: أنت نبي الله وانت أعلم منا، فقال: انّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً فلما سمعوا ذلك منه -وليس في ظاهره جواب عما سألوا عنه- قالوا: أتتخذنا

---

(١) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٦٧، قائله صخير بن عمير التميمي، وقيل:الأصمعي.

(٢) الذاريات: ٣١-٣٢.

هزواً،قال: اعوذبالله أن أكون من الجاهلين؛ لأن الخروج عن جواب السائل المسترشد الى الهزء جهل[١] .

وقال بعضهم: وانما أُمروا بذبح البقرة دون غيرها؛ لأنها من جنس ما عبدوه من العجل ليهون عليهم ما كانوا يرونه من تعظيمهم وليعلم باجابتهم زوال ما كان في نفوسهم من عبادته .

والبقرة اسم الانثى، والثور للذكر، مثل ناقة وجمل، وامرأة ورجل، فيكون تأنيثه بغير لفظه .

والبقرة مشتقّ من الشق، يقولون: بقر بطنه إذا شقّه؛ لأنها تشقّ الأرض في الحرث .

قوله تعالى:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ۚ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ آية .

الفارض الكبيرة المسنّة، وبه قال الجمهور[٢] ، يقال منه: فرضت البقرة تفرض فروضاً، وفرضت تفرض فراضة إذا أسنّت، قال الشاعر:

لعمري لقد أُعطيت جارك فارضاً تساق إليه ما تقوم على رجل[٣]

وقيل: إنّ الفارض التي قد ولدت بطونا كثيرة فيتسع لذلك جوفها؛ لأن معنى الفارض في اللغة الواسع، وهوقول بعض المتأخرين، واستشهد بقول الراجز:

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٢٦٧-٢٦٨ ، وتفسيرالماوردي: ج١ ص١٣٧ .

(٢) أمالي المرتضى: ج٢ ص٣٩، وتفسير الطبري: ج١ ص٢٧١، وتفسيرالماوردي: ج١ ص١٣٨ .

(٣) البيت لعلقمة بن عوف كما في لسان العرب: مادة «فرض» ج ١٠ ص٢٣١، وفيه تفاوت.

يــارب ذي ضـغــن علي فــارض لــه قــروء كـقــروء الحـائض[١]

ومنه قول الراجز:

هـدلاء كـالـوطـب تجاه المـاخض لهــا زجــاجٌ ولهــاةٌ فــارض[٢]

ويقال: لحية فارضة إذا كانت عظيمة، قال الشاعر:

شَيَّـبَ أصـداغـي فـرأسـي أبيضُ محـامـلٌ فيهـا رجـالٌ فُـرّض[٣]

أي ذو أسنان،وقال الجبائي: الفـارض التي لم تلد بطوناً كثيـرة، فيتسع لذلك بطنها. قال الرماني: وهذا غلط لا يعرف[٤].

والبكر الصغيرة التي لم تحمل. والبِكر من إناث البهائم و بني آدم ما لم يفتحله الفحل، مكسورة الباء. والبَكر ـبفتح الباءـ الفتي من الإبل .

والـعوان النصف التي قـد ولـدت بطناً أو بطنين، قـال الفراء[٥]: يقال من العوان عوّنـت المرأة تعويناً ـبالفتح والتشديدـ،وعونت إذا بلغت ثلاثين سنة. وقال أبـو عـبيـدة: إنما قال: «عوان بين ذلك » ولم يـقـل:بينهما، لأنه أخرجـه على لفظـة واحدة على معنى بين هـذا الذي ذكـرناه، قـال رؤبة في صفة العير:

فـيـه خطـوط مــن ســوادٍ وبَـلَـق كـأنّـه في الجلـد تـوليـع البهق[٦]

قال أبو عبيـدة: [فـقـلت لرؤبة]:إن أردت الخطوط فقـل: كـأنها، وإن

(١) الرجز لثمامة، ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «فرض» ج١٢ ص١٥مع تفاوت.

(٢) ذكر مصراعه الثاني الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «زج» ج١٠ ص٤٥٤.

(٣) ذكره الجوهري في الصحاح: مادة «فرض» ج٣ ص١٠٩٨، ناسباً القول هذا الى الأخفش.

(٤) لا توجد لدينا مؤلّفاتها.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٤٤-٤٥.

(٦) ذكر مصراعه الثاني الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «بهق» ج٥ ص٤٠٧.

أردت السواد والبلق فقل: كأنهما، فقال: كان ذلك وذاك [١].

قال الفرّاء: إنما يصحّ أن يكنّى عن الاثنين بقولهم ذاك في الفعلين خاصّة، ولا يجوز في الاسمين؛ ألا ترى أنهم يقولون: اقبالك وادبارك يشقّ علي، لأنهما مشتقّان من فعل. ولم يقولوا: أخوك وأبوك يزورني حتى تقول: يزوراني[٢]. وقال الزجاج: تقول: ظننت زيداً قائماً، فيقول القائل: ظننتُ ذلك وذاك [٣]، قال الشاعر في صفة العوان:

خرجْن عليه بين بكرٍ عويرة وبين عوان بالعمامة ناصف[٤]

«بين ذلك» يعنيَ بين الكبيرة والصغيرة، هو أقوى ما يكون من البقر وأحسنهَ، قال َالأخطل:

وما بمكة من شمطٍ محفّلة وما بيثرب من عون وأبكار[٥]

ويقال: بقرة عوان، وبقر عون، قال الأخفش: «لا فارضٌ ولا بكرٌ» ارتفع ولم ينتصب كما ينتصب النفي؛ لأنّ هذه صفة في معنى البقرة، والنفي المنصوب لا يكون صفة من صفتها؛ انما هو اسم مبتدأ وخبره مضمر. وهذا مثل قولك: عبد الله لا قائمٌ ولا قاعدٌ، أدخلت لا للنفي وتركت الاعراب على حاله، لو لم يكن فيه لا[٦].

ثم قال: «عوان» فوقع على الابتداء، كأنّه قال: هي عوان. ويقال

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١ ص٤٣-٤٤.
(٢) معاني القرآن: ج١ ص٤٥.
(٣) معاني القرآن: ج١ ص١٥٠.
(٤) لم نعرف قائله.
(٥) ديوانه: ص٢٣، وفيه «بزمزم» بدل «بمكة».
(٦) معاني القرآن للاخفش: ج١ ص٢٧٩.

أيضاً: عوانة، قال الأعشى:

بكميت عرفاء مجمرة الخف عرتها عوانة وفتاق[١]

قوله تعالى:

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ آية بلا خلاف .

الاعراب والمعنى:

«لونُها» رفع لأنّ «ما» ليست زائدة، بل هي بمعنى أي، كأنهم قالوا: أي شيء لونها؟ وقوله: «يبيّن» جزم لأنه جواب الأمر بغير ياء .

ومعنى الآية: إنّ قوم موسى قالوا: ياموسى أُدع لنا ربك يبيّن لنا ما لون البقرة التي أُمرنا بذبحها .

واما قوله: «صفراء» قال الحسن: المراد به سوداء شديدة السواد[٢]، تقول العرب: ناقة صفراء أي سوداء، قال الشاعر:

تلك خيلي منه وتلك ركابي هنّ صفر ألوانها كالزبيب[٣]

يعني ركابي هنّ سود. غير أن هذا وان وصفت به الابل فليس مما توصف به البقر؛ مع أنّ العرب لا تصف السواد بالفقوع، وانما تصفه بالشدة وبالحلوكة ونحوها، تقول: أسود حالك وحائك وحلكوك وغربيب ودجوجي، ولا تقول: فاقع .

---

(١) ديوانه: ص١٢٧. وفي المطبوعة والحجرية والخطية «أو فاق» بدل «وفتاق».

(٢) نقله الطبري في التفسير: ج١ ص٢٧٣.

(٣) البيت للأعشى الكبير، أُنظر ديوانه: ص٢٧.

وقال أكثر المفسّرين: إنها صفراء اللون من الصفرة المعروفة[١]، وهذا الصحيح؛ لأنه الظاهر، ولأنه قال: «فاقع لونها» وهو الصافي ولا يوصف السواد بذلك ـعلى ما بيّناه ـ فاما ما ابيضّ فيؤكّدونه بأنه ناصع، واخضر ناضر واصفر فاقع.

وقال سعيد بن جبير: المعني في الآية بقرة صفراء القرن والظلف[٢].

وقال مجاهد: صفراء اللون كله[٣]. وهو الظاهر لأنه قال: فاقع لونها، فوصف جميع اللون بذلك.

وقال ابن عباس: أراد بذلك صفراء شديدة الصفرة[٤]. وقال غيره: خالص. وقال ابو العالية وقتادة: الصافي[٥].

وقوله: «تسر الناظرين» فالسرور ما يسرّ به القلب، والفرح ما فرحت به العين. وقيل معناه: تعجب الناظرين. ومن القرّاء من اختار الوقف على قوله: «صفراء»، والصحيح إنّ الوقف انّما يجوز عند تمام النعت كله. وقال قوم: التمام عند قوله: «فاقعٌ» ويقال: فقع لونها يفقّع ـبالتشديد وضم الياء ـ ويَفقَع ـبالتخفيف وفتح الياء ـ فقوعاً اذا خلُصَت صفرته.

* * *

---

(١) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٧٣، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٣٩.

(٢) اخرج ذلك عنه الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٧٣-٢٧٤.

(٣) تفسيره: ص٢٠٦.

(٤) اخرج ذلك عنه ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٧٤.

(٥) نقل القولين الطبري في التفسير: ج١ ص٢٧٤.

قوله تعالى:

﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَـٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ آية واحدة.

القراءة:

القراء كلّهم على تخفيف الشين مفتوحة الهاء، وقرأ الحسن بتشديد الشين، وضم الهاء. وقرأ الاعمش إنّ البقر متشابهٌ. وكذا هو في مصحف ابن مسعود[١]. والمعمول على ما عليه القرّاء وما هو في المصحف المعروف.

تقدير الكلام، قال قوم موسى لما أُمروا بذبح البقرة لموسى، وترك ذكر موسى، لدلالة الكلام عليه.

الإعراب واللغة:

وأهل الحجاز يؤنّثون البقر، فيقولون: هذه بقر وكذلك النخل. وكل جمع كان واحده بالهاء، وجمعه بطرح الهاء، فانهم يؤنثون ذلك وربما ذكروا ذلك، قال الله تعالى: «كأنهم أعجاز نخلٍ خاوية»[٢] بالتأنيث وفي موضع آخر: «كأنهم اعجاز نخل منقعر»[٣] والأغلب عليهم التأنيث. وأهل نجد يذكّرون وربما أنّثوا، والتذكير الغالب. فمن ذكّر نصب الهاء من «تشابه» يعني التبس واشتبه، ومن أنث رفع الهاء لأنه يريد يتشابه علينا.

---

(١) راجع معاني القرآن للاخفش: ج١ ص٢٨٠.

(٢) الحاقة: ٧.

(٣) القمر: ٢٠.

والبقر والباقر والجامل والجمال بمعنى واحد. وقرأ بعضهم إنّ الباقر تشابه علينا(١). وهو شاذ. قال الشاعر:

وما ذنبه إن عافت الماء باقر ... وما أن تعاف الماء إلّا لتضربا(٢)

وقال آخر:

مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً ... خلقا كحوض الباقر المتهدم(٣)

وقال آخر:

لهم جامل لا يهدأ الليل سامره(٤)

يريد الجمال. والذي ذهب اليه ابن جريج وقتادة ورووه عن ابن عباس عن النبي صلّى الله عليه وآله انهم أُمروا بأدنى بقرة، لكنّهم لما شدّدوا على أنفسهم، شدّد الله عليهم وأيم الله، لو أنّهم لم يستثنوا ماتبينت لهم الى آخر الدهر(٥). يعني انهم لو لم يقولوا «وانا ان شاء الله لمهتدون» بتعريف الله إيانا، وبما شاء له الله من اللطف والزيادة في البيان.

وكل من اختار تأخير بيان المجمل عن حال الخطاب استدلّ بهذه الآية على جواز ذلك، وسنبيّن ذلك فيما بعد إن شاء الله.

***

---

(١) معاني القرآن للاخفش: ج١ ص٢٨١.

(٢) الشعر للأعشى الكبير، ديوانه ص١٣.

(٣) البيت أورده الأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٢٨٢.

(٤) الشعر للحطيئة، أُنظر ديوانه: ص٢٥، وصدر البيت هكذا:

وان تكُ ذا شاءٍ كثيرٍ فانهم

(٥) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٧٥، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٤٠.

قوله تعالى:

قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٔـٰنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

المعنى ان البقرة التي أمرتكم بذبحها «لا ذلول» أي لم يذللها العمل باثارة الارض باظلافها،«ولا تسقي الحرث» معناه ولا يستقى عليها الماء، فيسقى [عليها] الزرع، كما يقال للدابة التي قد ذللها الركوب والعمل: دابة ذلول بيّنة الذِل -بكسر الذال- وفي مثله من بني آدم رجل ذليل بين الذلّ والمذلة.

قال الزجاج: يحتمل أن يكون أراد ليست بذلول وهي تثير الأرض(١). ويحتمل انها ليست ذلولة ولا مثيرة الأرض.

قيل: إنها كانت وحشية، في قول الحسن(٢).

«مسلّمة» معناه من السلامة، يقال منها:سلمت تسلم، فهي مسلّمة من الشية.

«لاشية فيها» لا بياض فيها ولا سواد. وقال قتادة: مسلّمة من العيوب، وبه قال الربيع. وقال ابن جريج: لا عوان فيها(٣).

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٥٢.

(٢) تفسيرالحسن البصري: ج١ ص١٠٠.

(٣) نقل أقوالهم ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٨٠، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٤١.

قال المؤرج[١]: «لا شية فيها» أي لا وضح فيها بلغة اردشنوه. والذي قاله أهل اللغة «لا شية فيها»: أي لا لون يخالف لون جلدها[٢].

واصله وشي الثوب، وأصله تحسين عيوب الشيء، يكون فيه بضروب مختلفة من الوان سداه ولحمته، يقال منه: وشيتُ الثوب أشيه شيةً ووشياً. ومنه قيل للساعي بالرجل الى السلطان أو غيره: واشٍ؛ لكذبه عليه عنده، وتحسينه كذبه عنده بالأباطيل، يقال: وشيتُ به وشاية، قال كعب بن زهير:

يسعىٰ الوشاة بجنبيها وقولهم إنّكَ يابن أبي سلمى لمقتول[٣]

يعني: انهم يتقوّلون الأباطيل ويخبرونه انه إن لحق بالنبي صلّى الله عليه وآله قتله.

وقال بعض أهل اللغة: إنّ الوشي العلامة، وأصله شية من وشيت، لكن لما أُسقطت منها الواو وأُبدلت مكانها الهاء في آخرها كما قالوا: وزنته زنة ووعدته عدة، وكذلك وشيته شية[٤].

وقالوا: «الآن جئت بالحق» موصولة الهمزة، واذا ابتدأت قطعت الألف الأُولىٰ؛ لأنّ الف الوصل إذا ابتدىء بها قطعت.

---

(١) المؤرِّج: هو أبوفيد مؤرج بن عمروبن الحارث السدوسي العجلي، ولد قبل سنة ١٥٠ هـ وهومن اللغويين ومن تلامذة الخليل الفراهيدي «رحمه الله» ويروى انه أقام مدّة في مدينة مَرو ـولذلك روى بعض العلماء المقيمين فيها كتابه «غريب القرآن»ـ ثم انتقل الى نيسابور. وقيل: انه رحل مع المأمون الى بغداد، وعلى هذا تكون وفاته بعد سنة ٢٠٤هـ.

(تاريخ التراث العربي: ج٨ ص٩٦).

(٢) تهذيب اللغة: مادة «وشى» ج١١ ص٤٤٤، والصحاح: مادة «وشى» ج٦ ص٢٥٢٤.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٧٩، وفيه: تسعى الوشاة جنابيها.

(٤) الكتاب لسيبويه: ج٣ ص٤٤٩ـ٤٥٠.

قـال الفراء: والأصل الأوان فحذفـت الـواو، والألف واللام دخلتا في آن لأنهما ينوبان عن الاشارة[١]. المعنى انـت الى هذا الوقت تفعل هذا، فلم تعرب الآن كما لم تعرب هذا.

ومن العـرب من يـقول: «قـالوا الآن جئـت بالحق» ويذهـب الوصل ويفتح اللام ويحذف الهمـزة التي بعد اللام ويثبت الـواو في (قالوا) ساكناً؛ لأنه انما كان يذهبه لسكون اللام، واللام قد تحركت لأنه حوّل عليها حركة الهمزة[٢]، قال الشاعر:

وقد كنت تخفي حـب سمراء حقبة فبـح لانَ منها بالـذي انت بايح[٣]

ومعنى قوله: «الآن جئت بالحق» يحتمل أمرين:

أحدهما: الان بينـت الحق، وهو قول قتادة[٤]. وهذا يدل على انه كان فيهم من يشـك في أنّ موسى عليـه السلام ما بيّن الحق. وقـال عبد الرحمن: يـريد انه حين بـيّنها لهم، قـالوا:هذه بقـرة فلان «الآن جئت بالحق»[٥] وهو قول من جوّز انه قبل ذلك لم يجيء بالحقّ على التفصيل وإن أتى به على وجه الجملة.

وقوله: «فذبحوها وما كادوا يفعلون» يحتمل أمرين:

أحـدهما: كادوا لا يـفعلـون أصـلا لغلاء ثـمنها؛ لأنه حـكـي عن ابن عباس ومحمد بـن كعب انهم اشتروها بملء جلدها ذهباً من مال المقتول[٦].

---

(١) حكى ذلك الأزهري عنه في تهذيب اللغة: مادة «الآن» ج١٥ ص٥٤٧.

(٢) نقله الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٥٢.

(٣) أنشده الاخفش،أنظر لسان العرب: ج١ ص٢٩٢.

(٤) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٨٠.

(٥) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٤١.

(٦) تفسير ابن عبّاس: ص١١، وتفسير الطبري: ج١ ص٢٨١.

وقيل: بوزنها عشر مرات.

والثاني: ما قال عكرمة ووهب: كادوا ألّا يفعلوا خوفاً من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قال عكرمة: ما كان ثمنها إلّا ثلاثة دنانير[١].

اللغة:

ومعنى كاد همّ ولم يفعل، ولا يقال: كاد أن يفعل، وانما يقال: كاد يفعل، قال الله: «ما كادوا يفعلون» قال الشاعر:

قد كاد من طول البلى ان يمصحا[٢]

يقال: مصح الشيء اذا فني وذهب يمصح مصوحاً، وأنشد الأصمعي:

كادت النفس أن تفيض عليه إذ ثوى حشو ريطة وبرود[٣]

ولا يجيء منه إلّا فعل يفعل وتثنيتها، وقال بعضهم: قد جاءت بمعنى إيقاع الفعل لا بمعنى الهمّ والقرب من ايقاعه، وأنشد قول الأعشى:

قد كاد يسمو الى الجرباء وارتفعا[٤]

الجرباء السماء، أي سما وارتفع، وقال ذو الرمة:

لو أن لقمان الحكيم تعرضت لعينيه ميّ سافراً كاد يبرق[٥]

---

(١) نقله الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٨٢.

(٢) الرجز في الصحاح: مادة «مصح» ج١ ص٤٠٥، وهو لرؤبة أوّله:

ربع عفاه الدهرُ طولاً فانمحى.

(٣) لسان العرب: مادة «نفس» ح١٤ ص٢٣٣.

(٤) ديوان الأعشى: ص١١٣، وفيه بهذا النصّ:

قد كان يسمو الى الجرفين واطّلعا.

(٥) ديوانه: ص١٦٤.

أي لو تعرضت لعينيه أي دهش وتحيّر. وروي عن أبي عبد الله السلمي انه قرأ «لا ذلولَ» بفتح اللام غير منوّن[1]؛ وذلك لا يجوز لأنّه ليس المراد النفي، وانما المراد بها بقرة غير ذلول. وعندنا انه لا يجوز في البقرة غير الذبح، فان نحر مختاراً لم يجز أكله،وفيه خلاف، ذكرناه في خلاف الفقهاء[2].

قد استدلّ اصحابنا بهذه الآيات على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة. فان قالوا: إنّ الله أمرهم بذبح بقرة هذه الصفات كلّها لها، ولم يبين ذلك في أوّل الخطاب حتى سألوا عنه وراجعوا فيه، فبيّن حينئذٍ المراد لهم شيئاً بعد شيء، وهذا يدلّ على جواز تأخير البيان.

فان قيل: ولم زعمتم أنّ الصفات المذكورة في البقرة الأُولى التي أُمروا بذبحها، وما الذي تنكرون انهم أُمروا بذبح البقرة أي بقرة كانت فلما راجعوا تغيّرت المصلحة فأمروا بذبح بقرة أُخرى هي لا فارض ولا بكر فلما راجعوا تغيّرت المصلحة فأُمروا بذبح بقرة صفراء فاقعٌ لونها فلما راجعوا تغيّرت المصلحة فأُمروا بذبح بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلّمة لاشية فيها، وانما يصحُّ لكم لو كانت الصفات المذكورة كلها مرادة في البقرة الأُولى؟

قلنا: هذا باطل، لأنّ الكناية في قوله: «قالوا ادع لنا ربك يبيّن لنا ما هي» لا يجوز أن تكون كناية إلّا عن البقرة التي تقدّم ذكرها وأُمروا

---

(١) شواذ القرآن: ص١٤.

(٢) الخلاف: ج٣ ص٢٤٩، مسألة ٢٤.

بذبحها؛ لأنه لم يجر في الكلام ما يجوز أن تكون هذه الكناية عنه إلّا البقرة، ويجري ذلك مجرى أن يقول واحد لغلامه: اعطني تفاحة،فيقول الغلام:ما هي؟ بيّنها،فلا يصرف واحد من العقلاء هذه الكناية إلّا الى التفاحة المأمور باعطائه ايّاها. ثم يقال بعد ذلك انها بقرة لا فارض ولا بكر، وقد علمنا إنّ الهاء في قوله: «انه يقول» كناية عنه تعالى؛ لأنه لم يتقدّم ما يجوز أن يكون كناية عنه إلّا اسمه تعالى. وكذا يجب أن يكون قوله: «انها» كناية عن البقرة المتقدّم ذكرها، وإلّا فما الفرق بين الأمرين؟ وكذلك الكلام في الكناية الثانية والثالثة سواء.

ولا خلاف بين المفسّرين إنّ الكناية في الآية من أولها الى آخرها كناية عن البقرة المأمور بها في الأول.

وقالت المعتزلة: انها كناية عن البقرة التي تعلّق التكليف المستقبل بها.

ولا خلاف بين المفسّرين إنّ جميع الصفات المذكورات للبقرة أعوز اجتماعها للقوم حتى توصّلوا الى اجتماع بقرة لها هذه الصفات كلّها بملء جلدها ذهباً.

وروي أكثر من ذلك. ولو كان الامر على ما قاله المخالف لوجب أن لا يعتبروا فيما يبتاعونه إلّا الصفات الأخيرة دون ما تقدّمها، وتلغى الصفات المتقدّمة [و] في اجماعهم على أنّ الصفات كلها معتبرة دليل على ان الله تعالى أخّر البيان.

فان قيل: لم عنّفوا على تأخيرهم امتثال الأمر الأول مع إنّ المراد بالأمر الأول تأخّر؟ ولم قال: «فذبحوها وما كادوا يفعلون»؟

قلنا: ما عنّفوا بتأخير امتثال الأمر الأوّل، وليس في الظاهر ما يدلّ

عليه، بل كان البيان يأتي شيئاً بعد شيء كما طلبوه من عنير تعنيف، فلا قول يدلّ على أنّهم بذلك عصاة.

فامّا قوله في آخر القصة: «فذبحوها وما كادوا يفعلون»، فانما يدلّ على انه كادوا يفرّطون في آخر القصة، وعند تكامل البيان، ولا يدل على أنّهم فرّطوا في أوّل القصّة.

ويقوي ذلك قوله تعالى بعد جمع الأوصاف: «الآن جئتَ بالحق» أي جئت به على جهة التفصيل، وان كان جاءهم بالحقّ مجملاً. وهذا واضح بحمد الله، وقد استوفينا الكلام في هذه الآية وغيرها في العدّة في أُصول الفقه[1] ما لا مزيد عليه.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ آية.

المعنى:

تقدير الآية: واذكروا إذقتلتم نفساً فادارأتم فيها، وهوعطف على قوله: «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم»[2] وهو متقدّم على قوله: «واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة»[3]، لأنهم انما أُمروا بذبح البقرة بعد تدارئهم في أمر المقتول.

ومعنى «ادارأتم» اختلفتم، واصله تدارأتم، فأُدغمت التاء في الدال بعد أن سكنت، وجعلوا قبلها ألفا لتمكن النطق بها. قال أبوعبيدة: ادارأتم بمعنى

(١) عدّة الأُصول: ص١٧٤.

(٢) البقرة: ٤٠.

(٣) البقرة: ٦٧.

اختلفتم فيها، من التدارؤ، ومن الدَرْء(١). وقيل: الدراء العوج، أي اعوججتم عن الاستقامة، ومنه قول الشاعر:

فنكّبَ عنهم درء الأعادي وداووا بالجنون من الجنون(٢)

أي اعوجاج الاعادي. وقال قوم: الدرء المدافعة(٣)، ومعناه تدافعتم في القتل، ومنه قوله: «ويدرأواعنها العذاب» (٤). وقال رؤبة بن العجاج:

ادركتها قدام كل مدره بالدفع عني درء كل عنجه(٥)

ويقال: فلان لا يداري ولا يماري أي لا يخالف، ومنه قوله: «والله مخرج ما كنتم تكتمون» أي مظهر ما كنتم تسرون من القتل.

قوله تعالى:

فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ آية بلا خلاف.

روى ابن سيرين عن أبي عبيدة السلماني قال: كان رجل من بني اسرائيل عقيما، وله مال كثير، فقتله وارثه، وجرّه فقدمه على باب اناس آخرين، ثم اصبح يدّعيه عليهم حتى تسلّح هؤلاء وهؤلاء، وأرادوا ان يقتتلوا، فقال ذوو النهى: أتقتتلون وفيكم نبي الله.

فامسكوا حتى أتوه، فأمرهم أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها، فقالوا:

---

(١) مجاز القرآن: ج١ ص٤٥.

(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١٤٢.

(٣) قاله الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٥٣.

(٤) النور: ٨.

(٥) ديوانه: ص١٦٦.

أتتخذنا هُزواً، قال: اعوذ بالله أن اكون من الجاهلين، قال: فوجدوها عند رجل، فقال: لا أبيعها إلّا بملء جلدها ذهباً ـ وكان بارّاً بأبيه ـ فعوّضه الله عن ذلك وجازاه عن برّه بأبيه، إذ باع البقرة بملء جلدها ذهباً، فضربوه ببعضها، فتكلّم، فقال: قتلني فلان، ثمّ عاد ميتاً فلم يورث قاتل بعده[١] .

واختلفوا في أي موضع ضرب من القتيل:

فقال الفراء: ضرب بذنبها[٢]. وقال البعض: أقل من النصف. وقال ابن زيد: ضرب ببعض آرابها. وقال ابو العالية: ضرب بعظم من عظامها. وقال السدي: ضرب بالبضعة التي بين الكتفين. وقال مجاهد وعكرمة وقتادة: ضرب بفخذ البقرة[٣] .

والهاء في قوله: «فاضربوه» كناية عن القتيل، والهاء في قوله: «ببعضها» كناية عن البقرة.

وهذه الأقاويل كلّها محتملة الظاهر. والمعلوم إنّ الله تعالى أمر أن يضرب القتيل ببعض البقرة، ولا يضرّ الجهل بذلك البعض بعينه؛ وانما أمرهم بذلك لأنهم اذا فعلوه أُحيي الميت، فيقول: فلان قتلني، فيزول الخلف والتداري بين القوم.

والقديم ـ تعالى ـ وان كان قادراً على الإخبار بذلك فانّ هذا أظهر، والاخبار به أعجب؛ لانه معجز خارق للعادة.

والتقدير في الآية: فقلنا اضربوه ببعضها فضربوه فحيي، كما قال:

---

(١) رواه الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٨٢.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٤٨.

(٣) ذكر أقوالهم الطبري في تفسيره: ج١ ص٢٨٥، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٤٣.

«اضربْ بعصاكَ الحجر فانفلق»(١) تقديره: فضرب فانفلق. وكذلك قوله: «يحي الله الموتىٰ» فيه إضمار كأنّه قال: فقلنا اضربوه ببعضها فحيي، «كذلك يحيي الله الموتى» أي اعلموا إنّ ما عاينتموه إنّ الله قادر على ان يحيي الموتى للجزاء والحساب الذي أوعدكم به.

ولما ضربوه ببعض البقرة أحياه الله تعالى، فقال: قتلني ابن اخي ثم قبض، وكان اسمه عاميل. فقال بنواخيه: والله ما قتلناه وكذبوا الحق بعد معاينته.

وانما جعل سبب إحيائه الضرب بموات لا حياة فيه؛ لئلا يلتبس على ذي شبهة أنّ الحياة انتقلت إليه مما ضرب به، لتزول الشبهة وتتأكّد الحُجّة.

وقوله: «كذلك يحيي الله الموتى» يحتمل أن يكون حكاية عن قول موسى لقومه، ويحتمل أن يكون خطاباً من الله تعالى لمشركي قريش.

وقوله: «لعلّكم تعقلون» أي لتعقلوا. وقد كانوا عقّالاً قبل ذلك؛ لأنّ من لا عقل له لا تلزمه الحجّة، لكنه أراد تنبيههم، وأن يقبلوا ما يدعون اليه ويطيعوه ويعرفوه حقّ معرفته.

قوله تعالى:

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ آية واحدة.

القراءة:

قرأ ابن كثير وحده هاهنا «عما يعملون» بالياء، والباقون بالتاء(٢).

---

(١) الشعراء: ٦٣.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٠، والحجة في علل القراءات السبع: ج٢ ص٩٠.

المعنى:

الخطاب بقوله: «قلوبكم» قيل فيمن يتوجّه اليه قولان:

أحدهما: إنّه أُريد بنو أخي المقتول حين أنكروا قتله بعد أن سمعوه منه عند إحياء الله تعالى له إنّه قتله فلان، هذا قول ابن عباس(١).

والثاني: قول غيره: انه متوجّه الى بني اسرائيل كلّهم، قال: وقوله: «من بعد ذلك» أي من بعد آيات الله كلها التي أظهرها على يد موسى(٢).

وعلى الوجه الأوّل يكون ذلك إشارة الى الإحياء.

ومعنى «قست قلوبكم» أي غلظت ويبست وعست.

اللغة:

القسوة ذهاب اللين والرحمة والخشوع والخضوع، ومنه يقال: قسا قلبه يقسو قسواً وقسوةً وقساوةً.

وقوله: «من بعد ذلك» أي من بعد إحياء الميت لكم ببعض من أعضاء البقرة بعد أن تدارأوا فيه وأخبرهم بقاتله، والسبب الذي من أجله قتله،وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهد هذا أن يخضع ويلين قلبه.

ويحتمل أن يكون من بعد إحياء الميت والآيات الأُخرى التي تقدّمت، كمسخ القردة والخنازير ورفع الجبل فوقهم وانبجاس الماء من الحجر وانفراق البحر وغير ذلك. وانما جاز ذلك وان كانوا جماعة، ولم يقل:

---

(١) تفسير الماوردي: ج١ ص١٤٤، وتفسير الطبري: ج١ ص٢٨٦.

(٢) احتمله الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٥٥.

(ذلكم)؛ لأن الجماعة في معنى الجمع والفريق، فالخطاب في لفظ الواحد ومعناه جماعة .

قوله: «فهي كالحجارة» يعني قلوبهم، فشبّهها بالحجارة في الصلابة واليبس والغلظ والشدّة، أي أشدّ صلابة؛ لامتناعهم بالاقرار اللازم من حقّه الواجب من طاعته بعد مشاهدة الآيات .

ومعنى «أو» في الآية يحتمل أُموراً:

أحدها: ذكره الزجاج فقال: هي بمعنى التخيير، كقولك: جالس الحسن أو ابن سيرين، أي أيّهما جالست جائز، فكانّه قال: إن شبّهت قلوبهم بالحجارة جاز، وان شبّهتها بما هو أصلب كان جائزاً[١] .

والثاني: أن تكون «أو» بمعنى الواو، وتقديره: فهي كالحجارة وأشدّ قسوة، كما قال: «وأرسلناه الى مائة الفٍ أو يزيدون»[٢][٣]، ومثله قول جرير:

نال الخلافة أو كانت له قدراً ... كما أتى ربّه موسى على قدر[٤]

وقال توبة بن الحمير:

وقد زعمت ليلى بأنّي فاجر ... لنفسي تقاها أو عليها فجورها[٥]

أي وعليها، ومثله قوله تعالى: «ولا يبدين زينتهنّ إلّا لبعولتهنّ أو ابائهن أو آباء بعولتهنّ...»[٦].

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٥٦.

(٢) الصافات: ١٤٧.

(٣) راجع تهذيب اللغة: مادة «أو» ج١٥ ص٦٥٨، وأمالي المرتضىٰ: ج٢ ص٥٧.

(٤) ديوان جرير: ص٢١١، وشرح الديوان: ص٢٠٥.

(٥) أمالي المرتضىٰ: ج٢ ص٥٧.

(٦) النور: ٣١.

والثالث: أن يكون المراد الابهام على المخاطبين، كما قال أبو الاسود الدؤلي:

أحب محمداً حبّاً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا
فان يكُ حبّهم رشداً أُصبه ولست بمخطىءٍ إن كان غيا[١]

وأبو الاسود لم يكن شاكّا في حبّهم ولكن أبهم على من خاطبه. وقيل لأبي الأسود حيث قال ذلك: شككت؟ قال: كلا، ثمّ استشهد بقوله تعالى: «قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ظلالٍ مبين»[٢] افتراه كان شاكا حين أُخبر بذلك.

والرابع: أن يكون أراد بل أشدّ قسوة، ومثله «وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون»[٣] أي بل يزيدون، ولا تكون بل للاضراب عن الأوّل بل مجرّد العطف.

والخامس: انها كالحجارة، أو أشدّ قسوةً عندكم [٤].

والسادس: أن يكون أراد مثل قول القائل: أطعمتك حلواً وحامضاً، وقد أطعمه النوعين جميعاً، وهو انه لم يشك انه اطعمه الطعمين معاً[٥]، فكأنّه قال: فهي كالحجارة أو أشدّ قسوةً، ومعناه إنّ قلوبهم لا تخرج من أحد هذين المثلين إمّا ان تكون مثلاً للحجارة في القسوة، واما أن تكون أشدّ منها، ويكون معناه على هذا بعضها كالحجارة قسوة وبعضها أشدّ قسوةً من

(١) الأغاني: ج١١ ص١٢٠.
(٢) سبأ: ٢٤.
(٣) أمالي المرتضىٰ: ج٢ ص٥٦.
(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٧، وأمالي المرتضىٰ: ج٢ ص٥٥
(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٧، وأمالي المرتضىٰ: ج٢ ص٥٥.

الحجارة.

وكلّ هذه الأوجه محتملة وأحسنها الابهام على المخاطبين. ولا يجوز أن يكون المعنى الشكّ؛ لأنّ الله تعالى عالم لنفسه لا يخفى عليه خافية. وكذلك في أمثال ذلك نحو قوله: «فكان قاب قوسين أو أدنى»(١) وغير ذلك، وأنشدوا في معنى «أو» يراد به «بل» قول الشاعر:

بَدَتْ مثل قرنِ الشمسِ في رَونَقِ الضحى وصورتها أو أنتِ في العين أملَحُ(٢)

يريد بل أنت.

الاعراب:

والرفع في قوله: «أو اشدّ قسوة» يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون عطفاً على معنى الكاف التي في قوله: «كالحجارة» لأن معناها فهي مثل الحجارة.

والآخر: أن يكون عطفاً على تكرير هي، فيكون التقدير: فهي كالحجارة أو هي أشدُّ قسوة من الحجارة.

وقرىء بنصب الدال شاذّاً فيكون نصبه على انّ موضعه الجر بالكاف وانما نصب على أنه على وزن أفعل لا ينصرف.

اللغة والمعنى:

وقوله: «وإنّ من الحجارة لما يتفجّر منه الأنهار».

---

(١) النجم: ٩.

(٢) البيت في الصحاح: مادة «أو» ج٦ ص٢٢٧٥، وحكاه السيّد المرتضى عن الفرّاء في أماليه: ج٢ ص٥٦.

معناه إنّ من الحجارة ما هو أنفع من قلوبهم القاسية، يتفجّر منها أنهار، وان منها لما يهبط من خشية الله، والتقدير:أنّ من الحجارة حجارة يتفجّر منها أنهار الماء،فاستغنى بذكر الأنهارعن ذكر الماء، وكرر قوله: «منه» للفظ «ما» .

والتفجّر التفعّل من فجر الماء، وذلك اذا نزل خارجاً من منبعه. وكلّ سائل شُخص خارجاً من موضعه ومكانه فقد انفجر ماءً كان أو دماً أو صديداًأوغيرذلك ، قال عمر بن لحاء[1]:

ولما أن قربت الى جوير   أبى ذو بطنة إلّا انفجارا[2]

يعني خروجاً وسيلاناً .

وقوله: «وانّ منها لما يشقّق فيخرج منه الماء» تشقّق الحجارة انصداعها وأصله يتشقّق، لكن التاء أُدغمت في الشين فصارت شيناً مشدّدة .

وقوله: «فيخرج منه الماء» .

يعني فيخرج منه الماء فيكون عيناً نابعة لا أنّها جارية حتى يكون مخالفاً للأوّل .

وقال الحسين بن علي المغربي: الحجارة الأُولى حجارة الجبال تخرج منها

---

(١) هو عمر بن لحاء (لحأ) بن جرير بن مصاد التيمي، من بني تيم بن عبد مناة، من شعراء العصر الأُموي، أشتهر بما كان بينه وبين جرير من مفاخرات ومعارضات وهو الذي قال فيه جرير:

أنت ابن برزة منسوب الى لحأ   عند العصارة والعيدان تعتصرُ

وبرزة أُمّه، مات بالأهواز سنة ١٠٥ هـ.

(الأعلام: ج٥ ص٥٩).

(٢) كذا أورده ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٨٨، وفي الأغاني: ج٨ ص٧٢ هكذا:

ولما أن قُرنت الى جرير   أبىٰ ذو بطنة إلّا انحدارا

الأنهار، والثانية حجر موسى الذي ضربه فانفجر منه عيون؛ فلا يكون تكراراً[١].

وقوله: «وإنّ منها لما يهبطُ من خشية الله». قال أبو علي والمغربي: معناه بخشية الله، كما قال: «يحفظونه من أمر الله»[٢] أي بأمر الله، قال: وهي حجارة الصواعق والبَرَد[٣].

والكناية في قوله: «منها» قيل فيها قولان:

أحدهما: إنّها ترجع الى الحجارة؛ لأنها أقرب مذكور[٤].

وقال قوم: إنّها ترجع الى القلوب لا الى الحجارة؛ فيكون معنى الكلام: وانّ من القلوب لما يخضع من خشية الله، ذكره ابن بحر[٥] وهو أحسن من الأوّل.

ومن قال بالأوّل اختلفوا فيه؛ فنهم من قال: إنّ المراد بالحجارة الهابطة البرد النازل من السحاب، وهذا شاذّ، لم يذكره غير أبي علي الجبائي. وقال الأكثر: إنّ المراد بذلك الحجارة الصلبَة؛ لأنّها أشدّ صلابة[٦].

وقالوا في هبوطها وجوهاً:

أحدها: إنّ هبوط ما يهبط من خشية الله تفيء ظلاله.

وثانيها: إنّه الجبل الذي صار دكّاً لما تجلّى له ربّه[٧].

---

(١)و(٣) لم نهتد لقولهما فيما لدينا من المصادر.

(٢) الرعد: ١١.

(٤) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٨.

(٥) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٤٦.

(٦) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٩، وأمالي المرتضى: ج٢ ص٥٧.

(٧) أخرج القولين ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٨٩، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٤٦.

وثالثها: قاله مجاهد: إنّ كلّ حجر تردّى من رأس جبل فهو من خشية الله[(١)].

ورابعها: إنّ الله تعالى أعطى بعض الجبال المعرفة، فعقل طاعة الله تعالى، فأطاعه كالذي روي في حنين الجذع. وما روي عن النبي عليه السَّلام أنّه قال: إنّ حجراً كان يسلّم عليّ في الجاهلية إني لأعرفه الآن[(٢)].

وهذا الوجه فيه ضعف؛ لأنّ الجبل ان كان جماداً، فمحال ان يكون فيه معرفة الله. وان كان عارفاً بالله وبنيته بنية الحي فانه لا يكون جبلا. وأما الخبر عن النبي عليه السلام فهو خبر واحد. ولو صحّ، لكان معناه إنّ الله تعالى أحيا الحجر فسلّم على النبي صلّى الله عليه وآله ويكون ذلك معجزاً له عليه السلام.

واما حنين الجذع فانّ الله تعالى خلق فيه الحنين، فكان بذلك خارقاً للعادة؛ لأنه اذا استند اليه النبي صلّى الله عليه وآله سكن واذا تنحّى عنه حنّ.

وقال قوم: يجوز أن يكون الله تعالى بنى داخله بنية حي، فصحّ منه الحنين.

وقال قوم: معنى «يهبط من خشية الله» إنه يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه، كما قيل: ناقة تاجرة، اذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعو الناس الى الرغبة فيها[(٣)]، كما قال جرير بن عطية:

---

(١) تفسيره: ص٢٠٧.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٩، وفي النسخة الخطية والحجرية «لاأعرفه»، وهوتصحيف.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٩.

وأعـور مــن نبهــان أمّــا نهــاره فـأعــمـى وأمّـا لـيلـه فبصير[١]

فجعل الصفة للّيل والنهار، وهو يريد صاحبه النبهاني الذي يهجوه بذلك من أجل انّه كان فيهما على ما وصفه به. والذي يقوى في نفسي إنّ معنى الآية الإبانة عن قساوة قلوب الكفّار، وانّ الحجارة ألين منها، لو كانت تلين لشيء للانت وتفجرت منها الأنهار، وتشقّقت منها المياه، وهبطت من خشية الله وهذه القلوب لا تلين مع مشاهدتها الآيات التي شاهدتها بنو اسرائيل.

وجرى ذلك مجرى ما يقوله تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله»[٢] ومعناه لو انزلنا هذا القرآن على جبلٍ، وكانت الجبال مما تخشع لشيءٍ ما، لرأيته خاشعاً متصدّعاً، وكقوله تعالى: «ولو ان قرآنا سيّرت به الجبال أو قطّعت به الارض»[٣] الى آخرها سواء.

وأُدخلت هذه اللامات فيها تأكيداً للخبر.

ويجوز في قوله: «فهي كالحجارة» اسكان الهاء -وقد قرىء به- لأن الفاء مع الهاء، قد جعلت الكلمة بمنزلة فخذ فتحذف الكسرة استثقالاً.

المعنى:

والمعنى في الآية انه تعالى لما أخبر عن بني اسرائيل وما أنعم عليهم به،

(١) البيت في ديوانه: ص٢٠٣

(٢) الحشر: ٢١.

(٣) الرعد: ٣١.

وأراهم من الآيات وغير ذلك، فقال مخبراً عن عصيانهم وطغيانهم: «ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشدّ قسوة».

ثم أخبر تعالى أنّه لا امتناع عند الحجارة مما يحدث فيها من أمره ـ وان كانت قاسية ـ بل هي متصرّفة على مراده لا يعدم شيء مما قدر فيها. وبنو اسرائيل مع كثرة نعمه عليهم وكثرة ما أراهم من الآيات يمتنعون من طاعته، ولا تلين قلوبهم لمعرفة حقّه، بل تقسو وتمتنع من ذلك.

وقوله: «وإنّ منها لما يهبط من خشية الله» أي عند ما يحدث فيها من الآية الهائلة كالزلازل وغيرها، وأضاف الخشية الى الحجارة وان كانت جماداً على مجاز اللغة والتشبيه.

والمعنى في خشوع الحجارة إنّه يظهر فيها ما لو ظهر في حيٍ مختار قادر لكان بذلك خاشعاً؛ وهو ما يرى من حالها. وانها منصرفة لامتناع عندها مما يراد بها، وهو كقوله: «جداراً يريد أن ينقض»[1] لأن ماظهر فيه من الميلان، لو ظهر من حي لدل على انه يريد أن ينقض، ليس ان الجدار يريد شيئاً في الحقيقة، ومثله «وإن من شيء إلّا يسبح بحمده»[2] وقوله: «الم تر أنّ الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدوابّ وكثيرٌ من الناس»[3] وقوله: «والنجم والشجر يسجدان»[4] وقال زيد الخيل[5]:

---

(١) الكهف: ٧٧.

(٢) الاسراء: ٤٤.

(٣) الحجّ: ١٨.

(٤) الرحمن: ٦.

(٥) وهو زيد بن مهلهل بن منهب، من طيئ، كنيته أبو مكنف، لقب زيد الخيل لكثرة خيله ←

بجمع تظلّ البلق في حُجراته ترى الاكم فيه سُجّداً للحوافر[١]

فجعل ما ظهر في الاكم من آثار الحوافر، وقلة امتناعها عليها، ومدافعتها لها كما يدافع الحجر الصلب الحديد الصلب سجوداً لها، ولو أن الاكم كانت في صلابة الحديد حتى يمتنع من الحوافر، ولا تؤثر فيها، ولا تذهب يميناً ولا شمالاً، ولا تظاهر بكثرة تزداد الحوافر عليها، ما جاز أن يقال: انها تسجد للحوافر.

وقال ابن حمزة[٢]:

وعرفت من شرفات مسجدها حجرين طال عليها القصر
بكيا الخلاء فقلت إذ بكيا ما بعد مثل بكاهما صبر[٣]

وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع[٤]

فصيّرها متواضعة. والعرب يفهم بعضها مراد بعض بهذه الأشياء، فمن تعلّق بشيء من هذا ليطعن به، فانما يطعن على لغة العرب، بل على لغة نفسه من أهل أيّ لغة كان؛ فإنّ هذا موجود متعارف في كلّ لغةٍ، وعند كل جيل.

وطراده بها، أدرك الاسلام، ووفد على النبي صلّى الله عليه وآله في وفد طيئ، فأسلم، وسماه «زيد الخير» وأقطعه أرضاً بنجد، فمكث في المدينة سبعة أيام وأصابته حمى شديدة فخرج عائداً الى نجد فمات في طريقها سنة ٩هـ.

(الشعر والشعراء: ص١٥٦، والأعلام: ج٣ ص٦١)

(١) البيت في تفسير الطبري: ج١ ص٢٨٩.

(٢) كذا في الخطية والحجرية والمطبوعة، والظاهر انه ابن حلزة، والله العالم.

(٣) لم نقف عليه في المصادر المتوفّرة.

(٤) ديوانه: ص٢٧٠.

وقوله: «وما الله بغافل عما تعملون» من قرأ بالتاء، قال: الخطاب متوجّه الى بني اسرائيل فكأنّه قال: وما الله بغافل يامعشر المكذّبين بآياته والجاحدين بنبوّة محمد صلّى الله عليه وآله عما تعملون. ومن قرأ بالياء، فكأنّ الخطاب لغيرهم والكناية عنهم.

والغفلة عن الشيء تركه على وجه السهو والنسيان، فأخبرهم الله تعالى أنّه غير غافلٍ عن أعمالهم السيئة ولا ساه عنها.

قوله تعالى:

أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

الألف في قوله: «أفتطمعون» ألف استفهام والمراد به الإنكار، كقوله: «ألم يأتكم نذير * قالوا بلى»[1] فاذا كان في الأول نفياً كان الجواب بلى، واذا لم يكن نفياً كان الجواب لا. وهذا خطاب لأُمة النبي عليه السلام فكأنّه قال: أفتطمعون أيها المؤمنون أن يؤمنوا لكم من طريق النظر والاعتبار ونفي التشبيه والانقياد للحق، وقد كان فريق منهم؛ أي ممّن هو في مثل حالهم من أسلافهم يسمعون كلام الله ثم يعلمون أنه الحق ويعاندون، فيحرّفونه ويتأوّلونه على غير تأويله.

وقوله: «وقد كان فريق منهم» والفريق جمع كالطائفة لا واحد له من

---

(١) الملك: ٨-٩.

لفظه،وهو فعيل من الفرق سُمّي به الجمع كما سمّيت الجماعة بالحزب من التحزّب، قال أعشى بن ثعلبة:

أجدّوا فلما خفت أن يتفرّقوا فريقين منهم مُصعِدٌ ومصوّبُ(١)

وقوله: «منهم» يعني من بني اسرائيل؛ وانما جعل الله الذين كانوا على عهد موسى ومن بعد من بني اسرائيل من اليهود الذين قال الله تعالى لأصحاب محمد [صلّى الله عليه وآله] أفتطمعون أن يؤمنوا لكم؛ لأنهم كانوا آباءهم واسلافهم فجعلهم منهم، إذ كانوا عشائرهم وفرقهم وأسلافهم.

وقوله: «يسمعون كلام الله» قال قوم منهم مجاهد والسدي: إنهم علماء اليهود يحرّفون التوراة، فيجعلون الحلال حراماً والحرام حلالاً ابتغاء لأهوائهم واعانة لمن يرشوهم(٢).

وقال ابن عبّاس والربيع وابن اسحاق والبلخي: إنّهم الذين اختارهم موسى من قومه، فسمعوا كلام الله فلم يمتثلوا أمره، وحرّفوا القول في أخبارهم لقومهم حتى رجعوا اليهم وهم يعلمون أنهم قد حرّفوا(٣).

وهذا أقوى التأويلين؛ لأنه تعالى أخبر عنهم بأنّهم يسمعون كلام الله، والذين سمعوا كلام الله بلا واسطة هم الذين كانوا مع موسى، فأمّا هؤلاء فانما سمعوا ما يضاف الى كلامه بضرب من العرف دون حقيقة الوضع.

ومن قال بهذا، قال: هم الذين سمعوا كلام الله الذي أوحى الله الى موسى.

---

(١) ديوانه: ص١١.

(٢) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٠-٢٩١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٤٧.

(٣) حكى أقوالهم إلّا البلخي ابنُ جرير في تفسيره: ج١ ص٢٩١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٤٧.

وقال قوم: هو التوراة التي علمها علماء اليهود(١).

وقوله: «من بعد ما عقلوه وهم يعلمون» قيل فيه وجهان:

أحدهما: وهم يعلمون أنّهم يحرّفونه.

والثاني: من بعد ما تحقّقوه وهم يعلمون ما في تحريفه من العقاب.

والذي يليق بمذهبنا في الموافاة أن نقول: إنّ معناه وهم يعلمون انّهم يحرفونه.

فان قيل: فلماذا أخبر الله عن قوم بأنّهم حرّفوا وفعلوا ما فعلوا من المعاندة ما يجب أن يؤيس من إيمان من هو في هذا الوقت، وأيّ علقةٍ بين الموضوعين والحالين؟

قيل: ليس كلما يطمع فيه يؤيس منه على وجه الاستيقان بأنّه لا يكون؛ لأنّ الواحد من أفناء العامة لا يطمع أن يصير ملكاً. ومع ذلك لا يمكن القطع على كل حال إنّ ذلك لا يكون أبداً. ولكن لا يطمع فيه لبعده، والله تعالى نفى عنهم الطمع، ولم يؤيسهم على القطع والثبات وانما لم يطمع فيهم لبعد ذلك من الوهم منهم مع أحوالهم التي كانوا عليها. وشبّههم بأسلافهم المعاندين، وقد كانوا قادرين على أن يؤمنوا وكان ذلك منه جائزاً.

وهؤلاء الذين عاندوا ـ وهم يعلمون ـ كان قليلاً عددهم، يجوز على مثلهم التواطؤ والاتفاق وكتمان الحق؛ وانما يمتنع ذلك في الجمع العظيم والخلق الكثير، لأمرٍ يرجع الى اختلاف الدواعي؛ فأما على وجه التواطؤ

---

(١) تقدّم نقل هذا عن مجاهد والسديّ فلاحظ، وأُنظر تفسير الواحدي في هامش تفسير النووي: ج١ ص٢٠.

والعمد فلا يمتنع فيهم أيضاً، فيبطل بذلك قول من نسب فريقاً الى المعاندة دون جميعهم، وإن كانوا بأجمعهم كفّاراً.

قوله تعالى:

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ آية.

هذه الآية فيها إخبار عمّن رفع الله الطمع في إيمانهم من يهود بني اسرائيل الذين كانوا بين أظهرهم فقال: أفتطمعون أيّها المؤمنون أن يؤمنوا لكم، وهم القوم الذين كان فريق منهم يسمعون كلام الله، ثمّ يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وهم الذين اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، أي صدقنا بمحمد صلّى الله عليه وآله وبما صدقتم به وأقررنا بذلك. فأخبر الله بأنّهم تخلّقوا بأخلاق المنافقين وسلكوا مناهجهم.

«وإذا خلا بعضهم الى بعض»: أي اذا خلا بعض هؤلاء اليهود الذين وصف الله صفتهم الى بعض منهم فصاروا في خلاء الناس، وذلك هو الموضع الذي ليس فيه غيرهم، قالوا ـ يعني بعضهم لبعض ـ: اتحدثونهم بما فتح الله عليكم.

وقال ابن عباس: «بما فتح الله عليكم» أي بما ألزمكم الله به، فيقول الآخرون: انما نستهزىء بهم ونضحك [١].

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس إنّ معناه قالوا: لا تحدثوا العرب بهذا، فإنّكم قد كنتم تستفتحون به عليهم، فأنزل الله هذه الآية[٢].

---

(١) و(٢) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٣، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٤٨.

أي تقرّون بأنه نبي وقد علمتم انه قد أخذ له الميثاق عليكم باتباعه وهو يخبركم بأنه النبي الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا، اجحدوه ولا تقرّوا به لهم، فقال الله تعالى: «أولا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون» .

وقال أبو العالية: «اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم» أي بما أنزله في كتابكم من نعت محمد صلّى الله عليه وآله و به قال قتادة[١] وقال مجاهد: ذلك قول يهود بني قريظة حين سبّهم النبيّ صلّى الله عليه [وآله] بأنهم أُخوة القردة والخنازير، قالوا:من حدّثك بهذا ـ حين ارسل اليهم علياً عليه السلام فاذوا محمداً صلّى الله عليه [وآله] ـ فقال: ياأُخوة القردة والخنازير، قال بعضهم لبعض: ما أخبره بهذا إلّا منكم اتحدّثونهم بما فتح الله عليكم، ليكون لهم حجة عليكم[٢] .

وقال السدي: هؤلاء ناس آمنوا من اليهود ثم نافقوا وكانوا يحدّثون المؤمنين من العرب بما عذّبوا به فقال بعضهم لبعض: «أتحدثونهم بما فتح الله عليكم» من العذاب ليحاجّوكم به، ليقولوا نحن أحبّ الى الله منكم وأكرم عليه منكم؟[٣] ومثله روي عن أبي جعفر عليه السلام[٤].

وأصل الفتح في كلام العرب القضاء والنصرة والحكم، يقال: اللهم افتح بيني وبين فلان أي أُحكم بيني وبينه، ومنه قوله تعالى: «ويقولون متى هذا الفتح»[٥] يعني هذا القضاء فقال تعالى: «قل يوم الفتح ...»[٦] يعني

---

(١) تفسيرالماوردي: ج١ ص١٤٨.

(٢) تفسيره: ص٢٠٧.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٤.

(٤) لم نقف عليه في المراجع الحديثية المتوفّرة.

(٥) السجدة: ٢٨.

(٦) السجدة: ٢٩.

يوم القضاء، وقال الشاعر:

ألا ابـلــغ بني عصــم رســولاً فإنّـي عـن فُـتـاحـتـكـم غـنيّ(١)

ويقال للقـاضي: الفتّاح، قـال الله تعالى: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين»(٢) يعني احكم به. ويقال:فتح بمعنى علم، فقال: افتح على هذا أي اعلمني بما عندكَ فيه.

واذا كان معنى الفتـح ما وصـف فقد بان أنّ معنى الآية: اتحدّثـونهم بما حكم الله عليـكم وقضاه فيكـم، ومن حكمه ما أخذ بـه ميثاقهم من الايمان بمحمـد صلّـى الله عليـه وآله بمـا بيّنـه في التـوراة ومن قضائـه أنه جـعل منهم القردة والخنـازير. فاذا ثـبـت ذلك، فإنّ أقـوى التأويـلات قـول من قال: اتحدّثونهم بما فتح الله عـليكم من بعث محـمد صلّى الله عليه وآلـه وصفته في التوراة، وأنّه رسول الله الى خلقه.

وروي عن أبي جعفر عـليـه السلام انه قال: كان قـوم من اليـهود ليسوا بالمعانـديـن المتواطئين، اذا لقـوا المسلمين، حدّثوهـم بما في التوراة من صـفة محمد صلّى الله عليه وآله فنهاهم كبراؤهم عن ذلك، وقالوا: لا تخبروهم بما في التـوراة من صفـة محمـد صلّى الله عـليه وآله فيـحاجّوكم به عـند ربكم، فنزلت الآية(٣).

ومعنى قوله: «أفلا تـعقلون» أفلا تـفهمون أيّهـا القوم أن اخباركم محمداً صلّى الله عليـه وآله وأصحابه، بمـا تحدّثونهم به واقـراركم لهم بما يقـرّون لهم

---

(١) نـقله في مقـاييس اللـغة: مـادة «فـتـح» ج٤ ص ٤٦٩، وفـيـه: «بني عـوف» بدل «بني عصيم»، والشعر لأسعر الجعفي.

(٢) الأعراف: ٨٩.

(٣) تفسير القمي: ج١ ص٥٠.

من وجودكم نعت محمد في كتبكم وانه نبي مبعوث،حجّة عليكم عند ربكم يحتجّون بها عليكم .

وقال أبو عبيدة «بما فتح الله عليكم» أي بما منّ عليكم وأعطاكم ليحاجّوكم به(١) .

وقال الحسن في قوله: «ليحاجّوكم به عند ربكم»:أي في ربكم فيكونوا أولى منكم اذا كانت حجّتهم عليكم،قال الحسن: ثم رجع الى المؤمنين فقال: «أفلا تعقلون» ايها المؤمنون فلا تطمعوا في ذلك(٢) .

قوله تعالى:

أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

معناه:أو لا يعلمون أنّ الله يعلم سرّهم وعلانيتهم، فكيف يستجيزون أن يسرّوا الى اخوانهم النهي عن التحدّث بما هو الحق؛ وليسوا كسائر المنافقين، وان كانوا يسرّون الكفر فإنّهم غير عالمين بأنّ الله يعلم سرهم وجهرهم؛ لأنهم جاحدون له، وهؤلاء مقرّون. فهم من هذه الجهة ألوم وأعجب شأناً وأشد جرأةً .

وقال قتادة في: «أولا يعلمون أنّ الله يعلم ما يسرّون» من كفرهم وتكذيبهم محمداً اذا خلا بعضهم الى بعضٍ، «وما يعلنون» اذا لقوا اصحاب محمد قالوا آمنا يغرّونهم بذلك(٣). ومثله روي عن أبي العالية(٤) .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١ ص٤٥.

(٢) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٤٩.

(٣)و(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٥.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ۝٧٨﴾

آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابو جعفر المدني «أماني» مخفّفاً، والباقون بالتشديد[١].

المعنى:

قوله: «ومنهم» يعني هؤلاء اليهود الذي قص الله قصّتهم في هذه الآيات وقطع الطمع في إيمانهم. وقال أكثر المفسرين: سمّوا أُميين، لأنهم لا يحسنون الكتابة ولا القراءة، يقال منه: رجل أُمي بيّن الأُمّية[٢].

ومنه قوله عليه السلام: إنّا أُمة أُميون لا نكتب ولا نحسب[٣].

وانما سمّي من لا يحسن الكتابة أُمياً لأحد أُمور:

[الأول]: قال قوم: هو مأخوذ من الأمّة أي هو على أصل ما عليه الأُمّة من أنّه لا يكتب لأنّه لا يستفيد الكتابة بعد أن لم يكن يكتب[٤].

الثاني: ان الأُمة الخلقة، فسمي أُمّياً لأنه باق على خلقته، ومنه قول الأعشى:

---

(١) المبسوط في القراءات العشر: ص١٣١.

(٢) أُنظر التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام: ص٢٩٩، وتفسير الطبري: ج١ ص٢٩٦.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده: ج٢ ص٤٣ و٥٢ و١٢٩.

(٤) مقاييس اللغة نقلاً عن أبي عبيد: مادة «أمّ» ج١ ص٢٨.

وإنّ معاوية الأكرمين حسانُ الوجوه طوالُ الأُمَم (١)

والثالث: انه مأخوذ من الأُم، وانما أُخذ منه لاحد أمرين:

أحدهما : لأنه على ما ولدته أُمه من أنه لا يكتب .

والثاني : نسب الى أُمّه؛ لأن الكتابة كانت في الرجال دون النساء فنسب من لا يكتب من الرجال الى أُمّه لجهله بالكتابة دون أبيه .

وقال أبو عبيدة: الأُمّيون هم الامم الذين لم ينزل عليهم كتاب، والنبي الأُمي الذي لا يكتب، وأنشد لتبع:

له أُمة سميت بالزبور أُمّية هي خير الأُمم (٢)

وروي عن ابن عباس: إنّ الأُميين قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله عز وجل ولا كتاباً أنزله، وكتبوا كتاباً بأيديهم، وقالوا لقوم جهال: هذا من عند الله، وقال: قد أخبر أنهم يكتبون بأيديهم، ثمّ سمّاهم أُميون لجحودهم كتاب الله عز وجلّ ورسله(٣) .

والوجه الأوّل أوضح في اللغة. وهذا الوجه مليح لقوله في الآية الثانية: «فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم» فأثبت أنهم يكتبون، ومن قال بالأوّل يحتاج أن يجعل هذا مستأنفاً لغير من تقدّم ذكره أو لبعضهم .

وقوله: «لا يعلمون الكتاب» أي لا يعلمون ما في الكتاب الذي أنزله الله عزّ وجلّ، ولا يدرون ما أودعه من حدوده وأحكامه وفرائضه، كهيئة البهائم وانما هم مقلّدة لا يعرفون ما يقولون،و«الكتاب» المعني به التوراة،

---

(١) ديوانه: ص١٩٩، وفيه هكذا:

فإنّ معاوية الأكرمين عظام القباب طوال الأُمم

(٢) مجاز القرآن: ج١ ص٩٠ ، والبيت غير موجود فيه.

(٣) حكاه الطبري عنه في تفسيره: ج١ ص٢٩٦.

وانما ادخل عليه لام التعريف؛ لأنّه قصد به قصد كتاب معروف بعينه .

ومعنى الآية فريق لا يكتبون ولا يدرون ما في الكتاب الذي عرفتموه، والذي هو عندكم، وهم ينتحلونه، ويدّعون الاقرار به من أحكام الله عز وجلّ وفرائضه وما فيه من حدوده التي بيّنها فيه .

[وقوله]: «إلّا أماني» قال ابن عباس ومجاهد: إلّا قولاً يقولون بأفواههم كذباً[١] .

وقال قتادة: الإماني أنّهم يتمنّون على الله ما ليس لهم[٢] .

وقال آخرون: الاماني أحاديث[٣] .

وقال الكسائي والفراء وغيرهما: معناه إلّا تلاوة[٤]، وهو المحكي عن أبي عبيدة على ما رواه عنه عبد الملك بن هشام، وكان ثقة. وضعّف هذا الوجه الحسين بن علي المغربي، وقال:هذا لا يعرف في اللغة .

ومن صحّحه استدلّ بقوله تعالى: «اذا تمنّى ألقى الشيطان في امنيته»[٥]، قال كعب بن مالك :

تمنّى كتابَ الله أوّل ليلهِ وآخره لاقى حمام المقادر[٦]

وقال آخر:

تمنّى كتاب الله بالليل خالياً تمني داود الزبور على رسل[٧]

---

(١) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٧، وتفسير مجاهد: ص٢٠٨.

(٢) و(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٧، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٥٠.

(٤) حكاه الازهري في تهذيب اللغة: مادة «منا» ج١٥ ص٥٣٤، وذكره الفرّاء في معاني القرآن: ج٢ ص٢٢٩، والزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٥٩.

(٥) الحجّ: ٥٢.

(٦) نقله الفراهيدي في العين: مادة «منا» ج٨ ص٣٩٠.

(٧) ذكره اللسان: مادة «مني» ج١٣ ص٢٠٤، وفيه اختلاف.

وقال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني: الاماني التقدير[1]. قال الشاعر:

ولا تقولنّ لشيءٍ سوفَ أفعله حتى تبين ما يمنّي لك الماني[2]

أي ما يقدر لك المقدّر.

«وإلّا» هاهنا استثناء منقطع، ومعناه لكن اماني وكل موضوع يعلم ان ما بعد «إلّا» خارج عن الأول فهو بمعنى لكن، كقوله: «مالهم به من علم إلّا إتباع الظنّ»[3]: وكقولهم: ما في الدار واحد إلّا حماراً، وإلّا وتداً. قال الشاعر:

ليس بيني وبينَ قيسٍ عتابٌ غيرَ طعنِ الكِلى وضربِ الرقاب[4]

وقال آخر:

حلفت يميناً غير ذي مثنويةٍ ولا علم إلّا حسنُ ظنٍّ بصاحبِ[5]

معناه لكن حسن ظني بصاحبي، ومثله «وما كان لمؤمنٍ أنْ يقتل مؤمناً إلّا خطأً»[6] ومثله «لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا من رحم»[7].

ولولا ولوما وهلاّ وإلّا الثقيلة بمعنى واحد، قال الشاعر:

تعدّون عقر النيب أفخر مجدكم بني ضوطري لولا الكُمي المقنعا[8]

(١) تفسيرالماوردي: ج١ ص١٥٠.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «منا» ج١٥ ص٥٣٠، وفيه بدل «تبيّن» كلمة «تلاقي».

(٣) النساء: ١٥٧.

(٤) الكتاب لسيبويه: ج٢ ص٣٢٣، والبيت لابن الأيهم التغلبي.

(٥) البيت للنابغة الذبياني، ديوانه: ص٤٩.

(٦) النساء: ٩٢.

(٧) هود: ٤٣.

(٨) قائله جرير، من قصيدة يهجوبها الفرزدق، ديوانه: ص٢٦٥، وفيه بدل «أفخر مجدكم» عبارة «أفضل سعيكم»، وبدل «لولا» «هلاّ».

يعني هلاّ، وقال آخر:

أتيت بعبدِ الله في القيد موثقاً   فهلا سعيداً ذا الخيانة والغدرِ[١]

ثم قال آخر:

وما سجنوني غير اني ابن غالب   واني من الأثرين عند الزغايف[٢]

واحدهم زغيف وهو التابع. وكلّ موضوع حسن ان يوضع فيه مكان إلّا (لكن) فاعلم انه مكان استثناء منقطع. ولو قيل هاهنا: ومنهم أُميون لا يعلمون الكتاب لكن يتمنّون لكان صحيحاً .

والأماني واحدها أُمنيّة؛ مثقّل، ومن خفّف الياء قال: لأن الجمع يكون على غير واحده بنقصان أو زيادة. والاماني كلّهم يخفّفونها لكثرة الاستعمال، وكذلك الأضاحي .

وأولى التأويلات قول ابن عباس ومجاهد: من أنّ الأُميين الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآية، وانّهم لا يفقهون من الكتاب الذي أنزله الله على موسى شيئاً لكنّهم متخرّصون الكذب ويقولون الباطل .

والتمنّي في هذا الموضع تخلق الكذب وتخرصه، يقال منه: تمنيت اذا افتعلته وتخلّقته. ومنه ما روي عن بعض الصحابة انه قال: «ما تغنيت ولا تمنيت»[٣] .

أي ما تخرّصت الباطل، ولا تخلّقت الكذب والإفك .

---

(١) أنشده الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص١٩٦ ، وفيه: «القِدّ» بدل «القيد» .

(٢) قائله الفرزدق، أنظر ديوانه: ج٢ ص٩٢، بشرح الحاوي، وفيه «غيرالزعانف» بدل «عندالزغايف» .

(٣) سنن ابن ماجة: كتاب الطهارة ج١ ص١١٣ ح٣١١.

ويقوّي ذلك قوله في آخر الآية: «وانْ هم إلّا يظنّون» فبيّن أنهم يتمنون ما يتمنّون من الكذب ظناً لا يقيناً، ولو كان المعنى انهم يتلونه لما كانوا ظانّين وكذلك لو كانوا يتمنونه؛ لأن الذي يتلوه اذا تدبّره علمه، ولا يقال فيمن يقرأ كتاباً لم يتدبره وتركه: أنّه ظانّ لما يتلوه إلّا أن يكون شاكاً فيما يتلوه ولا يدري أحقّ هو أم باطل، ولم يكن القوم الذين عاصروا النبي صلّى الله عليه وآله من اليهود شاكّين في التوراة أنها من عند الله.

وكذلك التمنّي لا يجوز أن يقال: هو ظانّ بتمنّيه؛ لأن التمني من المتمني اذا وجد لا يقال فيه: شاكّ فيما هو عالم به؛ لأنه ينافي العلم. والمتمنّي في حال وجود تمنّيه لا يجوز أن يقال: هو يظنّ تمنيه.

وقوله: «وان هم إلّا يظنّون» قال جميع المفسرين: معناه يشكّون[1].

والذي أقوله: إنّ المراد بذلك نفي العلم عنهم، وقد ينتفي العلم تارة بالشكّ، وتارة بالظنّ. وأما في الحقيقة فالظنّ غير الشك، غير أنّ المعنى متفق عليه هاهنا.

قوله تعالى:

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ آية بلا خلاف.

اللغة والاعراب:

قال الزجاج: الويل كلمة يستعملها كلّ واقعٍ في هلكة، وأصله في

---

(١) أنظر تفسير الطبري: ج١ ص٢٩٩، وتفسير السمرقندي: ج١ ص١٣٢.

اللغة العذاب والهلاك ، وارتفع بالابتداء، وخبره الذين. ولو كان في غير القرآن لجاز بالنصب على معنى جعل الله ويلاً للذين،والرفع على معنى ثبوت الويل للذين[١]،ومثله الويح والويس اذا كان بعدهن لام رَفعتُهنّ .

واما التعس والبعد وما أشبههما فهو نصب ابداً؛ فإن أضفت ويل وويح وويس نصب من غير تنوين، تقول: ويلَ زيدٍ، وويحَ زيدٍ، وويسَ زيد. ولا يحسن في التعس والبعد الاضافة بغير لام، فلذلك لم ترفع .

وقد نصب قوم مع اللام فيقولون: ويلاً لزيد، وويحاً لخالد[٢]، قال الشاعر:

كسا اللؤم تيماً خضرة في جلودها　　　فويلاً لتيمٍ من سرابيلها الخضر[٣]

المعنى:

قال ابن عباس: «الويل» في الآية العذاب[٤]. وقال الاصمعي: هو التقبيح[٥]، ومنه قوله: «ولكم الويل مما تصفون»[٦]. وقال المفضّل: معناه الحزن[٧]. وقال قوم: هو الهوان والخزي[٨]، ومنه قول الشاعر:

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٦٠.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٢٩٩.

(٣) قائله جرير، أُنظر ديوانه: ص١٦٢، مع تفاوت.

(٤) تفسيره: ص١٢.

(٥) ذكره السجستاني في غريب القرآن: ص٢٠٧.

(٦) الأنبياء: ١٨.

(٧) حكاه عنه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «ويل» ج١٥ ص٤٥٥، ذاكراً المفضّل بكنيته «أبي طالب النحوي».

(٨) تفسيرالماوردي: ج١ ص١٥١.

يـازبـرقـان اخـا بني خـلـفٍ ما أنت ويل ابيك والفخر[١]

وقال ابو سعيد الخدري: الويل وادٍ في جهنم [٢] . وقال عثمان بن عفان: هو جبل في النار [٣] .

وقوله: «يكتبون الكتاب بأيديهم» معناه أنّهم يتولّون كتابته، ثمّ يضيفونه الى الله، كقوله:«خلقت بيدي» [٤] و«عملت أيدينا» [٥] أي نحن تولّينا ذلك ولم نكله الى أحدٍ من عبادنا. ومثله رأيته بعيني، وسمعته بأُذني، ولقيته بنفسي. والمعنى في جميع ذلك التأكيد؛ ولأنه قد يأمر غيره بالكتابة، فتضاف اليه مجازاً، فلذلك يقول الأُمي:كتبت الى آل فلان بكذا، وهذا كتابي اليك ، وكما تقول: حملت الى بلد كذا، وانما أُمرت بحمله .

فاعلمنا الله تعالى أنهم يكتبونه بأيديهم، ويقولون هو من عند الله، وقد علموا يقيناً اذا كتبوه بأيديهم أنه ليس من عند الله .

وفي الآية دلالة على إبطال قول المجبّرة؛ لأنّه تعالى عابهم بهذا القول، اذ نسبوا ما كتبوه من التحريف الى أنه من عند الله، وجعل عليهم الويل. واذا كان تحريفه من الكتاب ـ ليس من عند الله، ومن جهة القول والحكم ـ فليس ذلك منه من جهة القضاء والحكم ولا التقدير والمشيئة .

وقال ابن السرّاج: معنى «بأيديهم» أي من تلقاء أنفسهم [٦] .

---

(١) البيت للمخبّل كما ذكر سيبويه في الكتاب: ج١ ص١٧٨ وفيه:«ويب» بدل «ويل».

(٢) أخرج ذلك أحمد في مسنده: ج٣ ص٧٥.

(٣) حكاه ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٢٩٩.

(٤) ص: ٧٥.

(٥) يس: ٧١.

(٦) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٥١.

وقوله: «ليشتروا به ثمناً قليلاً» قال قوم: أي انه عرض الدنيا لأنه قليل المدة، كما قال تعالى: «قل متاع الدنيا قليل»(١) ذهب اليه أبو العالية(٢). وقال آخرون: إنه قليل لأنه حرام(٣).

وروي عن أبي جعفر عليه السلام، وذكره ايضاً جماعة من أهل التأويل أن أحبار اليهود كانت غيرت صفة النبي صلّى الله عليه وآله ليوقعوا الشك للمستضعفين من اليهود(٤).

وقوله: «ويلٌ لهم مما كانوا يكسبون» يقولون مما يأكلون به الناس السفلة وغيرهم. وأصل الكسب العمل الذي يجتلب به نفع أو يدفع به ضرر، وكل عامل عملاً بمباشرة منه لما عمل. ومعناه هاهنا الاحتراف فهو كاسب لما عمل، قال لبيد بن ربيعة:

لمعفَّرٍ قهدٍ تَنازَعَ شِلوَهُ ... غُبسٌ كواسِب لا يُمنّ طعامُها(٥)

وقيل: الكسب عبارة عن كل عملٍ بجارحة يجتلب به نفع أو يدفع به مضرّة، ومنه قيل للجوارح من الطير: كواسب.

* * *

(١) النساء: ٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٠٠.

(٣) ذكره الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٥٢، والقرطبي في تفسيره: ج٢ ص٩.

(٤) انظر التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام: ص٣٠٢ ولم نعثر عليه مروياً عن الباقر عليه السلام، وانظر كذلك تفسير الطبري: ج١ ص٣٠٠، وأسباب النزول للواحدي: ص١٥.

(٥) ديوانه: ص١٧١.

قوله تعالى:

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾

آية بلا خلاف.

المعنى:

قوله: «وقالوا» يعني اليهود الذين قالوا لن تمسّنا النار، ولن ندخلها إلّا أياماً معدودة. وانما لم يبين عددها في التنزيل، لأنه تعالى أخبر عنهم بذلك، وهم عارفون بعدد الأيام التي يوقتونها في النار، فلذلك نزل تسمية عدد الأيام، وسمّاها معدودة، لما وصفنا.

وقال أبو العالية وعكرمة والسدي وقتادة: هي أربعون يوماً[١]، ورواه الضحاك عن ابن عباس[٢].

ومنهم قال: انها عدد الايام التي عبدوا فيها العجل[٣].

وقال ابن عباس: إن اليهود تزعم انهم وجدوا في التوراة مكتوباً؛ إنّ ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة، وهم يقطعون مسيرة كلّ سنة في يوم واحد، فاذا انقطع المسير، انقطع العذاب وهلكت النار[٤].

وقال مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس: إنها سبعة أيام؛ لأن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة، وانهم يعذبون بعدد كل ألف سنة يوماً واحداً من

---

(١) أخرج ذلك الطبري عنهم في تفسيره: ج١ ص٣٠٢، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٥٢.

(٢) تفسير ابن عبّاس: ص١٢، وأحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٣٨.

(٣) ذكر ذلك الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٥٠، والواحدي في اسباب النزول: ص٢١.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٣٠٢، واسباب النزول للواحدي: ص١٦ قريب منه.

أيام الآخرة، وهو كألف سنة من أيام الدنيا(١) .

ولما قالت اليهود ما قالت من قولها: لن تمسّنا النار إلّا أياماً معدودة على ما بيّناه، قال الله تعالى لنبيه: «قل أتخذتم عند الله عهداً» بما تقولون من ذلك أو ميثاقاً، فالله لا ينقض عهده «أم تقولون على الله ما لا تعلمون» من الباطل جهلاً وجرأةً عليه .

القراءة :

وفي القراء من قرأ «أتخذتم» بادغام الذال في التاء، ومنهم من لم يدغم (٢) .

وأصل أتخذتم أأتخذتم. دخلت ألف الاستفهام على ألف القطع من نفس الكلمة، فكره اجتماعها فحذفت الأصلية، وبقيت التي للاستفهام؛ لأنها لمعنى ،وهي وان كانت للاستفهام في الأصل فالمراد بها هاهنا النكير والتوبيخ والاعلام لهم ولغيرهم أنّ الأمر بخلاف ما قالوه، وأنّهم يقولون بغيرِ علم .

والدليل على أنّها ألف استفهام كونها مفتوحة؛ ولو كانت أصلية لكانت مكسورة في «أتخذتم» ولذلك يدخل بينهما المدّ، كما قالوا في:«آلله أذن لكم» (٣)، لأن قوله: «أذن الله» لو أخبر بها لكانت مفتوحة. ولو لم تدخل المدّة لاشتبهت ألف الاستفهام بهمزة الخبر، وليس كذلك هاهنا؛ لأنّ الفتحة تختص للاستفهام وفي الخبر تكون مكسورة، وفي المفتوحتين لابد

---

(١) تفسير مجاهد: ص٢٠٨،وأحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٣٨، واسباب النزول: ص١٦.

(٢) الحُجّة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص٥٦، وكتاب السبعة في القراءات: ص١٥٤.

(٣) يونس: ٥٩.

من الجمع بين الهمزتين. ومنهم من يفصل بينهما بمدّة، ومنهم من لا يفصل، نحو قوله: «أم أمنتم من في السماء»[١][٢].

قوله تعالى:

بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ آية بلا خلاف.

الإعراب والقراءة:

قرأ أهل المدينة «خطيئاته» على الجمع، الباقون على التوحيد[٣].

قوله: «بلى» جواب لقوله: «لن تمسّنا النار إلّا أياماً معدودة» فردّ الله عليهم بأن قال: «بلى من أحاطت به خطيئته» ابداً. و«بلى» تكون جواباً للاستفهام الذي أوله جحود، وتكون جواباً للجحد وان لم تكن استفهاماً، كقوله: «تقول حين ترى العذاب» الى قوله: «بلى قد جاءتك آياتي فكذّبت بها»[٤]. ويقول القائل: لم أفعل كذا وكذا فيقول له غيره: بلى قد فعلت.

وبلى ونعم جوابان أحدهما يدخل فيما لا يدخل فيه الآخر؛ لأنّ بلى تدخل في باب الجحود. وقال الفراء: انما امتنعوا من استعمال نعم في جواب الجحد؛ لأنه اذا قال لغيره: ما لك علي شيء، فقال له: نعم، فكأنّه قد صدّقه؛ وكأنه قال: نعم ليس لي عليك شيء[٥]، فلهذا اختلف نعم وبلى.

---

(١) الملك: ١٧.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص١٣٤.

(٣) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٢، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٤٩.

(٤) الزمر: ٥٨.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٥٢.

وقوله: «سيئة» فن همز أتى بيائين بعدهما همزة، ومن ترك الهمزة على لغة أهل الحجاز يقول: «سية» مثل عية، ومن لين قال: «سيئة» كأنّه يشير الى الهمزة ويسكّنها .

المعنى:

قال مجاهد وابن عباس وأبو وايل وقتادة وابن جريج: «السيئة» هاهنا الشرك . وقال السدي: الذنوب التي وعد الله عليها النار[١] .

والذي يليق بمذهبنا هاهنا قول مجاهد؛ لأنّ ما عدا الشرك لا يستحقّ عندنا عَليه الخلود في النار.

«وأحاطت به خطيئته» قال ابن عباس ومجاهد: انّها الشرك [٢]. وقال الربيع بن خيثم: من مات عليها[٣]. وقال ابن السراج: هي التي سدّت عليه مسالك النجاة[٤] .

وقال جميع المعتزلة: انه اذا كان ثوابه أكثر من عقابه[٥] .

والذي نقوله: الذي يليق بمذهبنا إنّ المراد بذلك الشرك والكفر؛ لأنّه الذي يستحقّ به الخلود فأما ما عداه فلا يستحقّ به الدخول مؤبّداً، ولا يجوز أن يكون مراداً بالآية .

وقوله: «وأحاطت به خطيئته» يقوّي ذلك؛ لأن المعنى فيه أن تكون

---

(١) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٣٠٥، وتفسير ابن عبّاس: ص١٢.

(٢) تفسير ابن عبّاس: ص١٢، وتفسير مجاهد: ص٢٠٨ وفيه: الخطيئة يعني ممّا يعذّب الله عليها .....

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٠٦.

(٤) نقله الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٥٣.

(٥) لم نعثر عليه في المصادر المتقدمة وحكاه الفخر الرازي في التفسير الكبير: ج٣ ص١٤٤.

خطاياه كلّها اشتملت عليه ولا يكون معه طاعة يستحقّ بها الثواب، تشبيهاً بما أحاط بالشيء من كلّ وجه. ولو كان معه شيء من الطاعات، لكان مستحقاً للثواب فلا تكون السيئة محيطة به؛ لأنّ الاحباط عندنا باطل، فلا يحتاج الى تراعي كثرة العقاب وقلة الثواب؛ لأن قليل الثواب عندنا يثبت مع كثرة العقاب، لما ثبت من بطلان التحابط بأدلّة العقل ـ وليس هذا موضع ذكرها ـ لأنّ الآية التي بعدها فيها وعد لأهل الايمان بالثواب الدائم، فكيف يجتمع الثواب الدائم والعقاب الدائم، وذلك خلاف الاجماع؟ ومتى قالوا: أحدهما يبطل صاحبه، قلنا: الاحباط باطل ليس بصحيح على ما مضى.

قوله تعالى:

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ آية.

المعنى:

هذه الآية متناولة لمن آمن بالله وصدّق به، وصدق النبي صلّى الله عليه وآله وعمل الصالحات التي أوجبها الله تعالى عليه، فإنّه يستحقّ بها الجنة خالداً أبداً. وظاهرها يمنع من أنّ مرتكب الكبيرة مخلّد في النار؛ لأنه اذا كان مؤمناً مستحقاً للثواب الدائم، فلا يجوز أن يستحقّ مع ذلك عقاباً دائماً؛ لأن ذلك خلاف ما أجمع المسلمون عليه ومتى عادوا الى الاحباط، كلموا فيه بينهم وبين بطلان قولهم.

* * *

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «لا يعبدون» بالياء، الباقون بالتاء[١]. وقرأ «حَسَناً» بنصب الحاء والسين حمزة والكسائي، الباقون «حُسناً» بضمّ الحاء وإسكان السين[٢] وتقدير الآية: واذكروا أيضاً يا معشر بني اسرائيل اذ أخذنا ميثاقكم لا تعبدون إلّا الله، فلما أُسقطت «أن» رفع، كما قال الشاعر:

ألا أيهذا اللائمي اشهد الوغى وان اشهد اللذات هل أنت مخلدي[٣]

ومثله قوله: «أفغير الله تأمروني أعبد»[٤] ومن قرأ بالياء، تقديره: أنه أخبر أنه تعالى أخذ ميثاقهم لا يعبدون إلّا الله وبالوالدين احساناً، ثم عدل الى خطابهم فقال: «وقولوا للناس حسناً»، والعرب تفعل ذلك كثيراً.

وانما استخاروا أن يصيروا الى المخاطبة بعد الخبر؛ لأن الخبر انما كان عمّن خاطبوه بعينه، لا عن غيره. وقد يخاطبون ثم يصيرون بعد ذلك الى

---

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٢.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٢.

(٣) قائله طرفة بن العبد، انظر ديوانه بشرح الشنتمري: ص٣١.

(٤) الزمر: ٦٤.

الخبر عن المخاطب؛ مثال الأول قول الشاعر:

شطّت مزار العاشقين فأصبحت عسراً على طلابك ابنة مخرم[١]

مزار نصب، والتاء من اصبحت كناية عن المرأة فأخبر عنها ثم خاطبها.

ومثال الثاني قول الشاعر:

اسيئي بنا أو أحسني لا ملومةً لدينا ولا مقلية ان تقلت[٢]

وقال زهير:

فإنّي لو الاقيك اجتهدنا وكان لكلّ منكرة كفاء
وابري موضحات الرأس منه وقد يبرى من الجرب الهناء[٣]

ومن قرأ بالتاء فانّ الكلام من أوله خطاب، وتقديره: واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل، قلنا لا تعبدوا إلّا الله. قال بعض النحويين: المعنى واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلّا الله وبالوالدين إحساناً، حكاية؛ كأنّه قال: استحلفناهم لا يعبدون إلّا الله، اذ قلنا لهم: والله لو قالوا والله لا تعبدون[٤]. والأول أجود.

وقوله تعالى: «وبالوالدين احساناً» عطف على موضع أن المحذوفة في «تعبدون إلّا الله وبالوالدين إحساناً» فرفع لا تعبدون، لما حذفت أن، ثم عطف بالوالدين على موضعها، كما قال الشاعر:

معاوي اننا بشر فاسجح فلسنا بالجبالِ ولا الحديدا[٥]

---

(١) البيت لعنترة بن شداد، ديوانه: ص١٢، مع تفاوت.

(٢) قائله كثير عزّة، ديوانه: ص٥٧.

(٣) ديوانه: ص١٤.

(٤) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٣٠٧.

(٥) الكتاب لسيبويه: ج١ ص٦٧،وقائله عقيبة الأسدي.

فعطف ولا الحديد على موضع الجبال. واما الاحسان فمنصوب بفعل مضمر يؤدي عن معناه قوله: «وبالوالدين» اذ كان مفهوماً معناه.

وتقدير الكلام:واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا إلّا الله وأن تحسنوا الى الوالدين إحساناً، فاكتفى بقوله: «وبالوالدين» عن أن يقول بأن تحسنوا الى الوالدين إحساناً، اذ كان مفهوماً بما ظهر من الكلام.

وقال بعض أهل العربية: تقديره: وبالوالدين فاحسنوا، فجعل الباء التي في الوالدين من صلة الاحسان مقدمة عليه(١).

وقال آخرون: ألّا تعبدوا إلّا الله واحسنوا بالوالدين احساناً(٢)، فزعموا إنّ الباء في «وبالوالدين» من صلة المحذوف ـ أعني من أحسنوا ـ فجعلوا ذلك من كلامين.

والاحسان الذي أُخذ عليهم الميثاق بأن يفعلوه الى الوالدين ما فرض على أُمتنا من فعل المعروف والقول الجميل وخفض جناح الذلّ رحمةً بهما، والتحنن عليهما، والرأفة بهما، والدعاء لهما بالخير، وما أشبهه مما ندب الله تعالى الى الفعل بهما.

وقوله: «وذي القربى» أي وبذي القربى أن تصلوا قرابة منهم ورحمة.

اللغة:

والقربى مصدر على وزن فعلى من قولك: قرب مني رحم فلان قرابة وقربى وقرباً بمعنى واحد.

---

(١) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٣٠٨.

(٢) كالزجّاج في معاني القرآن: ج١ ص١٦٣، وأبي علي الفارسي في الحجّة: ج٢ ص١٠١.

واليتامى جمع يتيم مثل أسير وأُسارى، ويدخل في اليتامى الذكور منهم والإناث .

المعنى :

ومعنى ذلك : أخذنا ميثاق بني اسرائيل بأن لا تعبدوا إلّا الله وحده، دون ما سواه من الأنداد، وبالوالدين احساناً وبذي القربى أن يصلوا رحمه، ويعرفوا حقّه، وباليتامى ان يتعطّفوا عليهم بالرأفة والرحمة وبالمساكين أن يوفوهم حقوقهم التي ألزمها الله في أموالهم .

والمسكين هو المتخشّع المتذلل من الفاقة والحاجة وهو مفعيل من المسكنة وهي ذلّ الحاجة والفاقة .

وقوله: «وقولوا للناس حُسناً» فيه عدول الى الخطاب بعد الخبر على ما مضى القول فيه. وقد ذكرنا اختلاف القرّاء في حَسنا وحُسنا .

واختلف أهل اللغة في الفرق بينهما، فقال بعض البصريين: هو على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون أراد بالحُسن الحَسن، ويكون لمعنيين مثل البُخل والبَخل،واما أن يكون جعل الحَسن هو الحُسن في التشبيه؛ لأنّ الحَسن مصدر والحُسن هو الشيء الحَسن، فيكون ذلك كقول القائل: انما أنت أكل وشرب .

قال الشاعر:

وخيل قد دلفت لها بخيل تحية بينهم ضرب وجيع[1]

(١) معاني القرآن للاخفش: ج١ ص٣٠٩، والبيت لعمرو بن معد يكرب الزبيدي.

فجعْل التحية ضرباً. وقال آخر: بل الحُسن هو الاسم العام الجامع جميع معاني الحَسن، والحَسن هو البعض من معاني الحُسن، ولذلك قال تعالى اذ أوصى بالوالدين: «ووصّينا الانسان بوالديه حسناً» يعني بذلك انه وصّاه بجميع معاني الحَسن[١].

وقرىء في الشواذ حُسنى، لا يقرأ بها لشذوذها، حكاها الاخفش[٢]، وذلك لا يجوز؛ لأن فعلى وأفعل لا يستعمل إلّا بالالف واللام، نحو: الأحسن والحسنى، والأفضل والفُضلى، قال الله تعالى: «للذين أحسنوا الحُسنى»[٣].

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وعن عطا انهما قالا: وقولوا للناس حسنا للناس كلهم[٤].

وعن الربيع بن أنس، قولوا للناس حسناً أي معروفاً[٥].

وعن ابن الحنفية انه قال: «هل جزاء الاحسان إلّا الاحسان» هي مسجّلة للبر والفاجر[٦]، يريد بمسجّلها انها مرسلة. ومنهم من قال: أُمروا بأن يقولوا لبني اسرائيل حسنا.

قال ابن عباس: يأمرون بألّا اله إلّا الله من لم يقلها ويرغب عنها حتى

---

(١) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣١٠.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٣٠٩.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) أخرج قول الباقر عليه السلام الجصّاص في أحكام القرآن: ج١ص٣٩ وفي الكافي: ج٢ ص١٦٥ ح١٠، قال عليه السلام: قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال فيكم. واما عطا فقد أخرج قوله الطبري في تفسيره: ج١ ص٣١١.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٣١١.

(٦) شعب الايمان للبيهقي: ج٦ ص٥٢٥ ب٦٢ ح٩١٥٥.

يقولها كما قالوها؛ فانّ ذلك قربة لهم من الله. قال: والحسن ايضاً لين القول و[من] الادب الحسن الجميل والخلق الكريم وهو مما ارتضاه الله تعالى وأحبّه(١).

وقال ابن جريج: قولوا للناس حسنا أي صدقاً في شأن محمد صلّى الله عليه وآله. وقال سفيان الثوري: مروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر(٢).

وقوله: «وأقيموا الصلاة» أدّوها بحدودها الواجبة عليكم.

«وآتوا الزكاة» معناه واعطوها أهلها كما أوجبها عليكم. والزكاة التي فرضها الله على بني اسرائيل، قال ابن عباس: كان فرض في أموالهم قرباناً تهبط اليه نار فتحملها، وكان ذلك تقبله، ومن لم تفعل النار به ذلك كان غير متقبل. وروي عنه أيضاً ان المعني به طاعة الله والاخلاص(٣).

وقوله: «ثم تولّيتم إلّا قليلاً منكم وأنتم معرضون» خبر من الله تعالى عن يهود بني اسرائيل إنّهم نكثوا عهده ونقضوا ميثاقه، بعد ما أخذ ميثاقهم على الوفاء له، بأن لا يعبدوا غيره، وبأن يحسنوا إلى الآباء والأُمهات، ويصلوا الأرحام، ويتعطّفوا على الأيتام، ويردّوا حقوق المساكين، ويأمروا عباد الله بما أمرهم به، ويقيموا الصلاة بحدودها، ويؤتوا زكاة أموالهم، فخالفوا أمره في ذلك كله، وتولّوا عنه معرضين إلّا من عصمه الله منهم، فوفى لله بعهده وميثاقه.

و وصف هؤلاء بأنّهم قليل بالاضافة الى من لم يؤمن.

وقال بعضهم: أراد «ثم تولّيتم إلّا قليلاً منكم وأنتم معرضون» اليهود

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣١١، وانظر كتاب الناسخ والمنسوخ للنحّاس: ص٢٥.

(٢)و(٣) أخرج ذلك ابن جرير في تفسيره: ج١ ص٣١١.

الـذين كـانوا على عـهد رسـول الله صلّى الله عـليه وآله، وعنى بسـائر الاية اسلافهم[١]؛ كأنّه ذهب الى أن معنى الكلام: ثمّ تولّيتم إلّا قلـيلاً منكم ثم تولّى سلفـكم إلّا قليلاً منهـم، ثم قال: وأنتم معاشر بـقاياهم معـرضون أيضاً عن الميثاق الذي أُخذ عليكم.

وقال قوم:بل قـوله: «ثم توليـتم إلّا قليلاً منكم وأنتم مـعرضون» خطاب لمن كان بين ظهراني مـهاجـري رسول الله صلّى الله عليه وآلـه من يهود بني اسرائيل، وذمّ لهم بـنقضهم الميـثاق الذي أُخذ عليهـم في التوراة، وتبديـلهم أمر الله وركوبهم معاصيه[٢].

وروي عـن ابن عـباس أنـه قال: قـولـه:«وقولـوا للـناس حُسناً» نسخ بقوله: قاتلوهم حتى يقولوا لا إله إلّا الله أو يقرّوا بالجزية[٣]. وقال آخرون: لـيست منسوخة لكـن أُمـروا بأن يقولوا حسنـاً في الاحتجاج عليهم اذا دعوا الى الايمان، وبيّن ذلك لهم[٤]. وقال قتادة: نسختها آية السيف[٥].

والصـحيح انهـا ليست مـنسوخة، وانما أمـر الله تعالى بـالقول الحسن في الدعـاء اليه والاحـتجـاج عليـه، كما قال تعالى لنـبيه صلّى الله عـليه وآله: «ادع الى سـبـيـل ربـك بـالحكمة والموعظة الحسـنـة وجـادلهـم بـالتي هي أحسـن»[٦] وبيّن في آية أُخـرى، فقال: «ولا تسبّوا الـذين يدعون من دون الله فيسبّـوا الله عدواً بغير علـم»[٧] وليس الأمر بالقتال نـاسخاً لذلك؛ لأن

---

(١)و(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣١٢.

(٣) أحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٣٩.

(٤) كالنحاس في الناسخ والمنسوخ: ص٢٥.

(٥) أحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٣٩، قال فيه: منسوخة بالقتال.

(٦) النحل: ١٢٥.

(٧) الأنعام: ١٠٨.

كل واحد منهما ثابت في موضعه .

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قد بينّا فيما مضى أنّ الميثاق هو العهد. والمعنى في الآية: واذكروا اذ أخذنا ميثاق أسلافكم الذين كانوا في زمن موسى والأنبياء الماضين عليهم السلام، وانما أضاف اليهم لما كانوا أخلافا لهم على ما مضى القول فيه .

وتقدير الإعراب في هذه الآية مثل الآية الأُولى سواء .

وأمّا سفك الدم، فانه صبه واراقته. ومعنى «لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم» النهي عن أن يقتل بعضهم بعضاً، وكان في قتل الرجل منهم قتل نفسه إذا كانت ملتهما واحدة ودينهما واحدا، وكان أهل الدين الواحد في ولاية بعضهم بعضاً بمنزلة رجلٍ واحد، كما قال النبي صلّى الله عليه وآله: انما المؤمنون في تعاطفهم وتراحمهم بينهم بمنزلة الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالحمى والسهر.[1] فهذا قول قتادة وابي العالية[2] .

---

(١) شعب الايمان للبيهقي: ب٥٣ ح٧٦٠٩ ج٦ ص١٠٢ مع تفاوت يسير،وتفسيرالطبري: ج١ ص٣١٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣١٢،وتفسيرالماوردي: ج١ص١٥٥.

ويحتمل أن يكون المراد لا يقتل الرجل منكم غيره فيقاد به قصاصاً. فيكون بذلك قاتلاً نفسه؛ لأنّه كالسبب فيه، وأُضيف قتل الولي اياه قصاصاً اليه بذلك؛ كما يقال لرجل يعاقب لجناية جناها على نفسه: أنت جنيت على نفسك.

وفيه قول ثالث: وهو إنّ قوله: «أنفسكم» أراد به إخوانكم؛ لأنهم كنفسٍ واحدة.

وقوله: «ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون» أي أقررتم بذلك أيضاً، وبذلتموه من أنفسكم، وانتم شاهدون على من تقدّمكم بأخذنا منهم الميثاق، وما بذلوه من أنفسهم. فذكر تعالى إقرارهم وشهادتهم؛ لأن أخذ الميثاق كان على أسلافهم وإن كان لازماً للجميع، لتوكيد الحجّة عليهم.

وقال بعض المفسرين: نزلت هذه الآية في بني قريظة والنضير(١).

يقول: حرم الله في الكتاب أن تسفكوا دماءكم، أي لا تقتتلوا فيقتل بعضكم بعضاً، ولا تتركوا اسيراً في يد الآسرين ليقتلوا، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم، معناه لا تغلبوا أحداً على داره فتخرجوه، فقبلتم ذلك وأقررتم به، وهو أخذ الميثاق «وأنتم تشهدون» بذلك.

وأما النفس فمأخوذة من النفاسة، وهي الجلالة، فنفس الانسان أنفس ما فيه. والدار هي المنزل الذي فيه أبنية المقام، بخلاف منزل الارتحال.

وقال الخليل: كل موضع حل فيه قوم فهو دار لهم وان لم يكن فيه أبنية(٢). وقيل ايضاً: إن معنى قوله: «ثم أقررتم وأنتم تشهدون» ان اقرارهم

---

(١) ذكر ذلك ابن عباس في تفسيره: ص١٣، وابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن: ص٣٧١.

(٢) العين: مادة «دور» ج٨ ص٥٨.

هو الرضاء به والصبر عليه، كما قال الشاعر:

ألست كليبياً اذ سيم خطة أقرّ كاقرار الحليلة للبعل[١]

وقوله: «وأنتم تشهدون» يحتمل أمرين:

أحدهما: وانتم تشهدون على انفسكم بالاقرار.

والثاني: وانتم تحضرون دماءكم وتخرجون أنفسكم من دياركم.

وحكي عن ابن عباس أنّه قال: ذلك خطاب من الله تعالى لليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجري رسول الله صلّى الله عليه وآله، أيام هجرته إليهم موبخاً لهم على تضييعهم أحكام ما في أيديهم من التوراة التي كانوا يقرّون بحكمها، فقال الله تعالى لهم: «ثم أقررتم» يعني بذلك أقر أوّلكم وسلفكم وأنتم تشهدون على إقرارهم بأخذ الميثاق عليهم بأن لا يسفكوا دماءهم، ولا يخرجوا انفسهم من ديارهم، ويصدقوا بأنّ ذلك حق من ميثاقي عليكم[٢].

وقال ابو العالية: ذلك خبر من الله عن أوائلهم، ولكنه اخرج الخبر مخرج المخاطبة عنهم على النحو الذي وصفناه في سائر الآيات[٣].

«وانتم تشهدون» أي وأنتم شهود.

* * *

(١) لم نعثر عليه.

(٢) و(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣١٣.

قوله تعالى:
﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ أهل الكوفة «تظاهرون» هاهنا، وفي التحريم بتخفيف الظاء، الباقون بالتشديد فيهما. وقرأ حمزة «أسرى» بفتح الهمزة، وسكون السين بغير الف بعدها. وقرأ أهل المدينة وعاصم والكسائي ويعقوب «تفادوهم» بضمّ التاء وبألف[1].

المعنى:

وقوله: «ثمّ أنتم هؤلاء» يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون أُريد به ثمّ أنتم يا هؤلاء فترك (يا) استغناءً، لدلالة الكلام عليه، كما قال: «يوسف أعرض عن هذا»[2] ومعنى الكلام: ثم أنتم يا معشر يهود بني اسرائيل بعد إقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم ألّا

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٣، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٥٠.
(٢) يوسف: ٢٩.

تسفكوا دماءكم، ولا تخرجوا أنفسكم من دياركم، وبعد شهادتكم على أنفسكم بذلك أنه حق لازم لكم الوفاء به تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم متعاونين عليهم في إخراجكم إياهم بالإثم والعدوان.

والتعاون هو التظاهر، وإنما قيل للتعاون: التظاهر؛ لتقوية بعضهم ظهر بعضٍ،فهو تفاعل من الظهر، وهو مساندة بعضهم ظهره الى ظهر بعض، قال الشاعر:

تظاهرتم أشباه نيبٍ تجمعت على واحدٍ لازلتم قرن واحد[١]

ومنه قوله تعالى: «وان تظاهرا عليه فإنّ الله هو مولاه» وقوله: «والملائكة بعد ذلك ظهير»[٢] وقوله: «ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً»[٣] وقوله: «سحران تظاهرا»[٤] وقوله: «وكان الكافر على ربه ظهيراً»[٥] ويقال: اتخذ معك نفراً ونفرين ظهيرين يعني عدة.

والوجه الآخر:أن يكون معناه: ثم أنتم القوم تقتلون انفسكم فيرجع الى الخبر عن (انتم)،وقد اعترض بينهم وبين الخبر عنهم «هؤلاء»،كما تقول العرب: انا ذا أقوم، وأنا ذا أجلس. ولو قيل: أنا هذا يجلس لكان صحيحاً، وكذلك انت ذاك تقوم.

وقال بعض النحويين[٦]: إنّ هؤلاء في قوله: «ثم أنتم هؤلاء» تنبيه،

---

(١) لم نعثر عليه

(٢) التحريم: ٤.

(٣) الإسراء: ٨٨.

(٤) القصص: ٤٨.

(٥) الفرقان: ٥٥.

(٦) كالأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٣١٤-٣١٧.

وتوكيد لأنتم، وزعم أن انتم ـوان كان كناية عن أسماء جميع المخاطبين ـ فانما جاز أن يؤكد بهؤلاء وأُولاء يكنّى بها عن المخاطبين، كما قال خُفاف بن ندبة[١]:

أقول له والرمح يأطر متنه تبيّن خفافاً انني أنا ذلكا[٢]

يريد أنا هو، وكما قال: «حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة»[٣].

والاثم قيل: معناه هو ما تنفر منه النفس ولم يطمئن اليه القلب،ومنه قول النبي صلّى الله عليه وآله لنواس بن سمعان حين سأله عن البرّ والاثم، فقال صلّى الله عليه وآله: البرّ ما اطمأنت اليه نفسك والاثم ما حكّ في صدرك[٤].

وقال قوم: معنى الاثم ما يستحقّ عليه الذمّ[٥]، وهو الأصحّ.

والعدوان مجاوزة الحقّ، وقال قوم: هو الافراط في الظلم[٦].

وأسرى جمع أسير،وأُسارى جمع أسرى. كما قالوا: مريض ومرضى

---

(١) وهو خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد السلمي، وأُمّه نَدْبَة سوداء واليها ينسب ويكنى أباخراشة، وأسلم وبقي الى زمن عمر وكان قد شهد مع النبي صلّى الله عليه وآله فتح مكة ومعه لواء بني سُليم.

(الشعر والشعراء: ص١٩٦-١٩٧).

(٢) الشعر والشعراء: ص١٩٦، ومعاني القرآن للأخفش: ج١ ص٣١٤، وفيها «تأمّل» بدل «تبيّن».

(٣) يونس: ٢٢.

(٤) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص١٨٢، وأخرجه الدارمي في سننه ج٢ ص٢٤٦، مع تفاوت.

(٥) ذكره الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٥٥، والقرطبي في تفسيره: ج٢ ص٢٠.

(٦) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٦٦.

وجريح وجرحى وكسير وكسرى، هذا قول المفضل بن سلمة (١).

قال أبو عمرو بن العلاء: الأُسارى هم الذين في الوثاق،والأسرى الذين في اليد وان لم يكونوا في الوثاق(٢).

ومعنى تفادوهم أو تفدوهم: طلب الفدية من الأسير الذي في أيديهم من أعدائهم، قال الشاعر:

قفي فادي أسيرك إنّ قومي وقومك ما أرى لهم اجتماعا(٣)

وكان هذا محرماً عليهم ـ وان كان مباحاً لنا ـ فذكر الله تعالى توبيخاً لهم في فعل ما حرم عليهم. وقال آخرون: انه افتداء الاسير منهم اذا أسره اعداؤهم (٤).

وهذا مدح لهم ذكره من بعد ذمّهم إنّهم خالفوه في سفك الدماء، وتابعوه في افتداء الاسرى استشهاداً على هذا الباطل بقوله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض».

وقال قوم: الفرق بين تفدوهم وتفادوهم: إنّ تفدوهم هو افتكاك بمال، وتفادوهم هو افتكاك الاسرى بالأسرى(٥).

واختلفوا فيمن عنى بهذه الآية فروى عكرمة عن ابن عباس انه قال: «ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم» الى قوله: «والعدوان» أي أهل الشرك حتى يسفكوا دماءهم معهم، ويخرجوهم من ديارهم معهم، قال: أنبأهم الله

---

(١) حكاه الازهري في تهذيب اللغة عن أبي اسحاق: مادة «أسر» ج١٣ ص٦١.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٥٢.

(٣) لم نعثر عليه وذكره القرطبي في جامعه: ج٢ ص٢٢.

(٤) أحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٤٠.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٥٢.

بذلك من فعلهم، وقد حرم عليهم في التوراة سفك دمائهم، وافترض عليهم فيها فداء أسراهم. وكانوا فريقين: طائفة منهم بنو قينقاع وأنّهم حلفاء الخزرج، وبنو النضير وقريظة وانهم حلفاء الاوس.

وكانوا اذا كانت بين الأوس والخزرج حرب خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت بنو النضير وقريظة مع الأوس، يظاهر كل فريق حلفاءه على إخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم وبأيديهم التوراة، يعرفون منها ما عليهم ولهم.

والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان ولا يعرفون جنّةً ولا ناراً، ولا قيامة ولا كتاباً، ولا حلالاً ولا حراماً، فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أُسراهم تصديقاً لما في التوراة، واخذا به يفتدي بنو قينقاع من كان من أُسراهم في أيدي الاوس، ويفتدي بنو النضير وقريظة ما كان في ايدي الخزرج، ويطلبون ما اصابوا من الدماء، وما قتلوا من قتلوا منهم، فيما بينهم مظاهرة لأهل الشرك عليهم.

يقول الله تعالى حين انبأهم بذلك: «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» أي تفادونهم بحكم التوراة، وفي حكم التوراة أن لا يقتل ويخرج من داره، ويظاهر عليه من يشرك بالله ويعبد الأوثان من دونه ـ ابتغاء عرض الدنيا ـ ففي ذلك من فعلهم مع الاوس والخزرج نزلت هذه القصة[١].

وذكر فيه أقوال أُخر تزيد وتنقص لا فائدة في ذكرها، معناها متقارب لما أوردناه.

---

(١) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣١٤.

وقوله: «يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» القصد بذلك توبيخهم وتعنيفهم على سوء أفعالهم فقال: ثم أنتم بعد اقراركم بالميثاق الذي أخذته عليكم لا تسفكوا دماءكم ولا تخرجوا انفسكم من دياركم تقتلون انفسكم يعني يقتل بعضكم بعضاً.

وأنتم مع قتلكم من تقتلون منكم، اذا وجدتم اسيراً منكم في أيدي غيركم من أعدائكم تفدونهم، ويخرج بعضكم بعضاً من ديارهم، وقتلكم اياهم واخراجكم اياهم من ديارهم حرام عليكم، كما حرام عليكم تركهم اسرى في أيدي عدوكم. فكيف تستجيزون قتلهم ولا تستجيزون ترك فدائهم، وتستجيزون قتلهم وهما جميعاً في اللازم لكم من الحكم فيهم سواء؛ لأن الذي حرمت عليكم من قتلهم واخراجهم من دورهم نظير الذي حرمت عليكم من تركهم أسرى في أيدي عدوهم.

«أفتؤمنون ببعض الكتاب» الذي فرضت عليكم فيه فرائضي وبيّنت لكم فيه حدودي، وأخذت عليكم بالعمل بما فيه ميثاقي، فتصدّقون به فتفادون أُسراكم من أيدي عدوكم، وتكفرون ببعضه فتجحدونه فتقتلون من حرمت عليكم قتله، من أهل دينكم ومن قومكم، وتخرجونهم من ديارهم، وقد علمتم إنّ في الكفر منكم ببعضه نقضاً منكم في عهدي وميثاقي.

وقوله: «فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلّا خزي في الحياة الدنيا».

فالخزي الذلّ والصغار، يقال: خزي الرجل يخزى خزياً.

«في الحياة الدنيا» يعني في عاجل الدنيا قبل الآخرة. ثمّ اختلفوا في الخزي الذي خزاهم الله بما سلف منهم من المعصية فقال بعضهم: ذلك

حكم الله الذي أنزله على نبيه صلّى الله عليه وآله من أخذ القاتل بما قتل، والقود به قصاصاً، والانتقام من الظالم للمظلوم[١] .

وقال آخر: بل ذلك هو الجزية منهم ـ ما أقاموا على دينهم ـ ذلّة لهم وصغاراً[٢] .

وقال آخرون: الخزي الذي خزوا به في الدنيا إخراج رسول الله صلّى الله عليه وآله بني النضير من ديارهم لأول الحشر[٣] . وقيل: مقاتلة بني قريظة وسبي ذراريهم، وكان ذلك خزياً في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم[٤] .

ومعنى قوله: «يوم القيامة يردّون الى أشدّ العذاب» أي أسوء العذاب، يعني بعد الخزي الذي يحلّ بهم في الدنيا يردهم الله الى أشدّ العذاب الذي أعدّه الله لأعدائه .

وقال بعضهم: يردّهم يوم القيامة الى أشدّ العذاب، يعني أشدّ من عذاب الدنيا[٥] .

والأول أقوى، انه من أشدّ العذاب يعني أشدّ جنس العذاب. وذلك يقتضي العموم ولا يخصّ إلّا بدليل .

وقوله: «وما الله بغافلٍ عـمّا تعملون» منهم من قرأ بالياء، ردّه الى من

---

(١) تفسير ابن عباس: ص١٣، قريب منه.

(٢) حكاه الطبري في التفسير: ج١ ص٣١٨، والفخر الرازي في التفسير الكبير نقلاً عن الحسن: ج٣ ص١٧٤.

(٣) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣١٨، والفخر الرازي في التفسير الكبير: ج٣ ص١٧٤.

(٤) معاني القرآن للزجّاج: ج١ ص١٦٧.

(٥) انظر تفسير الطبري: ج١ ص٣١٨.

أخبر عنهم. ومن قرأ بالتاء، ردّه الى المواجهين بالخطاب .

والياء أقوى لقوله: «فما جزاء من يفعل ذلك». وقوله: «ويوم القيامة يردّون» فالردّ الى هذا أقرب من قوله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب» فاتباع الأقرب أولى من إلحاقه بالأول. والكلّ حسن .

والمعنى وما الله بساهٍ عن أعمالهم الخبيثة بل هو مُحصٍ لها وحافظ لها حتى يجازي عليها .

فان قيل : ظاهر الآية يقتضي أن يصحّ الايمان ببعض الأشياء، وإن كفروا بالبعض الآخر، وذلك منافٍ لمذهبكم في الأرجاء والموافاة؛ [قلنا]: لأنّ المعنى في ذلك إظهار التصديق بالبعض، والمنع بالتصديق بالبعض الآخر. ويحتمل أن يكون المراد ان ذلك على ما يعتقدونه؛ لأنّكم اذا اعتقدتم جميع ذلك ثم عملتم ببعضه دون بعض، فكأنكم آمنتم ببعضه دون بعض .

قوله تعالى:

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٨٦﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «أُولئك» إشارة الى الذين أخبر عنهم يؤمنون ببعض الكتاب، فيفادون أُساراهم من اليهود، ويكفرون ببعض فيقتلون من حرّم الله عليهم قتله من أهل ملّتهم، ويخرجون من داره من حرّم الله اخراجه. هم الذين اشتروا رياسة الحياة الدنيا، ومعناه ابتاعوها على الضعفاء وأهل الجهل والغباء منهم .

وانما وصفهم بـأنّهم اشتروا الحياة الدنيا بـالآخرة؛ لأنّهم رضوا بالدنيا بكفرهم بالله عز وجل فيها عوضاً من نعيم الآخرة الذي أعدّه الله للمؤمنين. فجعل تركهم حظوظهم من نعيم الآخرة بكفرهم بالله ثمناً لما ابتاعوه من خسيس الدنيا بما أخبر الله أنه لا حظّ لهم في نعيم الآخرة، وأنّ لهم في الآخرة عذاباً غير مخفّف عنهم فيها العقاب .

وقوله: «ولا هم ينصرون» أي لا ينصرهم أحدٌ في الآخرة فيدفع عنهم بنصرته عذاب الله تعالى .

قوله تعالى:

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ أهل الكوفة الرسل مثقل في جميع القرآن[1]. وقرأ ابن كثير «القدس» بسكون الدالّ حيث وقع، الباقون بتثقيلها[2] .

المعنى:

ومعنى قوله: «آتينا موسى الكتاب» أنزلناه اليه وأعطيناه، والكتاب

---

(١) اعراب القرآن للنحّاس: ج١ ص٢٤٥، قال: لغة أهل الحجاز الرسل بضمتين.

(٢) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٣. وكتاب الحُجَة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص١١٩.

المراد به التوراة .

وقوله: «وقفّينا» معناه واردفنا، واتبعنا بعضه خلف بعض، كما يقفو الرجل الرجل اذا سار في أثره من ورائه، وأصله من القفا، يقال فيه:قفوت فلاناً اذا صرت خلف قفاه، كما يقال:دبّرته اذا صرت في دبره، قال امرؤ القيس:

وقفى على آثارهنّ بحاصب ... فرّ العشى البارد المتحصّب[1]

ومعنى قوله: «بالرسل» من بعد موسى والمراد بالرسل الانبياء، وهم جمع رسول،يقال: رَسول ورسُل، كما يقال: رجل صبور وقوم صُبر، ورجل شكور وقوم شكر. والمعنى في «قفّينا» أتبعنا بعضهم بعضاً على منهاجٍ واحد وشريعة واحدة؛ لأنّ كلّ من بعثه الله نبياً بعد موسى الى زمن عيسى بن مريم عليه السلام فانما بعثه باقامة التوراة والعمل بما فيها والدعاء الى ما فيها، فلذلك قال: «وقفّينا من بعده بالرسل» يعني على منهاجه وشريعته .

وقوله: «واتينا عيسى بن مريم البيّنات» اعطينا عيسى بن مريم الحجج والدلالات على نبوته من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص، ونحو ذلك من الآيات التي دلّت على صدقه وصحّة نبوته .

وقوله: «وأيدناه بروح القدس» أي قويناه واعناه، يقال منه: ايدك الله أي قواك الله، وهو رجل ذو أيد وذو أياد أي ذو قوّة، ومنه قول العجّاج:

من ان تبدّلت بآدٍ آدا[2]

يعني بقوة شبابي قوة الشيب،قال الشاعر:

---

(١) ديوانه: ص٣٨ وروايته «فقفى» بدل «وقفى».

(٢) إصلاح المنطق لابن السكيت: ص٩٤ ، وعجزه: لم يكُ ينآد فأمسىٰ انآدا.

ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو جلد وبطش أيّد[١]

يعني بالايد القوي، قال قتادة والسدي والضحاك والربيع: روح القدس هو جبرائيل عليه السلام[٢]. قال ابن زيد: ايد الله عيسى بالانجيل روحاً كما جعل القرآن روحاً، كلاهما روح الله، كما قال: «وكذلك أوحينا إليك روحاً من امرنا»[٣]. وروى الضحاك عن ابن عباس ان الروح الاسم الذي كان يحيي به الموتى[٤].

واقوى الاقوال قول من قال: هو جبرائيل عليه السلام لأنّ الله تعالى أيد عيسى به، كما قال تعالى: «ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيّدتك بروح القدس تكلّم الناس في المهد وكهلاً واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل»[٥] فأخبر انه أيّده به، فلو كان المراد به الانجيل لكان ذلك تكراراً.

وانما سمّى الله تعالى جبرائيل روحاً واضافه الى القدس؛ لأنه كان بتكوين الله روحاً من عنده من غير ولادة والدٍ ولده.

وقال قوم: سمّي روحاً لأنه كان بمنزلة الارواح للابدان تحيي بما يأتي به من البينات[٦]. وقال آخرون: سمي بذلك، لأن الغالب على جسمه الروحانية لرقّته وكذلك سائر الملائكة، وانما خصّ به تشريفاً[٧].

---

(١) مروج الذهب: ج٣ ص١٦٦، وفيه «باليد» بدل «ايد».

(٢) كتاب الحجّة «لأبي علي الفارسي»: ج٢ ص١١٩.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٢٠، وكتاب الحجّة: ج٢ ص١١٩.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٣٢٠.

(٥) المائدة: ١١٠.

(٦) و(٧) تفسير الماوردي: ج١ ص١٥٦.

والتقديس التطهير، والقدس الطهر وقال السدي: القدس هاهنا البركة[١]، يقال: قدس عليه برك عليه. ويكون اضافته الى نفسه كقوله: «حقّ اليقين»[٢]. وقال الربيع: القدس الرب. وقال ابن زيد: القدس هو الله، وأيّده بروحه، واحتج بقوله: «الملك القدّوس»، وقال:القدوس والقدس واحد[٣]. وروي عن ابن عباس: إنّ القدس الطاهر[٤]، وقال الراجز:

الحمد لله العلي القادس[٥]

وقال رؤبة:

دعوت رب القوة القدوسا[٦]

وقوله: «أفكلّما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون» فالخطاب بذلك متوجّه الى يهود بني اسرائيل، وكأنّه قال: يا معشر يهود بني اسرائيل لقد آتينا موسى التوراة، وتابعنا من بعده الرسل اليكم، وآتينا عيسى بن مريم الحجج والبينات، إذ بعثناه اليكم وأيّدناه بروح القدس، وانتم كلّما جاءكم رسول من رسلي بغير الذي تهواه انفسكم استكبرتم عليهم تجبراً وبغياً، وكذّبتم منهم بعضاً وقتلتم بعضاً وظاهر الخطاب وإن كان خرج مخرج التقدير فهو بمعنى الخبر.

---

(١) تفسير الطبري: ج٢ ص٣٢١.

(٢) الواقعة: ٩٥.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٢١ ، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٥٦.

(٤) تفسير ابن عباس: ص١٣، وكتاب الحجة: ج٢ ص١٢٠.

(٥) و(٦) الحُجة: ج٢ ص١٢٠.

قوله تعالى:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ آية واحدة.

القراءة واللغة:

القرّاء المعروفون على تسكين اللام من قوله غلف. وقال ابن محيص: غلف بضم اللام[١] وروي عن ابن عباس ذلك [٢]. فمن قرأ بالتسكين قال: معنى غلف الواحد منها أغلف وغلف مثل أحمر وحُمُر فكأنّهم قالوا: قلوبنا أوعية فلم لا تعي ما تأتينا به قالوا كما: «قالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب»[٣] أي لا تفقه لأنها في حجاب، ومنه يقال للرجل الذي لم يختن: اغلف والمرأة غلفاء، ويقال للسيف اذا كان في غلاف: أغلف، وقوس غلفاء وجمعها غلف، وكذلك كل لغة على وزن افعل للذكر والانثى فعلاء يجمع على فعل مضمومة الأول ساكنة الثاني نحو أحمر وحُمر واصفر وصُفر فيكون ذلك جمعاً للتذكير والتأنيث،ولا يجوز تثقيل عين الفعل إلّا في ضرورة الشعر، قال طرفة:

أيها الفتيان في مجلسنا جرّدوا منها وراداً وشُقر[٤]

فحرّك لضرورة الشعر، ومن قرأ «غلف» مثقّلاً قال: هو جمع غلاف مثل: مثال ومُثل وحمار وحُمر. فيكون معناه إنّ قلوبنا أوعية للعلم فما بالها

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٤.

(٢) ذكره الفارسي في الحجّة: ج٢ ص١٢٤.

(٣) فصلت: ٥.

(٤) ديوان طرفة بن العبد بشرح الشنتمري: ص٦٩.

لا تفهم، وهي أوعية للعلم. ويجوز أن يكون التسكين عن التثقيل مثل رسْل ورُسل.

وقال عكرمة: غلف أي عليها طابع[١].

المعنى:

والمعنى عندنا إنّ الله أخبر إنّ هؤلاء الكفار ادعوا إنّ قلوبهم ممنوعة من القبول، وذهبوا الى أنّ الله منعهم من ذلك، فقال الله رداً عليهم: «بل لعنهم الله بكفرهم» أي انهم لما كفروا فألفوا كفرهم واشتدّ اعجابهم به ومحبتهم إياه، منعهم الله من الالطاف والفوائد ما يؤتيه المؤمنين ثواباً على ايمانهم وترغيباً لهم في طاعتهم وزجر الكافرين عن كفرهم؛ لأن من سوّى بين المطيع والعاصي له فقد اساء اليهما.

وفي الآية ردّ على المجبرة أيضاً؛ لأنهم قالوا مثل ما يقول اليهود من أنّ على قلوبهم ما يمنع من الايمان ويحول بينهم وبينه، وكذّبهم الله تعالى في ذلك بأن لعنهم وذمهم، فدلّ على أنهم كانوا مخطئين كما هم مخطئون.

وقال أبو علي الفارسي: ما يدرك به المعلومات من الحواس وغيرها، اذا ذكر بانه لا يعلم وصف بأنّ عليه مانعاً، كقوله تعالى: «افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»[٢] فان القفل لما كان مانعاً من الدخول الى المقفل عليه شبّه القلوب به، ومثله قوله: «سكّرت أبصارنا» وقوله: «الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري» ومثله «بل هم منها عمون» وقوله:

---

(١) أخرجه الطبري عن قتادة: ج١ ص٣٢٢. وفي تفسير القرطبي عن عكرمة: ج٢ ص٢٥.

(٢) محمد: ٢٤.

«صمُ بكـم»، لأنّ العين اذا كانت في غطاء لم ينفـذ شعاعهـا فلا يقـع بها إدراك ، فكـأن شدّة عـنادهم بحـملـهم على دفـع المعلومات[١]. والـلعن هو الاقصاء والابعاد، يقـال: لعن الله فلاناً يـلعنه لعـناً فهو ملـعون، ثمّ يصرف مفعول الى فعيل، فيقال: هو لعين، كما قال الشماخ بن ضرار:

دعـوت بـه الـقطـا ونـفـيـت عـنـه مقام الـذئـب كالرجـل الـلعين[٢]

أي المبـعد. فصار معنى الآية قـالت اليهـود: «قلوبنا في أكـنّة مما تدعونا اليه»[٣] محمد صلّى الله عـليه وآله، فقال الله: ليس ذلك كما زعموا ولكنّه تعالى أقصاهم وأبعدهم عن رحمته وطردهم عنها لجحودهم به وبرسله .

وقوله تعالى: «قـليلاً ما يؤمـنون» قال قتادة: قـليلاً منهم من يـؤمن[٤]. وقال قـوم: «قلـيلاً ما يـؤمنـون» أي لا يؤمنون إلّا بقـليـل مما في أيديهم[٥]. والذي نقوله: ان معنى الآية إنّ هـؤلاء الذين وصفهم الله تعالى قليلو الايمان بما انزله الله تـعـالى على نبيه محـمـد صلّى الله عليـه وآله ولذلك نصب قـوله: «قليلاً» لأنّه نصب على نعـت المصدر المتروك ، وتقديره:لـعنهم الله بكفرهم فإيماناً قـليلاً يؤمنون. ولـو كان الامر على ما قـال قتادة لكان القليل مرفوعاً، وكان تقديره فقليل ايمانهم .

وقال قوم من أهل العـربـية: انّ (ما) زائدة لا معنى لها، كـقـوله: «فبما رحمة من الله لنت لهم» وتقدير الكلام: قليلاً يؤمنون، وانشد بيت مهلهل:

---

(١) كتاب الحجّة: ج٢ ص١٢٣.

(٢) مجاز القرآن: ج١ ص٤٦، وفيه «ذَعرتُ» بدل «دعوت».

(٣) فصلت: ٥.

(٤) تفسير الواحدي (هامش تفسير النووي): ج١ ص٢١، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٢٣.

(٥) نفس المصدر السابق والقول للواحدي.

لـو بـأبـانين جـاء يخطبهـا ضرج ما انف خاطب بدم(١)

يعني ضرج انف خاطب،وما زائدة. وقال قوم: ذلك خطأ في الآية وفي البيت وان ذلك من المتكلّم على ابتداء الكلام بالخبر عن عموم جميع الأشياء اذا كانت «ما» كلمة تجمع كل الاشياء، ثم تخص بعض ما عمته، فانها تذكر بعدها(٢). وفي الناس من قال: «فقليلاً ما يؤمنون»؛ لأنه كان معهم بعض الايمان من التصديق بالله وبصفاته وغير ذلك مما كان فرضاً عليهم، وذلك هو القليل بالاضافة الى ما جحدوا به من التصديق بالنبي صلّى الله عليه وآله وما جاء به(٣).

والذي يليق بمذهبنا ان نقول: إنه لم يكن معهم ايمان أصلاً، وانما قال: «فقليلاً ما يؤمنون» كما يقول القائل: قل ما رأيت هذا قط. وروي عنهم سماعاً أعني العرب: مررت ببلد قل ما ينبت إلّا الكراث والبصل، يريدون ما ينبت إلّا الكراث والبصل.

قوله تعالى:

وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

التقدير: ولما جاء اليهود من بني اسرائيل الذين وصفهم الله كتاب من

(١) كالأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٣١٩، وفيه «خضب» بدل «ضرّج» وفي النسخة الحجرية «لوما بين» وفي الخطية «لوبانين» مهمله بدل «بابانين».

(٢) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٢٤. (٣) معاني القرآن للفراء: ج١ ص٦٠.

عـند الله يعني به القرآن الـذي انزله على محمد صلّى الله عـليه وآله واشتقاق الكتاب من الكتـب، وهو جمع كتبة وهي الخرزة. وكلما ضممت بعضه الى بعض، فقد كـتبته. والكـتيبة من الجيش مـن هذا الانضمام بعضـها الى بعض .

وقوله: «مصدّق لما معهـم» من الكتب التي أنزلها الله قـبل القرآن من التوراة والانجيل وغيرهما. ومعنى «مصدق لما معهم» لما في التوراة والانجيل، والاخبار التي فيها. ويحتمـل أن يـكون المراد: مصدق بأن التـوراة والانجـيل مـن عند الله. و«مصدق» رفـع لأنـه نعت الكـتـاب، ولو نصب على الحال لكان جائزاً لكن لم يقرأ به .

وقوله: «وكانوا مـن قبل يستفـتحون على الذين كفروا» قال أبو عبيدة: معنـاه يستـنصرون(١). قـال ابن عبـاس: إن اليهود كـانوا يسـتنصرون على الأوس والخزرج بـرسول الله صلّى الله عليه وآله قبل مبعـثه فلما بعثه الله في الـعرب، فقال لهم معـاذ بن جبل وبشر بن معـرور: يا معشر اليهود اتقوا الله واسلموا فقـد كنتم تستفـتحون علينـا بمحمد صلّـى الله عليه وآله ونحـن أهل الشرك ، وتخبرونا بأنه مـبعوث، فقال لهم سلام بـن‌مشكم: ما جاء بشيء، ومـا هو بـالذي كـنـا نـذكـر لكـم، فأنـزل الله ذلـك(٢) . وقـال قـوم: معنى «يستفتحون» يستحكمون ربهم على كفار العرب(٣) كما قال الشاعر:

ألا أبـلـغ بني عُصـم رسـولا فـاني عـن فُـتـاحـتـكـم غني(٤)

---

(١) مجاز القرآن: ج١ ص٤٧.

(٢) اخرجه الطبري في التفسير: ج١ ص٣٢٥ وأخرجه في الدر المنثور عن غيره: ج١ ص٨٨.

(٣) ذكر اللغويون إنّ أحد معانيه الحكم، كما في التهذيب: مادة «فتح» ج٤ ص٤٤٦.

(٤) مرّ في ص ٣٤١.

أي محاكمتكم. وقال قوم: معناه يستعلمون من علمائهم صفة نبي يبعث من العرب، وكانوا يصفونه، فلما بعث أنكروه(١).

وأما جواب قوله: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدّق لما معهم» فقال قوم: ترك جوابه استغناء بمعرفة المخاطبين، معناه كما قال: «ولو أن قرآناً سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى» فترك الجواب، وكان تقديره: ولو أن قرآناً سوى هذا القرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتىٰ لسيرت بهذا، ترك ذلك لدلالة الكلام عليه،وكذلك الآية الجواب فيها محذوف لدلالة قوله: «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»(٢).

وقال آخرون: قوله: «كفروا» جواب لقوله: «ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم»، ولقوله: «ولما جاءهم ما عرفوا». ونظيره قوله: «فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» فصار قوله: «فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» جواباً لقوله: «فاما يأتينكم»، ولقوله: «فمن تبع هداي»(٣)، ومثله في الكلام قولك:ما هو إلّا أن جاءني فلان، فلما ان قعد وسعت له، فصار قولك: وسعت له،جواباً لقولك: ما هو إلّا أن جاءني، ولقولك: فلما ان قعد.

وجاء الأول للكتاب وجاء الثاني قيل: إنه للرسول، فلذلك كرر.

وقوله: «فلعنة الله على الكافرين» فقد بينا فيما مضى معنى اللعنة، ومعنى الكفر فلا وجه لاعادته. وقد مضى الجواب عمن يستدل بمثل ذلك

(١) حكاه الراغب في المفردات: ص٣٧١.
(٢) قاله الأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٣١٩.
(٣) كالفراء في معاني القرآن: ج١ ص٥٩.

على ان الكافر قد يكون عـالماً ببعض الاشياء التي اوجبها الله تعالى بخلاف ما يذهب اليـه اصحـاب الموافاة، وان من عرف الله فـلا يجوز ان يـكفر وانّ المعتمد على ذلـك أن نقول: لا يمتنع ان يكونوا قد عرفوا الله وكثيراً مما وجب عليهم لكن لم يكن وقع نظرهم على وجه يستحقون به الثواب؛ لأنّ ذلك هو الممنوع منـه، وقد بينا ايضـاً صفة من يتعلق بذلك من اصحاب الضرورات لأن غاية ما في ذلك إنّ القوم كـانوا عارفين فجحدوا ما عـرفوا، وليس يمتنع ان يكونوا عارفين استدلالاً ثم جحدوا، فالضرورة لم يجر لها ذكر.

قوله تعالى:

بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ آية.

اللغة والاعراب:

أُصل «بئس» بَئِس من البؤس فـأُسكنت الهمزة ونقـلت حركتها الى الباء، كما قـالوا في ظللت:ظلت، وكما قيل للكَـبِد :كِبْد،فنقلـت حركة الباء الى الكاف، لما سكنـت البـاء. ويحتـمل أن تكون بـئس وان كان اصلـها بئس من لغة مـن ينقل حركة العين من فعل الى الفاء اذا كانت عين الفعل احد حروف الحلق الستة، كما قـالوا في لعب: لِعب، وفي سئم: سيم، وهي لغة تميم. ثم جعلت دلالة على الذم والتوبيخ ووصلت بـ (ما).

واختلفوا في (مـا) فقـال قوم من البصريين: هـي وحـدهااسم، و«أن يكفروا» تفسير له نحو:نعم رجلاً زيد، و«أن ينزل الله» بدل من انزل[1].

---

(١) معاني القرآن «للأخفش»: ج١ ص٣٢٢.

وقال الفراء: بئس الشيء اشتروا به انفسهم ان يكفروا، فـ (ما) اسم بئس و«أن يكفروا» الاسم الثاني، وقوله: «ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده» إن شئت جعلت (أن) في موضع رفع وان شئت في موضع خفض، فالرفع: بئس الشيء هذا أن يكفروا، والخفض: بئس الشيء إشتروا به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغياً، وفي قوله: «لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم» مثل ذلك [1].

قال ابو عبيدة: والعرب تجعل (ما) وحدها في هذا الباب بمنزلة الاسم التام. وقوله: «فنعمّ ما هي» و«بئس ما انت» قال الراجز:

لا تعجلا بالسير وادلواها لبئسما بُطء ولا نرعاها

قال: ويقولون لبئس ما تزويج ولا مهر، فيجعلون (ما) وحدها اسماً بغير صلة[2]. وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله انه قال: نعم ما المال للرجل الصالح[3]، فجعلت (ما) اسماً.

وقال قوم: هذا الوجه ضعيف؛ لأن هذا القول، يكون التقدير بئس الشيء اشتروا به انفسهم، فقد صارت ما بصلتها اسماً مؤقتاً؛ لأن اشتروا فعل ماضي واذا وصلت بفعل ماضي كانت معرفة مؤقتة، تقديره بئس شراؤهم كفرهم، وذلك غير جائز عنده، فبان بذلك فساد هذا القول[4].

وبئس ونعم لا يلقاهما اسم علم كزيد وعمر، واخيك وابيك، فانما يلقاهما المعرّف بالالف واللام، كقولك: الرجل والمرأة وما اشبه ذلك،

---

(١) حكاه الطبري في التفسير: ج١ ص٣٢٧.

(٢) حكاه الطبري في التفسير: ج١ ص٣٢٨.

(٣) مسند احمد بن حنبل: ج٤ ص٢٠٢،وفيه «نعما بالمال الصالح للرجل الصالح».

(٤) الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٢٨.

فان نزعتها نصبت، كقوله: «بئس للظالمين بدلاً»[١] و«ساء مثلاً القوم الذين كذبوا باياتنا»[٢] فان كانت نكرة مضافة الى نكرة جاز الرفع والنصب، كقولك: نعم غلام سفر غلامك، بالرفع والنصب، حكاه الفراء[٣].

وقال بعضهم: إن (ان) في موضع خفض ان شئت،وان شئت في موضع رفع، فالخفض ان ترده على الهاء في «به» على التكرير على كلامين؛ لأنك قلت: اشتروا انفسهم بالكفر، والرفع ان يكون تكراراً على موضع (ما) التي تلي بئس، ولا يجوز أن يكون رفعاً على قولك:بئس الرجل عبد الله[٤].

وقال بعضهم: أولى هذه الاقوال أن تجعل بئسما مرفوعاً بالراجع من الهاء في قوله: اشتروا به، كما رفعوا ذلك بعبد الله في قولهم: بئسما عبد الله، وجعل أن يكفروا مترجماً عن بئس، فيكون التقدير:بئس الشيء باع اليهود به انفسهم بكفرهم بما انزل الله بغياً وحسداً ان ينزل الله من فضله. وتكون «ان» التي في قوله: «ان ينزل الله» في موضع نصب؛ لأنه يعني به ان يكفروا بما انزل الله من اجل ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده. وموضع (ان) جر[٥]. والكسائي جعل (ان) في موضع خفض بنية الباء[٦] وانما كان النصب أقوم لتمام الخبر قبلها ولا خافض معها، وحرف

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الاعراف: ١٧٧.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص٥٧.

(٤) والقائل الفراء في معاني القرآن: ج١ ص٥٦.

(٥) الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٢٨.

(٦) اعراب القرآن للنحاس: ج١ ص٢٤٧.

الخفض اذا كان مضمراً لا تخفض به .

المعنى:

ومعنى قوله: «اشتروا به أنفسهم» اي باعوا به انفسهم -على وزن افتعلوا- من الشراء وسمي البائع الشاري بهذا، لانه باع نفسه ودنياه عنده، واكثر الكلام شريت بمعنى بعت واشتريت بمعنى ابتعت،قال الشاعر يزيد بن مفرغ الحميري:

وشريت بُرداً ليتني من قبل بردٍ كنت هامه[1]

ومعنى قوله: «وشروه بثمن بخس» باعوه. وربما استعملت اشتريت بمعنى بعت، وشريت بمعنى ابتعت، والأكثر ما قلناه.

وقوله: «بغياً» أي حسداً وتعدياً. فان قيل: كيف باعت اليهود انفسها بالكفر، وهل يشتري بالكفر شيء؟ قيل: معنى الشراء والبيع -عند العرب- هو ازالة ملك المالك إلى غيره بعوض يعتاضه منه، ثم يستعمل ذلك في كل معتاض من عمله عوضاً خيراً كان أو شراً يقال: نعم ما باع فلان نفسه به، وبئس ما باع به نفسه. بمعنى نعم الكسب كسبها وبئس الكسب كسبها. وكذلك قوله: «بئس ما اشتروا به أنفسهم» لما ابقوا انفسهم بكفرهم بمحمد صلّى الله عليه وآله واهلكوها. خاطبهم الله بالعرف الذي يعرفونه، فقال: بئس ما اعتاضوا من كفرهم بالله وتكذيبهم محمداً صلّى الله عليه وآله إذا كانوا رضوا به عوضاً من ثواب الله وما اعدّ لهم لو كانوا آمنوا بالله وما انزل على انبيائه بالنار وما اعدّ لهم بكفرهم بذلك . ونظير هذه الآية قوله

(١) الأغاني للأصبهاني: ج١٨ ص٢٦١.

في سورة النساء: «الم تر الى الذين اوتوا نصيباً من الكتاب» الى قوله: «وآتيناهم ملكاً عظيماً»(١). وكان ذلك حسداً منهم لكون النبوة في غيرهم.

وقوله: «بغياً» نصب لأنه مفعول له والمعنى فساداً، قال الاصمعي: مأخوذ من قولهم: بغى الجرح اذا فسد(٢). ويجوز ان يكون مأخوذاً من شدة الطلب للمطاول. وسميت الزانية بغيّاً لانها تطلب، واصل البغي الطلب. و«بغياً ان ينزل الله» اي لأن ينزل الله وكذلك كل ما في القرآن، ومثله قول الشاعر:

أتجزع أن بان الخليط المودع وحبل الصفا من عزة المتقطع(٣)

وقوله: «فباءوا بغضب على غضب» اي رجعوا. والمراد رجعت اليهود من بني اسرائيل بعد ما كانوا عليه من الاستنصار لمحمد صلّى الله عليه وآله في الاستفتاح به وبعد ما كانوا يخبرون الناس من قبل مبعثه أنه نبي مبعوث مرتدّين على اعقابهم حين بعثه الله نبياً بغضب من الله استحقّوه منه بكفرهم به وجحدهم بنبوته وانكارهم اياه.

وقال السدي: الغضب الأول حين عبدوا العجل، والثاني حين كفروا بمحمد صلّى الله عليه وآله. وقال عطا وغيره: الغضب الأول حين غيروا التوراة قبل مبعث محمد صلّى الله عليه وآله، والغضب الثاني حين كفروا بمحمد صلّى الله عليه وآله. وقال عكرمة والحسن: الأول حين كفروا

---

(١) النساء: ٤٤-٥٤.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «بغي» ج٨ ص٢١١.

(٣) لم نعرف قائله.

بعيسى عليه السلام، والثاني حين كفروا بمحمد صلّى الله عليه وآله[١].
وقد بيّنا إنّ الغضب من الله هو إرادة العقاب بهم.

وقوله: «وللكافرين عذاب مهين» معناه للجاحدين بنبوة محمد صلّى الله عليه وآله عذاب مهين من الله: إما في الدنيا، وإما في الآخرة. و«مهين» هو المذل لصاحبه المخزي لملبسه هواناً وذلة. وقيل: «المهين» هو الذي لا ينتقل منه الى اعتزاز وإكرام[٢]، وقد يكون غير مهين اذا كان تمحيصاً وتكفيراً ينتقل بعده الى اعتزاز وتعظيم؛ فعلى هذا من ينتقل من عذاب النار الى الجنة لا يكون عذابه مهيناً.

قال المؤرج: «فباءوا» استوجبوا اللعنة بلغة جُرْهُم، ولا يقال: باءُ مفردة حتى يقول بكذا وكذا: اما بخير واما بشر[٣].قال ابو عبيدة: «فباءوا بغضب» احتملوه واقرّوا به[٤]. وأصل البواء التقرير والاستقرار، قال الشاعر:

أُصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى يسّرتها قبولُها[٥]

* * *

---

(١) أنظر تفسير الطبري: ج١ ص٣٣٠-٣٣١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٥٨.
(٢) حكاه الطبري في التفسير: ج١ ص٣٣١.
(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٥٠، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٣٠.
(٤) مجاز القرآن: ج١ ص٤٢ و ١٦١.
(٥) ديوان الأعشى: ص١٣٥.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

قوله: «بما أنزل الله» يعني القرآن، «قالوا نؤمن بما أُنزل علينا» يعنون التوراة «ويكفرون بما وراءه» يعني بما بعده، قال الشاعر:

تمني الاماني ليس شيء وراءها كموعد عرقوب أخاه بيثرب (١)

وقال الفراء: معنى «وراءه» هاهنا سواه، كما يقال للرجل يتكلم بالحسن: ما وراء هذا الكلام شيء يراد به، ليس عند المتكلم شيء سوى ذلك الكلام (٢).

ومعنى قوله: «ويكفرون بما وراءه وهو الحقّ» وبما سوى التوراة وبما بعده من كتب الله عز وجل التي أنزلها الله الى رسله.

قوله: «هو الحق مصدقاً» يعني القرآن مصدقاً لما معهم، ونصب على الحال ويسميه الكوفيون عليَّ القطع.

وقوله: «من قبل» ضُمّ على الغاية، وكذلك اخواتها نحو:بعد وتحت وفوق،اذا جعلت غاية ضمت. وفي ذلك خبر من الله ـ تعالى ذكره ـ انهم من التكذيب في التوراة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالانجيل والقرآن

---

(١) كتاب سيبويه: ج١ ص١٧٢، ولم يذكر صدر البيت، و«مواعيد» بدل «كموعد»، وفي الجمهرة نسب البيت الى علقمة: مادة «عرقب» ج٣ ص٣٠٨.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٦٠.

عناداً وخلافاً لأمره وبغياً على رسله .

وقوله: «فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين» يعني قل يا محمد ليهود بني اسرائيل اذا قلت لهم آمنوا قالوا لك نؤمن بما انزل علينا:لم تقتلون ان كنتم مؤمنين بما أنزل الله عليكم انبياءه وقد حرم عليكم في الكتاب الذي انزل عليكم قتلهم بل أمركم فيه باتباعهم وطاعتهم وتصديقهم، وفي ذلك تكذيب لهم في قولهم نؤمن بما أُنزل علينا وتعيير عليهم .

وقوله: «فلمَ تقتلون» وان كان بلفظ الاستقبال المراد به الماضي، بدلالة قوله: من قبل، وذلك لما مضى كما قال: «واتبعوا ما تتلو الشياطين»[(١)] أي ما تلت، قال الشاعر:

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني ... فمضيت عنه وقلت لا يعنيني[(٢)]

وفي رواية أُخرى «ثمّت قلت»،يريد بقوله:ولقد أمر بدلالة قوله: فمضيت ولم يقل:فأمضي، وقال آخر:

واني لآتيكم تشكر ما مضى ... من الأمر واستيجاب ما كان في غد[(٣)]

يعني بذلك ما يكون في غد، قال الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربه ... ان الوليد أحقّ بالعذر[(٤)]

يعني يشهد، وقال آخر:

---

(١) البقرة: ١٠٢.

(٢) ذكره الأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٣٢٣ مع اختلاف.

(٣) قائله الطرمّاح بن حكيم الطائي، ديوانه: ص١٤٦واللسان: مادة «كون» ج١٢ ص١٩٥.

(٤) ديوانه: ١٨٠.

فما أُضحي ولا أمسيت إلاّ اراني منكم في كوفان[(١)]

فقال: اضحى، ثمّ قال: ولا أمسيت. ومثله «يحسب أنّ ماله اخلده»[(٢)] اي يستخلده. وقال بعض الكوفيين: انما قال: «فلم تقتلون انبياء الله من قبل» واراد به الماضي كما يقول القائل موبخاً لغيره ومكذّباً له: لم تكذب ولم تبغض نفسك الى الناس، قال الشاعر:

اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ولم تجدي من ان تقري به بدا

فالجزاء المستقبل، والولادة كلها قد مضت وجاز ذلك لأنه معروف[(٣)]. وقال قوم: معناه فلم ترضون بقتل انبياء الله إن كنتم مؤمنين[(٤)]. وقالت فرقة ثانية: فلم تقاتلون انبياء الله،فعبرعن القتال بالقتل لأنّه يؤول اليه .

قوله تعالى:

وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

«ولقد جاءكم موسى» يعني جاء اليهود موسى «بالبينات» الدالة على صدقه وصحّة نبوته، كقلب العصا حيّة وانبجاس الماء من الحجر واليد البيضاء وفلق البحر والجراد والقمل والضفادع، وغيرها من الآيات،

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٣٣.

(٢) الهُمزة: ٣.

(٣) القائل الفرّاء في معاني القرآن: ج١ ص٦١، والشعرلزائدة بن صعصعة الفقعسي.

(٤) كقول الزجّاج في معاني القرآن: ج١ ص١٧٥.

وسمّاها بينات لظهورها وتبينها للناظرين اليها انها معجزة لا يقدر على أن يأتي بمثلها بشر، وانما هي جمع بينة مثل طيّبة وطيبات.

وقوله: «ثم اتخذتم العجل من بعده» يعني بعد «موسى» لما فارقهم ومضى الى ميقات ربه. ويجوز ان تكون الهاء كناية عن المجيء، فيكون التقدير: ثم اتخذتم العجل من بعد مجيء موسى بالبينات وانتم ظالمون، كما يقول القائل: جئتني فكرهتك اي كرهت مجيئك. وليس المراد بثُمّ هاهنا النسق، وانما المراد بها التوبيخ والتعجّب والاستعظام لكفرهم مع ما رأوا من الآيات.

وقوله: «وانتم ظالمون» يعني انكم فعلتم ما فعلتم من عبادة العجل، وليس ذلك لكم، وعبدتم غير الله وكان ينبغي لكم أن تعبدوا الله؛ لان العبادة لا تكون لغير الله، فانتم بفعل ذلك ظالمون انفسكم.

قوله تعالى:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

تقديره: واذكروا إذ أخذنا ميثاقكم وعهودكم بأن تأخذوا ماآتيناكم من التوراة التي انزلها الله على موسى بجد واجتهاد، ومعناه اقبلوا ما سمعتم، كما قيل: سمع الله لمن حمده أي قبل الله حمده، قال الراجز:

بـالحـمـد والطـاعـة والـتسليم خير واعى لـفتى تـميم(١)

فصار تقدير الآية: «واذ اخذنا ميثاقكم» بأن «خذوا ما آتيناكم بقوة» واعملوا بما سمعتم واطيعوا الله «ورفعنا فوقكم الطور» من أجل ذلك .

وقوله: «قالوا سمعنا وعصينا» كأنّ الكلام خرج مخرج الخبر عن الغائب بعد أن كان الابتداء بالخطاب، لما تقدّم ذكره من ابتداء الكلام اذا كان حكاية،والعرب تخاطب ثم تعود بعد ذلك الى الخبر عن الغائب ثم تخاطب؛ لان قوله: «واذ اخذنا ميثاقكم» بمعنى قلنا لكم فأجبتمونا، وقوله: «سمعنا» إخبار من الله تعالى عن اليهود الذين أخذنا ميثاقهم ان يعملوا بما في التوراة، وان يطيعوا الله بما يسمعون منها انهم قالوا حين قيل لهم ذلك: سمعنا قولك وعصينا أمرك ، ويحتمل أن يكون ما قالوه لكن فعلوا ما يدلّ على ذلك ، فقام الفعل مقام القول، كما قال الشاعر:

امـتـلأ الحـوض وقـال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني(٢)

وقوله: «واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم» فيه وجوه:

أحدهما: ما قال قتادة وأبو العالية: واشربوا في قلوبهم حبّ العجل(٣). يقال: أشرب قلبه حبّ كذا وكذا، قال زهير:

فصحوتُ عنها بعد حبّ داخل والحبّ يشربه فؤادك داء(٤)

---

(١) ذكره الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٦٠، والبيت لرجل من حنبة من بني ضرار يدعى حبير بن الضحاك وروايته «السمع» بدل «بالحمد» و«لبني تميم» بدل «لفتى تميم».

(٢) اصلاح المنطق لابن السكيت: ص٥٧،وروايته «سلاً» بدلا «مهلاً».

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٢٣٥.

(٤) ذكره الماوردي في تفسيره: ج١ ص١٦٠.

وقالت اعرابية:

باهلي من عادى ونفسي فداؤه به هام قلبي منذ حين ولا يدري
هوى اشربته النفس ايام جهلها ولجّ عليه القلب في سالف الدهر(١)

وقال السدي: لما رجع موسى الى قومه أخذ العجل الذي وجدهم عاكفين عليه، فذبحه ثم حرقه بالمبرد، ثم ذراه في اليمّ فلم يبق بحر يجري يومئذ إلّا وقع فيه شيء منه، ثم قال: اشربوا، فشربوا، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذّهب(٢).

والأول عليه أكثر محصّلي المفسرين وهو الصحيح؛ لأنّ الماء لا يقال فيه: أشرب منه فلان في قلبه، وانما يقال ذلك: في حبّ الشيء على ما بيّناه، ولكن يترك ذكر الحب اكتفاء بفهم السامع لمعنى الكلام؛ اذ كان معلوماً انّ العجل لا يشربه القلب وان الذي اشرب منه حبّه، كما قال: «واسأل القرية»(٣) وانما اراد أهلها، كما قال الشاعر:

حسبت بغام راحلتي عناقاً وما هي ويب غيرك بالعناق(٤)

يريد بذلك حسبت بغام راحلتي بغام عناق، وقال طرفة بن العبد:

ألا إنني سقّيت أسود حالكا الابجلي من الشراب الأبجل(٥)

يريد بذلك سقيت سما اسود، فاكتفى بذكر اسود عن ذكر السمّ لمعرفة

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفرة لدينا.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٣٥.

(٣) يوسف: ٨٢.

(٤) معاني القرآن للفراء: ج١ ص٦٢ البيت من ابيات لذي الخرق الطهوي يخاطب ذئباً تبعه في طريقه.

(٥) ديوانه بشرح الشنتمري: ص٩٣، و«شربت» بدل «سقيت».

السامع بمعنى ما أراد بقوله سقيت اسود، وقال آخر:

وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب[١]

أي كخلالة أبي مرحب، وقال آخر:

*وشر المنايا ميتة وسط اهله[٢] *

اي ميتة ميت. وقد يقول العرب: اذا سرّك أن تنظر السخاء فانظر الى هرم أو الى حاتم، فيجتزئون بذكر الاسم عن ذكر فعله للعلم به.

وقوله: «بئسما يأمركم به ايمانكم إن كنتم مؤمنين» معناه قل يا محمد ليهود بني اسرائيل: بئس الشيء يأمركم به ايمانكم إن كان يأمركم بقتل انبياء الله ورسله والتكذيب بكتبه وجحد ما جاء من عنده. وقال الازهري: معنى «ان كنتم» اي ما كنتم مؤمنين نفياً[٣] والأول اجود. ومعنى ايمانهم: تصديقهم الذي زعموا انهم مصدقون من كتاب الله اذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا: نؤمن بما أُنزل علينا.

وقوله: «ان كنتم مؤمنين» أي ان كنتم مصدقين كما زعمتم، فأخبر ان تصديقهم بالتوراة، ان كان يأمرهم بذلك، فبئس الامر يأمرهم به. وانما ذلك نفي عن التوراة ان يكون يأمر بشيء بما يكرهه الله من افعالهم واعلاماً منه ان الذي تأمرهم به اهواؤهم، وتحمل عليه عداوتهم. وهذا كما يقول الرجل: بئس الرجل انا إن رضيت بفعلك أو ساعدتك عليه.

والمعنى «وأُشربوا في قلوبهم حب العجل بكفرهم» أي لإلفهم الكفر

---

(١) كتاب سيبويه: ج١ ص٢١٥، وأمالي المرتضى: ج١ ص٢٠٢، وقائله النابغة الجعدي.

(٢) ديوان الحطيئة: في تكملة الديوان ص٢٦١، و«هالك» بدل «ميتة»، وعجز البيت: كهلك الفتاة أيقظ الحي حاضره، وفي كتاب سيبويه: ج١ ص٢١٥.

(٣) انظر تهذيب اللغة: مادة «إن» ج١٥ ص٥٦٨.

وثبوتهم فيه، والكفر يدعو بعضه الى بعض ويحسّن بعضه بعضاً. وليس المعنى في قوله: «واشربوا» ان غيرهم فعل ذلك بهم بل هم الفاعلون له، كما يقول القائل: أنسيت ذلك من النسيان ليس يريد إلّا انك فعلت. وقولهم: لقد أُوتي فلان علماً جماً، وان كان هو المكتسب له، وإن الجنس الذين قالوا: سمعنا وعصينا غير الذين رفع عليهم الطور بأعيانهم، لكنهم كانوا على مناهجهم وسبيلهم، فأما أُولئك باعيانهم فانهم آمنوا إما طوعاً واما كرهاً.

والمعنى في (الباء) المتصلة بالكفر أنهم كفروا بالله بما اشربوا من محبة العجل، وليس المعنى انهم في ذلك اشربوا حبّ العجل جزاءً على كفرهم؛ لأن محبة العجل كفر قبيح، والله لا يفعل الكفر في العبد لا إبتداء ولا مجازاة.

قوله تعالى:

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ آية واحدة بلا خلاف.

المعنى:

هذه الآية مما احتج الله بتأويلها لنبيه صلّى الله عليه وآله على اليهود الذين كانوا بين ظهراني مهاجره وفضح بها احبارهم وعلماءهم؛ لانه دعاهم الى قضية عادلة بينه وبينهم كما كان من الخلف الواقع بينهم، فقال لفريق من اليهود: ان كنتم صادقين ان الجنة خالصة لكم دون الناس كلهم أو دون محمد واصحابه الذين آمنوا به فتمنوا الموت؛ لأن من اعتقد انه من أهل الجنة قطعاً كان الموت أحب اليه من حياة الدنيا التي فيها النغص وانواع الآلام والمشاق، ومفارقتها الى نعيم خالص يتخلّص به من اذى الدنيا.

وقوله: «فتمنوا الموت» وان كان صورته صورة الامر المراد به التوبيخ والزام الحجة.

وروي عن النبي صلّى الله عليه وآله انه قال: لو ان اليهود تمنّوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار[١] فقال الله تعالى لهم: «ولن يتمنّونه ابداً بما قدمت ايديهم» تحقيقاً لكذبهم، فقطع على انهم لا يظهرون التمنّي، وفي ذلك اعظم الدلالة على صدقه؛ لانه أخبر بشيء قبل كونه فكان كما اخبر، لأنه لا خلاف انهم لم يتمنوا.

وقيل: انهم ما تمنوا لأنهم علموا انهم لو تمنوا الموت لماتوا ـ كما قاله ـ فلذلك لم يتمنّوه. وهذا قول ابن عباس[٢]. وقال غيره: إنّ الله صرفهم عن اظهار التمنّي ليجعل ذلك آية لنبيه صلّى الله عليه وآله[٣].

أما التمني فهو قول لما كان: ليته لم يكن،ولما لم يكن:ليته كان. وقال قوم[٤]: هو معنى في القلب غير أنه لا خلاف انه ليس من قبل الشهوة. فمن قال من المفسرين[٥]: انه أراد فتشهّوا فقد أخطأ. وقد روي عن ابن عباس انه قال: فاسألوا الموت[٦] وهذا بعيد، لان التمني بمعنى السؤال لا يعرف في اللغة.

فان قيل: من أين انهم ما تمنوه بقلوبهم عند من قال: انه معنى في

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج١ ص٢٤٨ نقلاً عن ابن عباس،وأحكام القرآن للجصاص: ج١ص٤٠.
(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦١،وأحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٤٠.
(٣) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٦٢، والظاهر ذلك مستفاد من قول الرسول صلّى الله عليه وآله والله لا يقوله أحد إلّا غصّ بريقه. فلاحظ، وحكاه في تفسير القرطبي: ج٢ ص٣٣.
(٤) حكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج١ ص٤١.
(٥) كالطبري في تفسيره: ج١ ص٣٣٨.
(٦) أخرجه الطبري في التفسير: ج١ ص٣٣٨.

القلب؟

قلنا: لو تمنوه بقلوبهم لأظهروه بألسنتهم حرصاً منهم على تكذيبه في إخباره، وجهداً في اطفاء امره. وهذه القصة شبيهة بقصة المباهلة، وان النبيّ صلّى الله عليه وآله لما دعا النصارى الى المباهلة امتنعوا لقلة ثقتهم بما هم عليه، وخوفهم من صدق النبي صلّى الله عليه وآله.

ومعنى «خالصة» صافية، يقال: خلُص لي هذا الامر أي صار لي وحدي، وصفا لي يخلص خلوصاً وخالصة، والخالصة مصدر كالعاقبة،يقال للرجل: هذا خلصاني أي خالصتي من دون أصحابي.

قوله تعالى:

وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

أخبر الله تعالى عن هؤلاء الذين قيل لهم: «تمنّوا الموت ان كنتم صادقين» بأنهم لايتمنّون ذلك ابداً. وقد بينّا إنّ في ذلك دلالة على صدق النبي صلّى الله عليه وآله من حيث تضمنت انهم لا يتمنّون ذلك في المستقبل، وكان كما قال.

وقوله: «أبداً» نصب على الظرف أي لم يتمنوه ابداً طول عمرهم، كقول القائل: لا أكلمك ابداً،وانما يريد ما عشت.

وقوله: «بما قدمت أيديهم» معناه بالذي قدمت أيديهم، ويحتمل أن يكون المراد بتقدمة ايديهم فتكون (ما) مع ما بعدها بمنزلة المصدر.

وقوله: «والله عليم بالظالمين» انما خصّ الظالمين بذلك وان كان عالماً بغيرهم؛ لأن الغرض بذلك الزجر، كأنّه قال: عليم بمجازاة الظالمين، كما

يقول القائل لغيره مهدداً له: انا عالم بك بصير بما تعمله. وقيل: انه عليم بانهم لا يتمنونه ابداً حرصاً على الحياة؛ لأن كثيراً منهم يعلم انه مبطل، وهم المعاندون منهم الذين يكتمون الحق وهم يعلمون[١] .

قوله تعالى:

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قال ابن عباس[٢] وابو العالية ومجاهد والربيع[٣]: ان المعني بقوله: احرص الناس على حياة اليهود،واحرص من الذين اشركوا وهم المجوس وهم الذين يود أحدهم لو يعمّر الف سنة وما هو بمزحزحه لانه اذا دعا بعضهم لبعض يقول له: هزار سال بده: أي عشرة الاف سنة واليهود احرص على الحياة منهم .

«وما هو بمزحزحه» أي بمباعده من العذاب ان يعمّر؛ لانه لو عمّر ما تمنى لما دفعه طول العمر من عذاب الله تعالى على معاصيه. وانما وصف الله اليهود بانهم احرص الناس على حياة لعلمهم بما قد اعدّ الله لهم في الآخرة على كفرهم مما لا يقر به أهل الشرك الذين لا يؤمنون بالبعث ويعلمون ما هناك من العذاب، وان المشركين لا يصدقون ببعث ولا عقاب، واليهود

---

(١) قريب منه في تفسير الطبري: ج١ ص٣٣٩، وحكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ج١ ص٣٥٧.

(٢) اخرج قول ابن عباس الحاكم في مستدركه: ج٢ ص٢٦٣.

(٣) أنظر تفسير الطبري: ج١ ص٣٣٩.

احرص منهم على الحياة واكره للموت.

وقوله: «وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر» يعني وما التعمير وطول البقاء بمزحزحه من عذاب الله، وهو عماد لطلب (ما) الاسم اكثر من طلبها الفعل، كما قال الشاعر:

وهل هو مرفوع بما هاهنا راس[1]

وامّا في قوله: «أن يعمر» رفع بمزحزحه وحسنت الباء في قوله: «بمزحزحه» كما تقول: ما عبد الله بملازمه، زيد (و) هي التي مع (ما) ذكره عماد للفعل، لاستقباح العرب النكرة قبل المعرفة. وقال قوم: ان (هو) التي مع (ما) كناية عن ذكر العمر وجعل (ان يعمّر) مترجما عن هو يريد ما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر: اي وان عمر[2]، قال الزجاج: وما هو كناية عن احدهم، كأنه قال: وما احدهم بمزحزحه من العذاب، كأنه قال: يود أحدهم أن يعمر ألف سنة وما ذلك العمر بمزحزحه من العذاب[3].

وقوله: «بمزحزحه» أي بمبعده، قال الحطيئة:

فقالوا تزحزح لا بنا فضل حاجة اليك ولا منا لو هيك رافع[4]

يعني تباعد، يقال منه: زحزحه يزحزحه زحزحة وزحزاحاً، فتأويل الآية: وما طول العمر بمبعده من عذاب الله ولا منجيه منه، لأنه لابدّ للعمر من الفناء فيصير الى الله تعالى، وقال الفراء: «احرص الناس على حياة

---

(١) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٥٢، وصدره: بثوب ودينار وشاة ودرهم.

(٢) مشكل اعراب القرآن: ص١٠٥، وفي اعراب القران للزجاج: ج٢ ص٥٥٥.

(٣) معاني القرآن: ج١ ص ١٧٨.

(٤) الاغاني: ج١٣ ص٩، ونسبه الى قيس بن الحدادية، وفيه اختلاف.

ومن الذين اشركوا» أيضاً والله أعلم كقولك: هو أسخى الناس من حاتم ومن هرم، لأنّ تأويل قولك: أسخى الناس انما هو اسخى من الناس(١).

وقوله: «والله بصير بما يعملون» ـ قرىء بالتاء والياء معاً ـ أي لا يخفى عليه شيء من اعمالهم، بل هو بجميعها محيط ولها حافظ حتى يذيقهم بها العذاب. ومعنى بصير مبصر عند أهل اللغة وسميع بمعنى مسمع، لكنّه صرف الى فعيل في بصير وسميع، ومثله «عذاب أليم»(٢) بمعنى مؤلم. و«بديع السموات»(٣) بمعنى مبدع. وعند المتكلمين المبصر: هو المدرك للمبصرات، والبصير: هو الحي الذي لا آفة به؛ لأنه يجب ان يبصر المبصرات اذا وجدت وليس احدهما هو الآخر وكذلك سميع ومسمع.

وقوله: «يودّ» تقول: وددت الرجل أود وداً وودّاً ووداداً وودادة ومودة، وأود لا يكون ماضيه إلّا وددت، وقال بعض المفسرين: إنّ تأويل قوله: «لتجدنهم أحرص الناس على حياة» أي من الناس أجمع، ثم قال: واحرص من الذين اشركوا على وجه التخصيص؛ لأن من لا يؤمن بالبعث والنشور يكون حرصه على البقاء في الدنيا اكثر ممن يعتقد الثواب والعقاب(٤).

فان قيل: أليس نجد كثيراً من المسلمين يحرصون على الحياة، ويكرهون الموت؟ فكيف تدل هذه الآية على ان اليهود لم يكونوا على ثقة مما كانوا يدّعونه من أنهم أولى به من المسلمين مع ان المسلمين يشاركونهم في الحرص

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٦٢.

(٢) البقرة: ١٧٨.

(٣) البقرة: ١١٧.

(٤) ذكره السمرقندي في تفسيره: ج١ ص١٣٩.

على الحياة وهم على يقين من الآخرة وما فيها من الثواب والعقاب ؟

قيل : انّ المسلمين لا يدّعون أنّ الدار الآخرة لهم خالصة ولا أنهم أحباء الله ولا أنّهم من أهل الجنة قطعاً كما كانت اليهود تدعي ذلك ، بل هم مشفقون من ذنوبهم التي يخافون أن يعذبوا عليها في النار،فلهذا يشفقون من الموت ويحبّون الحياة ليتوبوا من ذنوبهم ويصلحوا اعمالهم. ومن كان على يقين مما يصير اليه لم يؤثر الحياة على الموت، كما روي عن علي عليه السلام انه قال: لا ابالي سقط الموت عليّ أو سقطتُ على الموت[١]، وقال: اللهم سئمتهم وسئموني فابدلني بهم خيراً منهم، وابدلهم بي شراً مني[٢]. وقوله: اللهم عجل اليّ الراحة وعجل لهم الشقوة[٣]. وكما روي عن عمار (ره) انه قال يوم صفين: اليوم القى الأحبة محمداً وصحبه[٤]،وكما قال حذيفة عند الموت: حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم[٥] .

قوله تعالى:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾ آية واحدة بلا خلاف .

القراءة :

قرأ ابن كثير «جبريل» بفتح الجيم وكسر الراء وبعدها ياء ساكنة من

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٥ ص٩١ وقوله عليه السلام،ما ابالي دخلت الى الموت أو خرج الموت إلي.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٥ ص٦٧.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) وقعة صفين: ص٣٤١.

(٥) لم نعثر عليه.

غير همزة مكسورة. وقرأ حمزة والكسائي وخلف وابو بكر إلّا يحيى بفتح الجيم والراء بعدها همزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على وزن «جبرعيل» [١] .

وروى يحيى كذلك إلّا انه حذف بعد الهمزة فيصير «جبرئل» [٢]. الباقون بكسر الجيم والراء وبعدها ياء ساكنة من غير همز [٣]. وقرأ أهل البصرة «ميكال» بغير همز ولا ياء. وقرأ أهل المدينة بهمزة مكسورة بعد الالف، مثل «ميكاعل» الباقون باثبات ياء ساكنة بعد الهمزة على وزن «ميكاعيل» [٤] .

قال ابو الحسن الأخفش: في «جبريل» ست لغات: جِبرائيل وجَبرئيل وجَبرال وجَبريل وجبرال وجِبريل [٥]. وحكى الزجاج بالنون ايضاً بدل اللام [٦]، وهي لغة بني أسد، وبتشديد اللام .

المعنى :

اجمع أهل التأويل [٧] على أنّ هذه الآية نزلت جواباً لليهود حين زعموا

---

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٦، وكتاب الحجّة لابي علي الفارسي: ج٢ ص١٢٩.

(٢) حجة القراءات لابن زنجلة: ص١٠٧.

(٣) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٦، وكتاب الحجّة لابي علي الفارسي: ج٢ ص١٣٠.

(٤) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٦، وكتاب الحجة لابي علي الفارسي: ج٢ ص١٢٩.

(٥) معاني القرآن للاخفش: ج١ ص٣٢٥، وفيه هكذا «جَبْرايِيل وجَبْرَئيل وجَبْرئل وجَبْريل وجِبريل وجَبْرائِل» .

(٦) معاني القرآن: ج١ ص١٧٩.

(٧) أنظر تفسير الطبري: ج١ ص٣٤١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٦٣.

أن جبريل عدوّ لهم، وان ميكال وليّ لهم لما أخبروا ان جبريل هو الذي نزل على محمد صلّى الله عليه وآله قالوا: جبريل عدو لنا يأتي بالحرب والجدب، وميكائيل يأتي بالسلام والخصب، فقال الله تعالى: «قل من كان عدواً لجبريل» اذ كان هو المنزل الكتاب عليه فإنّه إنما أنزله على قلبه بإذن الله لا من تلقاء نفسه، وانما أنزل لما هو مصدّق بين يديه من الكتب التي في أيديهم لا مكذباً لها، وانه وإن كان فيما أنزل الأمر في الحرب والشدة على الكافرين فانه هدىً وبشرى للمؤمنين .

وقوله: «على قلبك» ولم يقل: على قلبي، كقولك الذي تخاطبه: لا تقل للقوم إن الخبر عندك ، ويجوز ان تقول: لا تقل ان الخبر عندي، وكما تقول: قال القوم: جبرائيل عدونا، ويجوز أن تقول: قالوا جبرائيل عدوهم. ولا ينبغي أن يستنكر أحد أنّ اليهود يقولون: إن جبرائيل عدونا، لأن الجهل في هؤلاء أكثر من أن يحصى .

وهم الذين أخبر الله عنهم بعد مشاهدة فلق البحر والمعجزات الباهرة «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة»[١] وقالوا: «ارنا الله جهرة»[٢] ومثل ذلك طائفة من النصارى تعادي سليمان فلا تذكره ولا تعظمه ولا تقرّ نبوته .

الاعراب:

وجبرائيل وميكائيل اسمان اعجميان أُعربا، وقيل[٣]: ان جبر عبد، وايل الله مثل عبد الله، وضعّف ذلك ابوعلي الفارسي من وجهين:

---

(١) الاعراف: ١٣٨.

(٢) النساء: ١٥٣.

(٣) صحيح البخاري: ج٦ ص٢٣ نقلاً عن عكرمة، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٦٣.

أحدهما: ان ايل لا يعرف في اسماء الله في لغة العرب .

والثاني: انه لو كان كذلك لأُعرب آخر الكلمة، كما فعل ذلك في سائر الاسماء المضافة والأمر بخلافه (١) .

سبب النزول :

وكان سبب نزول هذه الآية ماروي أن صوريا وجماعة من يهود أهل فدك ، لما قدم النبي صلّى الله عليه وآله المدينة سألوه، فقالوا: يا محمد كيف نومك فقد أُخبرنا عن نوم النبي الذي يأتي في آخر الزمان؟ فقال: تنام عيناي وقلبي يقظان، فقالوا: صدقت يا محمّد، فأخبرنا عن الولد يكون من الرجل أو من المرأة؟ فقال: اما العظام والعصب والعروق فمن الرجل، واما اللحم والدم والظفر والشعر فمن المرأة، قالوا: صدقت يامحمد، فما بال الولد يشبه أعمامه، ليس فيه من شبه أخواله شيء، أو يشبه أخواله ليس فيه من شبه أعمامه شيء؟ فقال: أيّهما علا ماؤه كان الشبه له، قالوا: صدقت يامحمد، فأخبرنا عن ربّك ما هو؟ فأنزل الله تعالى: «قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، فقال ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتبعتك أيّ ملك يأتيك بما ينزل الله لك؟ قال: جبريل. قالوا: ذلك عدوّنا ينزل بالقتال والشدّة والحرب وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك آمنا بك ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية (٢) .

(١) كتاب الحجة في علل القراءات: ج٢ ص١٣٤.

(٢) التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام: ص٤٥٣، وقريب منه في تفسير النووي: ج١ ص٢٥، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٦٢.

وقوله: «مصدّقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين» يعني القرآن .

ونصب مصدّقاً على الحال. والهاء في قوله: «نزله على قلبك» يا محمد «مصدقاً لما بين يديه» يعني القرآن، ويعني مصدّقاً لما سلف من كتب الله امامه التي انزلها على رسله وتصديقاً لها، موافقةً لمعانيها في الأمر باتباع النبي صلّى الله عليه وآله، وما جاء به من عند الله. وانما اضافه «هدىً وبشرى للمؤمنين» من حيث كانوا المهتدين به، والعالمين العاملين به على ما بيناه فيما مضى[1] .

قوله تعالى:

مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ آية .

المعنىٰ:

وقد بينا اختلاف القراء في جبريل وميكائيل ـ وان كانا من جملة الملائكة ـ فانما افردا بالذكر، لاجل أمرين:

أحدهما: ذكرا لفضلهما ومنزلتهما، كما قال: «فيهما فاكهة ونخل ورمان»[2] ولما تقدّم من فضلهما، وأن الآية نزلت فيهما وفيما جرى من ذكرهما .

والثاني: ان اليهود لما قالت: جبريل عدونا وميكال ولينا خصّا بالذكر، لئلا يزعم اليهود أنّ جبريل وميكال مخصوصان من جملة الملائكة،

---

(١) ج١ ص٣٦٦.

(٢) الرحمن: ٦٨.

وغير داخلين في جملتهم، فنصّ الله تعالى عليها لابطال ما يتأوّلونه من التخصيص، ثم قال: «فان الله عدو للكافرين» ولم يقل: فانه، فكرّر اسم الله لئلا يظنّ انّ الكناية راجعة الى جبرائيل أو ميكائيل. ولم يقل: (لهم) لأنه يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالايمان.

وفي هذه الآية دلالة على خطأ من قال من المجبّرة: إن الأمر ليس بمحدث احتجاجاً بقوله: «ألا له الخلق والامر»(١) قالوا: فلما أُفرد الأمر بالذكر بعد ذكره الخلق دلّ على أنّ الأمر ليس بمخلوق، ولو كان الأمر على ما قالوه لوجب أن لا يكون جبريل وميكائيل من الملائكة. ونظير ذلك أيضاً قوله: «واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح»(٢).

قوله تعالى:

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

معنى الآيات يحتمل أمرين:

أحدهما: ذكره البلخي وجماعة من أهل العلم، يعني سائر الآيات المعجزات التي أعطاها الله النبي صلّى الله عليه وآله من الآيات: القرآن وما فيه، وغير ذلك من الدلالات(٣). [ثانيهما]: وقال بعضهم: هو الإخبار عما غمض مما في كتب الله السالفة من التوراة والانجيل وغيرهما(٤). وقال ابن

---

(١) الاعراف: ٥٤.

(٢) الاحزاب: ٧.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) كالطبري في تفسيره: ج١ ص٣٤٩.

عباس: ان ابن صوريا القطراني قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أُنزل عليك من آية بينة فنتبعك لها، فأنزل الله في ذلك «ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلّا الفاسقون»(١) فان قال بعض اليهود: انتم مقرّون بآياتنا ونحن نجحد بآياتكم، فحجّتنا لازمة لكم لأنها مردودة الىٰ ما تعرفونه. قيل لهم: فيجب على هذا ألّا يكون لكم حجة على الدهرية والبراهمة والثنوية لأنهم لا يعترفون بآياتكم، وانما قال: «وما يكفر بها إلّا الفاسقون» ولم يقل: الكافرون، وان كان الكفر أعظم من الفسق، لاحد أمرين:

[الأوّل]: أنه عنى الخارجين عن أديانهم وإن اظهروا انهم يتمسكون بها، لأنّ اليهود قد خرجت بالكفر بالنبي عليهم السلام من شريعة موسى، والفسق هو الخروج عن أمر الله الى ما يعظم من معصيته.

والثاني: انه أراد الفاسقين المتمرّدين في كفرهم؛ لأن الفسق لا يكون إلّا أعظم الكبائر، فان كان في الكفر فهو اعظم الكفر، وان كان فيما دون الكفر فهو أعظم المعاصي. هذا يجيء على مذهب الحسن لأنه ذكر إنّ الفاسقين عني به جميع من كفر بها(٢).

و«قد» يدخل في هذا الكلام أحد أمرين: أحدهما لقوم يتوقعون الخبر أو لقرب الماضي من الحال، تقول: قد ركب الأمير وجاء زيد، وقد عزم على الخروج، أي عازماً عليه، وهي هاهنا مع لام القسم على هذا تقديره قوم يتوقعون الخبر، لأن الكلام اذا أُخرج ذلك المخرج كان أوكد وأبلغ.

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ص١٩.

(٢) حكاه الزمخشري في الكشاف: ج١ ص١٧١.

والآية هي العلامة التي فيها عبرة، وقيل(١): العلامة هي الحجة. والبيّنة الدلالة الفاصلة بين القضية الصادقة والكاذبة مأخوذة من ابانة أحد الشيئين عن الآخر فيزول التباسه به.

قوله تعالىٰ:

﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ آية واحدة.

الإعراب:

الواو في قوله: «أو كلما» عند سيبويه (٢) وأكثر النحويين(٣) واو العطف، إلّا أنّ الف الاستفهام دخلت عليها لأن لها صدر الكلام، وهي أو الاستفهام بدلالة ان الواو يدخل على هل؛ لأن الألف أقوى منها.

قال الزجاج وغيره: تقول: وهل زيد عاقل، ولا يجوز:وأزيد عاقل (٤).

وقال بعضهم: يحتمل أن تكون زائدة كزيادة الفاء في قولك: أفالله لتصنعن (٥).

والأول أصحّ لأنّه لا يحكم بالزيادة مع وجود معنى من غير ضرورة، والعطف على قوله: «خذوا ماآتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا» (٦) «أو كلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم» وانما اتصل ذكر

---

(١) لم نعثر عليه.

(٢) كتاب سيبويه: ج٣ ص١٨٧.

(٣) كالفراء في معاني القرآن: ج١ ص٩٨ ذيل آية ١٧٠ سورة البقرة.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٨١.

(٥) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٣٢٦.

(٦) البقرة: ٩٣.

العهد بما قبله لأحد أمرين: أحدهما: بقوله: «واذا أخذنا ميثاقكم»، والثاني: انهم كفروا بنقض العهد كما كفروا بالآيات .

المعنى واللغة:

والمراد بالعهد هاهنا الميثاق الذي أخذه الله ليؤمننّ بالنبي الأُميّ على قول ابن عباس[١]، وقال أبو علي[٢]: المعني به العهود التي كانت اليهود أعطوها من أنفسهم في أيام انبيائهم، وفي أيام نبينا محمد صلّى الله عليه وآله؛ لأنهم كانوا عاهدوه أنّهم لا يعينوا عليه أحداً فنقضوا ذلك وأعانوا عليه قريشاً يوم الخندق .

وقوله: «نبذه» النبذ والطرح والالقاء نظائر. قال صاحب العين[٣]: والنبذ طرحك الشيء عن يدك امامك أو خلفك . والمنابذة انتباذ الفريقين للحرب، تقول: نبذنا إليهم على سواء أي نابذناهم الحرب، والمنبوذون هم الأولاد الذين يطرحون والنبيذ معروف، والفعل نبذت لي ولغيري وأنبذت خاصة لنفسي،والمنابذة في البيع منهي عنها وهي كالرمي؛ كأنه اذا رمى اليه وجب له، وسمي النبيذ نبيذاً لأن التمر كان يلقى في الجرّة وغيرها، وهي فعيل بمعنى مفعول، وأصاب الأرض نبذة من المطر أي قليل .

قال قتادة: معنى نبذه في الآية نقضه[٤]. وقيل: تركه[٥]. وقيل:

---

(١) تفسير ابن عباس: ص١٥، قريب منه.

(٢) لا توجد لدينا تأليفاته.

(٣) العين للفراهيدي: مادة «نبذ» ج٨ ص١٩١ .

(٤) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٥١.

(٥) كأبي عبيدة في مجاز القرآن: ج١ ص٤٨ .

ألقاه[١]، والمعنى متقارب، قال أبو الاسود الدؤلي:

نظـرت الى عـنوانـه فـنبـذتـه كنبذك نعلاً اخلقت من نعالكا[٢]

وقوله: «بل أكثرهم» الهاء والميم عائدتان على المعاهدين، ولا يصلح على الفريق اذ كانوا كلّهم غير مؤمنين. وأما المعاهدون: فمنهم من آمن كعبد الله بن سلام وكعب الاحبار وغيرهما. وانما دخلت «بل» على قوله: «أكثرهم لا يؤمنون» لأمرين:

أحدهما: انّه لما قال: «نبذه فريق منهم» دلّ على انه كفر ذلك الفريق بالنقض، وحسن هذا التفصيل لأن منهم من نقض عناداً ومنهم من نقض جهلاً.

والوجه الثاني: كفر فريق منهم بالنقض وكفر أكثرهم بالجحد للحق، وهو أمر النبي صلّى الله عليه وآله وما يلزم من اتباعه والتصديق به. وقيل[٣]: بل يعني انّ الفريق وان كانوا هم المعاندون والجميع كافرون، كما تقول: زيد كريم بل قومه جميع كرام.

وقوله: «أو كلما» نصب على الظرف، والعامل فيه نبذ، ولا يجوز ان يعمل فيه عاهدوا لأنه متمم لما إمّا صلة وإمّا صفة.

* * *

(١) صاحب مقاييس اللغة: مادة «نبذ» ج٥ ص٣٨.

(٢) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ج١ ص٤٨.

(٣) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز: ج١ ص٣٦٦.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٠١) آية .

المعنى:

قال السدي وأكثر المفسرين: المعني بالرسول محمد صلّى الله عليه وآله(١). وقال بعضهم: يجوز أن يعني به هاهنا الرسالة(٢)، كما قال كثير:

فقد كذب الواشون ما بحت عندهم بليلى ولا ارسلتهم برسول(٣)

وهذا ضعيف، لأنه خلاف الظاهر قليل الاستعمال. والكتاب يحتمل ان يراد به التوراة، ويحتمل ان يراد به القرآن. قال السدي: نبذوا التوراة واخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت(٤). يعني انّهم تركوا ما تدل عليه التوراة من صفة النبي صلّى الله عليه وآله .

وقال قتادة وجماعة من أهل العلم: إن ذلك الفريق كانوا معاندين(٥). وقال ابو علي: لا يجوز على جماعتهم أن يكتموا ما علموا مع كثرة عدّوهم، واختلاف هممهم؛ لأنه خلاف العادة، ولكن يجوز على الجمع الكثير ان يتواطوا على الكتمان، ولذلك قال: «فريق من الذين أُوتوا الكتاب كتاب

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٥٢ ، وتفسير النووي: ج١ ص٢٦.

(٢) حكاه أبو حيان في البحر المحيط: ج١ ص٣٢٤، وقال به أبو عبيدة في مجاز القرآن: ج٢ ص٨٤.

(٣) ديوانه: ص١٧٨.

(٤) تفسير النووي: ج١ ص٢٦، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٥٢.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٣٥٢.

الله»[١] .

وقولـه: «مصدّق لما معهـم» يحتـمل أمرين: أحدهمـا: مصدّق لما معهم لأنه جاء على الصفة التي تقدمـت بها البشارة. والثاني: انه مصـدق بالتوراة انها حق من عند الله،والأوّل أحسن لأن فيه حجّة عليهم وعبرة لهم .

وقال الحسن: «مصدّق لما معهـم» من التوراة والانجيل[٢] وقال غـيره: يصدق بالتوراة لان الأخبار هاهنا عن اليهود دون النصارى[٣] .

وانما قال: «نبذ فريق منهـم من الذين أُوتوا الكتـاب» ولم يقل منهم اذ تقدّم ذكرهم لأحد أمرين:

أحدهما: انه لما أُريد علماء أهـل الكتاب أُعيد ذكرهم لاختلاف المعنى على قول البلخي[٤] .

والـثاني: انـه للبيـان. وكـان يجوز الـنصب في مصـدق، لان كتـاباً قد وصف، لانه من عند الله، على ما قاله الزجاج[٥] .

وقـوله: «كأنّـهم لا يعلـمون» فمعـناه انهم يـعلمون وكـأنّهم لـكـفرهم وكتمانهم لا يعلمون .

* * *

(١) و(٢) لم نعثر على قولهما.

(٣) كالنووي في تفسيره: ج١ ص٢٦، والطبري في تفسيره: ج١ ص٣٥٢.

(٤) لا توجد لدينا مؤلفاته.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص١٨٢.

قوله تعالى:

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف «ولكن الشياطين» «ولكن الله قتلهم» «ولكن الله رمى» بتخفيف النون من (لكن) وكسرها في الوصل ورفع الاسم بعدها، الباقون بالتشديد[١]. وروي تثنية «الملكين» بكسر اللام هاهنا حسب[٢].

المعنى:

واختلفوا في المعني بقوله: «واتبعوا» على ثلاثة أقوال: فقال ابن جريج وابن اسحاق: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلّى الله عليه وآله[٣]. وقال الجبائي: المراد به اليهود الذين كانوا في زمن سليمان[٤].

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٥٦.

(٢) أمالي المرتضى: ج١ ص٤٢٢ نقلاً عن ابن عباس.

(٣) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ٥٥، وفي الخطية والحجرية أبو اسحاق والصحيح ما أثبتناه.

(٤) ذكره القاضي عبد الجبار في متشابه القرآن: ج١ ص١٠٠.

وقال قوم: المراد به الجميع،وهو قول المتأخّرين، قال: لأنّ متّبعي السحر من اليهود لم يزالوا منذ عهد سليمان إلى أن بعث محمد صلّى الله عليه وآله[١].

وروي عن الربيع: أنّ اليهود سألوا محمداً صلّى الله عليه وآله زماناً عن أُمور من التوراة لا يسألونه عن شيء من ذلك إلّا أنزل الله عليه ما سألوا عنه فيخبرهم فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما انزل علينا منا وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله عز وجل «واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان»[٢].

ومعنى «تتلو» قال ابن عباس: تتبع[٣] لأن التالي تابع. وقال بعضهم: يُدّعى[٤]، وليس بمعروف. وقال قتادة[٥]، وعطا[٦]: معناه تقرأ من تلوت كتاب الله اي قرأته. وقال تعالى: «هنالك تتلو كل نفس ما اسلفت»[٧] اي تتبع، وقال حسان بن ثابت:

نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد[٨]

والذي تتلوه هو السحر على قول ابن اسحاق وغيره من أهل العلم[٩].

---

(١) الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٥٤.

(٢) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٥٣.

(٣) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «تلو» ج١٤ ص٣١٩.

(٤) أمالي المرتضى: ج١ ص٤٢٣.

(٥) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٥٥.

(٦) ذكره الازهري في تهذيب اللغة: مادة «تلو» ج١٤ ص٣١٩.

(٧) يونس: ٣٠.

(٨) ديوانه: ص٥٣، مع تفاوت يسير.

(٩) تفسير الطبري: ج١ ص٣٥٩.

وقال بعضهم: الكذب(١) .

ومعنى قوله: «على ملك سليمان» على عهد سليمان. قال ابن اسحاق وابن جريج: في ملك سليمان حين كان حياً، وهوقول المبرد(٢). وقال قوم: إنما قال: «تتلو على ملك» لانهم كذبوا عليه بعد وفاته، كما قال: «ويقولون على الله الكذب» وقال: «أتقولون على الله ما لا تعلمون»(٣) وقال الشاعر:

عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مرّ
وما بي ان اكون اعيب يحيى ويحيى طاهر الاخلاق برّ
ولكن قد اتاني ان يحيى يقال عليه في نفعاء شرّ(٤)

فاذا صدق قيل: تلا عنه، واذا كذب قيل: تلا عليه، واذا أبهم جاز فيه الأمران.

وقوله: «الشياطين» قال قوم: هم شياطين الجن، لأن ذلك هو المستفاد من اطلاق هذه اللفظة(٥). وقال بعضهم: المراد به شياطين الانس المتمردة في الظلالة(٦)، كما قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزلي وكن يهوينني اذ كنت شيطانا(٧)

---

(١) ذكره القاضي عبدالجبار في متشابه القرآن نقلاً عن أبي مسلم: ج١ ص١٠٢، وكذا في اعراب القران للزجاج:ج٢ ص٦٩٦.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٥٦.

(٣) ذكره الجصّاص في أحكام القرآن: ج١ ص٥٥، والآيتان من آل عمران: ٧٥، والأعراف: ٢٨.

(٤) لم نعرف قائله.

(٥)و(٦) أحكام القرآن: ج١ ص٥٦.

(٧) ديوانه: ص ٤٩٣، وفيه «أزمان» بدل «أيام».

وقوله: «وما كفر سليمان» وإن لم يجر لذلك ذكر يكون هذا تكذيباً له، فمعناه أنّ اليهود اضافوا الى سليمان السحر وزعموا ان ملكه كان به، فبرّأه الله مما قالوا، وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة(١).

وقال ابن اسحاق: قال بعض أحبار اليهود: ألا تعجبون من محمد صلّى الله عليه وآله يزعم أن سليمان كان نبياً والله ما كان إلّا ساحراً، فأنزل الله تعالى «وما كفر سليمان» (٢).

وقيل: تقدير الكلام واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، فتضيفه الى سليمان «وما كفر سليمان» لأن السحر لما كان كفراً نفى الله تعالى عنه ذلك على المعنى وان كانوا لم يضيفوا اليه كفرا،والسبب الذي لاجله اضافت اليهود الى سليمان السحر، انّ سليمان جمع كتب السحر تحت كرسيه-وقيل:في خزائنه- لئلا يعمل به فلما مات وظهر عليه قالت الشياطين: بهذا كان يتمّ ملكه، وشاع في اليهود وقبلوه، لعداوتهم لسليمان. وقيل: انهم وضعوا كتاب السحر بعد سليمان واضافوه اليه وقالوا: بهذا كان يتمّ له مكان فيه، فكذبهم الله تعالى في ذلك، ونفى عنه ذلك (٣).

اللغة:

والسحر والكهانة والحيلة نظائر، يقال: سحره يسحره سحرا، واسحرنا اسحارا، وسحره تسحيراً. قال صاحب العين(٤): السحر عمل يقرّب الى

---

(١)و(٢) أُنظر تفسير الطبري: ج١ ص٣٥٦-٣٥٨، وأحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٥٥.

(٣) حكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج١ ص٥٥و٥٦، وفي أسباب النزول للواحدي: ص١٩ نقلاً عن الكلبي.

(٤) العين للفراهيدي: مادة «سحر» ج٣ ص١٣٥.

الشيطان. كل ذلك يكتبونه السحر. ومن السحر الاخذة التي تأخذ العين حتى يظن إنّ الأمر كما ترى ـ وليس الأمر كما ترى ـ والجمع الأخذ. والسحر البيان من اللفظ كما قال النبي صلّى الله عليه وآله: إنّ من البيان لسحراً[١]، والسحر فعل السحر في شيء يلعب به الصبيان اذا مد خرج على لون، فاذا مد من جانب آخر خرج على لون آخر يسمى السحارة، والسحر العدو، قال امرؤ القيس:

أرانا موضعين لأمر غيب ونسحر بالطعام وبالشراب[٢]

وقال لبيد:

فان تسألينا مم نحن فاننا عصافير من هذا الانام المسحر[٣]

وقوله: «انما انت من المسحرين»[٤] يعني من المخلوقين. وفي تميز العربية هو المخلوق الذي يطعم ويسقى، والسَحر آخر الليل بالتنوين، قال الطرماح:

بان الخليط بسحرةٍ فتبددوا والدار تشعب بالخليط وتبعد[٥]

وتسحّرنا اكلنا سحوراً، واسحرنا كقولك: اصبحنا. والسحر الرئة مخفف، وما يتعلق بالحلقوم، ويقال للجبان اذا جبن: انتفخ مسحره، واستحر الطائر اذا غلبه بسحر.

واصل الباب الخفاء. والسحر قيل[٦]: الخفاء سببه توهم قلب الشيء

---

(١) مسند أحمد بن حنبل: ج١ ص٣٩٧ وج٤ ص٢٦٣، وأحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٤٢.

(٢) ديوانه: ص٧٢، والعين: مادة «سحر» ج٣ ص١٣٥.

(٣) ديوانه: ص٧١.

(٤) الشعراء: ١٥٣ و١٨٥.

(٥) تهذيب اللغة: مادة «خلط» ج٧ ص٢٣٥، وأساس البلاغة: ص١١٨.

(٦) قريب منه في أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٤٢.

عن حقيقته كفعل السحرة في وقت موسى لما أوهموا انّ العصا والحبال صارت حيواناً، فقال: «يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى»[١].

التفسير:

وقوله: «لكن الشياطين كفروا» قيل فيه ثلاثة أقوال[٢]:

أحدها: أنهم كفروا بما نسبوه الى سليمان من السحر.

والثاني: انهم كفروا بما استخرجوه من السحر.

والثالث: معناه ولكن الشياطين سحروا،فعبّر عن السحر بالكفر.

وقوله: «يعلمون الناس السحر» قيل فيه قولان[٣]:

أحدهما: انهم القوا السحر اليهم فتعلّموه.

[والثاني: انهم دلّوه على استخراجه من تحت الكرسي فتعلّموه][٤].

وقوله: «وما أُنزل على الملكين» قال ابن عباس وقتادة وابن زيد والسدي: انّ (ما) بمعنى الذي[٥]. وقال الربيع في احدى الروايتين عن ابن عباس: انها بمعنى الجحد[٦]. وروي عن القاسم بن محمد: انها تحتمل الامرين[٧].

---

(١) طه: ٦٦.

(٢) أُنظر تفسير الطبري: ج١٠ ص٣٥٦، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٦٤.

(٣) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦٥.

(٤) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخ وأثبتناه من مجمع البيان.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٣٥٩.

(٦) أمالي المرتضى: ج١ ص٤٢١.

(٧) تفسير الطبري: ج١ ص٣٦١.

وموضع (ما) نصب عطفاً على السحر، وقيل[١] : انها عطف على (ما) في قوله: «ما تتلو الشياطين». وقال بعضهم: موضعها جر،عطف على «ملك سليمان» وعلى «ما أُنزل» [٢] .

ومن قرأ بكسر اللام في الملكين قال: هما من ملوك بابل وعلوجها وهو قول أبي الأسود الدؤلي [٣] والربيع [٤] والضحاك [٥] ، وبه قرأ الحسن البصري [٦] ، ورواها عن ابن عباس [٧] ، واختلف من قال بهذا،فقال قوم: كانا مؤمنين،ولذلك نهيا عن الكفر.وقال قوم: أنهما كانا نبيين من أنبياء الله[٨].

ومن قرأ بالفتح قال قوم منهم: كانا ملكين. وقال آخرون: كانا شيطانين. وقال قوم: هما جبريل وميكائيل خاصة[٩] .

واختلفوا في بابل فقال قوم: هي بابل العراق لأنها تبلبل بها الألسن، وروي ذلك عن عائشة وابن مسعود. وقيل: بابل دماوند، ذكره السدي[١٠]. وقال قتادة: هي من نصيبين الى رأس العين[١١]. وقال الحسن:

---

(١) الفريد في اعراب القرآن: ج١ ص٣٤٩.
(٢) اعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٦٩٦،والنووي في تفسيره: ج١ص٢٧.
(٣) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦٥.
(٤) لم نعثر على قوله في المصادر المتوفّرة.
(٥) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٥٦.
(٦) تنزيه القرآن عن المطاعن: ص٢٨ .
(٧) أمالي المرتضى: ج١ ص٤٢٢، وفي شواذّ القرآن لابن خالويه: ص١٦.
(٨) حكا القولين النووي في تفسيره: ج١ ص٢٧.
(٩) اعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٦٩٥، وأمالي المرتضى: ج١ ص٤٢٢.
(١٠) تفسير الطبري: ج١ ص٣٦٥.
(١١) المحرر الوجيز: ج١ ص ٣٦٩، وتفسير القرطبي: ج٢ ص٥٣.

ان الملكين ببابل الكوفة الى يوم القيامة، وان من اتاهما سمع كلامهما ولا يراهما(١)، وبابل بلد لا ينصرف.

وقيل في معنى السحر اربعة اقوال:

أحدها: انه خدع ومخاريق وتمويهات لا حقيقة لها يخيل الى المسحور أن لها حقيقة.

والثاني: أنّه أخذ بالعين على وجه الحيلة.

والثالث: انه قلب الحيوان من صورة الى صورة وانشاء الاجسام على وجه الاختراع فيمكن الساحر أن يقلب الانسان حماراً وينشىء اجساماً.

والرابع: انه ضرب من خدمة الجن كالذي يمسك له التجدل فيصرع، وأقرب الأقوال الأول؛ لأن كل شيء خرج عن العادة الخارقة فانه لا يجوز أن يتأتى من الساحر. ومن جوّز للساحر شيئاً من هذا فقد كفر، لانه لا يمكنه مع ذلك العلم بصحّة المعجزات الدالّة على النبوات لأنه أجاز مثله من جهة الحيلة والسحر.

وقوله: «وما يعلّمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر» يتصل قوله: «فلا تكفر» بأحد ثلاثة أشياء: أحدها: فلا تكفر بالعمل بالسحر. والثاني: فلا تكفر بتعلم السحر ويكون مما امتحن الله عز وجل به كما امتحن بالنهر في قوله: «فمن شرب منه فليس مني»(٢). وثالثها: فلا تكفر بواحد منهما للتعلم للسحر والعمل به.

فان قيل: كيف يجوز ان يعمل الملكان السحر؟

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفّرة.

(٢) البقرة: ٢٤٩.

قيل: يعلمان ما السحر وكيف الاحتيال به ليجتنب، ولئلا يتموه على الناس انه من جنس المعجزات التي تظهر على يد الانبياء فيبطل الاستدلال بها.

وقال جماعة من المفسرين منهم ابو علي وغيره: انزلهما الله من السماء وجعلهما بهيئة الانس حتى بينا للناس بطلان السحر[١]. وقال الحسن وقتادة: اخذ عليهما ألا يعلماه «حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر»[٢].

وقوله: «وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر» على قول من جعل «ما» جحداً.

وقوله: «وما انزل على الملكين» يحتمل ان يكون ذلك من قول هاروت وماروت وليسا ملكين، كما يقول الغاوي الخليع: أنا في ضلال فلا ترد ما أنا فيه فيقرّ بالذنب وهو يأتيه، والتقدير على هذا: «ولكن الشياطين كفروا» هاروت وماروت. فمن قرأ الملكين ـ بفتح اللام ـ وهو قراءة الجمهور، اختلفوا فنهم من قال: إنّ سحرة اليهود زعموا أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكايل الى سليمان فأكذبهم الله بذلك، وفي الكلام تقديم وتأخير، فتقديره: وما كفر سليمان وما أنزل على ملكين ولكن الشياطين كفروا يعلمان الناس السحر ببابل هاروت وماروت وهما رجلان ببابل غير الملكين، اسم احدهما هاروت والآخر ماروت، ويكون هاروت وماروت بياناً عن الناس.

وقال قوم: ان هاروت وماروت ملكان من الملائكة[٣]، واختلفوا في

---

(١) اعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٦٩٥.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٦٧.

(٣) أحكام القرآن: ج١ ص٥٦، وتفسير النووي: ج١ ص٢٧.

سبب هبوطهما على قولين:

فقال قوم: ان الله اهبطهما ليأمرا بالدين وينهيا عن السحر؛ لأن السحر كان كثيراً في ذلك الوقت[١]، ثم اختلفوا فقال قوم: كانا يعلمان الناس كيفية السحر وينهيانهم عن فعله، ليكون النهي بعد العلم به، لأن من لا يعرف الشيء فلا يمكنه اجتنابه[٢]. وقال قوم آخرون: لم يكن للملكين تعليم السحر ولا إظهاره لما في تعليمه من الاغراء بفعله[٣]. والثالث: هبطا لمجرد النهي اذ كان السحر فاشياً.

وقال قوم: كان سبب هبوطهما ان الملائكة تعجّبت من معاصي بني آدم مع كثرة نعم الله عليهم، فقال لهم: اما لو كنتم مكانهم لعملتم مثل اعمالهم، فقالوا: سبحانك ما كان ينبغي لنا، فأمرهم ان يختاروا ملكين ليهبطا الى الارض فاختاروا هاروت وماروت، فأُهبطا الى الارض، وركّب فيهما شهوة الطعام والشراب والنكاح، واحلّ لهما كل شيء بشرط الا يشركا بالله ولا يشربا الخمر ولا يزنيا ولا يقتلا النفس التي حرم الله، فعرضت لهما امرأة للحكومة فمالا اليها، فقالت لهما: لا اجيبكما حتى تعبدا صنماً وتشربا الخمر وتقتلا النفس، فعبدا الصنم وواقعاها وقتلا سائلاً مرّ بهما خوفاً أن يشهر أمرهما في حديث طويل لا فائدة في ذكره، قال كعب: فوالله ما أمسيا من يومهما الذي أُهبطا فيه حتى استكملا جميع ما نهيا عنه، فتعجّبت الملائكة من ذلك ثم لم يقدر هاروت وماروت على الصعود الى السماء وكانا يعلمان الناس السحر. ومن قال بعصمة الملائكة لم يجز هذا الوجه. وقال قوم من

---

(١) اعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٦٩٥.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٨٣.

(٣) إعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٦٩٦.

أهل التأويل: ان ذلك على عهد ادريس[١] .

اللغة:

أمّا قوله: «انما نحن فتنة» .

فالامتحان والفتنة والاختبار نظائر، يقال: فتنه فتنة وافتتن افتتاناً، وقال ابو العباس: فتن الرّجل وأفتن بمعنى اختبر[٢] . وتقول: فتنت الرجل وأفتنته. ولغة قريش: فتنته، قال الله تعالى: «وفتنّاك فتوناً»[٣] وقال: «ولقد فتنا سليمان»[٤]، وقال أعشى همدان:

لئن فتنتني فهي بالأمس افتنت سعيداً فأمسى قد قلا كلّ مسلم[٥]

فجاء باللغتين، وقوله تعالى: «وظنَّ داود أنما فتناه»[٦] اي اختبرناه. ويقال: فتنت الذهب في النار اذا اختبرته فيها لتعلم أخالص هو أم مشوب، فقيل لكل ما أحميته في النار: فتنته، وتقول: فتنت الخبزة في النار اذا أنضجتها، ومثله يقال في اللحم. وقوله: «والفتنة أشدّ من القتل»[٧] أي الكفر أشدّ من القتل. والفتن في الدين والحروب. وقولهم: فتنة السوط أشدّ من فتنة السيف ومعناه اختبار السوط أشدّ لأن فيه تعذيباً متطاولاً.

---

(١) انظر شعب الايمان: ج١ ص١٨٠-١٨١ ح١٦٢ و١٦٣، وتفسيرالماوردي: ج١ ص١٦٦، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٦٣-٣٦٤.

(٢) نسبه في تهذيب اللغة الى ابن الانباري: مادة «فتن» ج١٤ ص٢٩٩.

(٣) طه: ٤٠.

(٤) ص: ٣٤.

(٥) العين: مادة «فتن» ج٨ ص١٢٨، بتفاوت يسير.

(٦) ص: ٢٤.

(٧) البقرة: ١٩١.

وقوله: «يوم هم على النار يفتنون»[١] أي يشوون من قولك: فتنت الخبز، والمعنى الصحيح انهم يعذبون بكفرهم،يقال: فتن الكافر العذاب وأفتنته أي جزاه بفتنته، كقولك: كذب واكذبته، وكل من صبأ فقد فتن، وقوله: «بأيّكم المفتون»[٢] قال الأخفش: معناه الفتنة فهو مصدر كقولك: رجل ليس له معقول، وخذ ميسوره ودع معسوره[٣]،وأبىٰ ذلك سيبويه وقال: خذ ميسوره أي ما تيسّر له، وليس له مرفوع أي ما يرفع[٤].

قال صاحب العين: فتن فلان فتوناً فهو فاتن أي مفتن، وقوله: «وما انتم عليه بفاتنين» أي مضلّين عن الحسن ومجاهد[٥]،وأصل الباب الاختبار.

ومعناه في الآية: انما نحن اختبار وبلوى وامتحان فلا تكفر، وقال قتادة: «انما نحن فتنة» أي بلاء[٦]. ويحتمل أن يكون معناه انهما كانا كافرين فيكون معنى قولهما: «انما نحن فتنة» أي شيء عجيب مستطرف، كما يقال للمرأة الحسناء،إنّها فتنة من الفتن، ويكون قوله: «فلا تكفر» على هذا الوجه يعني بما جئناك به، بل صدّق به واعمل عليه.

وقوله: «حتى يقولا» يحتمل أمرين:

أحدهما: انّ حتى بمعنى إلّا، وتقديره: وما يعلّمان من أحد إلّا أن يقولا

---

(١) الذاريات: ١٣.

(٢) القلم: ٦.

(٣) تهذيب اللغة: مادة «فتن» ج١٤ ص٢٩٩، ومعاني القرآن للفراء: ج٣ ص١٧٣.

(٤) الكتاب لسيبويه: ج٤ ص٩٧.

(٥) العين: مادة «فتن» ج٨ ص١٢٧.

(٦) احكام القرآن للجصاص: ج١ ص٥٧.

انما نحن فتنة فلا تكفر،ويكون ذلك زيادة في الابتلاء من الله في التكليف .

والثاني: انه نفي لتعليمهما الناس السحر، وتقديره: ولا يعلمان أحداً السحر فيقولان انما نحن فتنة فلا تكفر، فعلى هذا يكون تعليم السحر من الشياطين والنهي عنه من الملكين .

وقوله: «فيتعلّمون» قال قوم: معنى تعلم واعلم واحد [١]،كما جاء علمت واعلمت وفهمت وافهمت، كما قال كعب بن زهير:

تعلم رسول الله إنك مدركي وان وعيداً منك كالأخذ باليد[٢]

وقال القطامي:

تعلم ان بعد الغي رشداً وان لهذه الغبر انقشاعا[٣]

ومنهم من قال: تعلم بمنزلة تسبب الى ما به تعلم من النظر في الأدلة وليس في اعلم ذلك ، لأنه قد ينبئهم على ما يعلمه بالتأمل له، كقوله: اعلم أنّ الفعل يدل على الفاعل وما لم يسبق المحدث فهو محدث، والأول كقوله: تعلّم النحو والفقه .

فان قيل : كيف يفرق بين المرء وزوجه؟

قلنا فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: انه اذا تعلم السحر كفر فحرمت عليه امرأته .

والثاني: ان يمشي بينهما بالنميمة حتى يفسد بينهما، فيفضي الى الطلاق والبينونة .

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «علم» ج٢ ص٤١٧، وأمالي المرتضى: ج١ ص٤١٨.

(٢) أمالي المرتضى: ج١ ص٤١٨.

(٣) أمالي المرتضى: ج١ ص٤١٨، وفيه: «وان لتانك» بدل «وانّ لهذه».

والثالث: قال قتادة وغيره: يُوجِد كل واحد منهما على صاحبه ويبغضه اليه[١].

وقيل: انه كان من شرع سليمان إنّ من تعلم السحر بانت منه زوجته[٢].

وقوله: «منهما» الضمير قيل: انه راجع الى الملكين[٣]. وقيل: بل الى الكفر والسحر[٤]، لانه تقدم الدليل عليهما في قوله: «ولكن الشياطين كفروا» كما جاء «سيذكر من يخشى *ويتجنبها الأشقى»[٥] أي يتجنّب الذكرى. ومن قال: الملائكة معصومون،يقول: الكناية ترجع الى الكفر والسحر لا غير دون الملكين، فكأنّه قيل: «فيتعلّمون» مكان ما علماهم ما يفرقون به بين المرء وزوجه، كقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا أي بدله، قال الشاعر:

جمعت من الخيرات وطباً وعلبة وصراً لأخلاف المزممة البُزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة وسعياً على الجار المجاور بالنّجل[٦]

يريد جمعت مكان خيرات الدنيا هذه الخيرات الرديئة، والافعال الدنيئة.

وقوله: «يفرّقون به بين المرء وزوجه» فالمرء تأنيثه المرأة. قال صاحب

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٦٩.
(٢) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج١ ص٤٢٤.
(٣) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٦٤، واعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٥٦٨.
(٤) أمالي المرتضى: ج١ ص٤٢٠، واعراب القرآن للزجاج: ج٢ ص٥٦٨.
(٥) الأعلى: ١٠-١١.
(٦) أمالي المرتضى: ج١ ص٤٢١، وفيه «بالمحل» بدل «بالنجل».

العين: امرأة تأنيث المرء،ويقال:مَرَة بلا ألف[1]. والمرأة مصدر الشيء المريء الذي يستمرأ،يقال:ما كان مريئاً ولقد مرؤ واستمرأته وهو المريء للطعام،وأصل الباب المريء، فقولهم مرأة كقولهم جارية أي جرت في النور والشباب. فأمّا امراء الطعام فانه يجري وينفذ في مجاريه ولا يقف. وكذلك المرأة تجري في السن الى حد، وقُرئ في الشواذ بين المُرء -بضم الميم- وهي لغة هذيل.

اللغة:

وقوله: «وما هم بضارين به من أحد».

فالضرر والألم والأذى نظائر، والضر نقيض النفع، يقال: ضره يضره ضراً، واضر به إضراراً، واستضر استضراراً، واضطر اضطراراً، وضاره مضارّة وضراراً. قال صاحب العين[2]: الضَّر والضُّر لغتان، فاذا جمعت الضر والنفع فتحت الضاد. والضرر نقصان يدخل في الشيء، يقال: دخل عليه ضرر في ماله. والضرورة اسم لمصدر الاضطرار. والضرير الذاهب البصر من الناس، تقول: رجل ضرير بيّن الضرارة، والضرّاء من الضُر وقوم أضراء.

والضرر مصدر أضرّه مضارّة، وفي الحديث:«لا ضرر ولا ضرار»[3] واذا ضرّ به المرض قيل: ضرير، وامرأة ضريرة. والضرير اسم للمضارة واكثر ما

---

(١) العين: مادة «مرء» ج٨ ص٢٩٩.

(٢) العين: مادة «ضر» ج٧ ص٦.

(٣) الكافي: كتاب المعيشة، باب الضرارح٢، ٦، ٨ ج٥ ص٢٩٢، وفي مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص٣٢٧.

يستعمل في الغيرة، تقول: ما أشدّ ضريره عليها، قال الشاعر يصف حماراً وحشياً:

حتى اذا مالان من ضريره[١]

والضرّتان امرأتان للرجل والجمع الضرائر. والضرتان الالية من جانبي عظمها، وهما الشحمتان اللتان تهدلان من جانبيها، وضرة الابهام لحمة تحتها، وضرة الضرع لحمة تحتها، والضر الهزال، وضرير الوادي جانباه وكل شيء دنا منك حتى يزحمك فقد أضر بك. وأصل الباب الانتقاص.

وقوله: «من أحد إلّا بإذن الله» يحتمل أمرين:

أحدهما: بتخلية الله.

والثاني: الا بعلم الله من قوله: «فاذنوا بحرب من الله»[٢] معناه اعلموا بلا خلاف، ويقال: أذنت آذن اذناً، قال الحُطيئة:

ألا يا هند إن جددت وصلاً والا فآذنيني بانصرامي[٣]

وقال الحارث بن حلزة:

آذنتنا ببينها اسماء[٤]

معناه أعلَمتنا. والإذن في اللغة على ثلاثة أقسام:

أحدها: بمعنى العلم وذكرنا شاهده.

والثاني: الاباحة والاطلاق، كقوله: «فانكحوهن باذن أهلهن»[٥]،

(١) العين: مادة «ضر» ج٧ ص٧، والبيت لرؤبة.

(٢) البقرة: ٢٧٩.

(٣) لم نعثر عليه في ديوانه، وانشده الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٦٩.

(٤) شرح المعلقات السبع للزوزني: ص٢١٦، وعجز البيت هكذا:
ربّ ثاوٍ يملّ منه الثواء.

(٥) النساء: ٢٥.

وقوله: «ياأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم»(١).

والثالث: بمعنى الأمر كقوله: «نزله على قلبك بإذن الله»(٢) وقد أجمعت الأمة على أنه لم يأمر بالكفر، ولم يتجه نفي القسم الثالث. ولا يجوز أن يكون المراد «إلّا باذنه» إلّا بارادته ومشيئته لأن الارادة لا تسمى إذناً. ألا ترى أن من أراد الشيء من غيره أن يفعله لا يقال أذن له فيه فبطل ما قالوه.

وقد روي عن سفيان إلّا بقضاء الله(٣). وقال بعض من لا معرفة له: الاذن بمعنى العلم بفتح الهمزة والذال دون الاذن بكسر الهمزة وسكون الذال(٤) وهذا خطأ؛ لأن الإذن مصدر يقال فيه: أَذِن وإِذْن مثل حَذِر وحِذْر، وقال تعالى: «خذوا حِذْركم»(٥) ويجوز فيه لغتان مثل: شِبه وشَبه ومِثل ومَثل، وقال هذا القائل: من شاء الله يمنعه فلم يضره السّحر، ومن شاء خلى بينه وبينه يضرّه(٦).

وقوله: «لا ينفعهم».

فالنفع نقيض الضر، والنفع والمنفعة واللذة نظائر، يقال: نفع ينفع نفعاً فهو نافع، وانتفع فلان بكذا وكذا، ورجل نفاع ينفع الناس، وأصل النفع ضد الضر.

---

(١) النور: ٥٨.

(٢) البقرة: ٩٧.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٦٩.

(٤) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج١ ص٣٩.

(٥) النساء: ٧١و١٠٢.

(٦) حكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج١ ص٥٨، نقلاً عن الحسن.

وحدّ النفع هو كل فعل يكون الحيوان به ملتذاً، إما لأنه لذّة أو يؤدي الى اللذة، والمضرة كل معنى يكون الحيوان به ألما، اما لانه ألم أو يؤدي الى الألم.

والهاء في قوله: «لمن اشتراه» عائدة الى السحر.

المعنى:

والمعنى لقد علمت اليهود أن من استبدل السحر بدين الله ما له في الآخرة من خلاق، وهو قول ابن زيد وقتادة [١] وقال قوم من المفسرين كأبي علي وغيره: كانوا يعطون عليه الأُجرة فذلك اشتراؤهم له[٢]. والخلاق النصيب من الخير، وهو قول مجاهد وسفيان[٣]. وقال قوم: ماله من حجّة[٤]. وقال الحسن: ما له من دين[٥]. قال أُمية بن أبي الصلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلّا سرابيل من قطر وأغلال [٦]

يعني لا نصيب لهم في الآخرة من الخير، ومعنى «شروا به أنفسهم» باعوا به انفسهم،في قول السدي وغيره [٧].

فان قيل: كيف قال: «لو كانوا يعلمون» وقد قال قبله: «ولقد علموا

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧٠، وأحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٥٨.

(٢) لم نعثر عليه.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧٠ و٣٧١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٦٨.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧١ نقلاً عن قتادة، وفي المطبوعة «جهة» بدل «حجة» والصحيح ما أثبتناه.

(٥) تفسير الحسن البصري: ج١ ص١١١.

(٦) ديوانه: ص٤٧.

(٧) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧١، وحكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج١ ص٥٨.

لمن اشتراه»؟

قلنا: عنه ثلا ثة أجوبة:

أحدها: إنهمافريقان: فريق علموا وعاندوا، وفريق علموا وضيعوا.

والثاني: انهم فريق واحد إلا أنهم ذُمّوا في أحد الكلامين بنفي العلم؛ لأنه بمنزلة المنتفي، وأخبر عن حالهم في الآخرة، وتقديره:أنهم علموا قدر السحر ولم يعلموا أنّ هلاكهم بتصديقه واستعماله، أو لم يعلموا كنه ما أعدّ الله من العذاب على ذلك، وإن علموه على وجه الجملة.

و[الثالث]: قال قوم: هو مقدّم ومؤخر، وتقديره:وما هم بضارّين به من أحد الا بإذن الله، ويتعلّمون ما يضرّهم ولا ينفعهم ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون، ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق[١].

وقال بعضهم: هما جميعاً خبر عن فريق واحد وأراد بقوله: «ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون» أي لو كانوا يعلمون بما علموه فعبّر عن المعلوم بالعلم[٢]، كما قال كعب بن زهير المزني يصف ذئباً وغرابا تبعاه لينالا من طعامه وزاده:

اذا حضراني قلت لو تعلمانه ألم تعلما أني من الزاد مرمل[٣]

فأخبر انه قال لهما: لو تعلمانه فنفى عنهما العلم ثم استخبرهما فقال: ألم تعلما، وكذلك الآية. وقال قوم: إن الذين علموا الشياطين والذين لم يعلموا

---

(١) حكاه الطبري في التفسير: ج١ ص٣٧١.

(٢) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج١ ص٤٢٤.

(٣) ديوانه: ص٥١، وأمالي المرتضىٰ: ج١ ص٤٢٤.

الناس دون الشياطين(١).

الاعراب:

فان قيل: ما معنى «لمن اشتراه» وأين جوابها إن كانت شرطاً؟

قلنا: عنه جوابان: أحدهما: أنها بمعنى الجزاء. والآخر: بمعنى الذي في قول الزجاج(٢)، وجوابها مكتفى منه جواب القسم، كما قال: «لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم» (٣) ولذلك رفع قالوا، ولا يجوز الجزم إلّا في ضرورة الشعر، كما قال الشاعر:

لئن كان ما حدّثته اليوم صادقاً أصمّ في نهار القيظ للشمس باديا(٤)

والوجه لأصومنْ ولا يجوز لأصوم إلّا في ضرورة الشعر، كما قال:

لئن تك قد ضاقت عليكم بيوتكم ليعلم ربي إنّ بيتي واسع (٥)

قالوا: وان جزمت الأول جاز جزم الثاني، كقولك: لئت تقم لا نقم إليك.

وقوله: «فيتعلمون» يجوز أن يكون عطفاً على فيأتون فيتعلّمون، وقد دل أول الكلام على يأتون. وقيل: فيعلمون الناس السحر فيتعلمون وكلاهما ذكره الكسائي والفراء (٦) وانكر الزجاج القول الأخير، لأجل قوله: «منهما»

---

(١) حكاه السيد المرتضى في أماليه: ج١ ص٤٢٤.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص١٨٧.

(٣) الحشر: ١٢.

(٤) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٦٧.

(٥) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٦٦.

(٦) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٦٤، والاملاء للعكبري: ج١ ص٥٥.

أي من الملكين وأجاز القول الأول واختار قولاً ثالثاً وهو يعلمان فيتعلمون[١].

والذي أنكره يجوز إذا كان «منهما» راجعاً الى السحر والكفر، ولا يجوز ان يكون «فيتعلمون» جواباً لقوله :«فلا تكفر» فينصب لأن تقديره:لا يكن كفر فتعلم، كما تقول: لا تدن من الأسد فيأكلك أي لا يكن دنو فأكل، فهذا نهي عن دنو يقع بعده أكل. وانما النهي في الأول عن الكفر بتعلم السحر للعمل. وليس يصلح للجواب على هذا المعنى، ولا يجوز أن يكون جواباً للنفي في قوله: «وما يعلمان»، لأن لفظه على النفي ومعناه الايجاب، كأنه قيل: يعلمان اذا قالا نحن فتنة فلا تكفر.

فان قيل : ما اللام الأولى في قوله: «ولقد علموا» وما الثانية في قوله: «لمن اشتراه» ومثله قوله: «ولئن جئتهم بآية ليقولن»[٢].

قيل : الثانية لام القسم بالاجماع، قال الزجاج: لأنك إنما تحلف على فعلك لا على فعل غيرك في قولك : والله لئن جئتني لاكرمنّك .

فأمّا الأُولى فزعم بعض النحويين أنها لما دخلت في أول الكلام أشبهت لام القسم، فأُجيبت بجوابه، قال الزجاج: هذا خطأ، لأنّ جواب القسم لا يشبه القسم، ولكن اللام الأُولىٰ دخلت إعلاماً أنّ الجملة بكاملها معقودة بالقسم؛ لأن الجزاء وان كان القسم عليه فقد صار للشرط فيه حظ، ولذلك دخلت اللام[٣] قال الرماني: هذا الذي ذكره لايبطل شبهها

---

(١) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٨٥.

(٢) الروم: ٥٨.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٨٧.

بالقسم لأنها للتوكيد كما انه للتوكيد، فكأنّه قال: والله إن اتيتني لاكرمنّك.

بحثٌ فقهي:

والظاهر في روايات اصحابنا ان الساحر يجب قتله(١). وفيه خلاف، ذكرناه في الخلاف(٢).

وقال أبو علي:من قال: انه يقلب الاجسام وينشئها يجب قتله ان لم يتب؛ لانه مرتد كافر بالأنبياء، لأنه لا يجد بين ما ادّعى وبين آياتهم فصلاً، وأما من قال: إنه يموه ويمخرق فانّه يؤدب فلا يقتل(٣). وأمّا الروايات التي في ان الملكين أخطأا وركبا الفواحش، فانها أخبار آحاد، من اعتقد عصمة الملائكة يقطع على كذبها، ومن لم يقطع على ذلك جوّز أن تكون صحيحة ولا يقطع على بطلانها.

والذي نقوله ان كان الملكان رسولين فلا يجوز عليهما ذلك، وان لم يكونا رسولين جاز ذلك وان لم نقطع به وقد بيّنا الكلام عليه فيا مضى. فأمّا ما روي(٤) من أن النبي صلّى الله عليه وآله سحر وكان يرى انه فعل [به] ما لم يفعله وانه لم يفعل ما فعله، فأخبار آحاد لا يلتفت اليها، حاشا النبي

---

(١) الكافي: كتاب الحدود باب حد الساحر ج٧ ص٢٦٠، وفي التهذيب: كتاب الحدود ب١٠ من الزيادات ح١٤، ١٥، ١٦، ١٧ ج١٠ ص١٤٧.

(٢) الخلاف: كتاب كفارة القتل م١٥ ج٣ ص١٦٢.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) أُنظر مسند أحمد بن حنبل: ج٤ ص٣٦٧، ج٦ ص ٥٧، ٦٣، وذكره في الخلاف أيضاً: كتاب كفارة القتل ذيل م١٤ ج٣ ص١٦٢.

صلّى الله عليه وآله من كل صفة نقص اذ تنفر من قبول قوله، لأنه حجة الله على خلقه، وصفيه من عباده واختاره الله على علم منه، فكيف يجوز ذلك مع ما جنّبه الله من الفظاظة والغلظة وغير ذلك من الأخلاق الدنيئة والخلق المشينة، ولا يجوّز ذلك على الأنبياء إلّا من لم يعرف مقدارهم ولا يعرفهم حقيقة معرفتهم، وقد قال الله تعالى: «والله يعصمك من الناس»[١] وقد أكذب الله من قال: ان يتبعوا إلّا رجلاً مسحوراً، فقال: «وقال الظالمون ان تتبعون إلّا رجلاً مسحوراً»[٢] فنعوذ بالله من الخذلان، ونحمده على التوفيق لما يرضاه.

و«لكن» مشدّدة ومخففة معناهما واحد، قال الكسائي: والذي اختارته العرب اذا كانت (ولكن) بالواو مشددة، واذا كانت بلا واو اختاروا التخفيف، وكل صواب[٣]، وقرىء بغير ما اختاروه اتباعاً للأخبار في القراءة.

قوله تعالى:

وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ آية بلا خلاف.

الإعراب:

الضمير في قوله: «ولو انهم آمنوا» عائد على الذين يتعلمون السحر. قال

---

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) الفرقان: ٨.

(٣) لم نعثر على قول الكسائي ولكن وجدناه في معاني القرآن للفراء ذيل آية ٤٤ من سورة يونس: ج١ ص٤٦٥، كما ذكره الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «لكن» ج١٠ ص٢٤٨.

الحسن: تعلموا ان ثواب الله خير لهم من السحر[١]. وأما جواب (لو) فللنحويين فيه قولان: فالبصريون يذهبون الى ان جوابه محذوف،وتقديره: ولأُثيبوا، وأوقع لمثوبة من عند الله موقعه لدلالته عليه[٢]. وقال بعضهم: التقدير:ولو انهم آمنوا واتقوا لأُثيبوا، ثم قال: «ولمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون» أي لو كانوا يستعملون ما يعلمون، وليس انهم كانوا يجهلون ذلك، كما يقول الانسان لصاحبه وهو يعظه: ما أدعوك اليه خير لك لو كنت تعقل أو تنظر في العواقب والفكر فيها.

وقال الفراء: الجواب في «لمثوبة»، لأن «لو» أشبهت «لئن» من حيث كان لكلّ[٣] واحدمنهماجزاء،فلما اشبهتها أُجيبت بجوابها، فالمعنى لئن آمنوا لمثوبة[٤]،فعلى القول الأول لا يجوز:لو أتاني زيد لعمرو خير منه. وعلى الثاني يجوز. ولو قلت: لو اتاني زيد لاكرامي خير له جاز على الوجهين.

واللام التي في (لمثوبة) لام الابتداء؛ لأنها دخلت على الاسم كما دخلت في (علمت لزيد خير منك). ولو جاز هاهنا لام القسم لنصبت الاسم في علمت.

المعنى:

فان قيل: ما معنى قول الله تعالى: «لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون» وهو خير علموا أو لم يعلموا؟

---

(١) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٨٧، ولم ينسبه لأحد.

(٢) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٣٢٩.

(٣) في النسخة الخطية والحجرية والمطبوعة «كل»،والصحيح ظاهراً ما أثبتناه.

(٤) لم نعثر عليه للفرّاء الكوفي،وقد نسبه الطبري الى بعض البصريين في تفسيره: ج١ ص٣٧٣.

قيل: لو كانوا يعلمون لظهر لهم بالعلم ذلك، أي لعلموا أن ثواب الله خيرٌ من السحر. وقال أبو علي: المعنى في ذلك الدلالة على جهلهم والترغيب لهم في أن يعلموا ذلك، وأن يطلبوا ما هو خير لهم من السحر وهو ثواب الله الذي ينال بطاعته واتباع مرضاته. وفيه دلالة على بطلان قول أصحاب المعارف لأنهم لو كانوا عارفين على ما يقولونه لما قال: «لو كانوا يعلمون» .

والمثوبة الثواب،في قول قتادة والسدي والربيع[1] والثواب هو الجزاء على العمل بالإحسان وهو منافع مستحقة يقارنها تعظيم وتبجيل .

اللغة :

والمثوبة والثواب والأجر نظائر، ونقيض المثوبة العقوبة، يقال: ثاب يثوب ثوباً وإثابة، وأثابه إثابةً وثواباً ومثوبة واستثابة، وثوب تثويباً .

والثواب في الأصل معناه ما رجع اليك من شيء، تقول: اعترت الرجل غشية ثم ثابت اليه نفسه، ولذلك صار حقّ الثواب الجزاء؛ لأنه العائد على صاحبه مكافأة لما فعل. ومنه التثويب في الأذان وغيره وهو ترجيع الصوت، ولا يقال ذلك للصوت مرة واحدة، ويقال:ثوّب الداعي اذا كرر دعاءه الى الحرب أو غيرها، ويقال:انهزم القوم ثم ثابوا أي رجعوا، والثوب مشتق من هذا لأنه ثاب لباساً بعد أن كان قطناً أو غزلاً، والثيّب التي قد تزوّجت بوجه ما كان، ولا يوصف به الرجل إلّا أن تقول:ولد الثيبين وولد البكرين. والمثابة الموضع الذي يثوب اليه الناس، قال الله

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧٣.

تعالى: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس»(١) أي مجتمعاً بعد التفرّق وان لم يكن تفرقوا من هناك فقد كانوا متفرقين ثم ثابوا اليه، ويقال: ثاب الحوض ثئوباً اذا امتلأ أو كاد يمتلىء. وأصل الباب الثوب الرجوع.

القراءة:

قرأ قتادة «لمثْوَبة» بسكون الثاء وفتح الواو وهي لغة جازت على الأصل، كما قالوا: مشْوَرة ومشُوْرة ـ بفتح الواو وسكون الشين وضمّ الشين وسكون الواو(٢) ـ والفراء على خلافه. والعرب مجمعون على إلقاء الألف من قولهم: هذا خير منك وشر منك، إلّا بعض بني عامر يقولون: ما أُريد خيراً أخير من ذا، وقال بعضهم أيضاً: هذا أشر من ذا(٣) والوجه طرح الألف.

قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ آية بلا خلاف.

اللغة:

المراعاة التفقد للشيء في نفسه أو أحواله. والمراعاة والتحفظ والمحافظة والمراقبة نظائر، ونقيض المراعاة الإغفال، يقال: رعى يرعى رعياً، والرعي ما تأكله الماشية من نبات الأرض، ورعى الله فلاناً اذا حفظه، ورعيت له

---

(١) البقرة: ١٢٥.

(٢) مختصر في شواذ القرآن: ص١٦.

(٣) حكاه الأزهري في تهذيب اللغة: مادة «خير» ج٧ ص٥٥٣.

عـهـده وحـقه بعده أو في مـن خـلّـف، وأرعـيته سمـعي اذا أصـغيت اليه، وراعـيته نـفسي اذا لاحظتـه، وجمع الراعي رعـاء ورعاة ورعيـان، والرعاية فعل الراعي يـرعاها رعاية اذا ساقها وسرّحها وأراحها فقد رعاها، وكلّ من ولي قـوماً فهـو راعيهم وهم رعـيـته، والمرعـي من النـاس المسوس، والراعي السـائس ويقـال: فلان يـراعـي كـذا مـعنـاه ينظـر الى ما يصير اليـه أمره، ورعيـت النجوم أي رقبتهـا، واسـترعاه الله خلقه أي ولاه أمـرهم لـيرعاهم. والارعاء الابقاء على أخيك .

وتـقول: أراعيني سـمعك أي اسـمـع يافلان، وكـان المسلمـون يقولون: يارسول الله راعنا أي استمع منا، فـحرّفت اليهود فقالوا: يامحمد راعنا وهم يلحدون الى الرعونة يريدون به النقيصة والوقيعة، فلما عوتبوا قالوا: نقول كما يقول المسلمون، فنهى الله عن ذلك فقال: «ياأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا» .

ورجل ترعية الذي لم تزل صنعته وصنعة آبائه الرعاية، قال الشاعر:

يسوسـهـا تـرعـيـة حـاف فضـل إن رعــت صـلاً وإلّا لم يصل[١]

وأصل الباب الرعي الحفاظ .

المعنى:

وأما الآية فللمفسرين فيها ثلا ثة أقوال:

قال ابن عباس[٢] ومجاهد[٣]: «لا تـقولوا راعنا» أي لا تقولـوا: اسمع

---

(١) ذكر صدره في العين: مادة «رعى» ج٢ ص٢٤١.

(٢)و(٣) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦٩.

منّا ونسمع منك. وقال عطاء: «لا تقولوا راعنا» أي لا تقولوا خلافاً[١]. وروي ذلك ايضاً عن مجاهد[٢]. وهذا لا وجه له إلّا أن يراد (راعنا) بالتنوين. وقيل: معناه ارقبنا[٣] قال الأعشى:

يرعي الىٰ قول سادات الرجال اذا ابدوا له الحزم أو ماشاءه ابتدعا[٤]

يعني يصغي، وقال الأعشىٰ أيضاً:

فضللت أرعاها وظلّ يحوطها حتى دنوت اذا الظلام دنا لها[٥]

والسبب الذي لأجله وقع النهي عن هذه الكلمة قيل فيه خمسة أقوال:

احدها: ما قاله قتادة وعطية: إنّها كلمة كانت تقولها اليهود على وجه الاستهزاء[٦].

[الثاني]: وقال عطاء: هي كلمة كانت الأنصار تقولها في الجاهلية، فنهوا عنها في الاسلام[٧].

[الثالث]: وقال أبو العالية: إنّ مشركي العرب كانوا اذا حدّث بعضهم بعضاً يقول أحدهم لصاحبه: ارعنا سمعاً، فنهوا عن ذلك[٨].

[الرابع]: وقال السدي: كان ذلك كلام يهودي بعينه يقال له: رفاعة بن زيد يريد بذلك الرعونة، فنهي المسلمون عن ذلك[٩].

---

(١) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦٩.

(٢) تفسير مجاهد: ص ٢١٠.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧٥.

(٤) ديوانه: ص١٠٩.

(٥) ديوانه: ص١٥٠.

(٦) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧٤، وحكاه الجصاص في أحكام القرآن: ج١ ص٥٨.

(٧) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦٩.

(٨) و (٩) حكاهما الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٧٤.

[الخامس]: وقال ابو علي: قد بيّن الله عز وجل؛ إنها كلمة كانت اليهود تلوي بها ألسنتهم في قوله: «من الذين هادوا يحرّفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليّاً بألسنتهم وطعناً في الدين»[١]،وهو قول ابن عباس وقتادة[٢] .

وقيل: «لا تقولوا راعنا» من المراعاة والمكافأة، فأُمروا أن يخاطبوا النبي صلّى الله عليه وآله بالتوقير والتعظيم، أي لا تقولوا: راعنا سمعك حتى نفهمك وتفهم عنا[٣] .

وقال ابو جعفر عليه السلام: هذه الكلمة سبّ بالعبرانية اليه كانوا يذهبون[٤]. قال الحسين بن علي المغربي: فبحثتهم عن ذلك فوجدتهم يقولون: راع رن، قال: على معنى الفساد والبلاء، ويقولون: (انا) بتفخيم النون واشمامها بمعنى لأن مجموع اللفظين واللفظتين فاسد، لأن لما عوتبوا على ذلك قالوا إنّا نقول كما يقول المسلمون فنهي المسلمون عن ذلك .

ولما كان معنى (راعنا) يراد به النظر قال: قولوا عوضها: أُنظرنا، أي انظر الينا، «واسمعوا» ما يقوله لكم الرسول .

وروي عن الحسن انه كان يقرأ «راعناً» بالتنوين بمعنى لا تقولوا قولاً راعناً، يعني من الرعونة وهي الحمق والجهل[٥]. وهذا شاذٌ لا يؤخذ به، وفي

---

(١) النساء: ٤٦.

(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١٦٩.

(٣) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص١٨٨.

(٤) لم نعثر عليه في المراجع الحديثة، وقريب منه في تفسير الامام العسكري عليه السلام: ص٤٧٨ منسوباً الى الامام موسى بن جعفر (ع).

(٥) شواذ القرآن: ص١٦، ومعاني القرآن للزجّاج: ج١ ص١٨٨.

قـراءة ابن مسعـود (راعونا) خطـاب مـن جماعة لجماعة بمـراعاتهم[١]. وهذا أيضاً شاذ.

ومعنى «أُنظرنا» يحتمل أمرين:

أحدهما: انتظرنـا نفـهم ونتـبين ما تـعلّمـنا، يقال منـه: نظرت الرجل انظره نظـرة بمعنى انتظرته وارتـقبـته، ومنه قولـه: «انظرونـا نقتبس»[٢] أي انتظرونا.والثاني: قال مجـاهد: معناه فقهـنا وبيّن لنا يامحمد[٣].وقيل: معناه أقبل علينا.

وقوله: «واسمعوا» يحتمل أمرين:

أحـدهمـا: قال الحسـن والسدي: إن معنـاه اسـمعـوا مـا يأتـيكـم به الرسول[٤].

والثاني: ما قـال أبـوعلي: معناه اقبـلوا ما يأمركـم به الرسول، من قـوله: سمع الله لمن حمده، وسمع الله دعاك [أي] قـبله.

وقال علقمة والحسن والضـحاك : كل شيء من القرآن: «ياأيها الذين آمنوا» فانه نزل بالمدينة[٥].

* * *

---

(١) شـواذ القرآن: ص١٦، ومـعاني القـرآن للفرّاء: ج١ ص٦٩، وفي المطـبوعة «راعـنا» وهو خطأ والصحيح ما أثبتناه.

(٢) الحديد: ١٢.

(٣) تفسير مجاهد: ص٢١٠.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص ٣٧٧.

(٥) المستدرك «للحـاكـم النيسابـوري»: كـتاب الهجرة ج٣ ص١٨ أخـرجه عن عـلقـمة عن عبدالله بن مسعود، وأنظر علوم القرآن «للزركشي»: ج١ ص١٨٧.

قوله تعالى:

﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ آية واحدة بلا خلاف.

الإعراب:

معنى «ما يود» ليس يحب، يقال منه: ودّه يوده وداً وودادا، والمودّة المحبة.

«ولا المشركين» في موضع جر بالعطف على أهل الكتاب، وتقديره: ولا من المشركين.

وقوله: «أن ينزل» في موضع نصب بقوله: «يود».

وانما ذموا على ذلك وان كان ذلك ميل الطباع، لأن ذلك في دلالة على أنهم فعلوا كراهية لذلك وتعرّضوا بذلك لعداوة المؤمنين، وكان الذمّ عليهم لذلك، ولو رفع «المشركين» عطفاً على «الذين كفروا» كان جائزاً ولكن لم يقرأ به أحد.

ومثله في احتماله الأمرين قوله: «ياآيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزواً ولعباً من الذين أُوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء»(١) ـ بخفض الراء وفتحها ـ وقرىء بهما.

و«من» في قوله: «من خير» زائدة مؤكدة، كقولك: ما جاءني من أحد، وموضعها رفع، قال أبو ذؤيب:

---

(١) المائدة: ٥٧.

جزيتك ضِعف الود لما استبنته   وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي[١]

وأما «من» في قوله: «من ربّكم» فلابتداء الغاية، والتي في قوله: «من أهل الكتاب» فللتنويع، مثل التي في قوله: «فاجتنبوا الرجس من الأوثان»[٢] .

المعنى واللغة :

قوله: «يختص برحمته من يشاء» روي عن علي عليه السلام وابي جعفر الباقر عليه السلام انه أراد النبوة، وبه قال الحسن وأبوعلي والرماني والبلخي وغيرهم من المفسرين[٣]، وقال يختصّ بها من يشاء من عباده، وروي عن ابن عباس انه أراد دين الاسلام[٤]، وهذا بعيد؛ لأنه تعالى وصف ذلك بالانزال وذلك لا يليق إلّا بالنبوة .

والاختصاص بالشيء هو الانفراد به والاخلاص له مثله، وضدّ الاختصاص الاشتراك ، ويقال: خصّ خصوصاً وتخصّص تخصّصاً وخصصه تخصيصاً، وكلمة خاصة من ذلك ، وكلمة عامة ووسائط من ذلك ، ويقال: خصّه بالشيء يخصّه خصاً اذا وصله به، وخصان الرجل من يختصّه من إخوانه، والخصائص الفرج، والخصاصة الحاجة، والخص شبه كوة تكون في قبة أو نحوها اذا كان واسعاً قدر الوجه، وقال الراجز:

---

(١) مجاز القرآن: ج١ ص٤٩، مع تفاوت يسير.

(٢) الحجّ: ٣٠.

(٣) انظر تفسير أبي حيان: ج١ ص٣٤١، وتفسير القرطبي: ج٢ ص٦١، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٧٨.

(٤) تفسير ابن عباس: ص١٦.

وان خصاص ليلهنّ استدا ركبن في ضلمائه ما اشتدا(١)

شبه القمر بالخصاص، وكل خلل أو خروق تكون في السحاب أو النخل تسمى الخصاصة،والخصائص فُرَج بين الأثافي.

وأصل الباب الانفراد بالشيء، فمنه الخصايص الفرج لأنه انفراد كل واحد عن الآخر من غير جمع بينهما، ويقال: اختصصته بالفائدة واختصصت بها انا، كقولك: أفردته بها وانفردت بها.

وتقدير الآية: ما يحب الكافرون من أهل الكتاب ولا المشركين بالله من عبدة الأوثان أن ينزل عليكم شيئاً من الخير الذي عنده والخير الذي تمنوه ألا ينزله الله عليهم ما أوحى الى نبيه، وأنزله عليه من الشرائع والقرآن بغياً منهم وحسداً.

«والله ذو الفضل العظيم» خير منه تعالى ان كلّ خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فإنّه من عنده ابتداء وتفضّلاً منه عليهم من غير استحقاق منهم ذلك عليه.

قوله تعالى:

مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن عامر إلّا الداجوني عن هشام «ما ننسخ» بضمّ النون وكسر السين، الباقون بفتحها. وقرأ ابن كثير وابو عمرو «ننساها» بفتح النون

---

(١) العين: مادّة «خصّ» ج٤ ص١٣٤، والرجز لرؤبة.

والسين واثبات الهمزة الساكنة بعد السين، الباقون بضم النون وخفض السين بلا همزة(١) .

اللغة :

النسخ والبدل والخلف نظائر، يقال: نسخ نسخاً، وانتسخ انتساخاً، واستنسخ استنساخاً، وتناسخوا تناسخاً، وناسخ مناسخة. قال ابن دريد: كل شيء خلف شيئاً فقد انتسخه، ونسخت الشمس الظل، وانتسخ الشيب الشباب(٢) .

وقال صاحب العين: النسخ ان تزيل أمراً كان من قبل يعمل به ثم تنسخه بحادث غيره، كالآية نزل فيها أمر ثم يخفف الله عن العباد بنسخها بآية أُخرى، فالآية الأُولى منسوخة والثانية ناسخة، وتناسخ الورثة أن تموت ورثة بعد ورثة. وأصل الميراث قائم لم يقسم؛ وكذلك تناسخ الازمنة من القرون الماضية (٣) .

واصل الباب الابدال من الشيء غيره .

بحث في النسخ:

وقال الرماني: النسخ الرفع لشيء قد كان يلزمه العمل به الى بدل، وذلك كنسخ الشمس بالظل لأنه يصير بدلاً منها في مكانها(٤) وهذا ليس

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٨، والحجّة: ج٢ ص١٤١-١٤٦.

(٢) جمهرة اللغة: مادة «خسن» ج٢ ص٢٢٢.

(٣) العين: مادة «نسخ» ج٤ ص٢٠١.

(٤) لم نعثر عليه.

بصحيح لأنه ينتقض بمن تلزمه الصلاة قائماً ثم يعجز عن القيام، فانه يسقط عنه القيام لعجزه، ولا يسمى العجز ناسخاً ولا القيام منسوخاً. وينتقض بمن يستبيح بحكم العقل عند من قال بالاباحة، فاذا ورد الشرع يحظره، لا يقال: الشرع نسخ حكم العقل، ولا حكم العقل يوصف بأنه منسوخ، فاذاً الاولى في ذلك ما ذكرناه في أول الكتاب[1]: وهو انّ حقيقة كل دليل شرعي دلّ على ان مثل الحكم الثابت بالنص الأول غير ثابت فيما بعد على وجهٍ لولاه لكان ثابتاً بالنص الأول مع تراخيه عنه، فاذا ثبت ذلك فالنسخ في الشرع على ثلاثة أقسام: نسخ الحكم دون اللفظ، ونسخ اللفظ دون الحكم، ونسخهما معاً.

فالأوّل: كقوله: «يا أيها النبي حرّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين» الى قوله: «الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين»[2]، فكان الفرض الأول وجوب ثبات الواحد للعشرة، فنسخ بثبوت الواحد للاثنين، وغير ذلك من الآي المنسوخ حكمها، وتلاوتها ثابتة كآية العدة وآية حبس من يأتي بالفاحشة، وغير ذلك.

والثاني: كآية الرجم[3]. قيل: انها كانت منزلة فرفع لفظها وبقي حكمها[4].

(١) راجع الجزء الأوّل: ص٢٨٤.
(٢) الأنفال: ٦٥-٦٦.
(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص١٣٢ و١٨٣، والموطأ: كتاب الحدود ح١٠ ج٢ ص٨٢٤.
(٤) قاله أبو علي الفارسي في كتاب الحجّة: ج٢ ص١٤٢.

والثالث: هو مجوّز وان لم يقطع بأنه كان، وقد روي عن أبي بكر انه كان يقرأ لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر(١).

واختلفوا في كيفيّة النسخ على أربعة أوجه:

قال قوم: يجوز نسخ الحكم والتلاوة من غير افراد واحد منهما عن الآخر.

وقال آخرون: يجوز نسخ الحكم دون التلاوة.

وقال آخرون: يجوز نسخ القرآن من اللوح المحفوظ، كما ينسخ الكتاب من كتاب قبله.

وقالت فرقة رابعة: يجوز نسخ التلاوة وحدها، والحكم وحده، ونسخهما معاً، وهو الصحيح.

وقد دلّلنا على ذلك وأفسدنا سائر الاقسام في العدّة في أُصول الفقه(٢). وذلك ان سبيل النسخ سبيل سائر ما تعبد الله تعالى به وشرّعه على حسب ما يعلم من المصلحة فيه، فاذا زال الوقت الذي تكون المصلحة مقرونة به زال بزواله، وذلك مشروط بما في المعلوم من المصلحة به. وهذا القدر كافٍ في ابطال قول من أبىٰ النسخ جملةً، واستيفاؤه في الموضع الذي ذكرناه.

وقد انكر قوم جواز نسخ القرآن(٣)، وفيما ذكرناه دليل على بطلان قولهم، وقد جاءت أخبار متظافرة بأنه كانت أشياء في القرآن نسخت تلاوتها، فنها ما روي عن أبي موسى: (انهم كانوا يقرأون لو ان لابن آدم

---

(١) الحجّة: ج٢ ص١٤١.

(٢) عدة الأُصول: ص١٩٧.

(٣) حكاه الجصاص في احكام القرآن: ج١ ص٥٩.

واديين من مال لابتغى اليهما ثالثاً،لا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب،ويتوب الله على من تاب)(١)، ثم رفع .

وروي عن قتادة قال: حدثنا أنس بن مالك أن السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة، قرأنا فيهم كتابا: (بلّغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضي عنّا وأرضانا) ثم ان ذلك رفع(٢) .

ومنها الشيخ والشيخة(٣) وهي مشهورة. ومنها ما روي عن أبي بكر انه قال: كنا نقرأ: لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر(٤). ومنها ما حكي: إنّ سورة الأحزاب كانت تعادل سورة البقرة في الطول(٥)،وغير ذلك من الأخبار المشهورة بين أهل النقل(٦) .

والخبر على ضربين:

أحدهما: يتضمن معنى الأمر بالمعروف، فما هذا حكمه يجوز دخول النسخ فيه .

والآخر: يتضمن الأخبار عن صفة الأمر لا يجوز تغييره في نفسه ولا يجوز أن يتغير من حسن الى قبح أو قبح الى حسن؛ فانّ ذلك لا يجوز دخول النسخ فيه، وقد بيّنا شرح ذلك في العدة(٧) .

---

(١) انظر صحيح مسلم: كتاب الزكاة ب٣٩ ح١١٩ ج٢ ص٧٢٦.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٢٥٥.

(٣) مسند أحمد بن حنبل:ج٥ ص١٣٢، ١٨٣، وفي الموطأ:كتاب الحدود ح١٠ ج٢ ص٨٢٤.

(٤) الحجة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص١٤١.

(٥) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص١٣٢.

(٦) مسند أحمد بن حنبل: ج٥ ص١٣٢، وصحيح مسلم:كتاب الرضاع ب٦ ج٢ ص١٠٧٥.

(٧) عُدّة الأُصول: ص١٩١.

والأفعال على ثلاثة أقسام: احدها: لا يكون إلّا حسناً. وثانيها: لا يكون إلّا قبيحاً. وثالثها: يحتمل الحسن والقبح بحسب ما يقع عليه من الوجوه.

فالأول: كارادة الأفعال الواجبة أو المندوبة التي لا يجوز تغيّرها، كشكر المنعم وردّ الوديعة والاحسان الخالص، وغير ذلك.

والثاني: كإرادة القبيح وفعل الجهل.

والثالث: كسائر الأفعال التي تقع على وجهٍ فتكون حسنة، وعلى آخر فتصير قبيحة.

فالأوّل والثاني لا يجوز فيه النسخ، والثالث يجوز فيه النسخ.

ومن قرأ ننسخ ـ بفتح النون ـ فمن نَسخت الكتاب فأنا ناسخ، والكتاب منسوخ. ومن قرأ ـ بضم النون وكسر السين ـ فانه يحتمل فيه أمرين:

أحدهما: قال أبو عبيدة: ما ننسخك يامحمد، يقال: نسخت الكتاب، وانسخه غيري[1].

والآخر: نسخته جعلته ذا نسخ، كما قال قوم للحجّاج وقد قتل رجلاً: أقبرنا فلاناً[2] أي جعله ذا قبر، يقال: قبرت زيداً اذا دفنته، وأقبره الله جعله ذا قبر، كما قال: «ثم أماته فأقبره»[3].

وقوله: «أو ننسأها» فالنسء التأخير ونقيضه التقديم، يقال: انسأت الابل عن الحوض أنسأها نسأ اذا اخرتها عنه، وانتسأت عن الشيء اذا

---

(١) الحجة لابي علي الفارسي: ج٢ ص١٤٥ نقلاً عنه.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «قبر» ج٩ ص١٣٨.

(٣) عبس: ٢١.

تباعدت عنه انتساءً، ونسأتُ الابلَ في ظمئها فأنا أنسؤها نسأ اذا زدتها في ظمئها يوماً أو يومين أو أكثر من ذلك، وظمؤها منعها الماء، ونسأت الماشية تنسأ نسأ اذا سمنت، وكل سمين ناسئ، وتأويلها: ان جلودها نسأت أي تأخرت عن عظامها، قاله الزجاج[١]، وقال غيره: انما قيل ذلك لأنها تأخّرت في المرعى حتى سمنت، ونسأت المرأة تنسئ نسأ اذا تأخّر حيضها عن وقته ورجي حملها، ويقال: أنسأت فلاناً البيع ونسأ الله في أجل فلان، وأنسأ الله أجله اذا أخّر أجله. والنسيء تأخر الشيء ودفعه عن وقته، ومنه قوله تعالى: «انما النسيء زيادة في الكفر»[٢] وهو ما كانت العرب تؤخّر من الشهر الحرام في الجاهلية، ونسأت اللبن أنسؤه نسأ اذا أخذت حليباً وصببت عليه الماء، واسم ذلك: النسيء، والنسيء هذا سمي بذلك لأنه اذا خالطه الماء أخّر بعض أجزاء اللبن عن بعض، قال الشاعر:

سقوني النسء ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور[٣]

ويقال للعصاة: المنسأة لأنّها ينسأ بها أي يؤخّر بها ما يساق عن مكانه، ويدفع بها الانسان عن نفسه، ونسأت ناقتي اذا رفعتها في السير. وأصل الباب التأخير.

المعنى:

وقال الحسن في قوله: «ما ننسخ من آية أو ننسها»:إنّ نبيكم صلّى الله عليه وآله أُقرىء قرآناً ثم نسيه فلم يكن شيئاً، ومن القرآن ما قد نسخ وأنتم

(١) لم نعثر عليه في المصادر المتوفّرة.

(٢) التوبة: ٣٧.

(٣) مقاييس اللغة: مادة «نسى» ج٥ ص٤٢٣، والبيت لعروة بن الورد.

تقرأونه[١]. وقال ابن عباس: «ما ننسخ من آية» أي ما نبدل من آية[٢].

ومن قرأ ننسأها بالهمز،فان معناه نؤخرها من قولك:نسأت هذا الأمر أنسؤه نساءً اذا أخّرته، وبعته بنسأ أي بتأخير، وهو قول عطا وابن أبي نجيح ومجاهد وعطية وعبيد بن عمير[٣]. وعلى هذا يحتمل نؤخرها أمرين:

أحدهما: فلا ننزلها، وننزل بدلاً منها ما يقوم مقامها في المصلحة، أو ما يكون أصلح للعباد منها. وهذا ضعيف؛ لأنه لا فائدة في تأخير ما لا يعرفه العباد ولا علموه ولا سمعوه.

والثاني: نؤخرها الى وقت ثان فنأتي بدلاً منها في الوقت المقدم بما يقوم مقامها. فأما من حمل ذلك على معنى يرجع الى النسخ فليس يحسن، لأنه يصير تقديرها: ما ننسخ من آية أو ننسخها، وهذا لا يجوز.

ومعنى قوله: «نأت بخير منها أو مثلها» قيل فيه قولان:

احدهما: قال ابن عباس:نأت بخيرٍ منها لكم في التسهيل والتيسير[٤]، كالأمر بالقتال الذي سهل على المسلمين بدلالة قوله: «الآن خفف الله عنكم»[٥] أو مثلها كالعبادة بالتوجه الى الكعبة بعد ما كان الى بيت المقدس.

والوجه الثاني: بخير منها في الوقت الثاني، أي هي لكم خير من الأُولى

---

(١) تفسيره: ج١ ص١١١.

(٢) تفسير الماوردي: ج١ ص١٧٠، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٧٨.

(٣) الحجّة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص١٤٦، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٧١، والعين: مادة «نسأ» ج٧ ص٣٠٦.

(٤) احكام القرآن: ج١ ص٥٩.

(٥) الأنفال: ٦٦.

في باب المصلحة، أو مثلها في ذلك،وهو قول الحسن[(١)] وهذا الوجه اقوى، وتقديره كأن الآية الأُولى في الوقت الثاني في الدعاء الى الطاعة والزجر عن المعصية مثل الآية الأُولى في وقتها، فيكون اللطف بالثانية كاللطف بالأُولى إلّا أنه في الوقت الثاني يسهل بها دون الأُولى.

وقال ابو عبيدة: معنى «ننساها» اي نمضيها فلا ننسخها[(٢)]، قال طرفة:

أمون كألواح الأرانِ نسأتها على لاحبٍ كأنّه ظهر بُرجِدِ[(٣)]

يعني امضيتها. ومن قرأ «نُنسِها» بضم النون وكسر السين يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون مأخوذاً من النسيان إلّا أنّه لا يجوز أن يكون ذلك من النبي صلّى الله عليه وآله لأنه لا يجوز ذلك من حيث ينفر عنه، ويجوز ذلك على الأُمة بأن يؤمروا بترك قراءتها وينسونها على طول الأيام، ويجوز أن ينسيهم الله تعالى ذلك وان كانوا جمعاً كثيراً، ويكون ذلك معجزاً بمعنى الترك من قوله: «نسوا الله فنسيهم»[(٤)] والأول عن قتادة، والثاني عن ابن عباس،وقال: معناه نتركها لا نبدلها[(٥)].

وقال الزجاج: ننسها بمعنى نتركها خطأ، انما يقال: نسيت بمعنى تركت،

---

(١) أحكام القرآن: ج١ ص٥٩.

(٢) مجاز القرآن: ج١ ص٤٩.

(٣) ديوانه «شرح الشنتمري»: ص ١٢، وفي الخطيّة «وعنسٍ» بدل «أمون» وأمون الناقة التي يؤمن عثارها.

(٤) التوبة: ٦٧.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٣٧٩، وتفسير ابن عباس: ص١٦.

ولا يقـال: انسيت بمعنى تركـت، وانما مـعنى ننساها نتـركهـا أي ان نأمركم بتركها(١).

قـال الـرماني: انما فسّر المـفسرون على ما يؤول الـيـه المعنى لأنه اذا امر بتركها فقد تركها.

فان قيل: اذا كان نسخ الآية رفعها وتركها فما معنى ذلك إلّا أن يترك، ولِمَ جمع بينهما؟

قيل: ليس معنى تـركهـا إلّا أن يترك وقد غلط الـزجاج في تـوهمه ذلك وإنما معنـاه اقـرارها فلا ترفع، كما قـال ابن عباس: نتـركها ولا نبدلهـا وانما قال: «ألم تعلم ان الله على كل شيء قـدير» تنبيهاً على انه يقـدر على آيات وسور مثل القـرآن ينسخ بها أمره لنا فيه بما أمرنا فيقوم في النفع مقام المنسوخ أو أكثر.

وقـال بعضهم: مـعنى «أو» في الآية الواو، كأن قال: مـا ننسخ من آية وننساها نأت بخير منها، فعلى هذا زالت الشبهة.

فان قيل: أي تعلق بين هذه الآية وبين التي قبلها؟

قلنا: لما قال في الآية الأُولى: «مـا يود الذين كفروا من أهـل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكـم من خيرٍ من ربكم» دلّ في هذه الآية على انه جل وعز لا يخليهم من إنزال خير اليهم، خلاف ما يود اعداؤه لهم.

فان قيل: هل يجوز نسخ القرآن بالسنة أم لا؟

قلنا: فيـه خـلاف بين الـفـقهـاء، ذكرنـاه في أُصول الـفـقه(٢)، وبين

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٩٠.

(٢) عدّة الأصول: ص٢٠٩.

أصحابنا ايضاً فيه خلاف إلّا أن يقوى في النفس جواز ذلك . وقد ذكرنا أدلة الفريقين والشُبه فيها في أُصول الفقه لا يحتمل ذكرها هذا المكان. وانما أجزنا ذلك ؛ لأن تلاوة القرآن والعمل بما فيه تابع للمصلحة، ولا يمتنع ان تتغير المصلحة تارة في التلاوة فتنسخ وتارة في الحكم فينسخ وتارة فيهما فينسخان، وكذلك لا يمتنع أن تكون المصلحة في أن تنسخ تارة بقرآن وتارة بالسنة المقطوع بها، فذلك موقوف على الأدلّة .

وقوله: «نأت بخيرٍ منها» لا يدل على انّ السنة خير من القرآن؛ لأنّ المراد بذلك نأت بخيرٍ منها في باب المصلحة، على أنّ قوله: «نأت بخير منها» فمن أين ان ذلك الخبر يكون ناسخاً فلا متعلق في الآية يمنع من ذلك ، والأولى جوازه. على أنّ هذا وان كان جائزاً فعندنا انه لم يقع لأنه لا شيء من ظواهر القرآن يمكن ان يدعى انه منسوخ بالسنّة اجماعاً، ولا بدليل يوجب العلم، وأعيان المسائل فيها خلاف نذكر ما عندنا فيه اذا مررنا بتأويل ذلك .

وامّا ما روي عن سعيد بن المسيب من أنه كان يقرأ «أو تنسها» بالتاء المعجمة من فوق وفتح السين[1] فشاذ لا نلتفت اليه، لأنا قد بيّنا إنّ النبي صلّى الله عليه وآله لا يجوز عليه أن ينسى شيئاً من وحي الله. وكذلك ما روي عن أبي رجاء العطاردي «نُنَسها» بضم النون الأُولى، وفتح الأُخرى وتشديد السين وكسرها شاذة [2]

وفي الآية دليل على أنّ القرآن غير الله، وأن الله هو المحدث له والقادر عليه؛ لأن ما كان بعضه خيراً من بعض أو شراً من بعض فهو غير الله

(١) و(٢) مختصر شواذ القرآن: ص١٦.

لامحالة: وفيها دليل على أنّ الله قادر عليه، وما كان داخلاً تحت القدرة فهو فعل، والفعل لا يكون إلّا محدثاً، ولأنه لو كان قديماً لما صحّ وجود النسخ فيه؛ لانه اذا كان الجميع حاصلاً فيما لم يزل، فليس بعضه بأن يكون ناسخاً والآخر منسوخاً بأولى من العكس.

فان قيل: لم قال: «ألم تعلم ان الله» أو ما كان النبي صلّى الله عليه وآله عالماً بأن الله على كل شيء قدير؟

قلنا عنه جوابان:

أحدهما: إنّ معنى قوله: «الم تعلم» أما علمت.

والثاني: انه خرج ذلك مخرج التقدير، كما قال: «أأنت قلت للناس»(١) وفيه جواب ثالث: انه خطاب للنبي صلّى الله عليه وآله والمراد أُمته بدلالة قوله بعد ذلك: «وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير».

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ آية.

المعنى:

«الولي» في الآية هو القيم بالأمر من وليه الشيء، ومنه ولي عهد المسلمين.

ومعنى قوله: «من دون الله» سوى الله، قال أُمية بن أبي الصلت:

يانفس مالك دون الله من واق وما على حدثان الدهر من باق(٢)

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) ديوانه: ص٤٣.

وفي قوله: «مالكم من دون الله من ولي ولا نصير» ثلاثة أوجه:

أحدها: التحذير من سخط الله وعقابه اذ لا أحد يمنع منه.

والثاني: التسكين لنفوسهم إنّ الله ناصرهم دون غيره، اذ لا يعتدّ بنصر أحد مع نصره.

والثالث: التفريق بين حالهم وحال عبّاد الأوثان مدحاً وذمّاً لأُولئك. وبهذا قال أبو علي الجبائي، وإنما قال للنبي صلّى الله عليه وآله: «الم تعلم أنّ الله له ملك السماوات والأرض» وان كان النبي صلّى الله عليه وآله عالماً بأن له الملك كلّه لأمرين:

أحدهما: التقرير والتنبيه الذي يؤول الى معنى الايجاب، كما قال جرير:

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح[1]

وانكر الطبري ان يدخل حرف الاستفهام على حرف الجحد بمعنى الاثبات[2]،والبيت الذي أنشدناه يفسد ما قاله، وايضاً قوله: «أليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى»[3] وقوله: «أليس الله بكافٍ عبده»[4] وغير ذلك يفسد ما قاله.

والوجه الثاني: انه خطاب للنبي صلّى الله عليه وآله والمراد به أُمته كما قال: «يا أيها النبي إذا طلقتم النساء»[5]، وقال جميل بن معمر:

---

(١) ديوانه: ص٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٨٣.

(٣) القيامة: ٤٠.

(٤) الزمر: ٣٦.

(٥) الطلاق: ١.

ألا انّ جيـراني الـعشـيـة رائح دعتهم دواع من هوى ومنادح(١)

وانما يحسن ذلك لأنّ غرضه الخبر عن واحد فلذلك قال (رائح)،وقال أيضاً:

خـلـيلي فيما عشتما هـل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي(٢)

يريد قاتلته، فكنّى بالمذكر عن المؤنث، قال الكميت:

الى السـراج المـنير أحمـد لا يـعـدلني رغـبـة ولا رهـب
عـنـه الى غـيـره ولـو رفـع النـ ـاس الي الـعـيـون وارتـقـبـوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو عـنـفني الـقـائلـون أو ثـلـبوا
لجَّ بتـفضـيلك الـلسـان ولو أُكثر فيـك الضجاج واللـجب
انت المصفى المحض المهذب في النـ ـسبة إن نص قومك النسب(٣)

قالوا: انما خرج كلامه على وجه الخطاب للنبي صلّى الله عليه وآله وأراد به أهل بيته بدلالة قوله: ولو أُكثر فيك الضجاج واللجب، لأنه لا أحد يوصف من المسلمين بتعنيف مادح النبي صلّى الله عليه وآله ولا باكثار الضجاج واللجب في إطناب القول فيه، وانما قال: «له ملك السموات» ولم يقل مِلك، لأنه أراد ملك السلطان والملكة دون المِلك، يقال من ذلك: ملك فلان على هذا الشيء يملكه مُلكاً ومَلكاً ومِلكاً. والنصير فعيل من قولك: نصرتك أنصرك فأنا ناصرك ونصيرك،وهو المؤيد والمقوي.

---

(١) لم نجده في ديوانه، وذكره أبو زيد في النوادر في اللغة: ص١٥٧، ونسبه الى حيّان بن حُلبة المَحاربي.

(٢) ديوان جميل بن معمر: ص٧٣.

(٣) القصائد الهاشميات للكميت: ص٥٢، والحيوان للجاحظ: ج٥ ص١٧٠.

قوله تعالى:
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١٠٨﴾ آية بلا خلاف.

سبب النزول:

اختلف المفسّرون في سبب نزول هذه الآية، فروي عن ابن عباس أنه قال: قال رافع بن خزيمة ووهب بن زيد لرسول الله صلّى الله عليه وآله: إئتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرأه وفجّر لنا انهاراً نتّبعك ونصدقك، فأنزل الله في ذلك من قولهما: «أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل»(١).

وقال الحسن: عنى بذلك المشركين من العرب لما سألوه فقالوا: «أو تأتي بالله والملائكة قبيلا»، وقالوا: «أو نرى ربنا»(٢).

وقال السدي: سألت العرب محمداً صلّى الله عليه وآله أن يأتيهم بالله فيروه جهرة(٣).

وقال مجاهد: سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً، فقال: نعم هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، فأبوا ورجعوا(٤).

وقال أبو علي: روي ان النبي صلّى الله عليه وآله سأله قومه ان يجعل

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٨٥.

(٢) تفسير ابن عطية: ج١ ص٣٨٧، والشاهد الأول من سورة الاسراء: ٩٢ والثاني من سورة الفرقان: ٢١.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٨٥.

(٤) تفسيره: ص٢١١.

لهم ذات أنواط كما كان للمشركين ذات انواط وهي شجرة كانوا يعبدونها ويعلّقون عليها التمر وغيره من المأكولات، كما سألوا موسى «اجعل لنا إلهاً كما لهم الهة»[١].

اللغة:

ومعنى «أم» في قوله: «أم تريدون» التوبيخ وإن كان لفظها لفظ الاستفهام، كقوله تعالى: «كيف تكفرون بالله»[٢].

و(أم) على ضربين: متصلة ومنفصلة، فالمتصلة عديلة الألف وهي مفرقة لما جمعته «أيّ»، كما أن «أو» مفرقة لما جمعته «أحد» تقول: اضرب أيهم شئت أزيداً أم عمراً أم بكراً. والمنفصلة غير المعادلة لألف الاستفهام قبلها لا تكون إلّا بعد كلام، لأنّها بمعنى بل. والالف كقول العرب: إنها لابل ام شاة كأنه قال: بل شاة هي، ومنه قوله: «الم * تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين * أم يقولون افتراه»[٣] كأنه قال: بل يقولون افتراه، وكذلك «أم تريدون» كأنّه قيل: بل تريدون، وقال الأخطل.

كذبتك عينك أم رأيت بواسط غلس الظلام من الرباب خيالا[٤]

وقال الفراء: إن شئت قلت قبله استفهام فتردّه عليه، وهو قوله: «ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير»[٥]. وقال الرماني في هذا: بعد أن تكون

---

(١) حكاه الفخر الرازي في تفسيره: ج٣ ص٢٣٥، وكذا أبو حيان في البحر المحيط: ج١ ص٣٤٦.

(٢) البقرة: ٢٨.

(٣) السجدة: ١ و٢ و٣.

(٤) ديوانه: ص٢٤٦.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٧١.

على المعادلة ولابد ان يقدر له: أم تعلمون خلاف ذلك فتسألون رسولكم كما سئل موسى من قبل، والمعنى (١) أنهم يتخيرون الآيات ويسألون المحالات كما سئل موسى، فقالوا: «اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة» (٢) وقالوا: «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» (٣) وهذا الوجه اختاره البلخي والمغربي.

وحكي عن بعضهم أن ذلك عطف على قوله: «أفتؤمنون ببعض الكتاب» (٤) وقيل ايضاً لما قيل لهم قولوا: «انظرنا واسمعوا» (٥) كأن تقدير الكلام فهل تعقلون هذا أم تريدون أن تسألوا رسولكم.

وقوله: «سواء السبيل» معناه قصد الطريق،على قول الحسن.

و(سواء) -بالمدّ- تكون على ثلاثة أوجه: بمعنى قصد وعدل وبمعنى وسط، كقوله: «خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم» (٦) وقوله: «فاطّلع فرآه في سواء الجحيم» (٧) أي وسطها، قال حسان:

يا ويح أنصار النبي ونسله بعد المغيّب في سواء الملحد(٨)

وتكون بمعنى غير، كقولك للرجل: اتيت سواك أي غيرك.

---

(١) في الحجرية والخطية هكذا: «والمعنى عنهم بأنهم».

(٢) الأعراف: ١٣٨.

(٣) البقرة: ٥٥.

(٤) البقرة: ٨٥.

(٥) البقرة: ١٠٤.

(٦) الدخان: ٤٧.

(٧) الصافات: ٥٥.

(٨) ديوانه: ص٥٨، وفيه «ورهطه» بدل «ونسله».

ومعنى «ضل» هاهنا الذهاب عن الاستقامة، قال الاخطل:

كنت القذى في موج اكدر مزبد قذف الأتيُّ به فضلَّ ضلالا[١]

أي ذهبت يميناً وشمالاً. والسبيل والطريق والمذهب نظائر،ويقال: اسبل اسبالاً وسبله تسبيلاً، والسبيل يذكّر ويؤنّث والجمع السبل، والسابلة المختلفة في الطرقات في حوائجهم والجمع السوابل، وسبل سابل كقولهم:شعر شاعر، والسبلة ما على الشفة العليا من الشعر بجمع الشاربين وما بينهما. والسبل المطر المسبل، والمسبولة هي سنبلة الذرة والارز ونحوه اذا مالت، ويقال للزرع اذا سنْبل: سنبلة،ويقال: اسبلت اسبالا اذا ارخيته، واسْبل الرجل ازاره اذا ارخاه من الخيلاء، قال الشاعر:

واسبل اليوم من برديك اسبالا[٢]

وأصل الباب الاسبال وهو الحدّ. والسؤال هو الطلب ممن يعلم معنى الطلب أمراً من الأمور.

المعنى:

ووجه اتصال هذه الآية بما قبلها والتعلّق بينهما انه لما دل الله بما تقدم من الآيات على تدبير الله لهم فيما يأتي به من الآيات وما ينسخه فكأنّه قال: ام لا ترضون بذلك فتخيروا الآيات وتسألوا المحالات «كما سئل موسى» لأن الله تعالى انما يأتي بالآيات على ما يعلم فيها من المصحلة، فاذا أتى بآية

---

(١) ديوانه: ص٢٥٢.

(٢) جمهرة اللغة: مادة «بَ سَ لَ» ج١ص٢٨٩،والشاعرأمية بن أبي الصلت وفيه «في» بدل «من» وصدر البيت:

واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم

تقوم بها الحجة فليس لأحد الاعتراض عليها ولا له اقتراح غيرها؛ لأنه تعنت إذ قد صح البرهان بها .

وقوله: «ومن يتبدل الكفر بالايمان» معناه من يستبدل الكفر يعني الجحود بالله وبآياته بالتصديق بالله وبآياته وبالاقرار به. وقال بعضهم: عبر بالكفر هاهنا عن الشدّة وبالايمان عن الرخاء[1]،وهذا غير معروف في اللغة ولا العرف إلّا ان يراد بذلك الثواب والعقاب اللذان يستحقّان عليهما فيكون له وجه في التنزيل .

قوله تعالى:

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ آية واحدة .

المعنى والاعراب:

المعني بقوله: «ود كثير من أهل الكتاب» ـ عن الحسن ـ النصارى واليهود. وقال الزهري وقتادة: كعب بن الاشرف. وعن ابن عباس: حي بن اخطب وابو ياسر بن اخطب[2] .

و«حسداً» نصب على أحد أمرين:

أحدهما: على الجملة التي قبله بدلاً من الفعل، كأنه قال: حسدوكم حسداً، كأنه قال: نحسدك حسداً .

---

(١) حكاه الطبري في تفسيره عن أبي العالية: ج١ ص٣٨٧.

(٢) اسباب النزول للواحدي: ص٢٢، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٨٨.

والآخر: ان يكون مفعولاً، كأنّه قال: يردّونكم لأجل الحسد، كما تقول: جئته خوفاً منه، تقول: حسدت أحسد حسداً.

اللغة:

وحسدتك على الشيء وحسدتك الشيء بمعنى واحد، قال الشاعر:

فقلت الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما[١]

ورجل حاسد وحسود وحسّاد، والحسد هو الأسف بالخير على من له خير، وأشدّ الحسد التعرّض للاغتمام بكون الخير لأحد، وقد يكون الحاسد متمنّياً لزوال النعمة عن المحسود وان لم يكن يطمع في تحوّل تلك النعمة.

والصفح هو التجاوز عن الذنب، والصفح والعفو والتجاوز بمعنى واحد، يقال: صفح صفحاً وتصفح تصفحة، وتصافحوا تصافحاً، والصفحة ما كان من ظاهر الشيء،يقال لظاهر جلد الانسان: صفحة، وكذلك هو من كل شيء، ومن هذا صافحته أي لقيت صفحة كفه صفحة كفي، وفي الحديث «النشيج للرجال والتصفّح للنساء»[٢] أي التصفيق،فانما هو لأنها تضرب بصفحة كفّ على صفحة الأُخرى، وأنشد الاصمعي:

كأن مصفحات في ذراه وأنواحاً عليهنّ المآلي[٣]

المآلي جمع مئلاة وهي خرقة تمسكها النائحة تقلص بها دمعتها، والصفاح من السيوف العراض واحدها صَفحة وصُفحة، وقال:

ضربناهم حتى اذا ارفضّ جمعهم علوناهم بالمرهفات الصفائح[٤]

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «حَدَسَ» ج٢ ص١٢٢، والبيت لشمير بن الحارث الضبيّ.

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ج٢ ص٢٤١، والرواية هكذا فيه: التسبيح للرجال والتصفيح للنساء.

(٣) ديوان لبيد بن ربيعة: ص١٠٩.

(٤) لم نعرف قائله.

وصفحت عنه قيل فيه قولان:

أحدهما: اني لم أُواخذه بذنبه وأبديت مني صفحة جميلة.

[الثاني]: وقيل: بل لم ير منيّ ما يقبض صفحته[١].

وتقول: صفّحت الورقة أي تجاوزتها الى غيرها، ومنه تصفّحت الكتاب وقد تصفّح الكتاب وقد يتصفح الكتاب من لا يحسن ان يقرأ، وسمّي الصفح من المصحف وغيره من الدفاتر من الصفحة، ومنه «فاصفح الصفح الجميل»[٢] وقوله: «فاعفوا واصفحوا» قال الحارث بن هشام:

وصفحت عنهم والأحبة فيهم طمعاً لهم بعقاب يوم سرمد[٣]

أي لم أُحاربهم لاقبض صفاحهم أو اربهم ذلك في نفسي، ويقال: نظر اليهم صفحاً بقدر ما أبدى صفحته لم يتجاوز، والصفاح موضع سمّي بذلك لأنه صخور مستوية تبدو صفائحها. وأصل الباب صفحة الشيء وهي ظاهره.

وقوله: «من عند أنفسهم» قال الزجاج: متعلق بـ «ودّ كثير» لا بقوله: «حسداً» لأن حسد الانسان لا يكون من غير نفسه[٤]. وقد يجوز ان يتصل بقوله: «حسداً» على التوكيد، كما قال تعالى: «ولا طائر يطير بجناحيه»[٥].

ويحتمل وجهاً آخر: وهو إنّ اليهود كانوا يضيفون الكفر والمعاصي الى

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «صفح» ج٤ ص٢٥٧، ذكر القول الأول دون الثاني.

(٢) الحجر: ٨٥.

(٣) الكتاب لسيبويه: ج١ ص٣٦٩، وفيه «مفسد» بدل «سرمد».

(٤) معاني القرآن: ج١ ص١٩٣.

(٥) الأنعام: ٣٨.

الله تعالى فقال الله: «من عند انفسهم» تكذيباً لهم أنها من عند الله .

وقوله: «من بعد ما تبيّن لهم الحق» قال قتادة: من بعد ما تبين لهم ان محمداً رسول الله صلّى الله عليه وآله والاسلام دين الله، وهو قول الربيع والسدي وابن زيد، وروي عن ابن عباس مثله (١) .

وقال ابن عباس: إنّ قوله: «فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره» منسوخة بقوله: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» (٢). وقال قتادة: نسخت بقوله: «قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...» الآية، وبه قال الربيع والسدي (٣) .

وروي عن أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام انه قال: لم يؤمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بقتل ولا أُذن له فيه حتى نزل جبرائيل عليه السلام بهذه الآية «أُذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا» وقلّده سيفاً (٤) .

وقوله: «حتى يأتي الله بأمره» قال ابو علي: «بأمره» لكم بعقابهم أو يعاقبهم هو على ذلك، ثم أتى بأمره فقال: «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله» (٥) .

وقوله: «ان الله على كل شيء قدير» قيل فيه ثلاثة اقوال:

قال ابو علي: انه قدير على عقابهم اذ هو «على كل شيء قدير» .

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٨٩، وتفسير ابن عباس: ص١٦.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٦٠.

(٣) الناسخ والمنسوخ للنحاس: ص٢٦، ونقل الجصّاص في أحكام القرآن: ج١ ص٦٠ انّ قتادة قال: نسختها «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم».

(٤) لم نعثر عليه في مجاميعنا الحديثية وذكره أيضاً الفخر الرازي في تفسيره: ج١ ص٢٤٥.

(٥) التوبة: ٢٩.

وقال الزجاج: قدير على ان يدعو الى دينه بما احب مما هو الأليق بانجائكم اي فيأمر بالصفح تارة وبالعقاب أُخرى على حسب المصلحة(١) .

والثالث: انه لما أمر بالامهال والتأخير في قوله: «فاعفوا واصفحوا» كأنّ فيه تعلّق النفس بالعافية في ذلك، فقال: امهلوهم فانهم لا يعجزون الله ولا يفوتونه، اذ هو «على كل شيء قدير» .

وانما أمرهم بالصفح والعفو وان كانوا مضطهدين مقهورين مقموعين، من حيث ان كثيراً من المسلمين كانوا عزيزين في عشائرهم وأقوامهم يقدرون على الانتصار والانتقام من الكفار، فأمرهم الله تعالى بأن يعفوا وإن قدروا حتى يأتي الله بأمره .

قوله تعالى:

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ آية واحدة بلا خلاف .

المعنى:

إن قيل: ما المقتضي لذكر الصلاة والزكاة هاهنا؟

قلنا: انه تعالى لما أخبرهم بشدّة عداوة اليهود لهم وأمرهم بالصفح عنهم قال: «اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة» فإنّ في ذلك معونة على الصبر مع ما تجزون بهما من الثواب والأجر، كما قال في موضع آخر: «واستعينوا بالصبر والصلاة»(٢) .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٩٣.

(٢) البقرة: ٤٥.

وقوْله: «وما تقدّموا» معنى (ما) الجزاء، وجوابه «تجدوه»، ومثله «ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها»[١]،والخير المذكور في الآية هو العمل الصالح الذي يرضاه الله .

ومعنى «تجدوه» أي تجدوا ثوابه، وكذا قال الربيع، كما قال ابن نجا:

وسبحت المدينة لا تلمها[٢]

أي سبّح أهل المدينة .

وقوله: «ان الله بما تعملون بصير» معناه انه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، جازاكم على الاحسان بما تستحقونه من الثواب، وعلى الاساءة بما تستحقونه من العقاب، فاعملوا عمل من يدري أنه يجازيه من لا يخفى عليه شيء من عمله، في ذلك دلالة على الوعد والوعيد والأمر والزجر وان كان خبراً عن غير ذلك في اللفظ .

قوله تعالى:

وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ آية بلا خلاف .

المعنى:

قوله: «هوداً» يريد يهوداً فحذف الياء الزائدة ووحّد كان، لأن لفظة (من) قد تكون للواحد وتكون للجماعة، والعرب تقول: من كان صاحباك . ولا يجوز الوقف على قوله: «وقالوا» بل يجب صلته بقوله: «لن

---

(١) فاطر: ٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩١، وعجز البيت: رأت قمراً بسوقهم نهارا.

يدخل الجنة» الآية .

فان قيل: كيف جمع بين اليهود والنصارى في الحكاية مع افتراق مقالتها في المعنىٰ وكيف يحكي عنهما ما ليس بقول لهما؟

قلنا: فعل ذلك للايجاز والاختصار وتقديره: قالت اليهود لن يدخل الجنة إلّا من كان يهودياً، وقالت النصارى لن يدخل الجنة الّا من كان نصرانياً، فادرج الخبر عنهما للايجاز من غير اخلال، اذ شهرة حالها تغني عن البيان، ومثله في الادراج والجمع من غير تفصيل قوله: «قلنا اهبطوا»[١] وانما كانت الصورة إهبط لابليس ثم قيل:اهبطا لادم وحواء فحكاه على المعنى. وتقدير الكلام: وقال بعض أهل الكتاب لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً .

وقال بعضهم: لن يدخل الجنة إلّا من كان نصارى، والبعض الثاني غير الأوّل إلّا أنّه لما كان اللفظ واحداً أُجمع مع الأول، قال حسان بن ثابت:

أمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء[٢]

تقديره: ومن يمدحه وينصره، غير انه اخبار عن جملة واحدة، وانما حقيقة عن بعضين متفرقين، ومثله «هو الذي خلقكم من نفس واحدة» يعني آدم،ثم قال: «وجعل منها زوجها»[٣] اي من النفس بمعنى الجنس، فهو في اللفظ على مخرج الراجع الى النفس الأُولى، وفي تحقيق المعنى لغيرها،

---

(١) البقرة: ٣٦.

(٢) ديوانه: ص٢٨.

(٣) الأعراف: ١٨٩.

وهذا قول أكثر المفسرين السدي وغيره[1] .

وفي معنى (هود) ثلا ثة أقوال:

أحدها: انه جمع هائد وهود كحائل وحول، وعائد وعود، وعائط وعوط، وهو جمع المذكر والمؤنث على لفظ الواحد، والهائد التائب الراجع الى الحق .

والوجه الثاني: أن يكون مصدراً يصلح للواحد والجمع، كما يقال: رجل فطر، وقوم فطر، ونسوة فطر، ورجل صوم، وقوم صوم .

والثالث: ان يكون معناه إلّا من كان يهودياً إلّا انّ الياء الزائدة حذفت، ورجع الى معنى الأصل من اليهود .

ومعنى «أمانيهم» قال المؤرج: أباطيلهم ـ بلغة قريش ـ . وقال قتادة: أماني يتمنونها على الله كاذبة،وبه قال الربيع[2]. وقيل أيضاً: معناه تلك أقاويلهم وتلاوتهم ،كما قال: «لا يعلمون الكتاب إلّا أماني»[3] أي تلاوة.

ومعنى «هاتوا» احضروا، وهو وإن كان على لفظ الأمر المراد به الانكار والتعيير، وتقديره: ان آتيتم ببرهان صحّت مقالتكم ولن يأتوا به، لأنّ كل مذهب باطل فلا برهان عليه .

والبرهان والحجّة والدلالة والبيان بمعنى واحد، وهو ما أمكن الاستدلال به على ما هو دلالة عليه مع قصد فاعله الى ذلك ، وفرّق الرماني بين الدلالة والبرهان بأن قال: الدلالة قد تنبىء عن معنى فقط لا يشهد بمعنى آخر، وقد تنبىء عن معنى يشهد بمعنى آخر، والبرهان ليس كذلك

---

(١) كالزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٩٤.

(٢) ذكر قولهما الطبري في تفسيره: ج١ ص٣٩٢.

(٣) البقرة: ٧٨.

لأنّه بيان عن معنى ينبىء عن معنى آخر.

وهذا الذي ذكره لا يسلم له لانه محض الدعوى،وبه قال الحسن ومجاهد والربيع والسدي[١] .

«هاتوا برهانكم» أي حجتكم، وفي الآية دلالة على فساد التقليد، لأنه لو جاز التقليد، لما ألزم القوم أن يأتوا فيما قالوه ببرهان، وقد يجوز في العربية أمانيهم بالتخفيف على ما ذكره الزجاج[٢]،والتثقيل أجود.

قوله تعالى :

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ آية بلا خلاف.

اللغة والمعنى:

فان قيل: أليس (بلى) انما تكون في جواب الاستفهام مثل قوله: «ألست بربكم قالوا بلى»[٣] فكيف دخلت هاهنا؟

قلنا: إنما جاز ذلك لأنه يصلح أن يكون تقديره: أما يدخل الجنة أحد فقيل: «بلى من أسلم وجهه لله» لأن ما تقدم يقتضي هذا السؤال، ويصلح ان يكون جواباً للجحد على التكذيب، كقولك: ما قام زيد،فيقول: بلى قد قام، ويكون التقدير هاهنا ليس الأمر كما قال الزاعمون: «لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى» ولكن «من أسلم وجهه لله وهو محسن» فهو الذي يدخلها وينعم فيها، أو بلى من أخلص نفسه لطاعة الله.

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٢.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص١٩٤.

(٣) الأعراف: ١٧٢.

ومعنى «أسلم» يحتمل أمرين:

احدهما: اسلم الى كذا بمعنى صرفه اليه،كقولك: أسلمت الثوب اليه.

والثاني: أسلم له بمعنى أخلص له من قولك: قد سلم الشيء لفلان اذا أخلص له، ومنه قوله: «ورجلا سلماً لرجل»(١) أي خالصاً، وقال زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسلمت نفسي لمن أسلمت ... له المزن تحمل عذباً زلالا(٢)

وانما جاز أسلم وجهه لله على معنى أسلم نفسه لله على مجرى كلام العرب في استعمال وجه الشيء وهم يريدون نفس الشيء إلّا أنهم ذكروه باللفظ الاشرف الأنبه ودلوا عليه به، كما قال عز وجل: «كلّ شيء هالك إلّا وجهه»(٣) أي إلّا هو، وقال: «كلّ من عليها فان ويبقى وجه ربك»(٤) وقال الأعشى:

أُوَوّلُ الحكم على وجهه ... ليس قضائي بالهوى الجائر(٥)

يعني على ما هو من صحته وصوابه، وقال ذو الرمّة:

فطاوعتُ همّي وانجلى وجهُ بازل ... من الأمر لم يترك خِلاجاً بُزولُها(٦)

يريد انجلى البازل من الأمر. وقال ابن عباس: اسلم وجهه لله اخلص عمله لله. وقال الربيع: اخلص لله. وقال الحسن: يعني بوجهه وجهه في

---

(١) الزمر: ٢٩.

(٢) الأغاني: ج٣ ص١٢٨، وفيه «وجهي» بدل «نفسي».

(٣) القصص: ٨٨.

(٤) الرحمن: ٢٦ و٢٧.

(٥) ديوانه: ص٩٤.

(٦) ديوانه: ص٣٢٧.

الدين. وقيل: معناه استسلم لأمر الله[١] .

ومن الوجه يقال: توجه توجّهاً، وواجه مواجهة، وتواجهوا تواجهاً. والجهة النحو، تقول: كذا على وجه كذا، والوجهة القبلة شبّهها في كل وجهة أي كل وجه استقبلته، وأخذت فيه، وتقول: توجهوا اليك ووجهوا اليك كلٌّ يقال غير أن قولك: توجّهوا اليك على معنى ولّوا اليك وجوههم. والتوجّه الفعل اللازم، والوجاه والتجاه لغتان: وهو ما استقبل شيء شيئاً، تقول: دار فلان تجاه دار فلان، والمواجهة استقبالك بكلام أو بوجه .

وأصل الباب الوجه مستقبل كل شيء، ووجه الانسان محيّاه، ونقيض الوجه القفاء، ويقال: وجه الكلام تشبيهاً بوجه الانسان لأنه أول ما يبدو منه ويعرف به .

وقد يقال في الجواب: هذا وجهٌ وذلك خلف تشبيهاً أيضاً من جهة الحسن لأنّ الغالب في الوجه أنه أحسن، ويقال: هذا وجه الرأي الذي يبدو منه ويعرف به، والوجه من كل شيء أوّل ما يبدو فيظهر بظهور ما بعده .

وقوله: «وهو محسن» في موضع نصب، لأنّه في موضع الحال،وانما قال: «فله أجره» على التوحيد، ثم قال: «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» على الجمع لأن (من) لفظها لفظ الواحد ومعناها الجمع، فمرة تحمل على اللفظ وأُخرى على المعنى، كما قال: «ومنهم من يستمع اليك»[٢] وفي موضع آخر: «ومنهم من يستمعون اليك»[٣] وقال الفرزدق:

---

(١) راجع تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٣،وتفسير ابن عباس: ص١٦.

(٢) الانعام: ٢٥، ومحمَّد: ١٦.

(٣) يونس: ٤٢.

تعال فان عاهدتني لا تخونني نكن مثل من ياذئب يصطحبان(١)

فثنى واللفظ واحد لأجل المعنى.

فان قيل: اذا كان قد ذكر «فلهم أجرهم عند ربهم» فلم قال: «ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون»؟

قيل عن ذلك جوابان:

أحدهما: الدلالة على انهم على يقين لا على رجاء يخاف معه ألا يكون الموعود به.

والثاني: الفرق بين حالهم وبين حال أهل العقاب الذي يخافون ويحزنون.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ آية بلا خلاف.

النزول:

اختلفوا فيمن نزلت هذه الآية، فقال ابن عباس: انه لما قدم أهل نجران من النصارى على رسول الله صلّى الله عليه وآله اتتهم أحبار يهود فتنازعوا عند رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال رافع بن خويلد: ما انتم على شيء وكفر بعيسى وبالانجيل، فقال رجل من أهل نجران من النصارى:

---

(١) شرح ديوان الفرزدق: ج٢ ص٥٩٠، والبيت فيه هكذا:

تعش فان واثقتني لاتخونني

تكن مثل من يا ذئب يصطحبان

ما أنتم على شيء وجحد بنبوة موسى وكفر بالتوراة، فأنزل الله في ذلك الآية الى قوله: «فيما كانوا فيه يختلفون»[١] .

وقال الربيع: هؤلاء أهل الكتاب الذين كانوا على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله[٢] .

المعنى:

ومعنى الآية أحد شيئين: أحدهما: حلّ الشبهة بأنه ليس في تلاوة الكتاب معتبر في الانكار، لما لم يؤت على انكاره ببرهان، فلا ينبغي ان تدخل الشبهة بانكار أهل الكتاب لملّة أهل الاسلام، اذ كل فريق من أهل الكتاب قد انكر ما عليه الآخر، ثم بيّن أن سبيلهم كسبيل من لا يعلم الكتاب في الانكار لدين الاسلام من مشركي العرب وغيرهم ممن الكتاب له فيهم، وجحدهم لذلك سواء اذ لا حجة معهم يلزم بها تصديقهم، لا من جهة سمع ولا عقل .

والوجه الآخر: الذمّ لمن أنكر ذلك من أهل الكتاب على جهة العناد، اذ قد ساوى المعاند منهم للحق الجاهل به في الدفع له فلم ينفعه علمه، بل حصل على مضرة الجهل كما حصل عليه من لا علم له به .

فان قيل: اذا كانت اليهود انما قالت: ليست النصارى على شيء في تدينها في التوراة فكيف قال: «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» وأهل الحق ايضاً يقولون مثل قولهم؟

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ص٢٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٤.

قيل: إن المعنى «كذلك قال الذين لا يعلمون الكتاب» أي فقد ساووا في ذلك من لا كتاب له، وكما لا حجة في جحد هؤلاء كذلك لا حجة في جحدهم، ولم يساووا أهل الحق فيه، لأنهم قالوه عن علم.

والمعني بقوله: «كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» ـ في قول السدي ـ هم العرب الذين قالوا: ليس محمد صلّى الله عليه وآله على شيء. وقال الربيع: قالت النصارى مثل قول اليهود قبلهم، ووجه هذا القول اي فقد ساووكم يامعشر اليهود في الانكار «وهم لا يعلمون». وقال عطاء: هؤلاء الذين لا يعلمون أُمم كانت قبل اليهود والنصارى وقبل التوراة والانجيل[1].

و«القيامة» مصدر إلّا أنّه صار كالعلم علىٰ وقت بعينه، وهو الوقت الذي بعث الله عز وجل فيه الخلق فيقومون من قبورهم الى محشرهم، تقول: قام يقوم قياماً وقيامة، مثل عاد يعود عياداً وعيادة، وصانه صيانة، وعاده عيادة.

وقوله: «فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون» يحتمل أمرين:

أحدهما: قال الحسن: حكمه فيهم ان يكذبهم جميعاً ويدخلهم النار. وقال ابو علي: حكمه الانصاف من الظالم المكذب بغير حجة ولا برهان للمظلوم المكذب.

وقال الزجاج: حكمه ان يريهم من يدخل الجنة عياناً، وهذا هو حكم الفصل في الآخرة، فاما حكم العقل في الدنيا فالحجة التي دل الله بها على

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٥.

الحق من الباطل في الديانة[١] .

قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ﴾ (١١٤) آية واحدة .

المعنى واللغة:

اختلف المفسرون في المعني بهذه الآية، فقال ابن عباس ومجاهد واختاره الفراء: انهم الروم، لأنهم كانوا غزوا بيت المقدس وسعوا في خرابه حتى كانت أيام عمر فأظهر الله عليهم المسلمين وصاروا لا يدخلونه إلّا خائفين[٢] .

وقال الحسن وقتادة والسدي: هو بخت نصر خرب بيت المقدس. قال قتادة: وأعانه عليه النصارى[٣] .

وقال قوم: عنى به سائر المشركين، لانهم يريدون صدّ المسلمين عن المساجد، ويحبونه[٤] .

وقال ابن زيد والبلخي والجبائي والرماني: المراد به مشركي العرب[٥] .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٩٥.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ص١٧، ومعاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٧٤، وتفسير مجاهد: ص٢١٢.

(٣) اسباب النزول للواحدي: ص٢٣، وتفسير الطبري: ج١ ص٣٩٧.

(٤) حكاه الواحدي عن ابن عبّاس، انظر أسباب النزول:ص٢٣، ومعاني القرآن للزجاج : ج١ ص١٩٦.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٧،وتفسير الماوردي: ج١ ص١٧٤.

وضعف هذا الوجه الطبري من بين المفسرين بأن قال: إن مشركي قريش لم يسعوا قط في تخريب المسجد الحرام، وهذا ليس بشيء لأنّ عمارة المساجد بالضلاة فيها وخرابها بالمنع من الصلاة فيها، وقد روي انهم هدموا مساجد كان أصحاب النبي يصلون فيها بمكة لما هاجر النبي واصحابه، وقال: وهو أيضاً لا يتعلق بما قبله من ذمّ أهل الكتاب كما يتعلّق اذا عنى به النصارى وبيت المقدس فيصير الكلام منقطعاً (١).

فيقال له: قد جرى ذكر لغير أهل الكتاب من المشركين في قوله: «كذلك قال الذين لا يعلمون» وهذا أقرب من اليهود والنصارى، ولأنّ ذلك كلّه ذمّ فرة يوجه الى اليهود ومرّة الى النصارى ومرّة الى عباد الاوثان وغيرهم من أهل الشرك .

فان قيل: كيف قال: «مساجد الله» بالجمع وهو أراد المسجد الحرام، أو بيت المقدس؟

قيل عنه جوابان:

أحدهما: إنّ كل موضع منه مسجد، كما يقال لكل موضع من المجلس العظيم مجلس، فيكون اسماً يصلح ان يقع على جملته وعلى كل موضع سجود فيه .

[والثاني]: وقال الجبائي: لانه يدخل فيه المساجد التي بناها المسلمون للصلاة بالمدينة .

وقوله: «ممن منع» والمنع والصد والحيلولة نظائر، وضد المنع الاطلاق يقال: منع منعاً، وامتنع امتناعاً، وتمنّع تمنّعاً، وتمانع تمانعاً، ومانعه ممانعة .

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٧-٣٩٨.

وقال صاحب العين: المنع ان يحول بين الرجل وبين الشيء يريده، وتقول: منعته فامتنع، ورجل منيع لا يخلص اليه وهو في عزٍ ومنعة ـ يخفّف ويثقل ـ وامرأة منيعة ممتنعة لا تؤاتى على فاحشة وقد تمنّعت مناعةً وكذلك الحصن وغيره تقول: منع مناعا اذا لم يرم، ومناع أي امنع قال الشاعر:

مناعها من ابلٍ مناعها ألا ترى الموت لدى أوباعها[١]

ومساجد الله قد بيّنا انّ منهم من [قال]: أراد المسجد الأقصى، ومنهم من [قال]: أراد المسجد الحرام، ومنهم من قال: أراد جميع المساجد.

وروي عن زيد بن علي عن أبيه عليهما السلام انه أراد جميع الأرض، لقوله عليه السلام: جعلت لي الأرض مسجداً وترابها طهوراً[٢]

وقوله: «وسعى في خرابها» والسعي والعدو والركض نظائر، وضد السعي الوقف تقول: سعى سعياً، واستسعى استسعاء، وتساعوا تساعياً. قال صاحب العين[٣]: السعي عدو دون الشديد، وكل عمل من خير أو شر فهو السعي يقال: فلان يسعى على عياله أي يكسب لهم،يقولون: انّ السعي الكسب والعمل، قال الشاعر:

سعى عقالاً فلم يترك لنا سبداً فكيف لو قد سعى عمرو عقالين[٤]

غقال صدقة عام. والساعية ان تسعى بصاحبك الى وال من فوقه، والسعاية ما يستسعى به العبد من ثمن رقبته اذا اعتق بعضه وهو أن يكلف

---

(١) العين: مادة «منع» ج٢ ص١٦٣، والكتاب «لسيبويه»: ج٣ ص٢٧٠.

(٢) رواه الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه: ح٧٢٤ ج١ ص٢٤٠، وأخرجه البخاري في صحيحه أيضاً: باب التيمم ج١ ص٩١ مع تفاوت يسير.

(٣) العين: مادة «سعي» ج٢ ص٢٠٢.

(٤) الأغاني: ج٢٠ ص١٦٢، والعين: مادة «عقل» ج١ ص١٥٩، والشاعر هوعمرو بن العداء الكلبي.

من العمل ما يؤدي عن نفسه مابقي[١]،ويقال: سعى للسلطان اذا ولي الصدقة وساعى الرجل الأمة اذا فجربها، ولا تكون المساعاة إلّا في الاماء. وأصل الباب السعي العدو.

وقوله: «في خرابها» فالخرب والهدم والنقض نظائر، ونقيض الخراب العمارة يقال: خرب خرابا، واخربه إخرابا، وتخرب تخربا، وخربه تخريباً، والخرب الذكر من الحبارى والجمع الخربان، قال الشاعر:

ما رأينا خربا ينفر عنه البيض صقر لايكون المهر جحشاً لايكون الجحش مهر

والخربة سعة خرق الاذن، قال ذو الرمة:

كأنّه حبشي يبتغي أثراً أو من معاشر في آذانها الخرب[٢]

والخربة عروة المزادة، وكذلك كل بيت مستدير، والخارب اللص، وما رأينا من فلان خربة أي فساداً في دينه أو شيئاً، والخارب من شدائد الدهر، قال الشاعر:

إنّ بها اكتل أو رزاما خويربان ينقفان الهاما[٣]

والرزام الهزال والخروبة شجرة الينبوت، والخرابة سرقة الابل، قال الأصمعي: لا يكادون يسمون الخارب إلّا سارق الابل[٤] وأصل الباب الخراب ضد العمران.

---

(١) العين: مادة «سعي» ج٢ ص٢٠٢.

(٢) ديوانه: ص٥٠.

(٣) العين: مادة «خرب» ج٤ ص٢٥٦، وتهذيب اللغة: مادة «خرب» ج٧ ص٣٦١، في الخطية «خروبيان» والصحيح ما اثبتناه لانه تصغير «خارب» ، كما في العين والتهذيب.

(٤) جمهرة اللغة: مادة «ب خ ر» ج١ ص٢٣٣.

الإعراب:

وقوله: «ومَن أظلم» رفع لانه خبر الابتداء، وتقديره: أيَّ أحدٍ أظلم .

وقوله: «أن يذكر» يحتمل وجوهاً من النصب، قال الاخفش: يجوز ان يكون على حذف (من)، وتقديره من ان يذكر، ويجوز أن يكون على البدل من «مساجد الله» (١)، وقال الزجاج: يجوزعلى معنى كراهية أن يذكر(٢). وعلى الوجوه كلها العامل فيه (منع) .

المعنى:

ومعنى قوله: «أُولـئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين» فيها خلاف، قال قتادة: هم اليوم كذلك لا يوجد نصراني في بيت المقدس إلّا انهك ضربا، وابلغ اليه في العقوبة، وبه قال السدي. وقال ابن زيد: نادى رسول الله صلّى الله عليه وآله ألا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان(٣) .

وقال الجبائي: بيّن الله انه ليس لهؤلاء المشركين دخول المسجد الحرام ولا دخول المساجد، فإن دخل منهم داخل الى بعض المساجد كان على المسلمين اخراجه منه إلّا أن يدخل الى بعض الحكام بخصومة بينه وبين غيره الى بعض القضاة، فيكون دخوله خائفاً من الاخراج على وجه الطرد بعد انفصال خصومته، ولا يقعد مطمئنا كما كان يقعد المسلم .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٣٣٢.

(٢) لم نعثر عليه في كتب «الزجاج» ووجدناه في مشكل اعراب القرآن: ص١٠٩ .

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٨.

وهو الذي يليق بمذهبنا ويمكن الاستدلال به على أنّ الكفار لا يجوز أن يمكنوا من دخول المساجد على كل حال. فأما المسجد الحرام خاصة فإنّ المشركين يمنعون من دخوله ولا يتركون ليدخلوه لحكومة ولا غيرها؛ لأنّ الله تعالى قد أمر بمنعهم من دخوله بقوله: «ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر»[١] يعني المسجد الحرام.

وقال الزجاج: أعلم الله أنّ أمر المسلمين يظهر على جميع من خالفهم حتى لا يمكن دخول مخالف الى مساجدهم إلّا خائفاً، وهو كقوله: «ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون» كأنّه قيل: أُولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلّا خائفين لاعزاز الله الدين واظهاره المسلمين[٢].

قوله تعالى:

لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ آية.

المعنى:

قال قتادة: معناه انهم «يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون». وقال السدي: خزيهم في الدنيا انهم اذا قام المهدي وفتحت قسطنطينية قتلهم، فذلك خزيهم في الدنيا ان يقتلوا إن كانوا حرباً، ويؤدون الجزية ان كانوا ذمة[٣].

وقال الجبائي: الخزي لهؤلاء الكفّار الذين أُمرنا بمنعهم من دخول المساجد على سبيل ما يدخلها المؤمنون.

---

(١) التوبة: ١٧.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص١٩٦.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٣٩٩، مع تفاوت يسير.

وقوله: «ولهم في الآخرة عذاب عظيم» قال الفراء: يقول فيما وعد الله المسلمين من فتح الروم وان لم يكن بعد[1] والناس على خلافه في انّ معنى الآخرة يوم القيامة، كأنه قيل: لهم في الآخرة عذاب جهنم.

قوله تعالى:

وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ آية بلا خلاف.

اللغة والمعنىٰ:

المشرق والشرق اسمان لمطلع الشمس، والمغرب والغرب اسمان لغربها، يقال: شرق شروقا، وأشرق إشراقا، وتشرّق تشريقاً. والمشرقان والمغربان: مشرقا الشتاء والصيف ومغرباهما، والمشارق مطالع الشمس في كل يوم حتى تعود الى المشرق الأول في الحول، وشرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت، وتقول: لا افعل ذلك ما ذر شارق أي ما طلع قرن الشمس، وشرق يشرق شرقاً اذا اغتص، وقال عدي بن زيد:

لو بغير الماء حلقي شرق ... كنت كالغصان بالماء اعتصاري[2]

والمشرقة حيث يقعد المشرق في وجه الشمس، قال الشاعر:

تحبين الطلاق وأنت عندي ... بعيش مثل مشرقة الشتاء[3]

وشرق الثوب بالصبغ اذا احمرّ واشتدت حمرته، ولطمه فشرق الدم في عينه اذا احمرت، وتقول: اشرورقت عينه واغرورقت، وناقة شرقاء اذا

(١) معاني القرآن: ج١ ص٧٤.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «غص» ج٢ ص١٥، والمخصص لابن سيده: ج٢ السفر التاسع ص٩٦.

(٣) جمهرة اللغة: مادة «شرق» ج٢ ص٣٤٦.

شقت أُذنها بنصفين طولاً وكذلك الشاة، وأيام التشريق أيام مشرق اللحم في الظلّ .

وقال صاحب العين[١]: كانوا يشرقون اللحم تلك الأيام في الشمس، وقوله: «فاخذتهم الصيحة مشرقين»[٢]أي حيث طلعت عليهم الشمس؛ والشرق طائر من الطيور الصوائد مثل الصقر والشاهين، وقال الشاعر:

قد اغتدي والصبح ذو بنيق ... بملحم أكلب سوذنيق

أجدل أو شرق من الشروق[٣]

وكل شيء طلع من الشمس يقال: شرق يشرق، وفي الحديث: (لا تشريق إلاّ في مصر ومسجد جامع)[٤]، أي لا صلاة عيد لانها وقت طلوع الشمس. واصل الباب الطلوع .

والمغرب والمغيب نظائر، تقول: غرب يغرب غروبا، واغترب اغتراباً، واستغرب استغرابا، وغرّب تغريباً، وسمي الغراب غراباً لبعده ونفوره وانه أشد الطيور خوفاً. وأصل الباب الحد والتباعد حتى بلغ النهاية .

ومن هذا مغرب الشمس، والرجل الغريب المتباعد، وشطت غربة النوى أي بعد المتنائي وهو أبعد البعد، وغرب السيف والسهم حدّه سمي بذلك لأنه يمضي فلا يرد، فهو مأخوذ من الأبعاد، ويقال لموضع الرداء: غارب، وقولهم للدابة:مغرب اذا ابيضت حدقته وأهدابه، شبيه بابيضاض الشمس عند الغروب، وقولك للرجل: اغرُب معناه أبعد، وثوب غربي اذا لم

---

(١) العين: مادة «شرق» ج٥ ص٣٨.
(٢) الحجر: ٧٣.
(٣) البيت لرؤبة ذكر آخره صاحب العين: مادة «شرق» ج٥ ص٣٩.
(٤) رواه الأزهري في تهذيب اللغة :مادة «شرق» ج٨ص٣١٨ نقلاً عن علي عليه السلام، والعين: مادة «شرق» ج٥ ص٣٩.

تستحكم حمرته مأخوذ من الدابة الغرب، وتقول: أصابه حجر غرب اذا أتاه من حيث لا يدري، وأتاه حجر غرب اذا رمى غيره فأصابه، ويقال: إقطع غرب لسان فلان عني أي اقطع حدة لسانه، وناقة ذات غرب أي حدة الغرب، والغرب الدمع الحار الفاسد، وقال الكميت:

أبى غرب عينيك إلّا انهمالا(١)

وجمعه غروب، والغرب دلو ضخم يتخذ من جلد تام، والغرب ما قطر من الماء من الدلاء من الحوض والبئر ويقال: أغرب الحوض اذا سال من جوانبه وفاض، والغرب جنس من الشجر خارج عن حد ما يحمل بحمل أو طيب ريح أو صلابة، وغاية مغربة أي بعيدة، والغرب الفضة، وقيل: انه جام من فضة، وقيل: انه الذهب، قال الشاعر:

.... كما دعدع ساقي الأعاجم الغربا(٢)

والغارب أعلى الموج، والغارب ما بين يدي السنام، وعنقاء مغرب موضوع على طائر لا يعرف حدّه، والغربيب الأسود الشديد السواد، وأصل الباب الغرب الحد.

واللام في قوله: «ولله المشرق» لام الملك وأصلها لام الاضافة وهي على ثمانية أوجه: الملك والفعل والعلّة والولادة والاختصاص والاستغاثة ولام كي ـ وهي لام الغرض ـ ولام العاقبة.

فلام الملك كقولك: له مال، والفعل: له كلام، والعلة: هو أسود لما فيه السواد، ولام الولادة: أب له ولد له أخ، والاختصاص: له علم وله ارادة،

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «غرب» ج٨ ص١١٣.

(٢) البيت للبيد، أنظر ديوانه: ص٢٣، وصدر البيت: فدعدعا سُرةَ الركاء كما.

والاستغاثة: يـالبكر، ولام كي: «ولـيرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون»(١)، ولام العاقبة: «فالتـقطه آل فرعون ليكون لهـم عدواً وحزناً»(٢) فهذه وجوه لام الاضافة.

وانما قيل: «ولله المشرق والمغرب» بالتوحيد وله جميع المشارق والمغارب لأحد امرين:

أحدهما: انه اخـرج ذلك مخرج الجـنس، فدلّ على الجـمع كما قيل: أهلك الناس الدينار والدرهم.

والآخر: انه على الحذف، كأنّه قيـل: المشرق الذي تشرق منه الشمس كل يوم والمغرب الذي تغرب فيه كل يوم.

وانما خصّ الله تعالى ذكر ذلك هاهنا لأحد أُمور:

احدها: قال ابن عبـاس واختـاره الجبائي: انه رد على اليهود لما انـكروا تحويـل القـبلة الى الـكعبة، وقـال: ليس هو في جـهة دون جـهة كما تـقول المشبهة(٣).

والثـاني: قال ابن زيد وقتـادة: كان لـلمسلمين التـوجّه بـوجوههم الى الصلاة حيـث شـاؤوا ثم نسخ ذلـك بـقوله: «فولّ وجـهـك شطـر المسجد الحـرام» وانما كان الـنبي صلّى الله عـلـيه وآله أولا اخـتـار الـتوجه الى بيت المقدس، وقد كان له التوجه الى حيث شاء(٤).

وقال آخرون: كان ابن عمر يصلّي حيث توجهت به راحلته في السفر

(١) الانعام: ١١٣.

(٢) القصص: ٨.

(٣) اسباب النزول للواحدي: ص٢٤ نقلاً عن ابن عباس.

(٤) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٦٢ نقلاً عن قتادة.

تطوعاً، وذكر أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يفعل ذلك ويتأوّل عليه الآية(١).

وقيل: نزلت في قوم صلوا في ظلمة وقد خفيت عليهم جهة القبلة، فلما اصبحوا اذا هم صلوا الى غير القبلة، فأنزل الله هذه الآية. وهذا قول عبد الله بن عامر عن ابيه والنخعي(٢) والأول أقوى الوجوه.

وقوله: «فثمّ وجه الله» المراد بالوجه فيه اختلاف؛ قال الحسن ومجاهد: المراد به فثمّ جهة القبلة وهي الكعبة لأنّه يمكن التوجه اليها من كل مكان(٣)، قال ابن بيض:

أي الوجوه انتجعت قلت لها لأي وجهٍ إلّا الى الحكم

متى يقل صاحبا يرادفه هذا ابن بيض بالباب يبتسم(٤)

وقيل: معناه فثم وجه الله فادعوه كيف توجهتم. وقال آخرون واختاره الرماني والجبائي: فثم رضوان الله، كما يقال: هذا وجه العمل وهذا وجه الصواب، وكأنّه قال: الوجه الذي يؤدّي الى رضوان الله(٥).

وتقدير الآية واتصالها بما قبلها، كأنه قال: لا يمنعكم تخريب من خرب المساجد ان تذكروه حيث كنتم من أي وجه، وله المشرق والمغرب والجهات كلها.

---

(١) المستدرك: كتاب التفسير ج٢ ص٢٦٦.

(٢) اسباب النزول: ص٢٣، وأحكام القرآن: ج١ ص٦٢، والسنن الكبرى للبيهقي: ج٢ ص١١، وتفسير الطبري: ج١ ص٤٠١.

(٣) أخرجه البيهقي عن مجاهد في السنن الكبرى: ج٢ ص١٣.

(٤) أمالي المرتضى: ج١ ص٥٩١ وفيه «لهم» بدل «لها» و«سرادقه» بدل «يرادفه».

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٢.

وقوله: «والله واسع عليم» قال قوم: معناه غني، فكأنّه قيل: واسع المقدور. وقال الزجاج: يدل على التوسعة للناس فيما رخص لهم في الشريعة، وكأنّه قيل: واسع الرحمة وكذلك رخّص في الشريعة[١]. ومعنى القول الأول انه غني عن طاعتكم وانما يريدها لمنفعتكم. وقال الجبائي: معناه واسع الرحمة.

والسعة والفسحة والمباعدة نظائر، وضدّ السعة الضيق، يقال: وسع يسع سعة، وأوسع إيساعاً، وتوسّع توسعاً، واتسع اتساعاً، ووّسع توسعة، والوسع جدة الرجل وقدرة ذات يده، فرحمة الله وسعت كل شيء، وانه ليسعني ما وسعك، وتقول: وسع الوعاء فاتسع فعل لازم، وكذلك استوسع، ووسع الفرس سعة ووساعة، فهو وساع، وأوسع الرجل اذا كان ذا سعة في المال فهو موسع وموسع عليه. وتقول: سير وسيع ووساع، وفي القرآن «لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها»[٢] أي طاقتها. وأصل الباب السعة نقيض الضيق.

ومعنى «عليم» انّه عالم بوجه الحكمة فبادروا الى ما أمركم به من الطاعة، وقيل: واسع الرحمة عليم أين يضعها على وجوه الحكمة.

ومعنى «ثَمّ» هناك، تقول لما قرب من المكان:(هنا) وما تراخى (ثَمّ وهناك).

وانما بني لأن فيه معنى الاشارة الى المكان لابهامها وبني على الحركة لالتقاء الساكنين وفتح لخفة الفتحة في المضاعف.

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٩٨.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

وقوله: «فأينما تولوا» جزم بـأينما والجواب فثمّ وجه الله، و «ثَمّ» موضـعه النصب لكنه بني على الفتح، وقوله: «اينما» تكتب موصولة في أربعة مواضع لـيس في الـقـرآن غـيـرهـا هـذه واحـدة وفي الـنـحـل «أينما يـوجـهه»[١] وفي الأحزاب «ملعونين اينما ثقفوا»[٢] وفي الشعراء «اينما كنتم تعبدون»[٣] ومن الناس من يجعل معها التي في النساء «أينما تكونوا يدرككم الموت»[٤] وكلها على القياس إلاّ التي في الشعراء فانّ قـياسها ان تكتب مـفصولة؛ لأنّ (ما) اسم موصول بما بعده بمعنى الذي .

قوله تعالى:

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ آية واحدة بلا خلاف .

القراءة:

قرأ ابن عامر وحده «قالوا» بلا واو[٥] .

المعنى:

والمعني بهذه الآية النصارى، وقال قـوم: النصارى ومشركو العرب معاً، مـن حيث قـالوا: الملائكة بنات الله، وقـالت النصـارى: المسيح ابن الله،

(١) النحل: ٧٦.

(٢) الاحزاب: ٦١.

(٣) الشعراء: ٩٢.

(٤) النساء: ٧٨.

(٥) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٨، والحجة لابن علي الفارسي: ج٢ ص١٥٨.

هذا قول الزجاج(١) .

وفي هذه الآية دلالة على انه لا يجوز الولد على وجه من الوجوه؛ لأنه اذا كان جميع ما في السماوات والأرض ملكاً له فالمسيح عبد مربوب وكذلك الملائكة المقربون، لان الولد لا يكون إلّا من جنس الوالد، ولا يكون المفعول إلّا من جنس الفاعل، وكل جسم فعل لله فلا مثل له ولا نظير على وجهٍ من الوجوه تعالى الله عن صفات المخلوقين .

وقوله: «وكلٌ له قانتون» الأصل في القنوت الدوام،وينقسم أربعة أقسام: الطاعة، كقوله: «كل له قانتون» أي مطيعون، والقنوت الصلاة كقوله: «يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي»(٢)، والقنوت طول القيام. وروي عن جابر بن عبد الله قال: سئل النبي صلّى الله عليه وآله أي الصلاة أفضل؟ فقال: طول القنوت(٣) .

ويكون القنوت السكوت، كما قال زيد بن ارقم: كنا نتكلّم في الصلاة حتى نزلت «وقوموا لله قانتين» فامسكنا عن الكلام(٤) .

وقيل في «قانتون» هاهنا ثلا ثة أقوال:

[الاول] قال مجاهد: معناه مطيعون، وطاعة الكافر في سجود ظله. وقال ابن عباس: مطيعون(٥) .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص١٩٨.

(٢) آل عمران: ٤٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل: ج٣ ص٣٠٢ و٣١٤.

(٤) السنن الكبرى: باب ما لا يجوز من الكلام في الصلاة ج٢ ص٢٤٨، وأحكام القرآن للشافعي: ج١ ص٧٩.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٣، وتفسير مجاهد: ص٢١٢.

الثاني: قال السدي: كلٌ له مطيعون يوم القيامة. وقال الربيع: كل له قائم يوم القيامة[١] .

الثالث: قال الحسن: كل قائم له بالشهادة عبده[٢] .

وقالت فرقة رابعة (وهو الأقوى): كل دائم على حالة واحدة بالشهادة بما فيه من آثار الصنيعة والدلالة على الربوبية[٣]. وزعم الفراء: انها خاصة لأهل الطاعة بدلالة انا نجد كثيراً من الخلق غير طائعين[٤]. وعلى ما اخترناه لا يحتاج الى التخصيص.

اللغة:

وأما القنوت في اللغة فقد يكون بمعنى الطاعة، تقول: قنت يقنت قنوتاً فهو قانت اذا اطاع، وقال صاحب العين[٥]: القنوت في الصلاة دعاء بعد القراءة في آخر الوتر، يدعو قائماً، ومنه قوله: «أمَّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً»[٦] والقنوت والدعاء قيام في هذا الموضع.

وقيل في قوله: «وقوموا لله قانتين»[٧] أي خاشعين.

وقال ابن دريد: القنوت الطاعة. وقال أبو عبيدة: القانتات الطائعات، والقنوت في الصلاة طول القيام ـ على ما قاله المفسرون ـ في قوله:

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٣، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٧٨.

(٢) تفسير القرطبي: ج٢ ص٨٦.

(٣) كقول الزجاج في معاني القرآن: ج١ ص١٩٨.

(٤) معاني القرآن: ج١ ص٧٤.

(٥) العين: مادة «قنت» ج٥ ص١٢٩.

(٦) الزمر: ٩.

(٧) البقرة: ٢٣٨.

«وقوموا لله قانتين»(١). واصل الباب المداومة على الشيء.

قوله تعالى:

بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾

آية بلا خلاف.

القراءة:

قرأ ابن عامر «فيكون» نصباً، الباقون بالرفع(٢).

اللغة والمعنى:

بديع بمعنى مبدع مثل أليم بمعنى مؤلم، وسميع بمعنى مسمع، وبينهما فرق لأنّ في بديع مبالغة ليس في مبدع، ويستحق الوصف في غير حال الفعل على الحقيقة، بمعنى أنّ من شأنه الانشاء لأنّه قادر عليه ففيه معنى مبدع.

وقال السدي: تقول ابتدعها فخلقها ولم يخلق قبلها شيئاً تتمثل به(٣).

والابداع والاختراع والانشاء نظائر، وضدّ الابتداع الاحتذاء على مثال، يقال: أبدع إبداعاً، وابتدع ابتداعاً، وبدع تبديعاً،وقال ابن دريد: بدعت الشيء اذا انشأته والله «بديع السماوات والارض» أي منشؤهما، وبدعت الركي اذا استنبطتها، وركي بديع أي جديد الحضر، ولست ببدع في كذا أي لست بأوّل من أصابه هذا، ومنه قوله: «ما كنت بدعاً من

(١) جهرة اللغة: مادة «ت ق ن» ج٢ ص٢٦.

(٢) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٨، والحجّة: ج٢ ص١٥٩.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٤.

الرسل»، وكل من احدث شيئاً فقد أبدعه، والاسم البدعة، وأبدع بالرجل اذا كلت راحلته وانقطع به[١]، وقوله: «ما كنت بدعاً من الرسل»[٢] أي ما كنت بأول مرسل.

والبدعة ما ابتدع من الدين وغيره وجمعها بدع، وفي الحديث: (كل بدعة ضلالة)[٣] وتقول: جئت بأمر بديع أي مبتدع عجيب، وأبدعت الابل اذا تركت في الطريق من الهزل. وأصل الباب الانشاء.

وقوله: «اذا قضى أمراً» يحتمل أمرين:

أحدهما: اذا خلق امراً، كما قال: «فقضاهنّ سبع سماوات في يومين»[٤] أي خلقهن،وهو اختيار البلخي والرماني والجبائي.

والثاني: حتم بأن يفعل أمراً وحكم. وقيل: احكم امراً[٥] كما قال ابو ذؤيب:

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو صنع السوابغ تبع[٦]

قضاهما أحكمهما، والقضاء والحكم نظائر، يقال: قضى يقضي قضاء، واقتضى اقتضاء، وتقاضيا تقاضياً، واستقضى استقضاء، وتقضّ تقضياً، وقضّ تقضية، وقاضاه مقاضاة، وانقضى انقضاء.

قال صاحب العين[٧]: قضى يقضي قضاء وقضية يعني حكم، وتقول:

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «ب د ع» ج١ ص٢٤٥.

(٢) الأحقاف: ٩.

(٣) الكافي: كتاب فضل العلم باب البدع والرأي والمقاييس ح٨ و١٢ ج١ ص٥٦-٥٧.

(٤) فصلت: ١٢.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٤.

(٦) ديوانه: ١٩، وفي تهذيب اللغة: مادة «قضى» ج٩ ص٢١٢.

(٧) العين: مادة «قضي» ج٥ ص١٨٥.

قضى اليه عهداً معناه أوصى اليه، ومنه قوله: «وقضينا الى بني اسرائيل»[١]، و«قضى عليها الموت»[٢] أي أتى عليه، والانقضاء فناء الشيء وذهابه، وكذلك التقضي. وأصل الباب القضاء.

والفصل والقضاء ينصرف على وجوه: منها: الأمر كقوله تعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلّا إياه»[٣] أي أمر، ومنه: الخلق كقوله: «فقضاهنّ سبع سماوات»[٤] أي خلقهن، ومنه: الاخبار والاعلام كقوله: «وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب»[٥] أي اخبرناهم، ومنه: الفصل، قضى القاضي بين الخصمين أي فصل الأمر بينهما.

ومعنى قوله: «فانما يقول له كن فيكون» قيل فيه قولان:

أحدهما: انه بمنزلة المثل ومعناه ان منزلة الفعل له في السهولة وانتفاء التعذر كمنزلة ما يقال له كن فيكون، كما يقال: قال فلان برأسه كذا وقال بيده، اذا حرك رأسه وأومأ بيده، ولم يقل شيئاً في الحقيقة، وقال أبو النجم:

اذ قالت الانساع للبطن الحق ... قدماً فآضت كالفنيق المحنق[٦]

وقال عمرو بن حممة الدوسي:

فاصبحت مثل النسر طارت فراخه ... اذا رام تطياراً يقال له قع[٧]

---

(١) الاسراء: ٤.

(٢) الزمر: ٤٢.

(٣) الاسراء: ٢٣.

(٤) فصلت: ١٢.

(٥) الاسراء: ٤.

(٦) تهذيب اللغة: مادة «حنق» ج٤ ص٦٧، وفيه: قد قالت الانساعُ للبطن الْحق.

(٧) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٥.

وقال آخر:

امتلأ الحوض وقال قطني مهلاً رويداً قد ملأت بطني[١]

وقال آخر:

فقالت له العينان سمعاً وطاعة وحدّرتا كالدر لما يثقب[٢]

وقال العجاج يصف ثوراً:

وفيه كالأعواض للعكور فكرّ ثم قال في التفكير

ان الحياة اليوم في الكرور[٣]

والوجه الآخر: أنه علامة جعلها الله للملائكة اذا سمعوها علموا انه احدث امراً. وكلاهما حسن والأول أحسن وأشبه في كلام العرب في عادة الفصحاء، ونظيره قوله تعالى: «فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائعين»[٤] وهو الذي اختاره البلخي والرماني واكثر المفسرين.

وقد قيل في ذلك اقوال فاسدة لا يجوز المعوّل عليها:

منها: أنّ الأمر خاص في الموجودين الذين قيل لهم: «كونوا قردة خاسئين»[٥] ومن جرى مجراهم؛ لأنه لا يؤمر المعدوم عندهم.

ومنها: انه أمر للمعدوم من حيث هو لله معلوم فصحّ أن يؤمر فيكون.

ومنها: ان الآية خاصة في الموجودات من اماتة الاحياء واحياء الموتى

---

(١) تهذيب اللغة: مادة «قط» ج٨ ص٢٦٤، وفيه «مَلأ» بدل «مهلاً»، ومادة «قطن» ج١٦ ص٢٧٠، وفيه «سَلا» بدل «مهلاً»، أنشد البيت ابن السكّيت.

(٢) الخصائص لابن جني: ج١ ص٢٢، وفيه «وأبدت كمثل الدرّ» بدل «وحدّرتا كالدر».

(٣) الحجّة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص١٥٩.

(٤) فصلت: ١١.

(٥) البقرة: ٦٥.

وما جرى مجرى ذلك من الأُمور.

وانما قلنا بفساد هذه الاقوال؛ لأنه لا يحسن أن يؤمر إلّا من كان عاقلاً مميزاً يقدر على ما أمر به ويتمكّن من فعله، وجميع ما ذكروه بخلافه، لأن المعدوم ليس بحي ولا عاقل ولا يصح أمره. ومن كان موجوداً لا يجوز أن يؤمر أن يكون قردة؛ لأنّ المعاني التي تكون بها كذلك ليس في مقدوره، كذلك القول في الاماتة والاحياء. وتأويل قوله: «كونوا قردة خاسئين» قد بيناه فيما مضى .

فقال بعضهم: إنه أمر للموجود في حال كونه لا قبله ولا بعده وانه مثل قوله: «ثم اذا دعاكم دعوة من الأرض اذا انتم تخرجون»[١] وان دعاء الله إياهم لا يتقدم خروج القوم من قبورهم، ولا يتأخر عنه[٢] .

وهذا فاسد لأن من شرط حسن الامر أن يتقدّم المأمور به، وكذلك القول في الدعاء فلا يسلم ما قالوه. وتأويل ما استشهدوا به على ما بيناه في الآية سواء في انه اخبار عن تسهيل الفعل وسرعة وقوعه وارادته، لا أن يكون هناك دعاء على الحقيقة، ثم يلزم على جميع ما ذكروه أن تكون الاشياء مطيعة لله تعالى لان الطاعة هي مانعة الأمر من الاشياء التي قالها: «كوني» بأن فعلت نفسها، ويلزم ان يكون لها عقل وتمييز، وكل ذلك فاسد .

فامّا من استدل بهذه الآية ونظائرها على انّ كلام الله قديم من حيث انه لو كان محدثاً لاقتضى ألا يحصل إلّا بـ(كن)، والكلام في (كن)

---

(١) الروم: ٢٥.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٦.

كالكلام فيه الى أن ينتهي الى (كن) قديمة، وهو كلام الله القديم .

فهذا باطل لأنا قد بيّنا معنى الآية فلا يصحّ ما قالوه، على أن الآية تقتضي حدوث كلامه من حيث أخبر أنّ المكوّنات تكون عقيب (كن) لأنّ الفاء توجب التعقيب، فاذا كانت الأشياء محدثة فما يتقدّمها بوقتٍ واحد لا يكون إلّا محدثاً فبطل ما قالوه .

وايضاً فانه قال: «اذا قضى أمراً» ومعناه خلق فبين انه يخلق الأمر وقوله: «كن» أمر يوجب أن يكون محدثاً .

ودلت الآية على نفي الولد عن الله من وجهين: .

أحدهما: إنّ الذي ابتدع السماوات والأرض من غير مثال هو الذي ابتدع المسيح من غير والد .

والآخر: انّ من هذه صفته لا يجوز عليه اتخاذ الولد كما لا يجوز صفات النقص عليه تعالى عن ذلك . واذا حملنا الآية على وجود المثال فوجود الخلق هو كقوله: «كن» إلّا أنه خرج على تقدير فعلين، كما يقال: اذا تكلّم فلان بشيء فانما كلامه مباح، واذا أمر بشيء فانما هو حتم، وكما قال: تاب فاهتدى فتوبته هي اهتداؤه، فلا يتعذّر أن يقال: كن قبله أو معه .

ومتى حملنا ذلك على أنّه علامة للملائكة فانه يحتمل ان يكون معه ويحتمل ان يكون قبله، كما تقول: اذا قدم زيد قدم عمرو، فانه يحتمل أن يكون وقتاً للأمرين معاً إلّا أنه اشبه الشرط، كقولك : ان جئتني اعطيتك . ولذلك دخلت الفاء في الجواب كما تجيء في الشرط، كقوله: «ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل»[1] وكذلك تحتمل الآية الأمرين .

---

(١) يوسف: ٧٧.

الاعراب:

ورفع قوله: «فيكون» يحتمل أمرين: أحدهما: ان يكون عطفاً على يقول. والآخر: على الاستئناف أي فهو يكون. ونصبه على جواب الامر فلا يجوز، لانه انما يجب الجواب بوجود الشرط، فما كان على فعلين في الحقيقة كقولك: إئتني فأكرمك، فالاتيان غير الاكرام، فأما «كن فيكون» فالكون الحاصل هو الكون المأمور به، ومثله: انما اقول له إئتني فيأتيني.

وقال ابو علي الفارسي: يجوز ذلك على وجه: وهو على انّ لفظه لما كان لفظ الامر نصب كما نصب في جواب الامر، فان كان الامر بخلافه كما قال أبو الحسن في نحو قوله تعالى: «قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة» ويجوز ذلك في الآي على انه اجري مجرى جواب الامر وان لم يكن جواباً له في الحقيقة. وقد يكون اللفظ على شيء والمعنى على غيره نحو قولهم: ما أنت وزيد، والمعنى لم تؤذيه وليس ذلك في اللفظ، ومثله «فلا تكفر فيتعلمون» ليس فيتعلمون جواباً لقوله: «فلا تكفر» ولكن معناه يعلمون أو يعلمان فيتعلمون منهما، غير أن قوله: «فلا تكفر» نهي على الحقيقة. وليس قوله: «كن» أمراً على الحقيقة، فمن هاهنا ضعّفت هذه القراءة[1].

* * *

(١) الحجة: ج٢ ص١٦١ مع اختلاف في العبارة.

قوله تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ آية بلا خلاف.

المعنى:

المعني بهذه الآية في قول مجاهد: النصارى[1]، وقول ابن عباس: اليهود[2]، وفي قول الحسن وقتادة: مشركو العرب[3].

وكل ذلك يحتمل، غير انه لمشركي العرب أليق، لأنه يشاكل ما طلبوا حين قالوا: «لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا» الى قوله: «هل كنت إلّا بشراً رسولا»[4] ويقوّي ذلك قوله: «وقال الذين لا يعلمون» الكتاب فبين أنهم ليسوا أهل كتاب. ومن اختار ان المراد بها النصارى قال: لأنه قال قبلها: «وقالوا اتخذ الله ولداً» وهذا لا دلالة فيه، ولا يمتنع ان يذكر قوماً ويخبر عنهم ثم يستأنف قوماً آخرين فيخبر عنه، على ان مشركي العرب قد اضافوا الى الله البنات فدخلوا في جملة من قال: «اتخذ الله ولداً».

ومعنى قوله: «لولا» هلاّ، كما قال الأشهب بن رميلة:

---

(١) تفسيره: ص٢١٢، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٠.

(٢) تفسيره: ص١٧، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٠.

(٣) تفسير الطبري نقلاً عن قتادة: ج١ ص٤٠٧.

(٤) الاسراء: ٩٠-٩٣.

تـعدّون عقـر النيـب أفضل مجدكم بني ضَوطَرى لولا الكمي المقنّعا[١]

أي هلاّ تعقرون الكمي المقنعا .

وانما قال: «أو تأتينا آيـة» وقد جاءتهم الآيات، لانهم طلبوا آية كما إنّ آية الرسل توافق دعوتهم ويكلّمهم الله كما كلّمهم الله .

والمعني بـقوله: «كذلك قـال الذين من قبلهـم مثـل قولهم» اليهود على قـول مجـاهـد[٢]، وعلى قول قتادة والسـدي والـربـيع: اليهود والنصارى[٣]. والضمير في قوله: «تشابهت قلـوبهم» يعني كناية عن قلوب اليهود والنصارى على قول مجاهد، وعلى قول الـربـيـع وقتادة: عن العرب واليهـود والـنصارى وغيرهم[٤] .

فقولـه: «تشابهت قـلـوبهم» يعني في الـكفر بالاعـتراض على انبـياء الله بالجهل، لأن اليهود قـالـت لـموسى: «أرنا الله جهرة»[٥]،وقالـت الـنصارى للمسيح: «أنزل علينا مائدة من السماء»[٦]، وقالت العرب لمحمد صلّى الله عـليه وآلـه: حـول لنـا الصـفا ذهبـاً، وغير ذلـك ، وكذلـك قـال الله تعالى: «أتواصوا به»[٧] .

---

(١) البـيت مـذكور في ديـوان جـرير يـهجو بـه الفـرزدق: ص٢٦٥، وفـيه بـدل «أفضل مجـدكم» و«لولا» كذا «أفضل سعيكم» و«هَلاّ».

(٢) تفسيره: ص٢١٢.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٨، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٠.

(٤) تفسير الماوردي: ج١ ص١٨٠.

(٥) النساء: ١٥٣.

(٦) المائدة: ١١٤.

(٧) الذاريات: ٥٣.

وروي عن ابن إسحاق انه قرأ «تشّابهت» بتشديد الشين خطأ، لأن ذلك انما يجوز في المضارع بمعنى تتشابه فتدغم احدى الشاءين في الشين، هكذا قال الفراء[١] وغيره من أهل العلم .

وقوله: «قد بينّا الآيات لقوم يوقنون» معناه أيقن بها قوم من حيث دلتهم على الحق، فالواجب على كل هؤلاء أن يستدلوا بها ليصلوا الى اليقين كما وصل غيرهم إليه بها .

اللغة :

واليقين والعلم والمعرفة نظائر في اللغة، ونقيضه الشك والجهل، تقول: أيقن ايقاناً، وتيقن تيقناً، واستيقن استيقاناً . وقال صاحب العين[٢]: اليقن اليقين، قال الشاعر:

وما بالذي أبصرته العيو ن من قطع يأس ولا من يقن[٣]

واليقين علم يثلج به الصدر، ولذا يقولون: أجد برد اليقين، ولا يقولون: وجد برد العلم .

فان قيل : لِمَ لم يؤتوا الآيات التي طلبوها لتكون الحجة آكد؟

قلنا : اظهار الآيات يعتبر فيه المصالح وليس بموقوف على اقتراح العباد، ولو علم الله أنّ ما اقترحوا من الآيات فيه مصلحة لأظهرها، فلما لم يظهرها علمنا انه لم يكن فيها مصلحة لنا أصلاً .

---

(١) معاني القرآن: ج١ ص٧٥.

(٢) العين: مادة «يقن» ج٥ ص٢٢٠.

(٣) الشاعر هو الاعشى، أنظر ديوانه: ص٢١٠.

قوله تعالى:

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

آية بلا خلاف .

القراءة:

قرأ نافع «لا تسأل» بفتح التاء وجزم اللام على النهي[١]، وروي ذلك عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام وابن عباس، ذكر ذلك الفراء[٢] والبلخي ، الباقون على لفظ الخبر على ما لم يسم فاعله [٣] .

المعنى والاعراب واللغة:

معنى قوله: «ولا تسأل عن أصحاب الجحيم» تسلية للنبي صلّى الله عليه وآله فقيل له: «انما انت بشير ونذير» ولست «تسأل عن أصحاب الجحيم»، ومثله قوله: «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات»[٤] وقوله: «ليس عليك هداهم»[٥] وقوله: «عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم»[٦] .

وموضع «تسأل» يحتمل أمرين:

أحدهما: ان يكون استئنافاً ولا موضع له .

---

(١) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٦٢، والحجة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص١٦٣.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٧٥.

(٣) كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص١٦٩ والحجة لأبي علي الفارسي: ج٢ ص١٦٣.

(٤) فاطر: ٨.

(٥) البقرة: ٢٧٢.

(٦) النور: ٥٤.

والآخر: أن يكون حالاً فيكون موضعه نصباً، ذكر ذلك الزجاج، لانه قال: «أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً» غير مسؤول عن أصحاب الجحيم[١]. ومن فتح التاء على الخبر تقديره غير سائل.

وانكر قوم الحال واعتلوا انّ في قراءة أُبي «وما تسأل» وفي قراءة عبد الله «ولن تسأل». وهذا غير صحيح لأنّ ليس قياس (لا) قياس (لن) و(ما)، لانه يجوز أرسلناك لا سائلاً ولا يجوز ما سائلاً، ولذلك احتمل مع (لا) الحال، ولن يحتمل مع (ما) و(لن)، لأن لـ(لا) تصرّفاً ليس لهما فيجوز ان يعمل ما قبلها في ما بعدها ولا يجوز ذلك فيهما، تقول: جئت بلا خبر، ولا يجوز بما خبر.

والجحيم النار بعينها اذا شبّت وقودها، قال أُمية بن أبي الصلت:

اذا شبّت جهنم ثم زادت واعرض عن قوابسها الجحيم[٢]

فصار كالعلم على جهنم. وقال صاحب العين[٣]: الجحيم النار الشديدة التأجج والالتهاب كما أججوا نار ابراهيم، وهي تجحم جحوما يعني توقّدت جمرتها، وجاحم الحرب شدّة القتال في معركتها، وقال سعيد بن مالك بن ضبيعة:

والحرب لا يبقي لجا حمها التخيل والمراح
إلّا الفتى الصبار في النـ ـجدات والفرس الوقاح[٤]

والجحمة العين بلغة حمير، قال الشاعر:

(١) معاني القرآن: ج١ ص٢٠٠.

(٢) ديوانه: ص٥٣، وفيه «فارت» بدل «زادت».

(٣) العين: مادة «جحم» ج٣ ص٨٧.

(٤) تهذيب اللغة: مادة «جحم» ج٤ ص١٦٩، ولا يوجد فيه البيت الثاني.

أيا جحمتي بكّي على أُم واهب اكيلة قلوب باحدى المذانب(١)

وجحمتا الاسد عيناه، وتقول: جحمت النار جحماً اذا اضطرمت، وجمر جاحم اذا اشتدّ اشتعاله، ومنه اشتقاق الجحيم. واصل الباب الالتهاب. ومنه الاجحم الشديد حمرة العين شبّه بالنار في حمرتها، والحرب تشبه بالتهاب النار.

وفي الآية دلالة على انه لا يؤخذ أحد بذنب غيره قريباً كان منه أو بعيداً، كما بين الله أنه لا يطالب أحد بذلك غيره، وان كان قد فرض على النبي صلّى الله عليه وآله ان يدعو الى الحق ويزجر عن الباطل، وليس عليه أن يقبل المدعو. ومن قرأ بلفظ النهي قال الزجاج: يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يكون أمره بترك المسألة.

والآخر: ما قاله الأخفش: ان يكون المعنى على تفخيم ما أعدّ لهم من العقاب، كما يقال: لا تسأل عن فلان أي قد صار الى امر عظيم(٢).

وقال قوم(٣): لو كان على النهي يقال: فلا (بالفاء) لانه يصير بمنزلة الجواب كأنه يدل على: لا ما ارسلناك إلّا بالحق فلا تسأل عن أصحاب الجحيم، ولا يحتاج في الرفع الى الفاء. واذا كان على الرفع فظاهر الكلام الأول يقتضيه اقتضاء الاحوال أو اقتضاء البيان الذي يجري مجرى الحجاج على من اعترض فان فعل الداعي الى الايمان لا يحل موقعه إلّا بان يقبل المدعو اليه.

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «جَ حَ مَ» ج٢ ص٥٩، وتهذيب اللغة: مادة «جحم» ج٤ ص١٧٠، مع اختلاف وتفاوت.

(٢) معاني القرآن: ج١ ص٢٠٠.

(٣) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٩، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٦٢.

واما ايصاله بما تقدم على الجزم فانما هوعلى معنى التغليظ لشأن الجحيم، ليزجر بذلك عن ترك اتباعه صلّى الله عليه وآله والتصديق بما اتى به من البشارة .

قال أبوعلي الفارسي: إنما تلزم الفاء اذا كان الكلام الأول علّة فيما بعد ذلك، كقولك: اعطيك فرسا فلا تسأل شيئاً آخر، والآية بخلاف ذلك [١] .

وفي الناس من قال: القراءة بالجزم مردودة، لانه لم يتوجه له اتصال الكلام، ولا كيف جاء بالواو دون الفاء[٢] .

وقد بيّنا الا تصال، فاما المجيء بالواو فلأنه لم يرد الدلالة على معنى الجواب، ولكن عطف جملة على جملة تتعلق بها وتقتضي على ما انطوى عليه معناها .

ومعنى الحق في قوله: «انا ارسلناك بالحق» الاسلام، بشيراً من اتبعك عليه بالثواب، نذيراً من خالفك فيه بالعقاب. وقيل: «إنا ارسلناك بالحق» يعني على الحق، كما قال: «خلق الله السماوات والارض بالحق»[٣] كأنّه قال: على انهما حق لا باطل .

* * *

(١) الحجّة: ج٢ ص١٦٨.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٤٠٩.

(٣) العنكبوت: ٤٤.

قوله تعالى:

وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ آية.

المعنى واللغة:

قيل في معنى هذه الآية قولان:

احدهما: ان النبي صلّى الله عليه وآله كان مجتهداً في طلب ما يرضيهم ليقبلوا الى الاسلام ويتركوا القتال، فقيل له: دع ما يرضيهم الى ما أمر الله به من مجاهدتهم.

والآخر: قال الزجاج: كانوا يسألونه عليه السلام الهدنة والمسالمة ويرونه انه ان أمهلهم اسلموا، فأعلمه الله انهم لن يرضوا عنه حتى يتبع ملّتهم[١].

وهذه الآية تدل أنه لا يصحّ ارضاء اليهود ولا النصارى على حال، لأنه تعالى علّقه بأن اليهود لا يرضون عنه حتى يكون صلّى الله عليه وآله يهودياً، والنصارى لا يرضون عنه حتى يكون نصرانياً، فاستحال أن يكون يهودياً نصرانياً في حال واستحال إرضاؤهم بذلك.

والرضا والمحبة والمودة نظائر، وضد الرضا الغضب، ويقال: رضى يرضى رضاء، وارضاه إرضاء، وارتضاه ارتضاء، واسترضاه استرضاء، وترضاه ترضيا، وتراضوا تراضيا، والرضي والمرضي بمعنى واحد. والرضا

(١) معاني القرآن: ج١ ص٢٠٢.

مقصور من بنات الواو بدلالة الرضوان،تقول: رجل رضاً ورجال رضاً وامرأة ونساء رضاً. وأصل الباب الرضا نقيض الغضب.

وقوله: «حتى تتبع ملتهم» فالملة والنحلة والديانة نظائر، وتقول: وجد فلان ملّة وملالاً، وهو عدوى الحمى، ومللت الشيء أمله ملالة ومللا إذا سئمته، ومللت الخبزة أملّها ملّا اذا دفنتها في الجمر، والجمر بعينه الملة .

وقال صاحب العين: الملّة الرماد والجمر وكل شيء تملّه في الجمر فهو مملول[1]، قال الشاعر في وصف الحرباء:

* كأنّ ضاحيه بالنار مملول[2] *

والمملول الممتل من الملة، وطريق ممل مليل قد سلك حتى صار معلماً، وملة رسول الله صلّى الله عليه وآله الأمر الذي أوضحه، وامتلّ الرجل اذا أخذ في ملّة الاسلام أي قصدها ما أمل منه، والأمل املال الكتاب ليكتب، والمليلة من الحمى .

وقوله: «قل إن هدى الله هو الهدى» معناه هو الذي يهدي الى الجنة، لا اليهودية ولا النصرانية. وقيل[3]: ان معناه الدعاء الى هدى الله الذي يكذب قولهم: «لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً أو نصارى»[4] وهي الادلة الواضحة على ان المطيع لله هو الذي يفوز بثوابه في الجنة لا من ذكروه من العصاة له .

وهذه الآية تدل على ان من علم الله منه انه لا يعصي يتناوله الوعيد

---

(١) العين: مادة «مل» ج٨ ص٣٢٤.

(٢) البيت من قصيدة لكعب بن زهير ذكره في لسان العرب: مادة «ملل» ج١٣ ص١٨٧.

(٣) كالطبري في تفسيره: ج١ ص٤١٠.

(٤) البقرة: ١١١.

والزجر؛ لأنه تعالى علم انّ النبي عليه السلام لا يعصيه ولا يتبع أهواءهم، وفيها دلالة على انّ كل من اتبع الكفّار على كفرهم ما له من الله من ولي ولا نصير، لانه اذا وجب ذلك في متبع واحد، وجب ذلك في الجميع.

الاعراب:

«حتى تتبع» نصب بـ(حتى)،وحكى الزجاج عن الخليل وسيبويه وجميع البصريين: أن الناصب للفعل (أن) بعد حتى، لان حتى تخفض الاسم في قوله: «حتى مطلع الفجر» ولا يعرف في العربية حرف يعمل في اسم وفعل، ولا ما يكون خافضاً لاسم يكون ناصباً لفعل، فصار ذلك مثل قولك: جاء زيد ليضربك، فانها تنصب الفعل باضمار (ان) لكونها جارّة للاسم[١].

قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ آية بلا خلاف.

المعنى واللغة:

المعني بهذه الآية ـ في قول قتادة واختيار الجبائي ـ اصحاب النبي صلّى الله عليه وآله الذين آمنوا بالقرآن وصدقوا به[٢]. وقال ابن زيد: هو من آمن

---

(١) معاني القرآن للزجّاج: ج١ ص٢٠١.

(٢) أسباب النزول للواحدي: ص٢٥، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٢.

بالنبي صلّى الله عليه وآله من بني اسرائيل[١] والكتاب -على قوله- التوراة .

ومعنى قوله: «يتلونه حق تلاوته» قال ابن عباس: يتبعونه حق اتباعه ولا يحرفونه، ثم يعملون بحلاله ويقفون عند حرامه[٢]، ومثله قوله: «والقمر اذا تلاها»[٣] أي تبعها، وبه قال ابن مسعود ومجاهد وقتادة وعطاء[٤] .

وروي عن ابي عبدالله عليه السلام حقّ التلاوة الوقوف عند ذكر الجنة والنار يسأل في الأُولى ويستجير من الأُخرى[٥] . وقال قوم: «يتلونه حق تلاوته» يقرأونه حق قراءته[٦] .

والتلاوة في اللغة على وجهين: أحدهما: القراءة. والثاني: الاتباع. والأول اقوى وعليه أكثر المفسرين، ولا يجوز أن يقال: يتلونه حق التلاوة على مذهب الكوفيين، كما لا يجوز يتلونه أيّ التلاوة، لأن أياً اذا كانت مدحاً وقع على النكرة، ولم يقع على المعرفة، فلا يجوز مررت بالرجل حق الرجل، كما لا يجوز مررت بالرجل أي الرجل، وكما لا يجوز مررت بأبي عبد الله أيّ زيد، وانما جاز «تلاوته» كما يجوز ربّ رجلٍ وأخيه .

وقال بعض البصريين: يجوز مررت بالرجل حقّ الرجل ولا يجوز مع أي؛ لان أياً تدل على التبعيض وليس كذلك حقّ، فاما مررت بالرجل

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٤١١، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٢.

(٢) تفسير ابن عباس: ص١٧، وحكاه الازهري أيضاً في تهذيب اللغة: مادة «تلا» ج١٤ ص٣١٩.

(٣) الشمس: ٢.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٤١١-٤١٢، وتفسير مجاهد: ص٢١٣، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٢.

(٥) تفسير العياشي: ج١ ص٥٧.

(٦) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٤١٢.

كلّ الرجل فجائز عند الجميع لأنّ أصله التوكيد فترك على حاله .

والمعني بقوله: «ومن يكفر به» اليهود ـ على قول ابن زيد ـ والأولى ان يكون ذلك محمولاً على عمومه في جميع الكفار، وبه قال الجبائي وأكثر المفسرين .

قوله تعالى:

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ آية واحدة .

اللغة والمعنىٰ :

هذا خطاب من الله لبني اسرائيل الذين كانوا في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله أمرهم الله ان يذكروا نعمته التي انعم بها عليهم .

والنعمة النفع الذي يستحق به الشكر. والانعام والاحسان والافضال نظائر، ونقيض النعمة النقمة، وهو الضرر المستحق .

ومعنى قوله: «واني فضّلتكم على العالمين» يعني عالمي زمانهم، وتفضيله اياهم بأن جعل فيهم النبوّة والحكم، وهذه الآية قد تقدم ذكر مثلها في رأس نيف واربعين[١]،وقيل في سبب تكريرها ثلاثة أقوال:

أحدها: ان نعم الله لما كانت الأصل الذي به يجب شكره وعبادته ذكرهم بها ليقبلوا إلى طاعته واتباع امره، وليكون مبالغة في استدعائهم الى ما يلزمهم لربهم التظاهر بالنعم عليهم .

والثاني: انه لما ذكر الكتاب وعنى به التوراة وكان فيه الدلالة على شأن

---

(١) في الآية «٣٧» من سورة البقرة.

عيسى ومحمد صلّى الله عليهما في النبوة والبشارة المتقدّمة ذكرهم عز وجل بما انعم عليهم من ذلك وفضّلهم، كما جاء «فبأي آلاء ربكما تكذبان»[1] بعد نعم ذكرهم بها، ثم عدّد نعماً آخر، وقال فيها: «فبأي آلاء ربكما تكذبان» اي فبأي هذه تكذبان، وكل تقريع جاء فانما هو موصول بتذكير نعمه غير الأول والثالث غير الثاني، وهكذا الى آخر السورة. وكذلك الوعيد ـ في سورة المرسلات ـ بقوله: «ويل يومئذ للمكذبين» انما هو بعد الدلالة على اعمال يعظم التكذيب بما تدعو اليه الأدلّة.

الثالث: انه مقدمة لما بعده؛ لانه تعالى اراد وعظهم ذكرهم قبل ذلك بالنعم عليهم، لأنه استدعاء الى قبول الوعظ لهم،وقيل: فيه وجه رابع وهو انه لما تباعد بين الكلامين حسن التنبيه والتذكير.

وموضع «التي» نصب بالعطف على نعمتي.

قوله تعالى:

وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ آية بلا خلاف.

ومثل هذه الآية ايضاً تقدّم[2] وبينّا ما فيها فلا معنى للتكرار، وبينا ان العدل هو الفدية، وقيل: هو المثل[3]. ويقال: هذا عدله أي مثله، والعدل هو الحمل.

وبينّا قول من يقول: إن الشفاعة لا تكون إلّا لمرتكبي الكبائر اذا ماتوا مصرّين.

---

(١) الرحمٰن: ١٣.

(٢) راجع تفسير آية «٤٨» من سورة البقرة.

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن: ج٢ ص٣٢٠، ذيل آية «٩٥» من سورة المائدة.

فانْ قلنا: ظاهر الآية متروك بالاجماع؛ لانه لا خلاف انّ هاهنا شفاعة نافعة والآيـة تـقتضي نفيهـا، وان خصّوا بأنها لا تنفـع المصرّين، وانما ينـفع التائبين .

قلنا: لنا أن نخصّها بالكافرين دون فساق المسلمين .

واما قوله: «لا يشفـعون إلّا لمن ارتضى» فنـتكلّم عليه اذا انتهينا اليه.

ومن قال: إنه لـيس يعني انه يشـفع لها شافـع فلا تنـفع شفاعـته لكـنه يريد لا تأتي بمن يشفع لها، كما قال الشاعر:

على لاحب لا يهتدى بمناره[1]

وإنما اراد به لا منار هناك فيهـتدى به لا يضرّنا لانا لا نقول: إن هناك شفاعة تحصل ولا تنفـع، بل نقول: إنّ الشفاعة اذا حصلت من النبي وغيره فانها تـنفـع لا محالة، وكـذلك عـند المخالـف وان قلـنا: انها تنفـع في اسقاط المضارّ، وقالوا: هـم في زيادة المنـافع، غير أنّا اتفقنا على انهـا تحصل لا محالة ولسنا ممن ينفي حصول الشفاعة اصلاً .

قوله تعالى:

﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ آية بلا خلاف .

القراءة:

اسكن الياء مـن «عهدي» حمزة وحفص إلّا ابن ساهي[2]، وكتب في بعض المصـاحـف «ابـراهـم» بـغير يـاء وفي اكثـرهـا بـالـيـاء. قـال بعض

---

(١) صدر بيت لامرئ القيس، أنظر ديوانه: ص٩٥،وعجزه: إذا سافه العود النُّباطي جَرجَرا.

(٢) التيسير في القراءات السبع: ص٦٦-٦٧.

الجرهميين: نحن ورثنا على عهد «ابراهم». وقرأ ابن عامر «ابراهام» في خمسة وثلاثين موضعاً في القرآن كله، في البقرة خمسة عشرة موضعاً، وهو جميع ما فيها(١).

المعنى واللغة:

تقدير الآية: واذكروا إذ ابتلى ابراهيم ربُّه بكلمات. والابتلاءِ هو الاختبار وهو مجاز هاهنا؛ لأن حقيقته الأمر من الله تعالى بخصال الايمان فسمي ذلك اختباراً، لان ما يستعمل بالامر منا في مثل ذلك على جهة الاختبار والامتحان فجرى تشبيهاً بما يستعمله أهل اللغه عليه.

وقال ابن الاخشاذ: إنما ذلك على أنه جلّ ثناؤه يعامل العبد معاملة المختبر الذي لا يعلم لأنه لو جازاهم بعلمه فيهم كان ظالماً لهم.

والكلمات التي ابتلى الله ابراهيم بها فيها خلاف، فيروى في بعض الروايات عن ابن عباس وبه قال قتادة وابو الخلد: انه أمره اياه بعشرة سنن، خمس في الرأس وخمس في الجسد، فأمّا التي في الرأس فالمضمضة والاستنشاق والفرق وقص الشارب والسواك، وأما التي في الجسد فالختان وحلق العانة وتقليم الاظفار ونتف الابطين والاستنجاء(٢).

وفي احدى الروايتين عن ابن عباس أنه ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين شيئاً عشرة منها في براءة: «التائبون العابدون الحامدون... الى اخرها» وعشرة في الاحزاب: «ان المسلمين والمسلمات... الى اخرها»

---

(١) كتاب السبعة في القراءات: ص١٦٩، والحجّة للفارسي: ج٢ ص١٧٥.

(٢) المستدرك «للحاكم»: ج٢ ص٢٦٦، وتفسير الطبري: ج١ ص٤١٥، وأحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٦٦.

وعشرة في سورة المؤمنين الى قوله: «والذين هم على صلواتهم يحافظون» وعشرة في سأل سائل الى قوله: «والذين هم على صلاتهم يحافظون» فجعلها اربعين سهما[١].

وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه أمره بمناسك الحج: الوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والافاضة[٢].

قال الحسن: ابتلاه الله بالكوكب وبالقمر وبالشمس وبالختان وبذبح ابنه، وبالنار وبالهجرة فكلّهن وفى لله فيهن[٣].

وقال مجاهد: ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي «اني جاعلك للناس اماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين»[٤].

وقال الجبائي: أراد بذلك كلما كلّفه من طاعاته العقلية والشرعية.

وقوله: «فاتمهنّ» معناه وفىٰ بهن على قول الحسن. وقال قتادة والربيع: عمل بهن فأتمهن[٥]. وقال البلخي: الضمير في «اتمهنّ» راجع الىٰ الله، وهو اختيار الحسين بن علي المغربي.

قال البلخي: الكلمات هي الامامة على ما قال مجاهد، قال: لأن الكلام متصل، ولم يفصل بين قوله: «اني جاعلك للناس اماماً» وبين ما تقدمه بواو، فأتمهنّ الله بان أوجب بها الامامة له بطاعته واضطلاعه، ومنع ان ينال العهد الظالمين من ذريته، وأخبره بأنّ منهم ظالماً فرضي به

---

(١) تفسير الماوردي: ج١ ص١٨٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٤١٦، وأحكام القرآن: ج١ ص٦٦.

(٣) أحكام القرآن: ج١ ص٦٦، وتفسير الحسن البصري: ج١ ص١١٣.

(٤) تفسير مجاهد: ص٢١٣، وتفسير الطبري: ج١ ص٤١٥.

(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٤١٧.

وأطاعه، وكل ذلك ابتلاء واختبار.

والتمام والكمال والوفاء نظائر، وضد التمام النقصان، يقال: تم تماما، وأتم إتماماً، واستتم استتماما، وتمم تتميا وتتمة، وتتمة كل شيء ما يكون تمامه بغايته، كقولك: هذه الدراهم تمام هذه المائة، وتتمة هذه المائة، التم الشيء التمام، تقول: جعلته لك تماما أي بتمامه، والتميمة قلادة من سيور وربّما جعلت فيه العوذ تعلّق على الصبيان. والليلة التمام أطول ليلة في السنة، ويقال: بل ليل التمام لثلاث عشرة لأنه يستبان فيها نقصانها من زيادتها، ويقال: بل ليلة اربع عشرة لأنه يتم فيها القمر فيصير بدراً، ويقال: حملته لتمام ـ بفتح التاء وكسرها ـ والتمام في لغة تميم هو التمام.

وقال ابن دريد: امرأة حبلى متم، وولد الغلام أتم وتمام، وبدر تمام، وليل تمام بالكسر فيهن وما بعد هذا فهو تمام بالفتح[١] وأصل الباب التمام وهو الكمال.

وقوله: «من ذرّيتي» معناه واجعل من ذريتي من يؤتم به ويقتدى به، على قول الربيع وأكثر المفسرين[٢].

وقال بعضهم: معناه انه سأل لعقبه ان يكونوا على عهده وورثته، كما قال: «واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» فأخبره الله ان في عقبه الظالم المخالف له، وذريته بقوله: «لا ينال عهدي الظالمين»[٣]. والأول اظهر.

وقال الجبائي: قوله: «ومن ذريتي» سؤال منه لله أن يعرّفه هل في

---

(١) جمهرة اللغة: مادة «ت مَ مَ» ج١ ص٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٤١٨.

(٣) حكاه الطبري في تفسيره: ج١ ص٤١٨.

ذريته مَنْ يبعثه نبياً كما بعثه هو وجعله إماماً[١]. وهذا الذي قاله ليس في الكلام ما يدل عليه بل الظاهر خلافه، ولو احتمل ذلك لم يمتنع ان يضيف الى ذلك مسألة منه لله ان يفعل ذلك بذرّيته مع سؤاله تعريفه ذلك .

والذرية والنسل والولد نظائر، وأراد ابراهيم عليه السلام هذا، وقال بعضهم: عبّر بالذرية عن الآباء، وقال تعالى: «وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون» أي آباءهم[٢]. وهذا ليس بواضح .

وبعض العرب ذرية ـ بكسر الذال ـ وبها قرأ زيد بن ثابت[٣] .

قال صاحب العين[٤]: الذر صغار النمل واحده ذرة، والذر اخذك الشيء بأطراف اصابعك ، تقول: ذررت الدواء اذره ذراً، وكذلك الملح وغيره. واسم الدواء ـ الذي يتخذ للعين ـ ذرور، والذريرة ذات قصب الطيب، وهو قصب يجاء به من الهند كأنّه قصب النشاء، والذرارة ما تناثر من الشيء الذي تذره. والذرية فعلية من ذررت، لأن الله تعالى ذرّهم في الأرض فنشرهم فيها، كما ان السريرة من سررت، والجمع الذراري والسراري وما أشبهه وإن خففت جاز، والذرور ذروة الشمس، فهو يذر ذروراً وذلك أول طلوعها وسقوطها الى الأرض أو الشجر، وتقول: ذر قرن الشمس اي طلع. وأصل الباب الذرّ وهو التفرقة .

وقوله: «لا ينال عهدي» والنيل واللحاق والإدراك نظائر، والنيل والنوال ما نلته من معروف انسان، وأناله معروفه ونوّله أعطاه نوالاً، قال

(١) جوّزه الجصّاص في أحكام القرآن: ج١ ص٦٩.

(٢) تهذيب اللغة: مادة «ذرأ» ج١٥ ص٤.

(٣) شواذ القرآن لابن خالويه: ص١٧.

(٤) العين: مادة «ذرّ» ج٨ ص١٧٥.

طرفة:

إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر[١]

وقولهم: نولك ان تفعل ذلك ومعناه حقك ان تفعل. والنول خشبة الحائك الذي ينسج الوسائد عليه ونحوها، واذانه المنصوبة ايضاً تسمى النوال. وأصل الباب النيل وهو اللحوق.

والمراد بالعهد هاهنا فيه خلاف، قال السدي واختاره الجبائي: إنه اراد النبوة. وقال مجاهد: هو الامامة[٢]،وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام قالوا: لا يكون الظالم إماماً[٣].

وقال ابو حذيفة: لا اتخذ إماماً ضالاً في الدنيا[٤]. وقيل: معناه الأمر بالوفاء له فيما عقده من ظلمه. وقال ابن عباس: فاذا عقد عليك في ظلم، فانقضه. وقال الحسن: ليس لهم عند الله عهد يعطيهم عليه خيراً في الآخرة، فأما في الدنيا فقد يعاهدون فيوفى لهم[٥]، وكأنه على هذا التأويل طاعة يحتسب بها في الآخرة.

وقوله: «لاينال عهدي الظالمين» يدل على انه يجوز ان يعطي ذلك بعض ولده اذا لم يكن ظالماً، لأنه لو لم يرد أن يجعل أحداً منهم إماماً للناس كان يجب أن يقول في الجواب: لا ولا ينال عهدي ذريتك، وكان يجوز أن

---

(١) ديوانه: ص٥٦.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٦٨، وتفسيرالطبري: ج١ ص٤١٨، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٥.

(٣) تفسير العياشي: ح٨٩ ج١ ص٥٨،والكافي: كتاب الحجّة ح١ و٢ ج١ ص١٧٥.

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٤١٨.

(٥) أحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٦٩، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٥.

يقول في العربية: لا ينال عهدي الظالمون، لان ما نالك فقد نلته، وروي ذلك في قراءة ابن مسعود[1] إلّا أنه في المصحف (بالياء)، تقول:نالني خيرُك ونلت خيرَك .

واستدلّ اصحابنا بهذه الآية على ان الامام لا يكون إلّا معصوماً من القبائح؛ لأن الله تعالى نفى ان ينال عهده الذي هو الامامة ظالم، ومن ليس بمعصوم فهو ظالم إما لنفسه أو لغيره .

فان قيل: انما نفى ان يناله ظالم في حال كونه كذلك فاما اذا تاب وأناب فلا يسمى ظالماً فلا يمتنع أن ينال .

قلنا: اذا تاب لا يخرج من أن تكون الآية تناولته في حال كونه ظالماً فاذا نفى أن يناله فقد حكم عليه بأنه لا ينالها، ولم يفد أنه لا ينالها في هذه الحال دون غيرها، فيجب ان تحمل الآية على عموم الأوقات في ذلك ولا ينالها وإن تاب فيما بعد .

واستدلوا بها ايضاً على أن منزلة الامامة منفصلة من النبوة؛ لأن الله خاطب ابراهيم عليه السلام وهو نبي، فقال له: انه سيجعله إماماً جزاءً له على اتمامه ما ابتلاه الله به من الكلمات، ولو كان إماماً في الحال، لما كان للكلام معنى، فدلّ ذلك على انّ منزلة الامامة منفصلة من النبوة وانما أراد الله أن يجعلها لابراهيم عليه السلام. وقد أملينا رسالة مقررة في الفرق بين النبي والامام، وان النبي قد لا يكون إماماً على بعض الوجوه، فأما الامام فلا شك انه يكون غير نبي وأوضحنا القول في ذلك ، من أراده وقف عليه من هناك .

---

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن؛ ج١ ص٧٦، والأخفش في معاني القرآن: ج١ ص٣٣٤.

وابراهيم وابراهم لغتان، وأصله ابراهام فحذفت الألف استخفافاً، قال الشاعر:

عذت بما عاذ به إبراهم

وقال أُمية:

مع ابراهم التقي وموسى(١)

قوله تعالى:

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ آية واحدة.

القراءة:

قرأ نافع وابن عامر «واتخذوا» على لفظ الخبر، الباقون بلفظ الأمر(٢).

المعنى واللغة:

قوله: «واذ جعلنا» عطف على قوله: «وإذ ابتلى ابراهيم ربه» وذلك معطوف على قوله: «يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم» واذكروا «إذ ابتلى ابراهيم ربه» «واذ جعلنا البيت مثابة»،والبيت الذي جعله مثابة هو البيت الحرام.

والبيت في اللغة والمنزل والمأوى نظائر، يقال: بات يبيت بيتوتة، وبيته

(١) الحجة لابي علي الفارسي: ج ٢ ص١٧٥.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٦٣، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٩، والحجة لابي علي الفارسي: ج٢ ص١٧١.

مباية، وتبيت تبيتاً، وتبايتوا تبايتاً، والبيت من أبيات الشعر ومن بيوت الناس، والبيت من بيوتات العرب احياؤها، وبيّت فلان أبياتاً تبيتاً اذا بناها، والبيتوتة الدخول في الليل، تقول: بت افعل كذا، وبالنهار ظللت، وباتوا بيتوتة حسنة، وأباتهم الله إباتة، وأباتهم الامر بياتاً، كل ذلك دخول الليل، وليس من النوم في شيء وما عنده بيت ليلة، ولا بيتة ليلة -بكسر الباء- يعني القوت، والله يكتب ما يبيتون عمل الليل،وبيّت القوم اذا أوقعت فيهم ليلاً، والمصدر البيت والاسم البيات، ومنه قوله: «بأسُنا بياتاً»[١] ويسمى البيت من الشعر بيتاً لضمّه الحروف والكلام كما يضمّ البيت أهله، وامرأة الرجل بيته، قال الراجز:

مالي اذا اخذتها صأيت أكِبرٌ قد غالني أم بيتُ[٢]

وماء بيوت اذا بات ليلة في إنائه. وأصل الباب البيت المنزل.

وقوله: «مثابة» في معناه خلاف، قال الحسن: يثيبون اليه كل عام أي ليس هو مرة في الزمان فقط[٣]. وقال ابن عباس: معناه أنه لا ينصرف عنه أحد وهو يرى انه قد قضى منه وطراً فهم يعودون اليه[٤].

وقال ابو جعفر: يرجعون اليه لا يقضون منه وطراً، وبه قال مجاهد[٥]. وحكى الحارثي ان معناه يحجّون اليه فيثابون عليه[٦]. وقال الجبائي: يثوبون اليه يصيرون اليه.

---

(١) الاعراف: ٩٧.
(٢) أمالي المرتضى: ج١ ص٣٧٨، مع اختلاف.
(٣) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٧٢.
(٤) نفس المصدر السابق.
(٥) تفسير الطبري: ج١ ص٤١٩، وتفسير مجاهد: ص٢١٤.
(٦) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٧٢.

والفرق بين مثابة ومثاب:ان الاخفش قال: مثابة للمبالغة لما كثر من يثوب اليه، كما قيل: علّامة ونسّابة وسيّارة[١]. وقال الفراء والزجاج: معناهما واحد، كالمقامة والمقام بمعنى واحد[٢]. ووزن مثابة مفعلة، وأصلها مثوبة من ثاب يثوب مثابة ومثابا وثوابا اذا رجع، فنقلت حركة الواو الى الياء ثم قلبت على ما قبلها، قال ورقة بن نوفل في صفة الحرم:

مثاب لأفناء القبائل كلها تخبّ اليه اليعملات الطلائحُ[٣]

ومنه ثاب اليه عقله أي رجع اليه بعد عزوبه، وقوله: «وأمنا» فالامن مصدر قولك: أمن يأمن أمنا، وانما جعله أمنا بأن حكم ان من عاذ به والتجأ لا يخاف على نفسه ما دام فيه بما جعله في نفوس العرب من تعظيمه، فكان من فيه آمنا على ماله ودمه ويتخطف الناس من حوله، كما قال: «أو لم يروا انا جعلنا حرما آمناً ويتخطف الناس من حولهم»[٤] ولعظم حرمته انّ من جنى جناية والتجأ اليه لا يقام عليه الحد حتى يخرج لكن يضيّق عليه في المطعم والمشرب والبيع والشراء حتى يخرج منه فيقام عليه الحد، فان احدث فيه ما يوجب الحد أقيم عليه فيه لأنه هتك حرمة الحرم، ولأنّ الله تعالى جعل الأشهر الحرم لا يحل فيها القتال والقتل،وكل ذلك بسبب البيت الحرام، فهو آمن بهذه الوجوه.

وقوله: «واتخذوا من مقام ابراهيم» أكثر القراء على لفظ الأمر إلّا ابن

---

(١) معاني القرآن للأخفش: ج١ ص٣٣٥.

(٢) معاني القرآن للفراء: ج١ ص٧٦، ومعاني القرآن للزّجاج: ج١ ص٢٠٥.

(٣) أحكام القرآن للشافعي: ج١ ص١١٩.

(٤) العنكبوت: ٦٧.

عامر ونافع فانهما قرأا على لفظ الخبر من فعل ماض[١] .

ويحتمل ان يكون اللفظ معطوفاً على قوله: «واذكروا» كأنّه قال: يابني اسرائيل اذكروا نعمتي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى .

وقال الربيع بن انس: من الكلمات التي ابتلى ابراهيم ربه قوله: «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»[٢]، وكأنّه قال: «اني جاعلك للناس إماماً» وقال: «اتخذوا من مقام ابراهيم مصلى» .

وقيل: انه معطوف على «واذ جعلنا البيت» لأن معناه واذكروا اذ جعلنا البيت واتخذوا[٣] .

وقيل: انه معطوف على معنى «جعلنا البيت مثابة للناس» لأن فيه معنى ثوبوا اليه واتخذوا[٤] .

وظاهر قوله: واتخذوا،انه عام لجميع المكلّفين إلّا من خصّه الدليل وعليه أكثر المفسرين .

وقال ابو علي الفارسي: وجه قراءة من قرأ على الخبر انه عطف على ما أُضيف اليه (اذ)، كأنه قال: واذ اتخذوا، قال: وتقوية قوله إنّ ما بعده خبر وهو قوله: «وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل»[٥] .

المعني بقوله: «من مقام» قيل فيه أربعة أقوال: أحدها: قال ابن

---

(١) السبعة في القراءات لابن مجاهد: ص١٦٩، والحجة لابي علي الفارسي: ج٢ ص١٧١، والكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٦٣.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٤٢١.

(٣) الاخفش في معاني القرآن: ج١ ص٣٣٥، والزجاج في معاني القرآن: ج١ ص٢٠٧.

(٤) تفسير القرطبي: ج٢ ص١١١.

(٥) الحجّة: ج٢ ص١٧١.

عباس: الحج كله مقام ابراهيم[١].

وقال عطا: مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار. وقال مجاهد: الحرم كله مقام ابراهيم. وقال السدي: مقام ابراهيم هو الحجر الذي كانت زوجة اسماعيل وضعته تحت قدم ابراهيم حين غسلت رأسه، فوضع ابراهيم رجله عليه وهو راكب فغسلت شقه ثم رفعته من تحته وقد غابت رجله في الحجر، فوضعته تحت الشق الآخر فغسلته فغابت ايضاً رجله فيه، فجعلها الله من شعائره، فقال: «واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى»، وبه قال الحسن وقتادة والربيع واختاره الجبائي والرماني[٢] وهو الظاهر في أخبارنا[٣].

وهو الأقوى لأن مقام ابراهيم اذا اطلق لايفهم منه إلّا المقام المعروف الذي هو في المسجد الحرام، وفي المقام دلالة على نبوة ابراهيم عليه السلام، لأن الله تعالى جعل الصخرة تحت قدمه كالطين حتى دخلت قدمه فيها وكان ذلك معجزة له.

وقيل في معنى قوله: «مصلى» ثلاثة أقوال: قال مجاهد: مدْعىٰ مأخوذ من صليتُ بمعنى دعوتُ. وقال الحسن والجبائي: قبلة. وقال قتادة والسدي: أُمروا أن يصلوا عنده[٤]، وهو المروي في أخبارنا[٥]. وبذلك استدلوا على أن صلاة الطواف فريضة مثله؛ لأنّ الله تعالى أمر بذلك، والأمر يقتضي

---

(١) تفسير الماوردي: ج١ ص١٨٧.

(٢) حكىٰ أقوالهم الجصاص في أحكام القرآن: ج١ ص٧٥، والطبري في تفسيره: ج١ ص٤٢٢، والماوردي في تفسيره: ج١ ص١٨٧.

(٣) تفسير العياشي: ح٩٣ ج١ ص٥٩، وعلل الشرائع: ب١٦٠ ح١ ج٢ ص٤٢٣.

(٤) أحكام القرآن: ج١ ص٧٥، وتفسير الطبري: ج١ ص٤٢٣، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٧.

(٥) تفسير العياشي: ح٩١ و٩٢ ج١ ص٥٨.

الوجوب، وليس هاهنا صلاة يجب اداؤها عنده غير هذه بلا خلاف .

وقوله: «عهدنا الى ابراهيم واسماعيل» أي أمرنا ان طهرا، قال الجبائي: أُمرا أن يطهراه من فرث ودم كان يطرحه عنده المشركون قبل ان يصير في يد ابراهيم .

ويجوز أن يريد طهراه من الاصنام والأوثان التي كانت عليه للمشركين قبل أن يصير في يد ابراهيم، وبه قال قتادة ومجاهد. وقال السدي: طهراه ببنائكما له على الطهارة، كما قال: «أفمن أسس بنيانه على تقوىً من الله ورضوان خير»[١] .

والطائف والدائر والجائل نظائر، طاف يطوف طوافاً اذا دار حول الشيء، وأطاف به اطافة اذا ألم به، وطوف تطويفاً، والطوف خشب أو قصب يجمع بعضه الى بعض يركب عليه في البحر، والطوفان مصدر طاف يطوف طوفا، فاما طاف بالبيت فهو طواف، وأطاف به اذا احاط به. والطائف العاسّ [بالليل]، والطوّافون المماليك كقوله: «طوافون عليكم»[٢]، والطائف طائف الجن والشيطان، وكل شيء يغشى القلب من وسواسه فهو طيفه، والطائفة من كل شيء قطعة، تقول: طائفة من الناس وطائفة من الليل، قال الله تعالى: «**طائفة من الذين معك**»[٣] وأصل الباب الطوف الدور.

ومعنى «الطائفين» هاهنا قيل فيه قولان:

أحدهما: ما قال سعيد بن جبير: «الطائفين» من أتاه من غربة .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص: ج١ ص٧٥، وفي تفسير الطبري: ج١ ص٤٢٣.

(٢) النور: ٥٨.

(٣) المزمّل: ٢٠.

والثاني: قال عطا واختاره الجبائي وغيرهم: الطائفون بالبيت[١]. وهو الأصح.

وقوله: «والعاكفين» هاهنا قيل فيه أربعة أقوال:

الأول: قال عطا واختاره الجبائي: انهم المقيمون بحضرته.

والثاني: قال مجاهد وعكرمة: انهم المجاورون.

والثالث: قال سعيد بن جبير وقتادة: انهم أهل البلد الحرام.

والرابع: قال ابن عباس: هم المصلّون[٢].

والأول أقوى، لأنه المفهوم من اطلاق هذه اللفظة، قال النابغة:

عكوف على أبياتهم يثمدونها   رمى الله في تلك الاكف الكوانع[٣]

والعكف واللزوم والدوام على الشيء نظائر، تقول: عكف يعكف عكفاً وعكوفاً اذا لزم الشيء وأقام عليه فهو عاكف، وعكف الطير بالقتيل،والعاكف المعتكف في المسجد، قلّما يقولون: عكف ـ وان قيل كان صواباً ـ وانما يقولون: اعتكف، ويقال للنظم اذا نظم فيه الجوهر: عكف تعكيفاً، والمعكوف المحبوس، وأصل الباب العكف وهو اللزوم.

والمعني بقوله: «والركّع السجود» قال قتادة وعطا: هم الذين يصلّون عند الكعبة يركعون عندها ويسجدون[٤]. وقال الحسن: «الركّع السجود» جميع المؤمنين، وبه قال الفراء[٥]. وهو الاقوى لأنه العموم.

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٤٢٤، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٨.

(٢) تفسير الطبري: ج١ ص٤٢٤، وتفسير الماوردي: ج١ ص١٨٨.

(٣) ديوانه: ص١٢٩، وفيه «قعوداً لدى» و «الأنوفِ» بدل «عكوف علىٰ» و «الاكف».

(٤) تفسير الطبري: ج١ ص٤٢٥.

(٥) معاني القرآن: ج١ ص٧٧، وفيه: أهل الاسلام.

فان قيل: كيف أمر الله تعالى ان يطهّر بيته ولم يكن هناك بيت بعد؟

قيل: معناه ابنيا لي بيتاً مطهراً في قول السدي، وقال عطا: معناه طهرا مكان البيت الذي تبنياه فيما بعد[١]. وفي الآية دلالة على ان الصلاة [في] جوف البيت جائزة.

قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ آية.

المعنى واللغة:

التقدير: واذكروا إذ قال ابراهيم ربّ اجعل هذا بلداً آمناً.

فان قيل: هل كان الحرم آمنا قبل دعوة ابراهيم عليه السلام؟

قيل: فيه خلاف، قال مجاهد عن ابن عباس وابو شريح الخزاعي: كان آمنا لقول النبي عليه السلام حين فتح مكة: هذه حرم حرمها الله يوم خلق السماوات والأرض[٢]، وهو الظاهر في رواياتنا[٣].

وقال قوم: كانت قبل دعوة ابراهيم كسائر البلاد، وانما صارت حرماً بعد دعوته عليه السلام كما صارت المدينة، لما روي انّ النبي صلّى الله عليه وآله قال: ان ابراهيم عليه السلام حرّم مكة واني حرّمت المدينة[٤].

---

(١) تفسير الطبري: ج١ ص٤٢٣.

(٢) شعب الايمان للبيهقي: ح٤٠٠٧ ج٣ ص٤٤١ نقلاً عن ابن عبّاس، والسنن الكبرى للبيهقي: ج٨ ص٥٢ نقلاً عن أبي شريح الخزاعي.

(٣) الكافي: ح٣ و٤ ج٤ ص٢٢٥، ومن لا يحضره الفقيه: ح٢٣١٤ ج٢ ص٢٤٥.

(٤) أحكام القرآن للجصّاص: ج١ ص٧٩ وتفسير الماوردي: ج١ ص١٩٠.

وقال بعضهم: كانت حراماً بوجه غير الوجه الذي صارت به حراماً بعد الدعوة و[الوجه] الأول يمنع الله إياها من الاصطلام والانتقام كما لحق غيرها من البلاد، وبما جعل في النفوس من تعظيمها والهيبة لها. والوجه الثاني بالأمر على ألسنة الرسل، فأجابه الله الى ما سأل، وانما سأل أن يجعلها آمنا من الجدب والقحط، لانه أسكن أهله بواد غير ذي زرع ولا ضرع، ولم يسأله أمنه من انتقال وخسف، لأنه كان آمناً من ذلك[1].

وقال قوم: سأله الامرين على ان يديمها له وان كان أحدهما مستأنفاً والآخر كان قبل[2].

ومعنى قوله: «بلداً آمنا» أي يأمنون فيه، كما يقال: ليل نائم أي النوم فيه.

والبلد والمصر والمدينة نظائر، ورجل بليد اذا كان بعيد الفطنة وكذلك يقال للدابة التي تقصر عن نظائرها. وأصل البلادة التأثير، ومن ذلك قولهم لكركرة البعير: بلدة، لأنه اذا برك أثّرت، والبلد الأثر في الجلد وغيره وجمعه أبلاد، وانما سمّيت البلاد من قولك بلد أو بلدة، لأنها مواضع مواطن الناس وتأثيرهم، والبلد المقبرة، ويقال: هو نفس القبر، قال خفاف:

كل امرىء نازل أحبته ... ومنسلم وجهه الى البلد[3]

«ولا أُقسم بهذا البلد» يعني بمكة، والتبلد نقيض التجلد وهو استكانة وخضوع، وتبلّد الرجل اذا نكس وضعف في العمر وغيره حتى في السجود. والبلدة منزل من منازل القمر. وأصل الباب البلد وهو الأثر في الجلد

(١) أحكام القرآن: ج١ ص٨٠، وتفسيرالماوردي: ج١ ص١٨٩.

(٢) ذكر الفخر الرازي في تفسيره: ج٤ ص٥٤.

(٣) لم نعثر عليه.

وغيره .

وقوله: «فأُمتعه قليلاً» يعني بالرزق الذي أرزقه الى وقت مماته. وقيل: فأُمتعه بالبقاء في الدنيا. وقال الحسن: فأُمتعه بالأمن والرزق الى خروج محمدعليه السلام فيقتله إن أقام على كفره أو يجليه عنها (١) .

وقد قرئ في الشواذ فأُمتعه على وجه الدعاء بصورة الامر ثم اضطره بمثل ذلك على ان يكون ذلك سؤالا من ابراهيم ان يمتع الكافر قليلاً ثم يضطرّه بعد ذلك الى عذاب النار(٢).

والأول أجود لأنّه قراءة الجماعة(٣)، هذا مروي عن ابن عباس(٤) .

والراء مفتوحة في هذه القراءة، وكان يجب ان تكسر، كما يقال: مد ومد ولم يقرأ به أحد، وقرأ ابن عامر وحده «فأُمْتِعُهُ قليلاً» من المتعة على الخبر [و] الباقون بالتشديد بدلالة قوله: «متّعناهم الى حين»(٥) .

والفرق بين متّعت وامتعت: انّ التشديد يدل على تكثير الفعل وليس كذلك التخفيف. وفعّلت وافعلت يجيء على خمسة أقسام:

أحدها: ان يكونا بمعنى واحد،كقولهم: سميت واسميت. و[الثاني]: يجيء على التكثير والتقليل. و[الثالث]: يجيء على النقص، كقولك: فرطت قصرت، وافرطت جاوزت .

---

(١) أحكام القرآن: ج١ ص٨٠، وتفسير الطبري: ج١ ص٤٢٨.

(٢) معاني القرآن للزجاج: ج١ ص٢٠٨.

(٣) كتاب السبعة في القراءات: ص١٧٠.

(٤) معاني القرآن للفرّاء: ج١ ص٧٨.

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع: ج١ ص٢٦٥، والحُجّة: ج٢ ص١٧١.

والرابع: تولّيت الفعل وتركته حتى يقع كقوله: «يخربون بيوتهم»[١] أي يهدمون، فاما أخربت فمعناه تركت المنزل وهربت منه حتى خرب.

والخامس: ان ينفرد أحدهما عن الآخر، كقولك: كلمت، لا يقال فيه افعلت واجلست،ولا يقال منه فعلت.

ومعنى «ثم اضطرّه» ادفعه الى عذاب النار وأسوقه اليه، والاضطرار هو الفعل في الغير على وجهٍ لا يمكنه الانفكاك منه اذا كان من جنس مقدوره، ولهذا لا يقال: فلان مضطر الى كونه ـ وان كان لا يمكنه دفعه عن نفسه ـ لما لم يكن الكون من جنس مقدوره. ويقال: هو مضطر الى حركة الفالج وحركة العروق لما كانت الحركة من جنس مقدوره.

وقوله: «وبئس المصير» هو الحال التي يؤدّي اليها أولها.

وصار وحال وآل نظائر، يقال: صار يصير مصيراً، قياسه رجع يرجع مرجعاً وصيّره تصييراً. قال صاحب العين: صير كلّ امرمصيرة،والصيرورة مصدر صار يصير صيرورة. وقال بعضهم: صيور الامر اخره[٢] قال الكميت يمدح هشام بن عبد الملك:

ملك لم يصنع الله منه   بدء أمر ولم يضع صيورا[٣]

وصارة الجبل رأسه، والصير الشق، وفي الحديث: (من نظر في صير باب ففقئت عينه فهي هدر)[٤]. وصيّر البقر موضع يتخذه للحظيرة، واذا كان للغنم فهو زريبة، وأصل الباب المصير وهو المآل.

---

(١) الحشر: ٢.

(٢) العين: مادة «صير» ج٧ ص١٤٨.

(٣) لم نعثر عليه.

(٤) سنن النسائي: ج٨ ص٦١، وسنن الدارقطني: ج٣ ص١٩٩، قريب منه.

ومعنى الآية: سأل سؤال عارف بالله مطيع له، وهو أن يرزق من الثمرات من آمن بالله واليوم الآخر، فأجاب الله ذلك، ثم أعلمه انه يمتّع من كفر به لأجل الدنيا ولا يمنعه من ذلك كما يتفضّل به على المؤمن، ثم يضطره في الآخرة الى عذاب النار وبئس المصير، وهي كما قال: نعوذ بالله منها.

وقوله في الآية: «قليلاً» يحتمل أن يكون صفة للمصدر،كما قال: متاعاً حسناً فوصف به المصدر، وليس لأحد أن يقول: كيف يوصف به المصدر وهو فعل يدل على التكثير؟ وكيف يستقيم وصف الكثير بالقليل في قوله: «فامتعه» وهلا كانت قراءة ابن عامر أرجح على هذا؟ وذلك ايضاً إنما وصفه بانه قليل من كان آخره الى نفاد ونقص وفناء، كما قال: «متاع الدنيا قليل»[1].

ويجوز ايضاً ان يكون صفة للزمان، كما قال: «عما قليل ليصبحنّ نادمين»[2] يعني بعد زمان قليل. وعن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «وارزقهم من الثمرات» اي تحمل اليهم من الآفاق[3].

---

(١) النساء: ٧٧.

(٢) المؤمنون: ٤٠.

(٣) عوالي اللئالي: ح٢٥٨ ج٢ ص٩٦.

فهارس الكتاب

فهرس الآيات
فهرس الأحاديث
فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام
فهرس الأعلام
فهرس الأشعار
فهرس الأرجاز
فهرس أعلام المترجمين في التعليق
فهرس المواضيع

فهرس الآيــات

البقرة (٢)

٦	إنّ الذين كفروا سواء عليهم	٣٧
٨	ومن الناس من يقول آمنا بالله	٣٧
٢٨	كيف تكفرون بالله	٤٦٣
٣٦	قلنا اهبطوا	٤٧٢
٤٠	اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم	٣٢٢
٤٥	واستعينوا بالصبر والصلاة	٤٧٠
٥٠	واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم ...	٤٣١
٥٥	لن نؤمن لك حتى نرىٰ الله ...	٤٦٤
٥٥	فأخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون	٤٣
٥٦	ثم بعثناكم من بعد موتكم ...	٤٣
٥٩	فبدّل الذين ظلموا قولاً ...	٢٦١
٦١	ذلك بأنهم كانوا يكفرون ...	١٩٠
٦٥	كونوا قردة خاسئين	٤٩٨

٦٧	واذ قال موسى لقومه إنّ الله	٣٢٢
٧٨	لا يعلمون الكتاب إلّا أماني	٤٧٣
٨٣	واذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل ...	٢٩٦
٨٥	أفتؤمنون ببعض الكتاب	٤٦٤
٩٣	واشربوا في قلوبهم العجل	٣٤
٩٣	خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا ...	٤١١
٩٧	نزّله على قلبك بإذن الله	٤٣٢
١٠٢	واتّبعوا ماتتلوا الشياطين	٣٩٢
١٠٤	لا تقولوا راعنا وقولوا	٢٠٨
١٠٤	انظرنا واسمعوا	٤٦٤
١٠٦	ألم تعلم أن الله على كل شيء ...	٧٩
١١١	هاتوا برهانكم	١٤
١١١	لن يدخل الجنة إلّا من كان هوداً ...	٥١٠
١١٧	بديع السموات	٤٠٣
١٢٣	لا يقبل منها عدل	١٨٨
١٢٤	لا ينال عهدي الظالمين	١١٦
١٢٥	وإذ جعلنا البيت مثابة للناس	٤٤١
١٤٦	يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ...	١٣٨
١٥٥	وبشر الصابرين	١٦٧
١٧٨	فمن عفي له من أخيه شيء	٢٢٦
١٧٨	عذاب أليم	٤٠٣
١٩١	والفتنة اشدّ من القتل	٤٢٦
٢١٠	هل ينظرون إلّا أن يأتيهم الله ...	٢٥٣
٢٣٨	حافظوا على الصلوات والصلاة ...	١٥٧

٢٤٣	ألم تر الى الذين خرجوا من ...	٤٣
٢٤٩	فمن شرب منه فليس مني	٤٢٣
٢٥٧	الله ولي الذين آمنوا يخرجهم ...	٣١
٢٧٢	ليس عليك هداهم	٥٠٥
٢٧٣	تعرفهم بسيماهم	١٩٦
٢٧٩	فأذنوا بحرب من الله	٤٣١
٢٨٠	فنظرةٌ الى ميسرة	٢٠٨
٢٨٦	لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها	٤٩١

آل عمران (٣)

٢١	فبشرهم بعذاب أليم	١٨
٢١	ويقتلون النبيين بغير حق	١٤٧
٤٠	وقد بلغني الكبر	١١٥
٤٣	يا مريم اقنتي لربك واسجدي	٤٩٣
٨١	وإذا أخذ ميثاق النبين لما ...	٢٩٦، ٣٧
٩١	ملءُ الأرض ذهباً	٢٧٣
١١٠	كنتم خيرَ أُمّةٍ أُخرجت ...	١٧٩
١٣١	واتقوا النار التي أُعدت ...	٥
١٥٩	فبما رحمة من الله	٢٧
١٦٠	إن ينصركم الله فلا غالب لكم	١٩٠
١٨٥	كلُّ نفس ذائقة الموت	١٧٥
١٨٧	وإذا أخذ الله ميثاق الذين	١٣٨
٢٠٠	اصبروا وصابروا	١٦٧

النســاء (٤)

٢٥	فانكحوهنَّ بإذن أهلهنَّ	٤٣١
٣٥	فابعثوا حكماً من أهله ...	٧٤
٤٤ـ٥٤	الم تر الى الذين، وآتيناهم ملكاً عظيماً	٣٨٩
٤٦	من الذين هادوا يحرّفون الكلم	٤٤٤
٥٧	وندخلهم ظلاً ظليلاً	٢٥٢
٧١	خذوا حِذركم	٤٣٢
٧٧	متاع الدنيا قليل	٥٣٣
٧٨	اينما تكونوا يدرككم الموت	٤٩٢
٩٢	وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً ...	٣٤٦
١٠٢	خذوا حِذركم	٤٣٢
١٠٣	فأقيموا الصلاة إن الصلاة ...	١٥٧
١٥٣	أرنا الله جهرةً	٤٠٦، ٥٠٣
١٥٧	ما لهم به من علم إلّا اتباع الظّن	٨٧، ٣٤٦
١٦٥	لئـلا يكون للناس على الله حُجـّة	١٨٩

المائـدة (٥)

٩	وعد الله الذين آمنوا وعملوا ...	٢١٤
١٨	قل فلم يعذبكم بذنوبكم	١٨٢
٢٠	واذ قال موسى لقومه اذكروا ...	١٣٧
٢٤	اذهب أنت وربّك فقاتـلا ...	٢٤٤، ٢٥٦
٢٩	أُريد أن تبوء باثمي وإثمك	٢٨٤
٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا	١٤٠
٥٧	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا ...	٤٤٦

٦٧	والله يعصمك من الناس	٤٣٨
٨٦	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا	٢٩٥
٩٥	عدل ذلك صياماً	١٨٧، ٢٧٣
١١٠	يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي ...	٣٧٧
١١٤	أنزل علينا مائدة من السماء	٥٠٣
١١٦	واذ قال الله يا عيسى بن مريم	٩٤
١١٦	أأنت قلت للناس	٤٥٩

الأنعـام (٦)

١	بربّهم يعدلون	١٨٨
٩	وللبسنا عليهم ما يلبسون	١٤٨، ١٥٠
٢٥	ومنهم من يستمع اليك	٤٧٦
٣٠	ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ...	١٧٤
٣٨	ولا طائر يطير بجناحيه	٤٦٨
٤٤	فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا ...	٢٣
٤٤	مبلسون	٩١
١٠٨	فيسبّوا الله عدواً بغير علم	١١٠
١٠٨	ولا تسبوا الذين يدعون من ...	٣٦٣
١٠٩	واقسموا بالله جهد أيمانهم ...	٣٨
١١١	وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً	١٨٣
١١٣	وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون	٤٨٩
١٥٠	بربّهم يعدلون	١٨٨

الأعـراف (٧)

١٢	ما منعك ألّا تسجد إذ ...	٨٧، ٩٣

٢٠ مانها كما ربكما عن هذه الشجرة ... ١٠٩
٢١ وقاسمهما أني لكما لمن الناصحين ١٠٩
٢٣ ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم ... ١١٨
٣١ يا بني آدم خذوا زينتكم ... ١٣٥
٥٠ ونادىٰ أصحاب النار أصحاب ... ٩٤
٥٤ ألا له الخلق والأمر ٤٠٩
٥٩ لقد ارسلنا نوحاً الى قومه ١٩١
٧٣ والى ثمود اخاهم صالحاً ١٩١
٨٩ ربنا افتح بيننا وبين قومنا ... ٣٤١
٩٥ حتّى عفوا ٢٢٦
٩٧ بأسنا بياتاً ٥٢٣
١٢٩ أُوذينا من قبل أن تأتينا ... ٢١١
١٢٩ قال عسى ربّكم أن يهلك ... ٢١١
١٣٨ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ٤٠٦، ٤٦٤
١٤٣ وخرَّ موسى صعقاً ٢٤٣
١٦٠ فانبجست ٢٧٤
١٦٤ وإذا قالت أُمة منهم لم تعظون ٢٦٣
١٧٢ وإذا أخذ ربّك من بني آدم ... ٣٨
١٧٢ ألست بربكم قالوا بلى ٤٧٤
١٧٧ ساء مثلاً القوم الذين ... ٣٨٧
١٨٩ وجعل منها زوجها ٤٧٢

الانفال (٨)

٧ واذا يعدكم الله احدى الطائفتين ٢١٤

١٧	وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً	١٩٩
٤١	يوم الفرقان يوم التقى الجمعان	٢٠٣، ٢٣٠
٤٥	إذا لقيتم فئةً فاثبتوا	١١٣
٥٨	وإما تخافنّ من قوم خيانة ...	١٣٠
٦٠	وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ...	٣٠٢
٦٥	يا أيها النبيّ حرض المؤمنين على ...	٤٥٠
٦٦	الآن خفف الله عنكـم ...	٤٥٠، ٤٥٥

التوبـة (٩)

١٧	ما كان للمشركين أن يعمروا ...	٤٨٥
٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله	٤٦٩
٣٠	قاتلهم الله	٢٣٤
٣٢	ويأبى الله إلّا أن يتم نوره	٨٤
٣٧	انما النسيء زيادة في الكفر	٤٥٤
٤٩	وإن جهنّم لمحيطة بالكافرين	١٧
٦٢	والله ورسوله أحق أن يرضوه	١٢٣، ١٦٨
٦٧	نسوا الله فنسيهم	١٦١، ٤٥٦
٧٥	لئن آتانا من فضله لنصدّقن	٢٩٩
٧٦	فلما آتاهم من فضله بخلوا به ...	٢٩٩
٧٧	فاعقبهم نفقاً في قلوبهم الى ...	١٧٤
٧٧	أخلفوا الله ما وعدوه	٢١٤
١٠٣	إن صلاتك سكن لهم	٩٥
١١٢	التائبون العابدون	١١٩
١١٨	وظنّوا أن لا ملجأ من الله ...	١٧٢

يونس (١٠)

١٤ ثم جعلناكم خلائف في الأرض ... ٥٥
٢٢ حتّى إذا كنتم في الفلك وجرين ... ٣٦٩
٢٦ للذين أحسنوا الحسنىٰ ٣٦١، ٣٦٨
٣٠ هنالك تتلو كل نفس ما اسلفت ٤١٧
٣١ قل من يرزقكم من السماء والأرض ... ١١
٣٦ إنّ الظنّ لا يغني من الحق ١٧٣
٣٨ فأتوا بسورة مثله ١٢، ١٣
٤٢ ومنهم من يستمعون اليك ٤٧٦
٤٣ ومنهم من ينظر اليك أفأنت ... ٢٩٣
٥٩ آلله أذن لكم ٣٥٣
٩٢ فاليوم ننجّيك ببدنك ١٩٣

هـود (١١)

١٣ فأتوا بعشر سور مثله ... ١٢
١٨ ألا لعنة الله على الظالمين ١٠١
٤٣ لا عاصم اليوم من أمر الله إلّا ... ٨٨، ٣٤٦
٩٥ بَعُدت ثمود ٢٢١

يوسف (١٢)

٢ إنا أنزلناه ١٦٨
٢٠ وشروه بثمنٍ بخس ١٤٦
٢٩ يوسف أعرض عن هذا ٣٦٧
٣١ فلما رأينه أكبرنه ٨٤
٦٤ خير حافظاً ٢٧٣

٧٧	أن يسرق فقد سرق أخ له من ...	٥٠٠
١٠٠	وخروا له سجدا	٨٦

الرعـد (١٣)

١١	ويحفظونه من أمر الله	٣٣١
١٣	ويرسل الصواعق	٢٤٣
٣١	ولو أن قرآنا سيّرت به الجبال	٣٣٣

إبراهيم (١٤)

٢٧	ويضل الله الظالمين ...	٣١، ٣٥
٣٤	وإن تعدُّوا نعمة الله ...	١٣٦

الحجـر (١٥)

٣٠	فسجد الملائكة كلهم أجمعون	٦٤
٨٥	فاصفح الصفح الجميل	٤٦٨

النحـل (١٦)

١٨	وإن تعدُّوا نعمة الله ...	١٣٦
٢٤	ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير ...	٢٩
٣٠	ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا	٢٩
٤٧	أو يأخذهم على تخوّف	١٢٧
٥٠	ويفعلون ما يؤمرون	٥٧
٧٦	أينما يوجهـه ...	٤٩٢
٩٣	يضل من يشاء ويهدي من يشاء	٣٠
١٢٥	ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ...	٣٦٣
١٢٧	واصبر وما صبرك إلا بالله ...	١٦٦

الإسـراء (١٧)

٤	وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب	٤٩٧
٤	فقضاهن سبع سموات	٤٩٧
٢٣	وقضى ربك ألا تعبدوا إلا ...	٤٩٧
٤٤	وإن من شيء إلّا يسبح بحمده	٣٣٤
٦٢	قال أرأيتك هذا الذي كرمت ...	٨٦
٨٨	قل لئن اجتمعت الانس والجن ...	١٥
٨٨	ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً	٣٦٨
٩٣	لن نؤمن لك .... هل كنت إلّا ...	٥٠٣
١٠٦	وقرآنـاً فرقناه	٢٠٤

الكهـف (١٨)

٢٣	ولا تقولنّ لشيء اني فاعلٌ ...	١٢٥
٣٣	ككلتا الجنتين أتت أكلها ولم ...	١٠٠
٥٠	إلّا ابليس كان من الجن ففسق	٣٥ و٨٨
٥٠	أفتتخذونه وذريته أولياء من ...	٨٩
٥٠	بئس للظالمين بدلاً	٣٨٧
٥٣	ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم	١٧٣
٥٩	وتلك القرىٰ أهلكناهم لما ظلموا ...	٢٦١
٧٤	أقتلت نفساً زكية بغير نفس	١٥٥
٧٧	لو شئت لا تخذت عليه أجـراً	٢١٩
٧٧	جداراً يريد أن ينقض	٣٣٤
٧٩	امّا السفينة فكانت لمساكين ...	٩٥

مريـم (١٩)

٨	وقد بلغت من الكبر عتياً	١١٥
٢٣	وكنت نسياً منسياً	١٦٠
٥٩	فخلف من بعدهم خلف أضاعوا ...	٥٥
٥٩	يلقون غيا	١١٣
٧٦	خيرٌ عند ربك ثواباً وخيرٌ مردّاً	٢٧٣
٨١	واتخذوا من دون الله آلهةً	٢١٩

طـه (٢٠)

٢٢	بيضاء من غير سوء	١٩٧
٤٤	فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر ...	٦
٣٠	... أخي	١٤١
٣١	أُشـدد ...	١٤١
٤٠	وفتنّاك فتوناً	٤٢٦
٦٦	يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى	٤٢١
٧٧	فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً	٢٠٥
١٢٠	هل أدلّك على شجرة الخلد	٩٦
١٢١	فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما	١٠٣ و١٩٦

الأنبيـاء (٢١)

١٨	ولكم الويل مما تصفون	٣٤٩
٣٥	ونبلوكم بالشرّ والخير	١٩٩
٣٧	خلق الانسان من عجل	٢٢٠
٤٨	ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ...	٢٢٩

٨٠	وعلّمناه صنعة لبوسٍ لكم	١٤٨
٨٧	إني كنت من الظالمين	١٠١
٩٨	إنكم وما تعبدون من دون الله ...	١٧
١٠٣	لا يحزنهم الفزع الأكبر	١٢٩
١١٢	رب احكم بالحق	٢٨٦

الحجّ (٢٢)

١ـ٢	إن زلزلة الساعة شيء عظيم .... شديد	١٢٨
١٨	الم تر أن الله يسجد له من في ...	٣٣٤
٣٠	فاجتنبوا الرجس من الأوثان	١٣، ٤٤٧
٥٢	اذا تمنّى ألقى الشيطان في ...	٣٤٥
٥٧	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ...	١٣٢
٦٠	ثم بُغي عليه لينصرّنه الله	١٩٠
٦٢	لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً	١١٣
٧٥	يصطفي من الملائكة رسلاً	٥٥، ٩٠

المؤمنون (٢٣)

١	قد أفلح المؤمنون	١٥٧
٢	الذين هم في صلاتهم خاشعون	١٥٧
٤٠	عما قليل ليصبحنّ نادمين	٥٣٣
١١٠	واتخذتموهم سخريا	٢١٩
١١٧	ومن يدع مع الله الهاً	١٤٧، ٢٨٦

النور (٢٤)

٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل	١٤٠

٨	ويدرأوا عنها العذاب	٣٢٣
١٥	تلقونه بألسنتكم	١١٦
٣١	أيـه المؤمنون	٣
٣١	ولا يبدين زينتهنّ إلّا لبعولتهن	٣٢٧
٤٥	والله خلق كلّ دابة من ماء ...	٦٧
٥٤	عليه ما حمّل وعليكم ما حمّلتم	٥٠٥
٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم	٤٣٢
٥٨	طوافـون عليكم	٥٢٧

الفرقـان (٢٥)

٨	وقال الظالمون أن تتبعون إلّا ...	٤٣٨
٢٧	ياليتني أتخذت مع الرسول سبيلا	٢١٩
٤٥	ألم تر الى ربّك كيف مدّ الظلّ	٢١٠، ٢٥١
٥٥	وكان الكافر على ربـه ظهيراً	٣٦٨

الشعـراء (٢٦)

٥٢	إن أسر بعبادي إنكم ...	٢١١
٥٤	إنّ هؤلاء لشرذمـة ...	٢١١
٥٥	وانّهم لنا لغائظون	٢١١
٥٦	وإنّا لجميع حاذرون	٢١١
٦٣	فكان كل فرق كالطود ...	٢٠٣
٦٣	فأوحينا الى موسى ...	٢٠٥
٦٣	ان اضرب بعصاك البحر فانفلق	٢١١ ، ٣٢٥
٩٢	اينما كنتم تعبدون	٤٩٢
١٥٣	انما انت من المسحرين	٤٢٠

١٨٥	انما أنت من المسحرين	٤٢٠
١٨٩	عذابُ يوم الظلّة	٢٥١

النمـل (٢٧)

٣٧	فلنأتينهم بجنود لا ...	١٨٣
٩٠	هل تجزون إلّا ما كنتم	١٨١

القصـص (٢٨)

٨	فالتقطه آل فرعون ليكون لهم ...	٤٨٩
١٤	ولما بلغ أشدّه واستوى	٤٦
١٦	ظلمت نفسي	١٠١
٣٩	وظنّوا انهم الينا لا يرجعون	١٧٣
٤٨	سحران تظاهرا	٣٦٨
٨٨	كل شيء هانك إلّا وجهه	٩٦، ٤٧٥

العنكبـوت (٢٩)

٤٤	خلق الله السموات والأرض ...	٥٠٨
٦٧	أو لم يروا أنا جعلنا حرما ...	٥٢٤

الروم (٣٠)

٤	لله الأمر من قبلُ ومن بَعدُ	٢٢١
٢٥	ثم اذا دعاكم دعوة من ...	٤٩٩
٢٨	ضرب لكم مثلاً من أنفسكم	٢٦
٥٨	ولئن جئتهم بآية ليقولن	٤٣٦

لقمان (٣١)

١٧	واصبر على ما أصابك ...	١٦٧

١٢٥	ولئن سألتهم من خلق ...	١١

السجدة (٣٢)

١٠	أإذا ضللنا في الأرض	٣٣
٢٨	ويقولون متى هذا الفتح	٢٨
٢٩	قل يوم الفتح ...	٣٤٠

الأحزاب (٣٣)

٧	وإذا أخذنا من النبيين	٢٩٥، ٢٩٦، ٤٠٩
٣٥	والخاشعين والخاشعات	١٧١
٣٧	وتخشىٰ الناس والله أحق ...	٢٥
٤٤	تحيتهم يوم يلقونه سلام	١١٣
٦١	ملعونين اينما ثقفوا	٤٩٢

سبأ (٣٤)

١٩	باعد بين أسفارنا	٢٢١
٢٤	قل الله وإنا أو إياكم لعلى ...	٣٢٨

فاطر (٣٥)

٢	ما يفتح الله للناس من رحمة ...	٤٧١
٨	فلا تذهب نفسك عليهم ...	٥٠٥
٤١	ان الله يمسك السموات والأرض	٤٧
٤٢	وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن ...	٣٨

يس (٣٦)

٢٦	ياليت قومي يعلمون	٢٣٨
٤٣	فلا صريخ لهم ولاهم ينقذون	٨٨
٤٤	إلّا رحمة منا	٨٨
٧١	عملت أيدينا	٣٥٠

الصافات (٣٧)

٥٥	فاطّلع فرآه في سوء الجحيم	٤٦٤
١٠٧	وفديناه بذبح عظيم	١٩٧
١٤٣	فلولا انه كان من المسبحين	٦١
١٤٦	وانبتنا عليه شجرة من يقطين	٩٩
١٤٧	وارسلناه الى مائة الف أو يزيدون	٣٢٧
١٥٨	وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا	٩٠

ص (٣٨)

٢٤	وظنَّ داود أنما فتناه	٤٢٦
٣٤	ولقد فتنا سليمان	٤٢٦
٧٥	خلقت بيدي	٣٥٠

الزمـر (٣٩)

٩	أمَّن هو قانت أناء الليل ...	٤٩٤
١٧	... فبشر عبادي	١٤١
١٨	الذين يستمعون ...	١٤١

٢٩ ورجلاً سلماً لرجل ٤٧٥
٣٦ أليس الله بكافٍ عبده ٤٦٠
٣٨ ولئن سألتهم من خلق السموات ... ١١
٤٢ قضى عليها الموت ٤٩٧
٥٣ يا عبادي الذين اسرفوا ١٤١
٥٨ بلى قد جاءتك آياتي فكذّبت ... ٣٥٤
٦٤ . أفغير الله تأمروني أعبد ٣٥٧
٦٨ فصعق من في السموات ومن ... ٢٤٣
٧٣ حتّى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ٨٥

غافر (٤٠)

١١ امتنا إثنتين واحييتنا إثنتين ٤١
١٧ اليوم تجزى كل نفس ما كسبت ١٨٢
٤٧ واذ يتحاجّون في النار ٩٤
٦٤ جعل لكم الأرض قراراً ١١١

فصّلت (٤١)

٥ قالوا قلوبنا في اكنة مما ... ٣٧٩، ٣٨١
٩ أإنكم لتكفرون بالذي خلق ... ٥٠
١٠ وجعل فيها رواسي من فوقها ... ٥٠
١١ فقال لها وللأرض ائتيا ... ١٢٦، ٤٩٨
١١ إئتيا طوعاً أو كرهاً قالتا ... ٣٠٣
١٢ فقضاهن سبع سموات في ... ٤٩٦، ٤٩٧
١٣ فان اعرضوا فقل انذرتكم ٢٤٣

٤٠	اعملوا ما شئتم	١١٠

الزخـرف (٤٣)

١٣	لتستووا على ظهوره	٤٦
٤٤	وإنه لذكر لك ولقومك	١٣٦
٤٩	يا أيـه الساحر	٣
٨٧	ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن ...	١١

الدخـان (٤٤)

٣	إنا أنزلناه	١٦٨
٤	فيها يفرقُ كل أمرٍ ...	٢٠٤
٣٢	ولقد أخترناهم على علم ...	٥٥
٤٧	خذوه فاعتلوه الى سواء ...	٤٦٤

الجاثية (٤٥)

٢٤	أن هم إلّا يظنّون	١٧٣

الاحقـاف (٤٦)

٩	ما كنت بدعاً من الرسل	٤٩٦

محمّد (٤٧)

١	الذين كفروا وصدّوا عن سبيل ...	٢٩٥
٤	فاذا لقيتم الذين كفروا ...	١١٣

١٦ ومنهم من يستمع اليك ٤٧٦
١٧ والذين اهتدوا زادهم هدىً ... ٣١
٢٤ افلا يتدبرون القرآن ٣٨٠

الفتح (٤٨)

١٢ وظننتم ظنّ السوء ١٧٣
٢٩ سيماهم في وجوههم ١٩٦

الذاريات (٥١)

١٣ يوم هم على النار يفتنون ٤٢٧
٣١ فما خطبكم أيها المرسلون ٣٠٨
٣٢ قالوا أنا أرسلنا ٣٠٨
٥٣ أتوا صوابه ٥٠٣

النجم (٥٣)

٩ فكان قاب قوسين أو أدنىٰ ... ٣٢٩

القمر (٥٤)

٥ حكمة بالغة ٧٤
٢٠ كأنهم اعجاز نخل منقعر ٣١٤
٢٧ انا مرسلو الناقة ١٧٥

* * *

الرحمٰن (٥٥)

١٣ فبأي آلاء ربكما تكذبان ٥١٤
١٩ مرج البحرين يلتقيان ٢٠٥
٢٦ كلّ من عليها فان ٤٧٥
٢٧ ويبقى وجه ربك ٤٧٥
٣١ أَيـه الثقلان ٣
٤١ يعرف المجرمون بسيماهم ١٩٦
٦٨ فيهما فاكهة ونخل ورمان ٢٩٥، ٤٠٨
٧٠ فيهنّ خيرات حسان ٢٣٨

الواقعة (٥٦)

٦٥ فظلتم تفكّهون ٢٥١
٩٥ حقّ اليقين ٣٧٨

الحديـد (٥٧)

١٣ انظرونا نقتبس ... ٢٠٨، ٤٤٥

المجادلـة (٥٨)

١٦ اتخذوا أيمانهم جنّة ٢١٩

الحشـر (٥٩)

٢ يخربون بيوتهم ٥٣٢
٧ وما آتاكم الرسول فخذوه ... ١٥٧

١٢ لئن أُخرجوا لا يخرجون ... ٤٣٥
٢١ لو أنزلنا هذا القرآن على ... ٣٣٣

الممتحنة (٦٠)

١ لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم ... ٢١٩
٤ انا برآء منكم ٢٣٢

الجمعة (٦٢)

١١ واذا رأوا تجارة أو لهواً ١٢٣، ١٦٩

المنافقون (٦٣)

٤ قاتلهم الله ... ٢٣٤، ٢٣٥

التغابن (٦٤)

١١ ومن يؤمن بالله يهد ... ٣١

الطلاق (٦٥)

١ يا أيها النبيّ إذا طلقتم ... ٢٢٧، ٤٦٠

التحريم (٦٦)

٤ والملائكة بعد ذلك ظهير ٣٦٨
٦ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ... ٨٨
٦ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ... ٨٩

الملك (٦٧)

٨ ألم يأتكم نذير ٣٣٦
٩ قالوا بلى ٣٣٦
١٧ أَم أمنتم من في السماء ٣٥٤

القلم (٦٨)

٦ بأيّكم المفتون ٤٢٧

الحاقة (٦٩)

٧ كأنهم أعجاز نخل خاوية ٣١٤
٢٠ ظننتُ أني ملاقٍ حسابيه ١٧٢

نوح (٧١)

١ إنا أرسلنا نوحاً الى قومه ٢٩٨
١٧ انبتكم من الأرض نباتا ٣٨

الجن (٧٢)

١٨ وإن المساجد لله ٨٣

المزمّل (٧٣)

٧ إن لك في النهار سبحاً ... ٦١
١٨ السماء منفطر به ٤٨
٢٠ طائفة من الذين معك ٥٢٧

الانسان (٧٦)

٣ إما شاكراً وإمّا كفوراً ١٢٩

١١ ولقّاهم نضرةً وسروراً ١١٣

١٥ قواريرا ٢٨٣

النازعات (٧٩)

٢٧ انتم أشد خلقاً أم السماء ... ٤٩

٢٨ رفع سمكها فسواها ٤٩

٣٠ والأرض بعد ذلك دحاها ٤٩

عبس (٨٠)

٢١ ثم أماته فأقبره ٤٥٣

التكوير (٨١)

٢٦ فأين تذهبون ٤١

الأعلى (٨٧)

١٠ سيذكر من يخشىٰ ٤٢٩

١١ ويتجنبها الأشقىٰ ٤٢٩

الفجر (٨٩)

٣ والشفع والوتر ١٨٤

التين (٩٥)

٦ أجر غير ممنون ٢٥٤

القـدر (٩٧)

١	إنا أنزلناه	١٦٨

القيامـة (٧٥)

٢٣	الى ربّها ناظرة	٢٠٨
٤٠	أليس ذلك بقادر على ...	٤٦٠

الهُمزة (١٠٤)

٣	يحسب أنّ ماله أخلده	٣٩٣

فهرس الأحاديث

آدم عليه السلام

اللّهمّ لا إله إلّا ... ١١٨

النبيّ صلى الله عليه وآله

اختلف بنو إسرائيل بعد موسىٰ ٢٨٧

ادخرت شفاعتي لأهل ... ١٨٥

اقتلوا القاتل واصبروا الصابر ١٦٧

ألاّ يحجّ بعد العام مشرك ولا يطوف... ٤٨٤

اما العظام والعصب والعروق ... ٤٠٧

إنّ إبراهيم عليه السلام حرّم مكّة وأني حرّمت المدينة ٥٢٩

إنّ حجراً كان يسلّم عليّ في الجاهلية ... ٣٣٢

إنّا أُمة أُميون لا نكتب ولا نحسب ٣٤٣

انصر أخاك ظالماً ومظلوماً ١٨٩

انما المؤمنون في تعاطفهم وتراحمهم... ٣٦٤

إنّ من البيان لسحرا ٤٢٠

انه لعن المصوّرين ٢٢١

انهم أُمروا بأدنىٰ بقرة ٣١٠
أيّهما علا ماؤه كان الشبه له ٤٠٧
البرّ ما أطمأنت إليه نفسك والاثم ... ٣٦٩
تنام عيناي وقلبي يقظان ٤٠٧
جبريل ٤٠٧
جعلت لي الأرض مسجداً... ٤٨٢
خلق الله آدم من ... ٦٣
دحيت الأرض من مكة... ٥٦
سأله قومه أن يجعل لهم ذات أنواط ٤٦٢
طول القنوت ٤٩٣
كل بدعة ضلالة ٤٩٦
الكمأة من المنّ وماؤها.. ٢٥٤
لا تنبز بإسمي ٦٥
لا تشريق إلّا في مصر ومسجد جامع ٤٨٧
لا ضرر ولا ضرار ٤٣٠
لا يتراءى أحدكم في الماء ٢٤٠
لستُ بنبيءُ الله ولكنّي نبيّ الله ٢٧٨
لو أن اليهود تمنّوا الموت ... ٣٩٩
من سنّ سنَّة حسنة فله أجرها... ١٤٥
من نظر في صير باب .. ٥٣٢
النشيج للرجال والتصفّح للنساء ٤٦٧
نعم ما المال للرجل الصالح ٣٨٦
نعم هو لكم كالمائدة لبني إسرائيل... ٤٦٢
يا أُخوة القردة والخنازير ٣٤٠

ينقل هذا العلم من ... ٥٥

الامام عليّ بن أبي طالب عليه السلام

انّه أراد النبوّة ٤٤٧

شجرة الكافور ١٠٠

لا أُبالي سقط الموت عليّ... ٤٠٤

اللّهمّ سئمتهم وسئموني... ٤٠٤

اللّهمّ عجل اليّ الراحة وعجل... ٤٠٤

الامام علي بن الحسين عليهما السلام

انّه أراد جميع الأرض ٤٨٢

الامام الباقر عليه السلام

أن أحبار اليهود كانت غيّرت... ٣٥١

انّه الحنطة ٢٨٠

انّه أراد النبوّة ٤٤٧

تحمل إليهم من الآفاق ٥٣٣

رب إني ظلمت نفسي... ١١٨، ١١٩

كان قوم من اليهود ليسوا ... ٣٤١

كان ليحيىٰ بن أخطب وكعب... ١٤٦

لا يكون الظالم إماماً ٥٢٠

لم يؤمر رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل ... ٤٦٩

وقولوا للناس حسناً للناس كلّهم ٣٦١

هذه الكلمة سبّ بالعبرانية... ٤٤٤

الامام الصادق عليه السلام

أن الملائكة سألت الله...	٦٣
إنما ضرب الله بالبعوضة..	٢٤
حقّ التلاوة الوقوف عند ذكر...	٥١٢
فلما أُجيبوا بما ذكر...	٦٣
لايكون الظالم إماماً	٥٢٠
المنّ كان ينزل على بني إسرائيل..	٢٥٧

فهرس أسماء المعصومين

آدم عليه السلام: ٤٢، ٥٦، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٦، ٨٩، ٩٣، ٩٥، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١١٩، ١٢٤، ١٧٩، ٢٢٠، ٢٩٧، ٣١٠، ٤٢٥، ٤٧٢.

ابراهيم عليه السلام : ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩، ٥٣١.

إدريس عليه السلام : ٤٢٦.

اسماعيل عليه السلام: ٥٢٦.

الباقر (أبو جعفر) عليه السلام : ١١٩، ١٤٦، ٢٨٠، ٣٠٥، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٥١، ٣٦١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٦٩، ٥٠٥، ٥٢، ٥٣٣.

حواء عليها السلام : ١٠١، ١١٠، ٤٧٢.

سليمان عليه السلام : ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٤.

شعيب عليه السلام : ٥٦.

الصادق (أبو عبدالله) عليه السلام: ٢٤، ٦٣، ٨٧، ٢٥٧، ٥١٢، ٥٢٠.

صالح عليه السلام : ٥٦.

الإمام علي عليه السلام : ١٠٠، ٤٠٤، ٤٤٧.

عيسىٰ عليه السلام : ١٣٠، ١٤٢، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٩٠، ٤٧٧، ٥١٤.

محمّد صلى الله عليه وآله رسول الله النبي: ١٢، ١٣، ١٥، ١٧، ٣٧، ٤٤، ٥٥، ٥٦، ٦٣، ٦٥، ٧٥،

١١٤، ١١٩، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٧٩، ١٨٥، ١٨٨، ٢٢١، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٤، ٢٦٥، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣١٥، ٣١، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٥٦، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٢، ٣٨١، ٣٨، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣٧، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٣، ٥٠٥، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥٢٩، ٥٣١.

الإمام المهدي (عج): ٤٨٥.

موسىٰ عليه السلام: ٦، ٤٣، ١٢٧، ١٤٢، ١٥٠، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٩، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٧، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٨، ٣٢٥، ٣٣١، ٣٣٧، ٣٤٧، ٣٦٤، ٣٧٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤١٠، ٤٦٤، ٥٠٣.

نوح عليه السلام: ٥٦، ٦٧، ٢٩١.

هارون عليه السلام: ٦، ٢١٦، ٢٢٢.

هود عليه السلام: ٥٦.

يعقوب عليه السلام: ٨٦.

يوشع عليه السلام: ٢١١.

فهرس الأعلام

آصف : ٤١٤ .

إبليس : ٦٢، ٨٠، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١٠٢، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٢، ٤١٨ .

ابن أبي إسحاق : ١٣٠ .

ابن أبي نجيح : ٢٩١، ٤٥٥ .

ابن الأخشاد (أبو بكر أحمد بـن عـلي): ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٨٦، ٩٦، ١٢٢، ١٢٨، ٢٢٤، ٤٥١، ٤٥٢، ٥١٦.

ابن أُذينة الثقفي : ٢٧٤ .

ابن أحمر: ١٦٩ .

ابن اسحاق (محمد) : ١٠٢، ١٩٥، ٣٣٧، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٥٠٤.

ابن بيض : ٤٩٠ .

ابن جدعان : ١٠٠ .

ابن جـريج : ١٣، ١٤، ٢١، ٨٧، ١٠٠، ١٤٤، ١٧٢، ٢٣٦، ٢٥٦، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٧، ٣١٥، ٣١٦، ٣٥٥، ٣٦٢، ٤١٦، ٤١٨ .

ابن حمزة : ٣٣٥.

ابن الحنفية : ٣٦١ .

ابن دريد : ١١٠، ١٣١، ١٥٩، ١٦٤، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٦، ٢٢١، ٢٣٤، ٢٥٥، ٢٦٠، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥١٨.

ابن ربع الهذلي : ٥١.

ابن زيد : ٢١، ٦٧، ٨٧، ١١٨، ١٥٠، ٢٣٠، ٢٥٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٣٢٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٢١، ٤٣٣، ٤٦٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٩، ٥١١، ٥١٣.

ابن سابط : ٥٦.

ابن ساهي : ٥١٥.

ابن سيرين : ٣٢٣، ٣٢٧.

ابن صوريا : ٤٠٧، ٤١٠.

ابن عامر : ٧٢، ٣٠٧، ٤١٦، ٤٤٨، ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٥، ٥١٦، ٥٢٢، ٥٢٥، ٥٣١، ٥٣٣.

ابن عباس: ٥، ١٠، ١٣، ١٤، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٢٤، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٦، ٧٤، ٧٥، ٨٧، ٩١، ١٠٠، ١١٩، ١٣٥، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٨٨، ٢١٢، ٢٢٢، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٨٠، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٨، ٣٢٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٧٠، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٣، ٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٩، ٤١٢، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٢، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٢، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٨٠، ٤٨٩، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٥، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣١.

ابن عمر : ٤٨٩.

ابن كثير : ٧٣، ١١٣، ١٤١، ١٧٩، ٢١٣، ٣٢٥، ٣٥٧، ٣٧٥، ٤٠٤، ٤٤٨.

ابن مجاهد : ٢٣١، ٢٨٠.

ابن محيص : ٣٧٩.

ابن مسعود : ١٠، ١٦، ٢٠، ٢٣، ٤١، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٢، ٧١، ٨٧، ١٠٠، ١١٦، ٢٨٠، ٢٨٢، ٣١٤، ٤٢٢، ٤٤٥، ٥١٢، ٥٢١ .
ابن المسيب : ٨٧.
ابن نجا : ٤٧١.
ابن نجران : ٢٩٨ .
أبو الأحوص : ٤١.
أبو الأسود الدؤلي : ٣٢٨، ٤١٣، ٤٢٢ .
أبو بكر : ٤٠٥ .
أبو جعفر المدني: ٧٣، ٨٢، ٢١٣، ٣٤٣، ٥٢٣ .
أبو حاتم : ٩٥.
أبو الحسن الأخفش: ٢١، ٢٩، ٤٧، ٦٩، ٨٩، ١٣٥، ١٤٣، ١٥١، ١٥٩، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٠، ٢١٥، ٢١٦، ٢٥٥، ٣٦١، ٤٠٥، ٤٢٧، ٤٨٤، ٥٠١، ٥٠٧، ٥٢٤.
أبو حذيفة : ٥٢٠.
أبو الخلد : ٥١٦ .
أبو داود : ١٧٢ .
أبو ذؤيب : ١٣٠، ٤٤٦، ٤٩٦ .
أبو رجاء العطاردي : ٤٥٨ .
أبو رعاية السلمي : ٢٨٨ .
أبو زيد : ٨، ٧٧، ١٥٥، ٢١٩، ٢٢١، ٢٧٠، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٩٠، ٢٩١.
أبو سعيد الخدري : ٣٥٠.
أبو شريح الخزاعي : ٥٢٩ .
أبو صالح : ٤٢.
أبو طاهر : ٢٣١ .

أبو العـالية : ١٤٤، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٩، ١٨٨، ٢١٦، ٢٢٣، ٢٣٠، ٢٧٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩٨، ٣٠١، ٣١٣، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٩٥، ٤٠١، ٤٤٣.

أبو عبدالله السلمي: ٣٢٠.

أبو عبيدة : ١٩، ٢٠، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٨٥، ٩٥، ١١٤، ١١٦، ١٣١، ١٩١، ١٩٤، ٢٧٠، ٢٨٨، ٣٠٢، ٣١٠، ٣٢٢، ٣٤٢، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٨٣، ٣٨٦، ٣٩٠، ٤٥٣، ٤٥٦، ٤٩٤.

أبو عبيدة السلماني : ٣٢٣.

أبو عثمان : ٢٧٧.

أبو علي الفارسي : ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٩١، ٣٨٠، ٤٠٦، ٥٠١، ٥٠٨، ٥٢٥.

أبو عمرو بن العلاء: ٧٢، ٢٣١، ٢٣٨، ٣٠٧، ٣٧٠، ٤٤٨.

أبو مسلم (محمد بن بحر): ٢٨٢، ٣٤٦.

أبو مسلم (محمد بن يحيىٰ): ١٠٢، ١٦٢، ١٩١، ٢٣٠.

أبو موسى الأشعري : ٤٥١.

أبو مهدية : ١١٤.

أبو النجم : ٢٣٤، ٤٩٧.

أبو نخيلة السعدي: ٤٢.

أبو وايل : ٣٥٥.

أبو هاشم : ٧١، ١٢٢.

أبو هريرة : ١١٤، ٢٨٧.

أبو ياسر بن أخطب : ٤٦٦.

أُبي بن كعب : ٧١.

أحمد بن صالح : ٧٢، ٧٣.

أحيحة بن الجلاح : ٢٨٠ .
الأحنف : ٢٠٠ .
الأحوص : ١٨٧ .
أخشاذ : ١٩٤ .
الأخطل : ١٤٨، ١٧٦، ١٩١، ٣١١، ٤٦٣، ٤٦٥ .
الأزهري : ٢٨٠، ٢٨١ .
إسحاق : ٢٣٥ .
إسماعيل : ٢٣١ .
الأسود بن يعفر: ٥١، ٥٢ .
الأشجعي : ٢١ .
أشهب بن رميلة : ٥٠٢ .
الأصمعي : ٩٧، ١٥٦، ٣١٩، ٣٤٩، ٣٨٩، ٤٧٦، ٤٨٣ .
الأعرج : ١٢٩ .
أعشى بني ثعلبة : ٤٨، ٥٠، ٩٠، ١٩٨، ٢١٤، ٢٥٤، ٢٦٢، ٣١٢، ٣١٩، ٣٣٧، ٣٤٣، ٤٤٣، ٤٧٥ .
أعشىٰ همدان : ٤٢٦ .
الأعمش : ٧٢، ٢٧٢، ٣١٤ .
إلياس : ١٣٥ .
امرؤ القيس :٩٨، ١١٦، ٢٣٤، ٢٣٩، ٢٦٣، ٣٧٦، ٤٢٠.
أمّ عامر : ٥٨ .
أُميّة بن أبي الصلت : ٥٤، ٢٣٢، ٢٥٤، ٢٨٠، ٤٣٣، ٤٥٩، ٥٠٦، ٥٢٢.
أُميّة الصغير : ٢٠٤ .
أنس بن مالك : ٤٥٢ .

أُويس : ٧٣ .
أوس بن حجر : ١٧٢ .
البرجمي : ١٦٨، ٢١٣ .
بشر بن معرور : ٣٨٣ .
البلخي (أبـو القـاسم): ١١، ١٦، ٦٦، ٧٠، ٨٦، ٨٧، ١٠٤، ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٩١، ٣٣٧، ٤٠٩، ٤١٥، ٤٤٧، ٤٦٤، ٤٨٠، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٠٥، ٥١٧ .
تبع : ١٩٤، ٣٤٤ .
تغلب : ٢٢٩ .
توبة بن الحمير : ٣٢٧ .
ثعلب : ٢٩ .
جابر بن عبدالله : ٤٩٣ .
الجبائي (أبو علي) : ١١، ٢٢، ٦٦، ٦٨، ٧٧، ٨٦، ٨٩، ٩٦، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٥، ١٣٩، ١٦٥، ١٨٠، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٤٧، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٩٩، ٣٠٥، ٣١٠، ٣٣١، ٤١٢، ٤١٤، ٤١٦، ٤٢٤، ٤٣٣، ٤٣٧، ٤٤٠، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٦٠، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٩، ٤٩٠ ، ٤٩١، ٤٩٦، ٥١١، ٥١٣، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨ .
الجحدري : ١٣٠ .
الجرمي : ٢٣١ .
جرير : ٩، ٤٠، ٥٨، ٦١، ٧٤، ١٩١، ٢٤١، ٢٨٣، ٣٢٧، ٣٣٢، ٣٣٥، ٤١٨، ٤٦٠.
جعفر بن زهير : ١٠٠ .
جميل بن معمر : ٢٠٩، ٢٦٥، ٤٦٠.
الحارث بن حلزة : ٤٣١.
الحارث بن حوط : ١٤٩ .

الحارث بن كلدة : ٩٧ .

الحارث بن هشام : ٤٦٨ .

الحارثي : ٥٢٣ .

الحجاج : ٤٥٣ .

حذيفة : ٤٠٤ .

حسان بن ثابت : ٩، ٢٧، ٤١٧، ٤٦٤، ٤٧٢ .

الحسن البصري : ٤، ٢١، ٤٠، ٤٦، ٥٦، ٨٠، ٨٧، ٨٩، ٩٦، ١١٠، ١١٢، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٣٩، ١٥٠، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٩، ١٩٠، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤٦، ٢٦٢، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٧، ٢٩١، ٣١٢، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢، ٣٤٢، ٣٨٩، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٣٣، ٤٣٩، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٦٦، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٩٠، ٤٩٤، ٥٠٢، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٣١ .

الحسين بن علي المغربي: ٥٣، ٢٨٨، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٤٥، ٤٤٤، ٤٦٤، ٥١٧ .

الحطيئة : ١٨٦، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٣١ .

حفص : ٢١٣، ٥١٥ .

حمزة : ١٠٥، ٣٥٧، ٣٦٧، ٤٠٥، ٤١٦، ٥١٥ .

حي بن أخطب : ٤٦٦ .

خاقان : ١٩٤ .

خفاف بن ندبة : ٣٦٩، ٥٣٠ .

خلف : ٤٠٥، ٤١٦ .

الخليل : ١٩، ١٥١، ٢٥٥، ٢٦٧، ٢٩١، ٣٦٥ .

الخنساء : ١٩٤ .

الداجوني : ٧٧، ٤٤٨ .

دريد بن الصمت : ١٧١ .

الراعي: ١٦٣.
رافع بن خزيمة: ٤٦٢.
رافع بن خويلد: ٤٧٧.
الربيع بن أنس: ٢٣، ٦٧، ١٧١، ٢١٦، ٢٥٩، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٩٨، ٣١٦، ٣٣٧، ٣٦١، ٣٧٧، ٣٧٨، ٤٠١، ٤١٧، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٤٠، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٩٤، ٥٠٣، ٥١٧، ٥١٨، ٥٢٥، ٥٢٦.
الربيع بن غيثم: ٣٥٥.
رفاعة بن زيد: ٤٤٣.
الرماني: ٢٠، ٢٥، ٤٧، ٥٣، ٥٥، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٨، ٨٠، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٦، ١٠٢، ١٤٤، ١٥، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٣، ١٨٠، ٢١٦، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣١٠، ٤٣٦، ٤٤٧، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦٣، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٩٠، ٤٩٦، ٤٩٨، ٥٢٦.
رؤبة: ٢٨، ٩٢، ٢٧٤، ٣١٠، ٣٢٣، ٣٧٨.
الزجاج: ٨، ١٦، ٢٧، ٢٨، ٤١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٩١، ١١٠، ١٤٤، ١٧٦، ١٨٠، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٥٤، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٨١، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٠٢، ٣١١، ٣١٦، ٣٢٧، ٣٤٨، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤١١، ٤١٥، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٦٨، ٤٧٠، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١، ٤٩٣، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٩، ٥٢٤.
الزهري: ٥٣، ٤٦٦.
زهير: ١٤٥، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٥٨، ٣٩٥.
زيد الخيل: ٣٣٤.
زيد بن أرقم: ٤٩٣.
زيد بن ثابت: ٥١٩.
زيد بن علي: ٤٨٢.

زيد بن عمرو بن نفيل : ٤٧٥ .
الزينبي : ٧٧ .
السامري : ٢٢٢ .
سحارة : ٢٣١ .
السدّي : ١٠٠، ١٨٢، ٢٤٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٨، ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٣٧ ، ٣٤، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٨٩، ٣٩٦، ٤١٤، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٦٢، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٤، ٤٩٥، ٥٠٣، ٥٢٠، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩ .
سعيد بن المسيب : ١٠٧، ٤٥٨ .
سعيد بن جبير : ٦٦، ٢٣٥، ٣١٣، ٣٣٩، ٣٥٢، ٤١٩، ٥٢٧، ٥٢٨ .
سعيد بن مالك بن ضبيعة : ٥٠٦ .
سفيان الثوري : ٣٦٢، ٤٣٢، ٤٣٣ .
سلامة بن الجندل : ٩٤ .
سلمان الفارسي رضي الله عنه : ٢٩٤ .
سيبويه : ٦، ٢٨، ٢٩، ٦٠، ٧٩، ٨٨، ١١٦، ١١٧، ١٣٩، ١٥١، ١٨٠، ٢٣٨، ٢٧٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٤١١، ٤٢٧.
شقيق بن سلمة : ٣ .
الشماخ بن ضرار : ٣٨١ .
صوريا : ٤٠٧ .
الضحاك : ٢١، ٥٩، ١٧٠، ٢٩٧، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٥٢، ٣٧٧، ٤٢٢، ٤٤٥ .
ضرار: ٢٦٥ .
الطبري : ٣٧، ٦٦، ٨٠، ٨٧، ٩١، ١٦٥، ٢١٦، ٤٦٠، ٤٨١ .
طرفة : ١٦٠، ٣٧٩، ٣٩٦، ٤٥٦، ٥٢٠ .

الطرماح : ٤٢٠ .
الطريح بن اسماعيل : ٢٠٨ .
عائشة : ٢٦٥، ٤٢٢ .
عاصم : ٣٦٧ .
عاميل: ٣٢٥ .
عبادة بن الصامت : ٢٨٥ .
العباس بن مرداس : ٢٧٦ .
عبد الله : ٤١، ٥٠٦ .
عبد الرحمن : ٣١٨ .
عبد اللّه بن سلام : ٤١٣ .
عبد الملك بن هشام: ٣٤٥ .
عبد بني الحسحاس : ٥٤ .
عبد مناة بن يربع : ٥١، ٥٢ .
عبيد بن عمير : ٤٥٥ .
العجّاج : ٩١، ١٥٠، ٢٩٧، ٣٧٦، ٤٩٨ .
عدي بن زيد : ٥٤، ٢٣٠، ٢٨٣، ٣٠٦، ٤٨٦ .
العطار : ٧٧ .
عطاء : ٣٦١، ٣٨٩، ٤١٧، ٤٤٣، ٤٥٥، ٤٧٩، ٥١٢، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩ .
عطية : ٤٤٣، ٤٥٥ .
عكرمة : ٢٦٢، ٣٠٥، ٣١٩، ٣٢٤، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٨٠، ٣٨٩، ٥٢٨ .
علقمة : ٤، ٤٤٥ .
عمار رضي الله عنه : ٤٠٤ .
عمر بن الخطاب : ٩٧ .

عمر بن حممة الدوسي : ٤٩٧ .
عمر بن لحاء : ٣٣٠ .
عمرو بن عبيد : ٩٦ .
عمير بن طارق : ١٧١ .
الفـراء : ١٣، ٢٧، ٣٥، ٤٥، ٤٧، ١٤٣، ١٤٦، ١٦٩، ٢١٠، ٢٢٩، ٢٨٠، ٢٩٨، ٣١٠، ٣١١، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٥، ٣٥٤، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩١، ٤٠٢، ٤٣٥، ٤٣٩، ٤٦٣، ٤٨٠، ٤٨٦، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٢٤، ٥٢٨.
الفرزدق : ٧، ٢٨٣، ٢٩٣، ٤٧٦ .
فرعون: ١٢٧، ١٩١، ١٩٤، ٢٠١، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢٣٠ .
الفضل بن سلمة : ١٩، ٢٥، ٥٣، ٦١، ١٥٦ .
القاسم بن محمد : ٤٢١ .
قالون : ٧٢ .
قتادة : ٢١، ٢٣، ٢٤، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٦، ٨٦، ٨٧، ١١٨، ١٢٤، ١٥٩، ١٧٩، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٩، ٢٦٢، ٢٧٠، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣١٣، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٤، ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٥، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٧٧، ٣٩٥، ٤١٢، ٤١٧، ٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٤، ٤٢٧، ٤٢٩، ٤٣٣، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٥٢، ٤٥٦، ٤٦٦، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٨٠، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٩، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١١، ٥١٢، ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨ .
القطامي: ٢٧٦، ٤٢٨ .
قطرب : ١٣٥، ٢٢٩ .
قنبل : ٧٣ .
قيصر : ١٩٤ .
كثيّر عزّة : ١٠٥، ٤١٤ .

الكسـائي : ١٩، ٧٠، ٩٧، ١٨٠، ١٩٣، ٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨٤، ٣٠٧، ٣٤٥، ٣٥٧، ٣٦٧، ٣٨٧، ٤٠٥، ٤١، ٤٣، ٤٣٨.

كسرى : ١٩٤.

كعب : ٤٢٥.

كعب الاحبار : ٤١٣.

كعب بن الأشرف : ١٤٦، ٤٦٦.

كعب بن زهير : ٢٧، ٣١٧، ٤٢٨، ٤٣٤.

كعب بن مالك : ٣٤٥.

الكلبي : ١٠٠، ١٩١.

الكميت : ٢٦، ٣٢، ٢١٨، ٤٦١، ٤٨٨، ٥٣٢.

كيسان : ٢٧٧.

لبيد بن ربيعة : ٥٤، ١٢٤، ١٥٦، ٢٥١، ٣٥١، ٤٢٠.

ليلىٰ الأخيلية : ٢٨٥.

ماروت : ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٥.

المازني : ٤.

المالكي : ٧٧.

المبرّد (أبـو العـباس) : ٦٣، ٩٧، ١٤٣، ١٦٣، ١٦٦، ١٧٢، ١٨٦، ٢٢٤، ٢٣٥، ٢٥٩، ٢٦٤، ٤٢٦.

مجاهد : ٥، ١٠، ١٣، ١٤، ٢٠، ٢٤، ٤١، ٦١، ٦٦، ١١٨، ١٧٢، ١٧٩، ٢٣٠، ٢٣٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣١٢، ٣٢٤، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٥٢، ٣٥٥، ٤٠١، ٤٢٧، ٤٣٣، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥، ٤٥٥، ٤٦٢، ٤٧٤، ٤٨٠، ٤٩٠، ٤٩٣، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥١٢، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢٧، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٩.

محمّد : ٢٧٢ .
محمد بن كعب : ٣١٨ .
مسروق : ١٩ .
مصعب بن الريان : ١٩٥ .
معاذ بن جبل : ٣٨٣ .
المعدّل : ٢٣١ .
مفضل بن سلمة : ٩، ٣٤٩ .
مهلهل : ٣٨١ .
المؤرج : ٣١٧، ٣٩٠، ٤٧٣ .
النابغة الذبياني : ٧، ٢٨، ٨٨، ١٨٧، ٥٢٨ .
نافع : ٧٣، ٢٥٨، ٢٨٧، ٢٩٠، ٣٠٧، ٥٠٥، ٥٢٢، ٥٢٥ .
النخعي : ٤٩٠ .
نمر بن تولب : ٥٢ .
نواس بن سمعان : ٣٦٩ .
هاروت : ٤١٤، ٤٢٤، ٤٢٥ .
الهذلي (المتنخّل) : ١٥٩ .
هشام : ٧٧، ٤٤٨ .
هشام بن عبد الملك : ٥٣٢ .
واصل بن عطاء : ٩٦ .
ورش : ٧٣ .
ورقة بن نوفل : ٥٢٤ .
الوليد بن مصعب : ١٩٥ .
وهب بن زيد : ٣١٩، ٤٦٢ .

يحيىٰ بن أبي كثير : ٢٠، ٤٠٥ .
يحيى بن أخطب : ١٤٦ .
يزيد بن مفرغ الحميري : ٣٨٨ .
يعقوب : ٣٦٧ .
يونس : ١٠١ .

فهرس الاشعـار

صدر البيت	القافيـة	الشاعر	الصفحة
		[الألف]	
أدان	وفىٰ	أبو ذؤيب	٦٥
.....	وموسى	أُمية بن أبي الصلت	٥٢٢
إذا ما	به بدا	زائدة بن صعصعة الفقعسي	٣٠٠، ٣٩٣
		[الهمزة]	
أتهجوه	الفداءُ	حسان بن ثابت	٩
واذا نظرت	نعماء	الطريح بن اسماعيل	٢٠٩
تحمّل	العفاء	زهيـر	٢٢٦
فاني لو	كفاء	زهيـر	٣٥٨
وابري	الهناء	زهير	٣٥٨
فصحوتُ	داء	زهيـر	٣٩٥
آذنتنا	الثواء	الحارث بن حلّزة	٤٣١

أمن	سواء	حسان بن ثابت	٤٧٢
تحبين	الشتاءِ		٤٨٦

[الباء]

تجلد	وعيبا		٧٢
ابني حنيفة	أغضبا	جرير	٧٤
وما ذنبه	لتضربا	الاعشىٰ	٣١٥
فدعدعا	الغربا	لبيد	٤٨٨
وطائفة	ومذنبُ	الكميت	٣٣
أقول	مصعب	.....	٤٦
وفيها من	صعاب	أُمية بن أبي الصلت	٥٤
ليس	مربوب	سلامة بن جندل	٩٤
فلست	يصوب	.....	٥٣
فمن يك	لغريب	البرجمي	١٦٨
إني	المهرب	.....	٢٨٥
أجدّوا	ومصوّب	الاعشىٰ	٣٣٧
الى السراج	رهب	الكميت	٤٦١
عنه الىٰ	وارتقبوا	الكميت	٤٦١
وقيل	ثلبوا	الكميت	٤٦١
لجّ	واللجب	الكميت	٤٦١
أنت	النسب	الكميت	٤٦١
كأنه	الخرب	ذو الرّمة	٤٨٣
نقيم	الحواجبِ	ابن أُذنية الثقفي	٢٧٤

وأفْلت	الضراب	بشر بن أبي حازم الاسدي	١٥٥
تلك خيلي	كالزبيب	الاعشىٰ	٣١٢
ليس بيني	الرقاب	ابن الأيهم التغلبي	٣٤٦
حلفت	بصاحب	النابغة الذبياني	٣٤٦
وقفي على	المتحصّب	امرؤ القيس	٣٧٦
تمني	بيثرب	.....	٣٩١
وكيف	مرحب	النابغة الجعدي	٣٩٧
أرانا	وبالشراب	امرؤ القيس	٤٢٠
فقالت	يثقب		٤٩٨
أيا جحمتي	المذانب		٥٠٧

[التـاء]

واني وإن	أزلت	كثيّر عزّة	١٠٦
وقبلك	ولا دعوتُ	.....	١٤
أُري	بالترّهات	سراقة البارقي	٢٤٥
اسيئي	تقلتِ	كثيّر عزّة	٣٥٨
......	أُباة		٨٤

[الجيـم]

......	فهاجا		٨
كانوا	تعتلج		١٥٥
وأراكم	للازواج		٩٧

[الحـاء]

ياليت	ورمحا	عبد الله بن الزبعرىٰ	٢٢٩
والحرب	والمراحُ	سعيد بن مالك بن ضبيعة	٥٠٦ ،٨٨
إلّا الفتى	الوقاح	سعيد بن مالك بن ضبيعة	٥٠٦ ،٨٨
بدت	أملح		٣٢٩
وقد كنت	بايح	.....	٣١٨
نام	مذبوح	أبو ذؤيب الهذلي	١٩٨
.....	وذبح	الاعشىٰ	١٩٨
أغرّك	رابح	كثيرّ عزّة	٨٣
مثاب	الطلائح	ورقة بن نوفل	٥٢٤
وجوه	بالفلاحِ		٢٠٩
فمن	بقرواح	عبيد بن الابرص	١٩٢
أبحتَ	بمستباح	جرير	١٨٠
ألستم	راح	جرير	٤٦٠ ،٥٨
ألا أنّ	ومنادح	جميل بن معمر	٤٦١
ضربناهم	الصفائح		٤٦٧

[الـدال]

بينما المرء	رغدْ	امرؤ القيس	٩٩
حتىٰ اذا	الشردا	ابن ربع الهذلي	٨٥ ،٥١
.....	تربدا	.....	١٩٥
صباغتها	أسودا	أبو رعاية السلمي	٢٨٨
اذا نفضته	فوّدا	أبو رعاية السلمي	٢٨٨

كما مال	هوّدا	أبو رعاية السلمي	٢٨٨
معاوي	الحديدا	عقيبة الأسدي	٣٥٨
كادت	وبرودُ	.....	٣١٩
أما الفقير	له سبد	الراعي	٩٥
أتيا	نديد	جرير	٩
فالا يأتكم	يزيد		١٧٢
.....	هائد	.....	٢٨٨
بأن الخليط	وتبعد	الطرماح	٤٢٠
فقلت	المسرّدِ	دريد بن الصمّة	١٧١
وقفت	من أحد	النابغة الذبياني	٨٨
إلّا	الجلد	النابغة الذبياني	٨٨
فاذا وذلك	أنكد		٥٢
بنىٰ السماء	ولا عمد	.....	٨
قالت	فقد	النابغة الذبياني	٢٨
واذا وذلك	بفساد	الاسود بن يعفر	٥١
كلّ بني	العدد	لبيد	١٢٥
إن يغبطوا	والفند	لبيد	١٢٥
فانّ الذي	أُم خالد	أشهب بن رميلة	١٧٥
نجوت	عهد	.....	١٩٢
	سجّد	الاعشىٰ	٢٦٢
سوىٰ	متهوِّد	زهير	٢٨٨، ٢٨٩
ألا أيهذا	مخلدي	طرفة بن العبد	٣٥٧
تظاهرتم	واحد		٣٦٨

إنّ القداح	أيّد	.....	٣٧٧
واني	في غد	الطرّماح بن حكيم الطائي	٣٩٢
نبي يرىٰ	مشهد	حسان بن ثابت	٤١٧
تعلم	باليد	كعب بن زهير	٤٢٨
أمون	بُرجد	طرفة بن العبد	٤٥٦
ياويح	الملحد	حسان بن ثابت	٤٦٤
وصفحت	سرمد	الحارث بن هشام	٤٦٨
كل امرئ	البلد	حفاف	٥٣٠

[الـراء]

يكشفون	المبرْ	طرفة بن العبد	١٦٠
أيها	وشقر	طرفة بن العبد	٣٧٩
ما رأينا	مهر	.....	٤٨٣
إن تنوله	بالظهر	طرفة بن العبد	٥٢٠
على لاحبٍ	جرجرا	امرؤ القيس	١٤٧، ٢٨٦، ٥١٥
تراوح	جؤارا	الاعشىٰ	٢٦٢
ورأى	معمورا	أُمية بن أبي الصلت	٢٥٤
فنساها	وخورا	أُمية بن أبي الصلت	٢٥٤
عسلاً	مثمورا	أُمية بن أبي الصلت	٢٥٤
ولما أن	انفجارا	عمر بن لجاء	٣٣٠
وسبحت	نهارا	ابن نجا	٤٧١
ملك	صيورا	الكميت	٥٣٢
يازبرقان	والفخرُ	المخبّل	٣٥٠

عرضت	مرّ		٤١٨
وما بي	بـرّ		٤١٨
ولكن	شرّ	.....	٤١٨
وعرفت	القصر	ابن حمزة	٣٣٥
بكيا	صبر	ابن حمزة	٣٣٥
وأعور	فبصير	جرير	٣٣٢
لا يسخط	تنكير	عدي بن زيد	٣٠٦
ديار	كبير	أبو ذؤيب الهذلي	٢٩٠
وإنّي	القطر	أبو صخر الهذلي	٢٥٥
وكـل	ولا خبر	جرير	٢٤١
فلما التقت	لعامرِ	الراعي	١٤
من تلق	الساري		٢١
مبتلة	فلا يجري		٢٩
فلما علونا	وكاسر		٤٦
أبلغ	وانتظاري	عدي بن زيد العبادي	٥٤
فلا تدفنوني	أُم عامر	الشنفرىٰ	٥٨
أقول	الفاخر	الاعشىٰ	٦٠
بجمعٍ	للحوافر	زيد الخيل	٨٤، ٢٦٢، ٣٣٥
اذا خَرج	عامر	الراعي	١٨٩
المال	للناظر	.....	١٥٤
ولو كان	الدهر	الاعشىٰ	٩٠
براه	مصر	الاعشىٰ	٩٠
وسخر	أجر	الاعشىٰ	٩٠

اني اليك	الموسر	جميل بن معمر	٢٠٩
ولاتبك	أبي بكر		١٩٤
	الكبر		٢٤٠
.....	أوزاري	.....	٢٦٣
فان تكن	بن عامر	ليلىٰ الأخيلية	٢٨٥
وما بمكة	وابكار	الاخطل	٣١١
نال	على قدر	جرير	٣٢٧
تمنّىٰ	المقادر	كعب بن مالك	٣٤٥
أتيت	والغدر		٣٤٧
كسا اللؤمُ	الخضر	جريـر	٣٤٩
شهد	بالغدر	الحطيئة	٣٩٢
باهلي	يدري	اعرابية	٣٩٦
هوىٰ	الدهر	اعرابية	٣٩٦
فان	المسحرّ	لبيد	٤٢٠
أُوَوّل	الجائر	الاعشىٰ	٤٧٥
لو بغير	اعتصاري	عدي بن زيد	٤٨٦
وشـرٌّ	حاضره	الحطيئة	٣٩٧
وان تكُ	سامره	الحطيئة	٣١٥
وقد زعمت	فجورها	توبة بن الحمير	٣٢٧

[الزاي]

قد حال	تهزيزٌ	المتنخّل الهذلي	٢٧٧

لا درّ	مكنوزُ	المتنخّل الهذلي	١٥٩

[السين]

تراه	شامسُ		٢٨٩
بثوب	راسُ	.....	٤٠٢
فأدركنه	المقدس	امرؤ القيس	٦١
وبلدة	العيس		٨٨
إلبس	بؤسها	بيهس الفزاري	١٤٨

[الضـاد]

شيب	فرّضُ	.....	٣١٠
فأحييت	من بعض	أبو نخيلة السعدي	٤٢

[العيـن]

من أُناس	الجزعْ	.....	١٤٥
عليك مثل	مضطجعا	الاعشىٰ	١٥٣
الألمعي	سمعا	أوس بن حجر	١٧٢
فلا تنكحي	بأنزعا	هدبة بن خشرم	٢٥٢
لو أطعموا	نجعا	الاعشىٰ	٢٥٤
.....	وارتفعا	الاعشىٰ	٣١٩
تعدّون	المقنعا	جريـر	٣٤٦
فني فادي	اجتماعا	.....	٣٧٠
تعلم	انقشاعا	القطامي	٤٢٨
يرعي	ابتدعا	الاعشىٰ	٤٤٣

تعدّون	المقنّعا	الأشهب بن رميلة	٥٠٣
أخبر	راكعُ	لبيد	١٥٦
أتاك	شافع	النابغة الذبياني	١٨٧
سبقوا	مصرع	أبو ذؤيب	١٣٠
لما أتى	الخشّع	جرير	١٧٠، ٣٣٥
وقالوا	ويشفع	......	١٨٦
كأنّ	شفعوا	الاحوص	١٨٧
ألم تر	ويسمع		٢٤٥
.....	لا يفزع		٢٦٠
وخيل	وجيع	عمر بن معد يكرب	٣٦٠
فقالوا	رافع	الحطيئة	٤٠٢
لئن تك	واسع	.....	٤٣٥
وعليها	تبع	أبو ذؤيب	٤٩٦
فاصبحت	له قع	عمرو بن حمة الدوسي	٤٩٧
أتجزع	المتقطعِ	.....	٣٨٩
وذاك	بشفيع	الحطيئة	١٨٦
فاذا همُ	جياع	.....	١٤٣
أقول	الضجوع	تميم بن أبي مقبل	٤٥
عكوف	الكوانع	النابغة الذبياني	٥٢٨

[الفـاء]

نحن بما	مختلف	قيس بن الخطيم	١٢٤، ١٦٩
ألمّا	تخلفوا		٢٩٣

خرجن	ناصف	.....	٣١١
وكلتاهما	تخنفِ	أبو الاخزر الحماني	٨٣، ٢٨٩
وما سجنوني	الزغايف	الفرزدق	٣٤٧

[القـاف]

وقلتم	موثق		٥
فلما كففنا	متألق	.....	٦
بكميتٍ	وفتاق	الأعشىٰ	٣١٢
لو أنّ	يبرق	ذو الرمة	٣١٩
هل أنت	مخراق		١٧٥
محض	ممذوق	.....	٢٧٧
حسبت	بالعناق	ذو الخرق الطهوي	٣٩٦
يانفس	باق	أُمية بن أبي الصلت	٤٥٩

[الكـاف]

نظرت	نعالكا	أبو الاسود الدؤلي	٤١٣
أقول له	ذلكا	خُفاف بن ندبـة	٣٦٩
يا خاتم	هداكا	العباس بن مرداس السلمي	٢٧٦
أما	محتنكُ		١٦٨
تقتلت	النواسك		٢٣٤

[الـلام]

وتصكّ	الاظلْ	لبيـد	٢٥١

يسوسها	لم يصل	......	٤٤٢
وغلام	ما سأل	لبيد	٥٤
.....	فابتهل		٢٠٧
قبّح الاله	إهـلالا	جرير	٦١
وقد لبست	فاشتعلا	الأخطل	١٤٨
حتى إذا	معقولا	الراعي	١٦٤
ابني كليبٍ	الأغلالا	الأخطل	١٧٦
ولقد سما	الأنفالا	الاخطل	١٩١
وجاعل	فصلا	عدي بن زيد	٢٨٣
كذبتك	خيالا	الاخطل	٤٦٣
كنت	ضلالا	الاخطل	٤٦٥
واشرب	اسبالا	أُمية بن أبي الصلت	٤٦٥
وأسلمت	زلالا	زيد بن عمرو بن نفيل	٤٧٥
	انهالا	الكميت	٤٨٨
ومستجيبٍ	الفضلُ	الاعشىٰ	١٧٧
لم أكن	صال	الحارث بن عباد	١٥٤
فآب	ونائل	النابغة الذبياني	١٥٤
كانت	الأباطيل	كعب بن زهير	٢٧
جزىٰ	يبلو	زهير	١٩٩
لما وردن	منسحل	القطامي	٢٧٦
كانت	والبصل	أُمية بن أبي الصلت	٢٨١
ضربت	المنزل	الفرزدق	٢٨٤
يسعىٰ	لمقتول	كعب بن زهير	٣١٧

اذا حضراني	مرمل	كعب بن زهير	٤٣٤
	مملول	كعب بن زهير	٥١٠
سمونا	مقاوله	الفرزدق	٧
فلا مزنة	ابقالها	.....	٤٨، ١٨٩
فطاوعت	بزولها	ذو الرمّة	٤٧٥
أُصالحكم	قبولها	الاعشىٰ	٣٩٠
.....	الأليلِ	الكميت	٢١٨
تروّحي	ظليل	أُحيحة بن الجلاح	١٨١
أبوك	قائل	.....	١٩٠
وما	مقتّل	امرؤ القيس	٢٣٤
إنّ التي	تقتل	.....	٢٣٤
فاليوم	واغل	امرؤ القيس	٢٣٩
مكرٍّ	من عل	امرؤ القيس	٢٦٣
لعمري	على رجل	علقمة بن عوف	٣٠٩
تمنّىٰ	رسل		٣٤٥
ألست	للبعل	.....	٣٦٦
ألا إنني	الأبجل	طرفة بن العبد	٣٩٦
فقد كذب	برسول	كثيّر عزّة	٤١٤
جمعت	البزل		٤٢٩
ومن كلّ	بالنجل	.....	٤٢٩
يدعون	وأغلال	أُمية بن أبي الصلت	٤٣٣
جزيتك	قبلي	أبو ذؤيب	٤٤٧
خليلي	قبلي	جميل بن معمر	٤٦١

كأنّ	المآلي	لبيد بن ربيعة	٤٦٧

[الميم]

وإنّ	الأُممْ	الأعشىٰ	٣٤٤
له أُمة	الأُمم	.....	٣٤٤
فانّ المنية	أينما	نمر بن تولب	٥٢
بان يعتزوا	مرجما	عمير بن طارق	١٧١
الخالق	دما	أُمية بن أبي الصلت	٢٣٢
فقلت	الطعاما	شمير بن الحارث الضبي	٤٦٧
لاتنه	عظيمُ	.....	١٥١
وقابلها	وارتسم	الاعشىٰ	١٥٣
......	ابراهم	......	٥٢٢
قد كنت	فومِ	أُحيحة بن الجلاح	٢٨٠
فوق	فوم	أُمية بن أبي الصلت	٢٨٠
فيقتل	بالدم		٢٨٥
هم منعوا	البراجم		٩٢
مالي	المتهدم	.....	٣١٥
شطّت	مخزم	عنترة بن شداد	٣٥٨
لو بأبانين	بدم	مهلهل	٣٨٢
لئن	مسلم	أعشىٰ همدان	٤٢٦
ألا يا هند	بانصرامي	الحطيئة	٤٣١
أي الوجوه	الحكم	ابن بيض	٤٩٠

متى يقل	يبتسم	ابن بيض	٤٩٠
اذا شبّت	الجحيم	أُميّة بن أبي الصلت	٥٠٦
سمت	القرام	النابغة الذبياني	٧
......	قوّم	.....	٢٣٩
خليلي	الكلم	ضرار	٢٦٥
لمعفّرٍ	طعامها	لبيد	٣٥١

[النون]

وذلك ضرب	لا تكونا	الكميت	٢٦
فكفى	ايّانا	حسان بن ثابت	٢٨
وقدّمت	ومينا	عدي بن زيد	٢٣٠
أيام	شيطانا	جرير	٤١٨
سعىٰ	عقالين	عمر بن العداء الكلبي	١٦٣، ٤٨٢
لا صبح	جمالين	عمر بن العداء الكلبي	١٦٣
فما أُضحي	كوفان		٣٩٣
مَن لا	البدن	زهير	١٤٥
ولكني	بالحزون		١٥٥
فان تصبرا	تريان	......	١٦٦
ربّ	بظنون	أبو داود الرؤاسي	١٧٢
فلو إنّا	اليقين	.....	٢٠٠
أنفق	بخلدان	أُمية الصغير	٢٠٤
تعش	يصطحبان	الفرزدق	٢٩٤
فنكّب	الجنون	......	٣٢٣
دعوت	اللعين	الشماخ بن ضرار	٣٨١

تعال	يصطحبان	الفرزدق	٤٧٧
وما بالذي	من يقن	الاعشىٰ	٥٠٤
ولقد أمرّ	لا يعنيني		٣٩٢
ولا تقولنّ	الماني	.....	٣٤٦
رماني	رماني	ابن أحمر الباهلي	١٢٣، ١٦٩

[الهـاء]

هلا على	القلّه		١٠٥
إني اذا	الارشيه	سحيم بن وثيل	١٩٢
وشريت	هامـه	يزيد بن مفرغ	٣٨٨
لا تهين	رفعه	أضبط بن قريع	١٥٥، ١٥٦
إن سلطياً	أقنّه	جرير	٤٠
فاما ترىٰ	أزرىٰ بها	الأعشىٰ	٤٨
سأحمل	وامّا لها	الخنسـاء	١٩٤
فضللت	دنا لها	الأعشىٰ	٤٤٣
أما ابن	حاديها	طفيل الغنوي	١٣٧

[اليـاء]

ألكني	تهاديا	عبد بني الحسحاس	٥٤
وقائلة	كما هيا	.....	١٣٩
أُحب محمداً	والوصيا	أبو الاسود الدؤلي	٣٢٨
فان يك	غيـا	أبو الاسود الدؤلي	٣٢٨
لئن كان	باديا	......	٤٣٥
ألا أبلغ	غنيّ	أسعر الجعفي	٣٤١، ٣٨٣

فهرس الارجاز

القافية	الشاعر	الصفحة
صأيت		٥٢٣
بيت	.....	٥٢٣
عائثُ	العجّاج	٢٧٤
مباعث	العجّاج	٢٧٤
فانمحىْ	رؤبـة	٣١٩
يمصحا	رؤبـة	٣١٩
آدا	العجّاج	٣٧٦
استدا	رؤبة	٤٤٨
اشتدا	رؤبة	٤٤٨
فره	العجّاج	٢٩٧
كسر	العجّاج	٢٩٧
صقر		٤٨٣
مهر		٤٨٣

أنصارا		٢٨٩
الإزارا		٢٨٩
جارا	......	٢٨٩
للعكورِ	العجّاج	٤٩٨
التفكسر	العجّاج	٤٩٨
الكرور	العجّاج	٤٩٨
ضريره	رؤبة	٤٣١
الاخماسْ	رؤبة	٩٢
وابلاس	رؤبة	٩٢
القدوسا	رؤبة	٣٨٧
انخسا	.....	٣٠٤
مكرسا	العجّاج	٩٢
وأبلسا	العجّاج	٩٢
أنيسُ		٨٨
العيس		٨٨
القادسِ		٣٧٨
فارضْ		٣١٠
الحائض		٣١٠
الماخض		٣١٠
فارض		٣١٠
أبيضُ		٣١٠
فرّض	.....	٣١٠
وبلقْ	رؤبة	٣١٠

البهق	رؤبة	٣١٠
العراقِ		٣٦
مهراق	.....	٤٦
ألحق	أبو النجم	٤٩٧
المحنق	أبو النجم	٤٩٧
ذو بنيق	رؤبة	٤٨٧
سودنيق	رؤبة	٤٨٧
الشروق	رؤبـة	٤٨٧
دونكا		١٦٠
ويفجرونكا	.....	١٦٠
ولم تقتل	أبو النجم	٢٣٤
السربالِ		١٩٩
الاحوال	.....	١٩٩
وأظلل	العجّاج	٢٥١
أو رزاما		٤٨٣
الهاما		٤٨٣
السلامُ		١٨١
السنام		١٨١
الطعام		١٨١
والتسليمِ		٣٩٥
تميم		٣٩٥
قطني		٣٩٥، ٤٩٨
بطني		٣٩٥، ٤٩٨

بالتجنّي	العجّاج	١٥٠
منّي	العجّاج	١٥٠
إنـهْ	جرير	٤٠
أقنّه	جرير	٤٠
الزلّه		١٠٥
القلّه		١٠٥
طيلسه		٣٠٨
لـه	......	٣٠٨
مدره	رؤبـة	٣٢٣
عنجه	رؤبـة	٣٢٣
وادلواها		٣٨٦
ولا نرعاها		٣٨٦
مناعها		٤٨٢
أو باعها	......	٤٨٢
قريّ	العجّاج	٢٦٠

فهرس أعلام المترجمين في التعليق

ابن أحمر ١٦٩

ابن الاخشاد ٦٦

ابن اسحاق ١٠٢

ابن جدعان ١٠٠

ابن سابط ٥٦

أبو الأحوص ٤١

أبو حاتم ٩٥

أبو داود ١٧٢

أبو عبيدة ١١٤

أبو مهدية ١١٤

أبو نخيلة السعدي ٤٢

أبو هاشم ٧١

أبو هريرة ١١٤

أُبي بن كعب ٧١

أحمد بن صالح ٧٢

الأخطـل ١٧٦
الأسود بن يعفر ٥١
الأصمعي ٩٧، ١٥٦
الأعرج ١٢٩
امرؤ القيس ٩٨
البرجمي ١٦٨
بنو سليم ١٣٠
الجبائي ٦٦
جميل بن معمر ٢٠٩
حسان بن ثابت ٩
الحطيئة ١٨٦
خفاف بن ندبـة ٣٦٩
الداجوني ٧٧
دريد بن الصمّة ١٧١
الراعي ١٦٣
زيد الخيل ٣٣٤
الزينبي ٧٧
الطبري ٦٦
الطريح بن اسماعيل ٢٠٨
العباس بن مرداس السلمي ٢٧٦
عبد بني الحسحاس ٥٤
علقمـة ٤
عمرو بن عبيد ٩٦

عمر بن لجاء	٣٣٠
الفضل بن سلمة	١٥٦
كثيّر عزّة	١٠٥
الكميت	٢٦
ليلىٰ الأخيلية	٢٨٥
المازني	٤
المالكي (أبو عمرو)	٧٧
المبرّد	٩٧
مسروق	١٩
مفضل بن سلمة	٩
المؤرّج	٣١٧
نمر بن تولب	٥٢
واصل بن عطاء	٩٦

فهرس الموضوعات

اختلاف القرّاء في «أيّها»	٣
كلّ ما في القرآن «يا أيها الذين آمنوا» نزل بالمدينة	٤
الاستدلال بأن الكفار مخاطبون بالعبادات	٦
استدلال الجبائي على سطحية الأرض والرد عليه	١١
احتجاج الله تعالى لنبيّه ﷺ على المشركين والمنافقين	١٢
قراءة «اتقوا الله»	١٦
الاستدلال على بطلان قول من حرّم النظر والحجاج العقلي	١٧
اختلاف الآراء في قوله: «هذا الذي رزقنا من قبل»	٢٠
سبب نزول آية «إنّ الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة ....»	٢٣
في اعراب «بعوضة»	٢٧
في اعراب «مثلاً»	٢٩
معنى قوله تعالى: «يضلّ من يشاء .....»	٣٠
أوجه الاضلال	٣١
معاني العهد	٣٦

الحياة في عالم البرزخ والقبر ٤٤
الاقوال الواردة في تفسير الاستواء ٤٥
في تفسير «وهي دخان» ٥٠
وجوه قراءة وتسمية «الملائكة» ٥٣
شبهة في أكل آدم من الشجرة ودفعها ٦٢
اختـلاف القرّاء في «انبؤني» ٧٢
أقسام السجود ٨٤
اختلاف الآراء في أمر الملائكة والسجود لآدم ٨٦
هل كان ابليس من الملائكة أم لا ؟ ٨٧
استدلال الرمّاني على أنه لم يكن من الملائكة وردّ الشيخ عليه ٨٨
اختلاف الآراء في الجنّة التي اسكن فيها آدم ٩٥
اختلاف الآراء في الشجرة التي نهىٰ الله آدم عنها ١٠٠
سبب تسمية المرأة بالمرأة ١٠٢
وجه إخراج آدم وحوّاء من الجنّة ١٠٦
أجوبة لكيفية وصول ابليس الى آدم وهو في الجنة ١٠٧
سبب ورود «اهبطوا» بلفظ الجمع ١١٠
الكلمات التي تلقّاها آدم ١١٨
بحث في التوبة ١١٩
تفسير الجبائي معنىٰ الهبوط ١٢٤
سبب تكرار لفظة «اهبطوا» ١٢٩
الفرق بين المصاحبة والمقارنة ١٣٢
الفرق بين اتخاذ الابن واتخاذ الخليل ١٣٤
في «اسرائيل» خمس لغات ١٣٥

الفرق بين الخوف والرهبة ١٤٠
الفرق بين الثمن والقيمة ١٤٧
الفرق بين التعمية والتغطية ١٤٧
الفرق بين اللبس والاخفاء والريب والاشكال ١٤٨
اسباب الالباس ١٤٩
الفرق بين التلاوة والقراءة ١٦٢
الفرق بين العقل والعلم ١٦٤
تفسير الصبر ١٦٥
بحث في كلمة «الظنّ» ١٧١
سبب تكرار قوله: «يا بني اسرائيل» ١٧٨
بحث في الشفاعة ١٨٥
في معنىٰ العدل ١٨٧
الفرق بين العِدل والعَدل ١٨٨
الفرق بين النصرة والتقوية ١٩٠
الفرق بين النجاة والتخلّص ١٩٣
الفرق بين الآل والاهل ١٩٣
اختلاف في اسم فرعـون ١٩٥
في معنى «يستحيون نساءكم» ١٩٨
سبب ذبح فرعون الابناء واستحيائه النساء ٢٠١
قصة موسىٰ عليه السلام مع فرعون ٢١١
لِمَ قال: أربعين ليلةً، ولم يقل: أربعين يوماً ؟ ٢١٥
قصّة السامري ٢٢٢
في معنىٰ العفو ٢٢٥

الفرق بين الشكر والمكافاة	٢٢٧
في تفسير «فاقتلوا أنفسكم»	٢٣٥
السبب الذي لأجله أُمروا بقتل أنفسهم	٢٣٦
في معنىٰ قوله: «حتى نرىٰ الله جهرةً»	٢٤٢
الصاعقة تكون على ثلاثة أوجه	٢٤٣
استدلال البلخي على أن الرؤية لا تجوز على الله تعالىٰ	٢٤٤
بحث في الرجعة	٢٤٨
معنىٰ «المنّ»	٢٥٣
معنىٰ «السلوىٰ»	٢٥٥
سبب نزول المنّ والسلوىٰ	٢٥٦
الفرق بين أحسن إليه وأحسن في فعله	٢٦٧
قراءة «النبيّن» واشتقاقها	٢٧٥
لِمَ سمّيت اليهود يهوداً ؟	٢٨٨
معنىٰ الصابئين وأقوال العلماء فيه	٢٩٠
استدلال المرجئة على أنّ العمل الصالح ليس من الايمان	٢٩٥
في تفسير الطور	٢٩٧
لِمَ سمّي السبت سبتاً ؟	٣٠٢
معنىٰ الفارض والبكر والعوان	٣٠٩ ـ ٣١٠
معنىٰ «لاشيــة»	٣١٦
جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب الى وقت الحاجة	٣٢٠
أصل ومعنىٰ «اداراْتم»	٣٢٢
لِمَ سمّي من لا يحسن الكتابة أُمياً ؟	٣٤٣
معنىٰ الويل	٣٤٨

اختلاف أهل اللغة في (حَسناً) و (حُسناً) ٣٦٠
الفرق بين تفدوهم وتفادوهم ٣٧٠
معنىٰ روح القدس ٣٧٧
سبب تسمية جبرائيل بالروح ٣٧٧
معنىٰ القدس ٣٧٨
في أصل «بئس» ٣٨٥
اختلاف الآراء في معنىٰ (ما) من (بئسما) ٣٨٥
وجوه معاني «وأُشربوا في قلوبهم العجل» ٣٩٥
وجوه قراءة «جبريل» ٤٠٤
ست لغات في «جبريل» على قول الأخفش ٤٠٥
في معنى «جبريل» وقول الفارسي فيه ٤٠٦
تخطئة قول المجبرة بأنّ الأمر ليس بمحدث ٤٠٩
في تفسير «أوَكلّما» عند النحويين ٤١١
الاقوال الواردة في مدينة بابل ووجه تسميتها ٤٢٢
في معاني السحر ٤٢٣
جواب لسؤال عن كيفية عمل الملكين السحر ٤٢٣
سبب هبوط الملكين هاروت وماروت ٤٢٥
بحث فقهي في السحر ٤٣٧
في تفسير قوله: «لا تقولوا راعنا» ٤٤٢
السبب الذي لأجله وقع النهي عن هذه الكلمة ٤٤٣
بحث في النسخ ٤٤٩
اختلاف الآراء في كيفية النسخ وقول الشيخ فيه ٤٥١
هل يجوز نسخ القرآن بالسنة أم لا ؟ ٤٥٧

في معنىٰ «هـود»	٤٧٣
حكم تمكين الكفّار من دخول المساجد	٤٨٥
في معنى «فثمّ وجـه الله»	٤٩٠
الاستدلال على أنه لا يجوز الولد لله سبحانه	٤٩٣ ـ ٥٠٠
استدلال البعض على أنّ كلام الله قديم، والردّ عليه	٤٩٩
النهي عن ارضاء اليهود والنصارى	٥٠٩
تناول الوعيد والزجر لمن علم الله منه عدم المعصية	٥١٠
الكلمات التي ابتلىٰ الله ابراهيم عليه‌السلام بها	٥١٦
استدلال الاصحاب على أنّ الامام لا يكون إلّا معصوماً	٥٢١
الاستدلال على أنّ منزلة الامامة منفصلة من النبوّة	٥٢١
الفرق بين مثابة ومثاب	٥٢٤
الاستدلال على أنّ صلاة الطواف فريضـة	٥٢٦
هل كان الحرم آمناً قبل دعوة ابراهيم عليه‌السلام ؟	٥٢٩
الفرق بين متّعت وامتعت	٥٣١
الفهارس	٥٣٥